



زيارة موقع المجهر للرد علي الوهابية	زيارة موقع الحوار الإسلامي	زيارة موقع الصوفية	زيارة موقع الفرزدقي

الرد على كتاب

«إلى أين أيها الحبيب الجفري»

بقلم العلامة

«الشيخ عبدالهادي الخرسة»

حفظه الله



بسم الله الرَّحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النّار

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم

اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكور ونعوذ بك من السَّلب بعد العطاء

ونعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذل العمر

اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك وحرباً على أعدائك

أما بعد :

فيقول الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:39]

ويقول سبحانه : ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء:148]

ويقول عزّمن قائل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى:39]

ويقول عزّ وجل : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾

[البقرة:194]



الفصل الاول:

إلى إخواني طلاب العلم الأكارم :

وصلتني رسالة بقلم / خ م الحسني / موجهة إلى الداعية الإسلامي الكبير الحسيب النسيب السيد الشريف الحبيب علي الجفري حفظه الله تعالى ووفقه ونصره ، ومقدمة بمقدمتين من قبل الأستاذين الفاضلين والشيخين الجليلين د. مصطفى الخن وشيخ القراء محمد كريم راجح حفظهما الله تعالى وبارك في عمرهما ونفعهما آمين .

وقبل أن أشرع في الرد على المؤلف ورسالته وتبيين الأغاليط العقائدية والحديثية فيها أود أن أتكلم كلمة عن المؤلف وتقديم الشيخين الجليلين له ولأمثاله فأقول :

1 – لا ندري شيئاً عن عقيدة المؤلف ولا ندري على أية عقيدة هو ،
ولا ندري عمّن أخذ علم العقيدة وعلم الحديث ، فهل هو من أهل السنة والجماعة ؟ أو من المبتدعة أعداء الأولياء والصالحين ؟

2 – كون المؤلف منسوباً إلى أهل البيت رضي الله عنهم لا يشفع له عند الله تعالى أن يعادي أهل السنة والجماعة ويوالي أعداءهم المبتدعة .

وإنني لأعجب من الشيخين الجليلين الخن وراجح كيف وصفا المؤلف بالحسيب النسيب وكونه من آل البيت وحفيد الأمير عبد القادر رحمه الله تعالى ، ونسيا أنَّ الحبيب علي الجفري حسيب نسيب وأنه من آل البيت النبوي الشريف وهذا الذي جعلني أصف الحبيب الجفري بالحسيب النسيب وأترك ذلك في حق المؤلف ، فما أسقطاه هناك أثبته هنا ، وما أثبتاه هناك أسقطته هنا ، ليتحقق العدل والإنصاف بين الرجلين .

3 – كون المؤلف حافظاً لكتاب الله تعالى وجامعاً للقراءات العشر لا يشفع له كذلك في أن ينحرف في عقيدته فيوافق أهل البدع الضلالات وأهل الأهواء والآراء .

ومتى كان حفظ القرآن الكريم فضيلة في كافرٍ حفظه أو مبتدع ؟ ، فكثير من المستشرقين يحفظونه وكثير من المبتدعة في العقائد يحفظونه ، وهو حجة عليهم لا لهم ، ففي الحديث :

﴿ والقرآن حجة لك أو عليك ﴾ [أخرجه مسلم بكتاب الطهارة] ،

حجة للمسلم إذا كان من أهل السنة والجماعة ، وحجة عليه إذا كان من الكافرين أو من المبتدعة . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصف به المبتدعة الخوارج :

﴿ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ﴾[أخرجه البخاري بكتاب المناقب]



4 – إن جدَّ المؤلف هو الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله تعالى ، وكان من كبار صوفية عصره ومرجعاً في التصوف وعلومه ، وكان يقرر كتب الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه ويقول بما فيها ، فهل يستعيذ المؤلف من الضلال الذي كان عليه جده في تصوفه ، وهل يطلب لكل قول من أقواله دليلاً كما فعل مع الحبيب الجفري في مسائله ؟

وإلا فهي ردّ ، فإذا فعل ذلك فقد أنصف وإلا فعليه ألا يتعزى بجده وألا يثني عليه أنه من أحفاده للاختلاف الذي بينهما في العقيدة والتصوف فالجد رحمه الله على عقيدة والحفيد على عقيدة ، وأخشى أن يقال لجده :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ **[هود:46]** .

5– كنت أتمنى على الشيخين الفاضلين المقدِّمين لهذه الرسالة ألا يسرعا بالتقديم والإطراء قبل معرفة عقيدة المؤلف على حقيقتها ومعرفة عقيدة من كتب الرسالة فيه وأعني الحبيب علي الجفري .

وأتمنى على المشايخ الكبار في بلاد الشام وغيرها ألا يختم أحدهم حياته العلمية والدعوية المباركة بموالاة أهل البدع وموافقتهم ولو في مسألةٍ واحدة ، ونسأل الله تعالى لنا ولهم حسن الخاتمة على عقيدة أهل الحق من أهل السنة والجماعة وعلماء الصوفية أولياء الله تعالى .

6 – وقبل أن أشرع في الدفاع عن الحبيب علي الجفري ونصرته في الغيب لأنه ظُلِم وأمرنا بنصرة المظلوم وأن نكف الظالم عن الظلم ونحجزه عنه عملاً بالحديث الصحيح :

﴿ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره ﴾ **[أخرجه البخاري بكتاب الإكراه]** .

وإن التصوف ظُلم ويظلم على يد أدعيائه وأعدائه ، وإنّ علماء التصوف من أخيار وصالحي سلف الأمة وخلفها ظلموا ويظلمون ، فواجب على كل مسلم نصرهم بما يتيسر له من أدوات النصر وآلاته .

أريد أن أرد على المؤلف في مسألة تعرض فيها إلى اتهامي في عقيدتي وجعلني من أهل الضلال ، والعياذ بالله تعالى من أن أَضِل أو أضُل ، وسأعرض كلامي كاملاً لأنّ المؤلف اقتطع الكلام واجتزأه عما قبله

على مذهب من قرأ قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الصلاة ﴾ وترك ﴿ وأنتم سكارى ﴾

وعلى مذهب من قرأ : ﴿ فويل للمصلين ﴾ وترك ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ .



وقبل الرد على المؤلف أقول :

1 – إنه نسبني إلى ﴿ المتصوفة ﴾ وإنني أشرف بهذه النسبة المباركة وإن لم أكن أهلاً لها أو لم أكن من أهلها على الحقيقة ، فالمتصوفة هم العباد الرّبانيون الذين ورثوا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وراثة العلم ووراثة الحال والخُلُق الكريم ،

ولا أجدني متصفاً بأوصافهم وكمالاتهم ، وإنما أنا لهم محبّ مع حيائي منهم من ادّعاء محبتهم وعدم القيام بحقوقها ورضي الله عن الشيخ محمد مهدي بهاء الدين الرواس القائل :

إني إذا ادعيت يوماً حُبّهم لعبء وِزري يا هذيم أستحي

2 – إنني بحمد الله تعالى على عقيدة أهل السنة والجماعة وتصوفهم تعلماً وتعليماً ودعوة وتأليفاً وإنني أردُّ على غلاة المتصوفة القائلين بالحلول والاتحاد والوحدة المطلقة أقوالهم منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة والطلبة الذين قرأوا على يدي العقيدة والتصوف يعلمون ذلك علم اليقين ، ولم أُتهم في عقيدتي ولله الحمد من قِبل أحدٍ من أهل السنة والجماعة ، وإنما اتهمت وطُعن بي من قبل المبتدعة من الوهابية وغيرهم كما اتهم وطعن بالحبيب عليٍ الجفري وبعلماء التصوف من السلف والخَلَف من قبل هؤلاء المبتدعة الضالين أنفسهم ومن أمثالهم ، والمؤلف شابههم وماثلهم في الطعن والاتهام وهذا إن لم يكن منهم ومن دعاتهم . وكتابي الذي اقتطع منه المؤلف واجتزأ بعض كلام منه هو / شرح الوظيفة الشاذلية/ ط 1 وقد طبع منذ اثنتي عشرة سنة ووُزِّع على العلماء والدعاة وطلاب العلم المتخصصين في العقيدة والتصوف وأثنوا عليه خيراً ولم يعترض عليه معترض منهم ولا على عبارة من عباراته، وتمت إعادة طبعه الطبعة الثانية من عهد قريب سنة 2006 قبل كتاب المؤلف بأشهر، وهي طبعة مزيدة ومنقحة.

وقلت في مقدمتها إني غيَّرت بعض كلمات الطبعة الأولى لما فيها من الإيهام والإبهام خشية أن يفهمها بعض القاصرين أو الجاهلين أو المبتدعة – كالمؤلف المذكور – على غير وجهها الصحيح ، وعلى غير مرادي فأتهم في عقيدتي ، والذي خشيت منه قد وقع وكنت أتمنى من الشيخين المقدمين للكتاب إذا كانا قد قرآه – وغالب ظني أنهما لم يقرآه – أن يدعواني أو أحدهما إلى جلسة خاصة أو عامة لدراسة النّص الذي نقله المؤلف عني ، ومعرفة مرادي وقصدي منه ، قبل أن يثنيا على المؤلف وكتابه لأنّ معنى هذا الثناء موافقتهما للمؤلف في اتهامه لي بالضلال الكبير ، وأخشى أن يكون قصد المؤلف والله أعلم تجارياً مطلوباً لنشر الكتاب وترويجه من خلال التشهير ممن هو معروف ومحبوب من الخاصة والعامة ورحم الله الإمام البوصيري القائل :

ومن يبع آجلاً منه بعاجله يبن له الغَبن في بيع وفي سَلَم



والآن سأعرض كلام المؤلف ثم أعرض كلامي كما هو في الأصل لمعرفة تدليس المؤلف وافترائه :

قال في رده على السيد الشريف الحبيب علي الجفري في قوله :

﴿ لا تقارنوا الرسول بالرب ﴾

والذي فهمه على غير مراد المتكلم قطعاً ، وصدق الشاعر إذ يقول :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفتُه من الفهم السقيم

قال : ثم ما هذا الكلام الخطير ﴿ مقارنة الرسول بالرب ﴾ الذي ينادي به الجفري ويعترض على المنكرين عليه ، إن الفكر الخطير الذي ينادي به الجفري قد صرَّح به أحد المتصوفة في الشام

وهو المدعو / عبد الهادي الخرسه / في شرحه الوظيفة الشاذلية

حيث قال :

يقول سبحانه : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:62] ،

ويقول : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [التوبة:74] ،

فالضمائر في قوله : ﴿ من فضله ﴾ و ﴿ أن يرضوه ﴾ مفردة لأنَّ الحضرة واحدة لكن لها إطلاق وتقييد والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى ص 47–48 .

ثم قال : وأعوذ بالله العظيم من هذا الضلال الكبير .

وقد علّق على قولي : ﴿ لأنَّ الحضرة واحدة ﴾ بقوله : أعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد ، بل الضمائر مفردة لأن هذا هو أسلوب العرب في التعبير ، فالضمير في ﴿ أن يرضوه ﴾ عاد إلى مفرد والمراد اثنان ، ونظائر ذلك في القرآن وكلام العرب كثيرة ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

نحن بما عندنا وأنت بما عنــــدك راض والرأي مختلف

والمراد : نحن وأنت بما عندنا راضون . ا.هــ كلامه بحروفه ص 99 .

المناقشة :

وقبل أن أعرض النص الأصلي من كتابي – شرح الوظيفة الشاذلية – ط 1 أجدني ملزماً بمناقشة هذا الكلام ورده على قائله وذلك من وجوه :

1 – الحبيب علي الجفري لم يُرد بقوله : / مقارنة الرسول بالرب / معاني التشبيه والتمثيل والحلول والاتحاد ولم يرد أن نعطي الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم شيئاً من صفات الربوبية والألوهية وذلك لا يقول به مسلم ، وإنما أراد بالمقارنة هنا ﴿ العطف اللفظي بالواو مثلاً ﴾ كأن نقول : ﴿ الله ورسوله ﴾ ، وذلك لأنَّ الواو لمطلق الجمع وهو يعني الاقتران اللفظي بين المعطوف والمعطوف عليه ، ويعلم هذا طلاب العربية المبتدئون .



ويصح أن يريد بقوله : ﴿ الاقتران ﴾ جمعهما في ضميرٍ واحد كالحديث الذي أورده :

﴿ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ﴾ [أخرجه البخاري بكتاب الإيمان] ،

وما ورد من ذلك في النصوص كثير سأعرض له في حينه .

ثم الحبيب الجفري ما زال على قيد الحياة ويرجع إليه في فهم المراد من كلامه في العقائد وغيرها وهو رجل شريف قد وضع له القبول في الأرض بين الخاصة والعامة وله مكانة في القلوب لا نجدها لغيره من أولئك الذين ينالون منه ، وإن أمثال المؤلف المعترض من الذبابيين الذين يمرون على الطيب والخبيث ولا ينقلون إلا الخبيث ، وإنَّ الذين يتتبعون الهفوات والنقائص ويتصيدون في الماء العكِر ويثيرون الفتن على علماء أهل السنة ودعاتهم في وقت تكالب الأمم على المسلمين ما هم إلا عملاء لهؤلاء الذين يفتُّون في عضد الأمة الإسلامية ويفككون وحدتها ويذهبون المودة التي فيما بينهم من قلوب أبنائها ثم إنَّ للحبيب الجفري من الحسنات ما توهب إليه الهفوات خلافاً للمؤلف وأمثاله ، ورحم الله الإمام سعيد بن المسيَّب القائل : إنه ما من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب لكنّ من الناس من لا تذكر عيوبهم ، من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله .

والشاعر يقول : وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحدٍ جاءت محاسنه بألف شفيع

وكأنّ المؤلّف المعترض ليس من أهل السنة والجماعة الذين يدرؤون الحدود بأدنى شبهة فضلاً عن درء التكفير والتضليل والتفسيق لأدنى احتمال عن مؤمن ، ونسي أو تناسى أنّ أهل السنة والجماعة إذا ورد عليهم قول مسلم له تسعة وتسعون محملاً في الكفر ، وله محمل في الإيمان ، يحملون قوله على الإيمان لا على الكفر ، ولأن تخطئ في إيمان رجل هو عند الله تعالى غير مؤمن خير من أن تخطئ في تضليل وتكفير رجل هو عند الله مؤمن.

ورحم الله من قال : من اتّسع علمه قلّ اعتراضه ، ومن تتجر في العلوم لم يخطئ أحداً ، والمؤلف المعترض قلَّ علمه فكثُر اعتراضه .

لم أَلْقَ عصفوراً يزاحم باشقاً إلا لخفتـــه وقلـــة عقلـــه

كم سيّـــد متفضـــل قد سبّـــه من لا يساوي غرزةً في ....

وكنت أتمنى على المؤلّف أن يكون رأساً في الحق بدلاً من أن يكون ذَنباً في الباطل .

2 – سؤال :

عن أية حضرةٍ أتكلم في النص الذي ساقه ؟ ولِمَ لم ينقل أول كلامي في التنزيه واجتزأه وأخذ منه ما يناسب هواه وبدعته ؟ وهل كلامي هذا قطعي الدلالة فلا يحتمل إلا المعنى الذي فهمه المؤلف بعقله القاصر وحمَّلني إياه ؟ أو إنه ظني الدلالة ويقبل التأويل بوجه من وجوه الحق إذا نقل مع الكلام الذي قبله ؟



ثم هل قلت : لأنَّ الحضرتين حضرة الله وحضرة رسوله حضرة واحدة أو الذاتين ذات واحدة ، حتى أتهم بالضلال كما صرَّح بذلك في فهرسه بقوله : – عبد الهادي الخرسه يقول : إنّ الله تعالى ورسوله حضرة واحدة !!!!!

ففي أي موضع من الكتاب المذكور قلت ذلك أيها المفتري الكذاب ؟

3 – ختمت كلامي بقولي : ﴿ والله سبحانه وتعالى أعلم ﴾ ففوضت علم ذلك إلى الله تعالى ، ورأى المؤلف ذلك ضلالاً استعاذ بالله تعالى منه ، فإذا كان التفويض إلى علم الله تعالى ضلالاً يستعاذ منه فما هو الهدى عنده ؟

4– قال في تعليقه : إن الضمائر في النصوص القرآنية المذكورة عادت إلى مفرد والمراد اثنان ، وهو قول ذكره المفسرون كما سيأتي في بعض تلك النصوص مع أقوالٍ أخرى في كل آية ولا يصح القطع بأن قولًا منها هو مراد الله تعالى ، وكلها في الاحتمال سواء وأنا أقول بالقاعدة التي ذكرها المفسرون والنحاة والتي ذهب إليها المؤلف ولها شواهد

ولكن لا يلزمني ترجيحها على غيرها عند هذه النصوص دون مرجح .

ثم إنني لست ممن يدعي أن ذات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هي ذات الله تعالى ، ولا صفاته هي صفاته كما نسب إلي المؤلف ذلك كذباً وزوراً ، ولكني أقول :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق لا استقلال لهم في الوجود ولا قيام لهم بذواتهم ، ولا تأثير لهم في فعل من الأفعال .وإنما الخالق والموجد والمؤثر هو الله تعالى .

وهل إيتاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطاؤه وإغناؤه بذاته ومن ذاته ودون إذنٍ من الله ؟

أو إن ذلك كله خلق الله تعالى على يديه ؟

ثم لنترك آيات الضمائر هذه إلى موضعها من الكتاب ولنأت إلى الآيات التي صرح فيها بالاسم الشريف كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح:10] ، أليست صريحة في أن مبايعة الرسول مبايعة لله ؟

وقوله تعالى : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ [النساء:80] ،

- أليست طاعة الرسول طاعة لله ؟

فمرجع المبايعة والطاعة إلى حضرة واحدة وهي حضرة الله تعالى

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـــكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:17] ،

وغير ذلك من النصوص القرآنية الكريمة الدالة على وحدانية الأفعال لله عز وجل وأنه خلقها وأجراها على نبييه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دون تأثير ذاتي له فيها .



وسأعرض للمؤلف بعض ما قاله المفسرون في الآيات القرآنية التي ذكرها استشهاداً وليرجع هو وأتباعه إلى التفاسير المعتمدة الكبيرة ليجد معنى ما قلته وذكرته .

1- قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة:62]

﴿ توحيد الضمير لتلازم الرضائين ﴾

وهذا الذي أقول به فإرضاء الرسول صلي الله عليه وسلم إرضاء لله تعالى ، فالحضرة واحدة في الإرضاء لا في الذات والصفات .

وكذلك في قوله ﴿ مِن فَضْلِه ﴾ فالحضرة واحدة في الإفضال لا في الذات والصفات .

لأن الفضل الذي آتاه الله تعالى على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو بيده تعالى وبإذنه .

وكذلك الأمر في الإيتاء والإعطاء وما شاكل ذلك مما وردت به النصوص لأنه لا معطي ولا مانع إلا الله تعالى .

وكلنا يناجي الله تعالى بالدعاء النبوي عقب كل صلاة فيقول :

﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ﴾ [أخرجه البخاري بكتاب الأذان] الحديث .

2- قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[التوبة:62]

وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك :

/ إحسان زيد وإجماله رفعني / انتهى .

وانظر إلى قوله / فكانا في حكم شيء واحد / أليس معناه ما قلته مما استعاذ به المؤلف بقوله " أعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد "

3- قال الإمام الخازن رحمه الله تعالى في تفسيره عند الآية المذكورة اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود ؟ فقيل : الضمير عائد على الله تعالى لأن في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : يجوز أن يكون المراد يرضوهما ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، انتهى

أقول : فإذا اختلف علماء التفسير والعربية في معنى الضمير ، وجعله بعضهم عائداً على الله تعالى ، وهذا الذي أقول به . فلماذا يلزمني المؤلف المفتري أن أجعل الآية من المواضع التي ذكر فيها المفرد وأريد به المثنى ولم يجمع العلماء على هذا في هذا الموضع ؟

فإذا قلت بقولٍ قاله بعض العلماء ويتوافق مع أصول العقيدة الصحيحة في وحدانية الله تعالى وأنه لا مؤثر إلا الله عز وجل ، ثم أقول والله تعالى أعلم فالإنكار حينئذٍ يقصد فيه المؤلف المخالفة لأهل الحق والمعاداة لهم ولا يقصد بيان الحقيقة العلمية بتجردٍ وإنصاف .

4 _ قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه /الصارم المسلول/صـــ 41 : إنّ جهة حرمة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم جهة واحدة فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وأخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور أليس كلام الشيخ ابن تيمية هو معنى الكلام الذي قلته وأوردته؟ أ.هـــ

ملاحظة قبل الشروع في المقصود :

بيت قيس بن الخطيم ونسب لغيره لا شاهد فيه على مسألة أن يذكر ضمير المفرد ويراد به اثنان كما توهم ذلك المؤلف المنتقص وإنما محل الشاهد فيه حذف الخبر جوازاً لدلالة ما بعده عليه والتقدير – نحن بما عندنا راضون – وأنت بما عندك راضٍ .

• وفيه شذوذ لأنه حذف من الأول لدلالة الثاني ، والقياس بالعكس .

والآن سأذكر الأصل من كتابي – شرح الوظيفة الشاذلية – ط 1

والذي اجتزأه المؤلف المفتري واختصره دون أن يربط بين أول الكلام وآخره ، وسأشرحه للمؤلف وغيره من القاصرين ، ثم أذكر كلامي الدال على التنزيه عن الحلول والاتحاد والوحدة المطلقة من مواضع أخرى من الكتاب المذكور:

والله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالإيجاد والإمداد ، فهو الممد لكل ذرة من الكائنات

ما في العوالم ذرة في جنب أرضك أو سماءك

إلا ووجهتها إليك بالافتقار إلى غناءك

ويخلق ذلك الإمداد على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه .

وإعطاؤه سبحانه الخلق من باب الحكمة أحب إليه من إعطائه من باب القدرة

فالكون مستمد من حضرته صلى الله عليه وسلم ولكن لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإنما أنا قاسم والله يعطي ﴾ [أخرجه البخاري بكتاب العلم] ،

ويقول الله سبحانه :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾

[التوبة:59] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:62] ،

ويقول : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [التوبة:74] .

فالضمائر في قوله ﴿ من فضله ﴾ و ﴿ أن يرضوه ﴾ مفردة لأن الحضرة واحدة ولكن لها إطلاق وتقييد والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ بحروفه

1- وفي معناه يقول النبهاني رحمه الله :

يقسم الجود بينهم ومن الله أتاهم على يديه العطاء

لقد عمي أو تعامى المنكر عن قولي الصريح : – والله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالإيجاد والإمداد ، فهو الممد لكل ذرة من الكائنات –

وعمي أو تعامى أيضاً عن قولي الصريح : – ويخلق ذلك الإمداد على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه –

وعمي أو تعامى عن قولي : – ولكن لا حول له صلى الله عليه وسلم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم –

واجتزأ من الكلام ما يناسب هواه السيء ومقصده الخبيث ليتوصل من خلال هذه الخيانة العلمية إلى اتهامي بالضلال الكبير .

ألا يفهم بعد القواعد السابقة المذكورة في أول الكلام أن المراد بقولي : ﴿ لأن الحضرة واحدة ﴾ أن الحضرة المنفردة بالإيجاد والإمداد واحدة ، وأن الحضرة الخالقة الموجدة الممدة واحدة

وأن مفهوم الآيات الكريمة التي استشهدت بها أن الحضرة المتفضلة واحدة وأن الحضرة المغنية واحدة وأن الحضرة المرضية واحدة .

ولم أقل قط بأن حضرة الألوهية والحضرة المحمدية واحدة من حيث الذات أو الصفات بل هذا ما أداه إليه فهمه السقيم ، نعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد .

ثم المراد بقولي : ﴿ ولكن لها إطلاق وتقييد ﴾ ما تقدمت الإشارة إليه قبل أسطر في الصفحة ذاتها !!!!،

أن إعطاءه تعالى لخلقه من باب الحكمة أي من طريق الأسباب أحب إليه من إعطائه لهم من باب القدرة أي بلا أسباب وذلك جرياً مع حكمة الله تعالى في وضع الأسباب مع نفي التأثير عنها .

فالمراد بالإطلاق الخلق الإلهي من غير طريق الأسباب ، والمراد بالتقييد الخلق الإلهي من طريق الأسباب ومنه ما يجريه على يد نبيه صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذا أترك الحكم للقارىء الكريم على هذا المؤلف ومن وراءه والذين يمتهنون حرفة التدليس والكذب وتحريف الكلم عن مواضعه لتوجيه الاتهامات بالضلال إلى من يخالف عقيدتهم وأهواءهم من أهل السنة والجماعة وعلماء التصوف منهم على الخصوص .

وسأنقل النص السابق من الطبعة الثانية لكتابي – شرح الوظيفة الشاذلية – وانظر أخي القارىء المنصف إلى المؤلف المفتري المدلس كيف نقل النص من الطبعة الأولى للكتاب وترك الرجوع إلى النص ذاته من الطبعة الثانية لأنه خال عما يمكنه التلاعب فيه مع أن الطبعة الثانية كانت في متناول يده لأنها طبعت قبل كتابه بأشهر وهذا دليل آخر على خبث النية والطوية عند هؤلاء المنحرفين المحرفين :

وإليك النص ص 77–78 :

فنعتقد أن الله تعالى هو الوهاب عند الأسباب وهو الوهاب بلا أسباب ، وجعل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم هو السبب الأعظم في الوجود ، فالكون مستمد من حضرته صلى الله عليه وسلم ولكن لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإنما أنا قاسم والله يعطي ﴾ [أخرجه البخاري بكتاب العلم] .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:59] ،

فنص على أن الإيتاء والفضل من الله على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ويقول سبحانه : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62] ،

فنص على أن إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم مطلوب كإرضاء الله تعالى ،

ويقول عز وجل : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[التوبة:74] ،

فنص على أن للنبي صلى الله عليه وسلم إغناء حتى لأولئك المنافقين الذين لم يقروا له بهذا الفضل.

فالضمائر في قوله : " من فضله " و " أن يرضوه " مفردة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا تأثير له فيما ذكر من الإيتاء والإغناء والفضل وإنما هو سبب أجرى الله تعالى ذلك على يديه ا.هـ بحروفه

فأية أمانة علمية لهؤلاء الذين يتركون النص الصريح الدال على التتريه والتوحيد ثم ينقلون بعض كلام يجتزؤنه عن أصله ويؤلونه على فهمهم السقيم وأهوائهم المضلة ،

وأخيراً وليس آخراً قال الشاعر في المؤلف وأمثاله :

وإن أخا علمٍ به الزيغ كامن أضر على الإسلام من ألف فاجر

وإن طابع هذا الكتاب وناشره والمروِّج له كلهم شركاء في إثم الكذب والزور من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئاً .

نعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن ومن الهوى المتبع ومن إعجاب كل امرىء بنفسه

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه ،



الفصل الثاني :-

الدفاع عن الحبيب الجفري 1 (قدم صفات الله سبحانه وتعالى)

1- أورد المعترض على الحبيب الجفري في المقدمة قول سيدنا عمر رضي الله عنه :

(لا تظن بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً)

وكأني بهذا المعترض من الذين يقولون ما لا يفعلون لأنه أورد هذه الكلمة المأثورة ولم يعمل بها وغالب ظني فيه أنه ضاقت دائرة علمه عن إيجاد محامل للخير وليس محملاً واحداً لكل كلمة اعترض فيها على الحبيب وغيره وهذا يعني أن بضاعته في العلم مزجاة فعليه بالتعلم وطلب العلم عند أهله المختصين به والمشهود لهم فيه .

2 – أورد المعترض فيها أيضاً أن الجفري ليس من طائفة المتصوفة الذين ضاعت عندهم جميع المبادىء والمفاهيم الإسلامية ، وهذا الكلام بإطلاقه مردود على المعترض وكأني به من أولئك المبتدعة الذين يردون التصوف جملة وتفصيلاً وينكرون على صوفية السلف والخلف جميع ما كانوا عليه وهذا ليس من المنهج العلمي الصحيح المقبول ، ولو كان المعترض منصفاً لفرّق بين علماء الصوفية والدخلاء على طريقتهم ولقال في حق الجفري (ليس من بعض المتصوفة) وأولئك البعض هم الدخلاء على التصوف وأهله .

مع أني عملاً بقول سيدنا عمر المأثور أجد للمعترض محملاً في الخير وأقول لعلّ قوله – الذين ضاعت عندهم الخ – أراد به التخصيص والله أعلم بنيته وقصده .

والآن حان الشروع في الدفاع عن الحبيب علي الجفري في بعض ما أورده في كتابه – معالم السلوك – ورد بعض ما اعترض عليه فيه :

رد الاعتراض الأول :

1- بحث (أوصاف الله قديمة)

قال الحبيب الجفري : (أوصاف الله تعالى وأسماؤه قديمة أزلية دائمة سرمدية ، ومعنى قديمة ودائمة أنها لا أول لابتدائها ولا نهاية لها) .

وهذا الكلام موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية لأن ذات الله ليست محلاً للحوادث أما صفات الأفعال فالأشاعرة أرجعوها إلى صفة القدرة وهي قديمة قائمة بذاته تعالى ومتعلقاتها حادثة والماتريدية أرجعوها إلى صفةٍ عندهم سموها) التكوين (وهي قديمة قائمة بذاته تعالى ومتعلقاتها حادثة فالخلاف بين الفريقين خلاف لفظي كما حققه المحققون من أهل السنة والجماعة .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته المشهورة : / ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً /

أليست عبارة الشيخ الجفري موافقة لما قاله الإمام الطحاوي نصاً ومعنى ؟

ثم قال الإمام الطحاوي : ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارىء ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحياءهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم .

أليس هذا هو المعنى الذي أراده الحبيب الجفري من كلامه الدال على قدم الصفات وبقائها ؟

قال شارح الطحاوية الشيخ الغنيمي رحمه الله تعالى : اشتهر الخلاف في صفات الفعل من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك المعبر عنها بالتكوين فذهبت الماتريدية إلى أنها صفات قديمة لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى .

قال في شرح المقاصد : أطبقوا على أزلية التكوين ومغايرته للقدرة ، وكونه غير المكون ، وأنّ أزليته لا تستلزم أزلية المكوّنات ا.هـ

وذهب الأشاعرة إلى أنها حادثة لأنها عبارة عن تعلقات القدرة ، والتعلقات كلها حادثة.

وفي المسايرة للمحقق الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى :

والأشاعرة يقولون : ليست صفة التكوين على فصولها سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بمتعلق خاص فالتخليق القدرة باعتبار تعلقها بالمخلوق والترزيق تعلقها بإيصال الرزق ، وما ذكروه – يعني الماتريدية – في معناه لا ينفي هذا ولا يوجب كونها صفات أخرى لا ترجع إلى القدرة المتعلقة بما ذكر ، ثم قال : معنى الخالق والحال لا مخلوق في الأزل لمن له قدرة الخلق في الأزل وهذا ما يقوله الأشاعرة والله الموفق .

وفي المطالب : وأما صفة التكوين فمذهب أهل الحق رجوعها لتلعقات القدرة والإرادة .

أليس هذا الكلام الجامع بين الأشاعرة والماتردية والدال على قدم الصفات وحدوث متعلقاتها على المذهبين يشهد لصحة ما قاله الحبيب الجفري ؟

فقول المعترض – إن التكرم والإحسان هي من صفات الأفعال وهي ليست قديمة عند الأشاعرة – مردود على المعترض من وجهين :

1- أن الحبيب علي الجفري لم يقل هذا الكلام وإنما صاغه المعترض من عنده لما فهمه بفهمه القاصر من العبارة المذكورة وأين هذا القول في كلام الحبيب الجفري الذي أورده ؟

2- التكرم والإحسان من صفات الأفعال والتي مرجعها إلى صفة القدرة وهي قديمة عند الأشاعرة كما تقدم لأن صفات الأفعال لها نسبتان نسبة إلى صفة القدرة وهي قديمة ونسبة إلى تعلقات تلك الصفة وهي حادثة .

فانظروا إلى المعترض كيف لم يفرق بين في صفات الأفعال بين الصفة ومتعلقاتها تشويشاً على العامة.

ثم قال الحبيب الجفري في العبارة ذاتها : معنى هذا أنه ما من وقت يمر ولا زمان إلا والمعطي يعطي والحنان يتحنن والمنان يمن... الخ



وهذا الكلام لا مخالفة فيه لعقيدة أهل السنة والجماعة على المذهبين وبيان ذلك :

1- أنه يقول ما من وقت يمر ولا زمان : وهذا يعني أن تعلقات الصفات القديمة التي ذكرها أولاً حادثة لحدوث الوقت والزمان ، وكأنه قال : بعد أن ثبتت قدم صفاته وأسمائه تعالى خلق الله سبحانه وتعالى الأوقات والأزمنة فتعلقت تلك الصفات والأسماء القديمة بمتعلقاتها الحادثة ، وهذا الذي يقوله الأشاعرة في تعلقات القدرة ، والماتردية في تعلقات التكوين .

وقد فهم المعترض خلاف هذا وكأنه لا يقول بحدوث الأوقات والأزمنة وأنها قديمة قِدم الله تعالى على مذهب المبتدعة أليس قول الحبيب :(ما من وقت يمر ولا زمان) يدل على حدوث تعلقات الصفات القديمة وذلك لحدوث الأزمنة والأوقات أم أن المعترض يتهم الحبيب بأنه قائل بقدم الأوقات والأزمنة افتراءً عليه وتحميلاً لكلامه ما لا يحتمله أصلاً ؟

فتبين من هذا كله صحة ما قاله الحبيب الجفري وموافقته لعقيدة أهل السنة من الأشاعرة والماتردية وبطلان ما اعترض به المعترض عليه .

وأقول للمعترض : أين في كلام الحبيب وجود مخلوقات من الأزل يتكرم عليها ويهبها ؟ وأين قوله بقدم العالم ؟ وأين أنه سبحانه كان يتكرم على العدم ويهب له ؟

كل ذلك لم يقله الحبيب وعبارته لا تقبله ولا تحتمله إنما هو الفهم القاصر عند المعترض وأمثاله من الذين لا يقرؤون مراد المؤلف من الكتاب وإنما يقرؤون ما في أذهانهم وذلك هو الضلال المبين كما قال شيخ القراء في كلمة التقديم .



الفصل الثالث :–

الدفاع عن الحبيب الجفري 2 (حديث العقل والنفس)

2 – حديث العقل ص 49 :

قال المؤلف: لماذا لا يبين لنا الجفري أي الكتب القديمة هي التي جاء فيها هذا الكلام ؟

الجواب : هذا الكلام الذي ذكره الحبيب علي الجفري يتعلق بموضوعين :

العقل والنفس وسأتكلم على كل موضوع على حدة فأقول :

أ – أما الكتب السابقة القديمة التي ورد فيها حديث العقل فهي :

1* روى الطبراني في معجمه الكبير برقم{447} بسند ضعيف

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: قُمْ، فَقَامَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْعُدْ، فَقَعَدَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي، مَا خَلَقْتُ خَيْرًا مِنْكَ، وَلا أَكْرَمَ مِنْكَ، وَلا أَفْضَلَ مِنْكَ، وَلا أَحْسَنَ، بِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أَعْرِفُ، وَبِكَ أُعَاقِبُ، وَبِكَ الثَّوَابُ، وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ ﴾ .

وفيه : الفضل بن عيسى وهو مجمع على ضعفه .

2* ورواه الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ مقارب .

وهذا الذي ذكره الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء وقال الحافظ العراقي رحمه الله : إسناده ضعيف.

3* ورواه الحافظ أبو نعيم رحمه الله في الحلية عن السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ مقارب ، وقد ذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء أيضاً وقال : إسناده ضعيف .

4* ورواه الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً .

5* ورواه الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى عن الحسن : قال : حدثني عدة من الصحابة رضي الله عنهم ورواه الحكيم أيضاً عن الأوزاعي رحمه الله تعالى مفصلاً .

6* ورواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على الزهد عن الحسن البصري رحمه الله تعالى مرفوعاً مرسلاً وهو مرسل جيد الإسناد .

7* في تذكرة الموضوعات قال : وفي المختصر ﴿ أول ما خلق الله العقل ﴾ ضعيف .



حكم المحدثين المحققين على الحديث :

قال المحدث العجلوني رحمه الله تعالى في كشف الخفا حديث رقم{723}﴿ إن الله لما خلق العقل ﴾ الحديث .

قال السخاوي والسيوطي رحمهما الله تعالى : رواه عبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد عن الحسن يرفعه وهو مرسل جيد الإسناد ، ولا يلزم من رواية ابن المحبر أن يكون موضوعاً لا سيما وقد رواه الأئمة بغير إسناد ابن المحبر فليس الحديث بموضوع .

أقول : يتبين من كلام هذين الإمامين الحافظين أمور :

1* الحديث مروي من عدة طرق ضعيفة ومن طريق ابن المحبر موضوع .

ومن المعلوم لدى علماء الحديث أن الحديث إذا جاء من طرقٍ ليس فيها ذلك الوضّاع يكون ضعيفاً ويكون ضعفه منجبراً لتعدد طرقه .

2* حكم الحافظان الجليلان أن الحديث ليس بموضوع إلا رواية ابن المحبر وهي الرواية التي ردها المؤلف ورد معها بقية الروايات التي قبلها أئمة الحديث وذكروها في كتبهم ، وهو بهذا مخالف لما اعتمده علماء الحديث وقرروه في قواعدهم .

3* نسب الكاتب إلى الإمامين السخاوي والسيوطي رحمهما الله تعالى أنهما حكما بوضع الحديث وهذا افتراء عليهما وكذب وقد تقدم ما نقله المحدث العجلوني عنهما في كشف الخفا .

وقال السيوطي في الدرر المنتثرة : تابع الزركشي في الحكم أنه موضوع ابن تيمية ثم ذكر له أصلاً صالحاً للاحتجاج فهو لا يقول بوضعه والقاعدة عند المحدثين أن الحديث لا يحكم بوضعه بمجرد كونه من رواية ضعيف أو ضعيفين بل لا بد أن توجد فيه قرائن تدل على الوضع كنكارة المعنى أو مخالفة الحديث لأحاديث مجزوم بصحتها على وجه يتعذر الجمع بينهما أو نحو ذلك ، وهذا الحديث لا نكارة فيه ولا مخالفة كما تقدم والله أعلم .

أقول : أليست نسبة الوضع إلى هذين الإمامين الحافظين والتي ادعاها الكاتب كذباً عليهما تسقط به العدالة وترفع به الثقة وترد به الرواية ؟

هل من الأمانة العلمية أن ينقل أقوال من قال بوضع رواية ابن المحبر ثم يسكت عن الروايات الضعيفة التي نقلها الحفاظ في كتبهم والتي ليس فيها الوضاع المذكور ؟ أم هي خيانة علمية مردودة على قائليها ؟ ما كنت أتصور أن جامعاً للقراءات العشر أولاه شيخ القراء ثقته وأثنى عليه وقدم له كتابه يرتكب مثل هذا الكذب في حق الإمامين السخاوي والسيوطي ، ويرتكب مثل هذه الخيانة العلمية بترك طرق الحديث الضعيفة والمخرجة في كتب الحفاظ ويلجأ إلى رواية ابن المحبر الوضاع ليرد كل الروايات من أجلها ، فأين الأمانة العلمية يا جامع القراءات العشر ؟



4* قال المحدث العجلوني في كشف الخفا :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : والوارد حديث عبادة ابن الصامت مرفوعاً :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ﴾ {أخرجه أبو داود والترمذي}وهو أثبت من حديث العقل .

أقول : أليس قول الإمام ابن حجر هذا يدل على أن لحديث العقل أصلاً في الجملة ؟

لأنه قال عن حديث القلم / أثبت / وهي صيغة تفضيل تدل على أن لحديث العقل ثبوتاً ما إلا أنه لا يرتقي إلى درجة ثبوت حديث القلم ، وهذا الذي قاله غير واحد من الحفاظ كالسخاوي والسيوطي بأن الحديث ضعيف منجبر لكثرة طرقه وشواهده وليس بموضوع كما زعم الكاتب .

ثم كلام الإمام ابن حجر في الأولية ، ويمكن القول بأن الأولية فيهما نسبية كما ذهب إليه غير واحد من المحققين ، فإذا رجعنا إلى رواية الحديث عن الطبراني في معجميه الكبير والأوسط ، والبيهقي والحكيم والترمذي وغيرهم نجد عدم ذكر الأولية في الحديث وبالتالي لا حاجة إلى رد الحديث لمعارضته حديث القلم ولا إلى الجمع بينهما وإذا نص بعضهم على وضع الحديث أولية خلق العقل لا يكون نصه حاكماً على وضع رواية ﴿ لما خلق الله العقل ﴾ الضعيفة والتي تعددت طرقها لعدم ذكر الأولية فيها ، والله أعلم .

ثم بعد بيان الكتب السابقة القديمة التي ذكرها بناءً على رغبة الكاتب أقول :

إن الحبيب علي الجفري قال : (جاء في بعض الكتب السابقة القديمة) ولم ينسب الرواية إلى كتاب من الكتب السابقة إما لأنها ليست في متناول يده عند تأليفه لكتابه – معالم السلوك– وإما أن ورعه وعلمه وتأنيه حملوه على عدم نسبة الرواية إلى كتاب على جهة الظن قبل أن يتثبت منها مع علمه أن لها أصلاً عند المحدثين في الجملة .

أليس هذا التصرف يتلاءم مع العدالة والثقة والأمانة العلمية التي يتمتع بها الحبيب الجفري خلافاً لتصرف الكاتب في الكذب على حافظين وخيانة في النقل أسقطا عدالته والثقة به في رواياته وجعلاه من أهل الخيانة العلمية كما مر آنفاً ؟

ب : أما ما يتعلق بالنفس فأقول :

1– الحبيب الجفري لم ينسب ذلك إلى الله تعالى ولا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما نسبه إلى الكتب السابقة القديمة وهذا الكلام عن النفس والجوع لا يوجد إلا في كتب الرقائق والمواعظ التي تنقل كثيراً من الإسرائيليات ولا بد من بيان معنى الإسرائيليات وحكم روايتها فأقول :

قال د. الذهبي رحمه الله تعالى :

الإسرائيليات كل رواية جاءت عن أهل المتاب تخبر عما حدث فيهم من الأعاجيب أو تخبر عما مضى قبلهم من الأزمنة وتنقسم إلى ثلاثة أقسام باعتبارات مختلفة :

1* باعتبار الصحة وعدمها تنقسم إلى صحيح وضعيف ومن الضعيف الموضوع .

2* باعتبار موافقتها لشرعنا ومخالفتها تنقسم إلى موافق ومخالف ومسكوت عنه أي ليس في شرعنا ما يؤيده ولا ما يفنده .

3* باعتبار مضمون الخبر تنقسم إلى ما يتعلق بالعقائد وما يتعلق بالأحكام وما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة .

أقول : والرقائق التي يذكرها الصوفية في كتبهم من هذا القبيل .

وقد اختلف العلماء في حكم رواية الإسرائيليات على قولين : المنع والإباحة .

وقد استدل القائلون بالإباحة بما رواه البخاري في صحيحه برقم {3202}

عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ ﴾ .

واستدلوا بما ثبت من رجوع بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عن بعض ما جاء في كتبهم كأبي هريرة وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ، وما ثبت من أن عبد الله ابن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما / مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية / وعلى هذا فما جاء موافقاً لما في شرعنا تجوز روايته ، وما جاء مخالفاً لما في شرعنا فلا تجوز روايته وأما ما سكت عنه شرعنا ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه وعلى هذا يحمل حديث أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ ﴾ {أخرجه البخاري برقم 4125}

أما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة

من قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ﴾ أ.هــ

أقول : الحكايات لم يذكرها العلماء والمحدثون في كتبهم استدلالاً واحتجاجاً لأنهم لا يستدلون بالحكاية ولا يحتجون بها وإنما يذكرونها استئناساً إذا خلت من النكارة في المعنى ولم تخالف قاعدة قطعية أو حديثاً مجزوماً بصحته ، ولا يخلو كتاب عالم محدث أو حافظ ألفه في الرقائق والمواعظ إلا وفيه الكثير من تلك الحكايات .

وبناء على ما تقدم أقول :

1 – الحبيب الجفري لم ينسب ما قاله عن النفس إلا إلى الكتب السابقة وحال المسلم يحمل على الصدق لا على الكذب وعلى المؤلف وأمثاله إذا أنكروا ذلك أن يثبتوا خلاف ما قاله وأن يجمعوا لنا الكتب السابقة من زمن زاملتي ابن عمرو إلى زمننا لنبحث فيها فيتبين لنا صدقه أو كذبهم .

2 – ما ذكره عن النفس إن اعتبرناه من الإسرائيليات التي نقلها أصحاب الرقائق والمواعظ فروايتها جائزة على أنها حكاية لما عندهم لأنها تدخل في عموم الإباحة للرواية عنهم كما تقدم في كلام د. الذهبي.

3 – إن بحثنا في معنى هذه الرواية لم نجد فيها نكارة ولا مخالفة للعقيدة ولا لحديث مجزوم بصحته وبالتالي فهي من قسم المقبول من الإسرائيليات ، ومن لم يقبلها يتعين عليه ألا ينكرها لأنها ليس فيها ما يشهد بكذبها فحكمها التوقف في قبولها فلا تصدق ولا تكذب على أدنى احتمال ، ولا ينسب قائلها إلى الكذب .

4 – في الحكاية بيان اتصاف النفس بالكِبر وهذا لا يكذب بموافقته للواقع عاقل ، والتشريع جاء لتزكية النفس وتخليصها من كبائر الإثم الباطن ومن أخطرها – الكِبر – وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ﴾ {أخرجه مسلم برقم 131عن عبد الله ابن مسعود}
فالتخلص من داء الكبر فرض عين على كل مكلف يرجو دخول الجنة .

5 – وفي الحكاية بيان علاج كبر النفس بالجوع وهو سبيل من سبل مداواة النفس وعلاجها من ذلك المرض الخطير وقد عقد الإمام الغزالي في كتابه – إحياء علوم الدين – باباً خاصاً في فضل الجوع وأثره في تزكية النفس ومعرفة ضوابط ذلك ليكون الجوع شرعياً نافعاً في تزكية النفس المتكبرة

فليرجع إليه من يحب إلا أنه من المؤسف أن الكاتب المعترض وزمرته من الذين لا يقرون بإمامة الإمام الغزالي وأمثاله من كبار الأئمة بسبب تصوفهم وما ذلك إلا لشدة تعصبهم للمذهب الوهابي الذي نشأوا عليه ولا يعرفون شيئا غيره.

فإن تقل قال ابن تيمية أو ابن القيم أو ابن حزم أو ابن عبد الوهاب أو ابن باز صمتوا كأنه الوحي إليه أنصتوا ، وإن تقل قال الإمام الأشعري قال الإمام الغزالي قال الإمام الشعراني قال شيخ الإسلام النووي قال الشيخ الإمام ابن حجر قال الإمام السبكي ولّوا وفرّوا كحمرٍ مستنفرة فرت من قسورة ، كفى الله المسلمين شرهم بما شاء وكيف شاء وعاملهم الله بما هم أهله وبما كانوا عاملين .

6 – قال الكاتب في آخر كلامه عن القارىء لكلام الجفري أن كلامه من الدين أو يقره الدين والحقيقة خلاف ذلك أقول : هل الكذب على الأئمة والخيانة العلمية من الدين أو يقرها الدين ؟ عند المؤلف وأمثاله نعم ، وهل معالجة كبر النفس وعجبها بالمجاهدات الشرعية ليس من الدين ولا يقره الدين ؟ المؤلف يقول نعم إذاً ليبق الكبر في النفس حتى لا يدخل صاحبه الجنة لأنه هو الحقيقة التي ينادي بها المؤلف ويرى أن معالجة النفس لتخليصها من الكبر خلاف الحقيقة ولا يقول بها الدين ولا يقربها كما زعم وتوهم .

فمعنى كلام المؤلف (والحقيقة خلاف ذلك) أن مجاهدة الإنسان لنفسه للتخلص من الكبر ومعالجته بأدوية شرعية ليتزكى كل ذلك ليس من الدين ولا يقر به الدين ، أليس هذا افتراءً على الدين وتكذيباً لأصوله في التزكية لتخليص الإنسان من كبائر الإثم الباطن ؟



الفصل الرابع

الدفاع عن الحبيب الجفري 3 (عبدي أنا أريد وأنت تريد)

ويقول الجفري ص 50 : وجاء في بعض الأحاديث القدسية :

عبدي أنا أريد وأنت تريد الخ .

جاء في كلام المعترض أن هذا من الإسرائيليات وكل من أورده .كقصة جرت مع سيدنا موسى –عليه الصلاة والسلام – والخطاب فيها إنما هو من الله لموسى عليه السلام .

أقول :

1* حكم المعترض أن هذا الخبر من الإسرائيليات وتقدم في رد الاعتراض الثاني حكم روايتها على جهة الحكاية إذا لم تكن مخالفة لشرعنا .

2* قال المعترض بأن هذا الخطاب من الله لسيدنا موسى عليه السلام ألا يعني ذلك أنه حديث قدسي ؟ إلا أن يكون عند المعترض تعريف جديد للحديث القدسي لم يسبق إليه .

الحديث القدسي : هو الكلام غير المعجز الموحى به من الله تعالى بواسطة الملك أو بالإلهام أو بالمنام خطاباً لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له خاصة أو يؤمر بتبليغه لأمته ، ومن اطلع على كتب الأحاديث القدسية يجد الكثير منها خطابات من الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فالخبر المذكور بإقرار المعترض خطاب من الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام وهذا يعني أنه حديث قدسي من رواية أهل الكتاب فهو من الإسرائيليات ، وليس كل شيء من الإسرائيليات موضوع أو مكذوب يجب رده بل منها ما هو مقبول ومنها ما هو متوقف فيه كما تقدم

3* معنى هذا الخبر صحيح لا يتعارض مع أصول العقيدة الصحيحة ويوجد في الأحاديث الصحيحة ما يؤيد معناه وإليك أخي المسلم البيان :

1* في الخبر إثبات صفة الإرادة لله تعالى في قوله – عبدي أنا أريد – وإثبات صفة الإرادة لله تعالى لا ينكره مسلم لقيام الأدلة القطعية نقلاً وعقلاً على إثباتها .

وفي قوله – وأنت تريد – إثبات الإرادة للعبد ولا ينكر ذلك إلا الجبرية ، وإرادة العبد هذه هي المخلوقة في العبد المعبر عنها بالجزء الاختياري أو الكسب عند أهل السنة والجماعة وإرادة العبد هذه ليست موجبة على الله تعالى وليس بينها وبين أفعال العبد تلازم عقله بحيث لا يصح تخلفه بل هي سبب عادي يخلق الله عنده ما يشاء أولا يخلق وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾{التكوير:29} ، بيان لهذه الحقيقة وكذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ﴾ {رواه أبو داود برقم 4413}

قال العلماء في معناه : ﴿ ما شاء الله كان ﴾ وإن لم يشأه الخلق ، ﴿ وما لم يشأ لم يكن ﴾ وإن شاءه الخلق .

وهذا الأمر معلوم من الدين بالضرورة لا ينكره أحد من المسلمين المؤمنين ، وخالف فيه المعتزلة والجبرية كما هو معلوم .

وهذا المعنى الذي أشرت إليه هو مضمون ما جاء في الخبر(ولا يكون إلا ما أريد) فنعمل الأسباب ومنها الهم والعزم مع نفي التأثير الذاتي عنها ونتوكل على الله رب العالمين مسبب الأسباب.

وفي قوله – فكن لي كما أريد أكن لك كما تريد – بيان ما ذكره الشيخ ابن تيمية وابن القيم وغيرهما رحمهم الله تعالى من الإرادة الشرعية المتلازمة مع محبة الله سبحانه ورضاه وأمره فعلاً ونهيه تركاً فمعنى القول : / فكن لي كما أحب أكن لك كما تحب /

وهذ المعنى ورد في نصوص شرعية صحيحة ما يثبته ويؤكده ومنها :

1* حديث صحيح البخاري برقم {64} عن أبي واقد الليثي في قصة الثلاثة الذين دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حلقة من أصحابه فجلس الأول في الحلقة والثاني استحيا فجلس خلفهم والثالث أعرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾ أليس هذا الحديث يبين صحة معنى ذلك الخبر .

2* حديث الصحيح : ﴿ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعً ﴾ {أخرجه البخاري برقم 6856}
ولفظه عند مسلم ﴿مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ﴾ الحديث برقم {4927}
أليس هذا الحديث دالاً على ذلك .

3* حديث ﴿ من كان يحب أن يعلم منــزلته عند الله فلينظر كيف منــزلة الله عنده فإن الله ينــزل العبد منه حيث أنزله من نفسه ﴾{ رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة، وبقية رجالهم رجال الصحيح}.

4* حديث﴿ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ﴾{أخرجه البخاري برقم 6856} وهو معنى قوله تعالى :
﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾{سورة البقرة:152} ، قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾{سورة التوبة:67} .

وهذا معنى قول علماء التصوف (إذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر إلى قدر الله عندك) فمعنى الخبر صحيح موافق لما جاء في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة .

وهذا هو معنى قول الحبيب الجفري : هذا المعنى هو باب حقيقة العبودية ، والذي سأل المؤلف عن معناه وادعى أنه لا يجده في كل كتب العقيدة والسنة والفقه .

أقول : نعم لا يجد معنى ذلك ولا ما يدل عليه في كتب العقيدة الوهابية وكتب سنتهم وفقههم لأنهم لم يبحثوا عن العبودية لله رب العالمين فضلاً عن حقائقها وإنما يبحثون عن عبودية الدرهم والدينار والشهرة بالباطل والسمعة والجاه .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾{سورة البقرة:16} .

ثم قال المعترض : والمشكلة الكبرى هي نسبة هذا الكلام لله سبحانه وتعالى الخ

أقول : ما معنى هذا الكلام وقد أثبت قبل أسطر أنه خطاب من الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام فهو ينسبه إلى الله تعالى ، وهذا معنى الأحاديث القدسية عند جميع علماء الحديث .

فما هذا التناقض في كلام المعترض يقول أولاً هو خطاب الله لموسى فنسبه إلى الله ثم اعترض بقوله والمشكلة الكبرى نسبة هذا الكلام لله سبحانه وتعالى ؟



الدفاع عن الحبيب الجفري 4 (دعاء صلاة الحاجة والإدراج فيه ومسائل التوسل)

قال في ص 73 : يروي الجفري حديثاً ولكنه – ويا للأسف – زاد فيه ألفاظاً ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ... الخ

أقول : 1– في كلام الحبيب الجفري قوله : – صلاة الحاجة التي مرت عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، ومعنى ذلك أنه ذكر حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه كرواية وبين من خرجه الترمذي وابن ماجه وهو يرجع القارىء إلى موضع ذكره للحديث أو إلى موضعه في التخريج .

2– الحبيب الجفري أتى بالدعاء لا على جهة الرواية للحديث لفظاً أو معنى وإنما على جهة الدعاء وأدرج فيه بعض كلمات مزجها بالأصل يرى أهل السنة والجماعة جوازها وموافقتها للعقيدة فقوله ـــ وأتوسل إليك ـــ وقوله ـــ بجاهه عندك ـــ لا مخالفة فيهما كما سيأتي بيانه ولو أنني سمعت عالماً يدعو بهذا الدعاء في معرض أدعيته فزاد فيه ونقص منه ولم يقله على جهة الرواية للحديث هل يحق لي أو لأحد أن يعترض عليه في ذلك وأن يتهمه بالكذب ؟ عند العلماء لا وعند الجهال كالمؤلف نعم ، وكم نسمع من العلماء والخطباء أدعية أصلها دعاء نبوي يزيدون فيه وينقصون منه يأتون به على جهة الدعاء لا على جهة الرواية ولا يتهمون بالكذب والافتراء كما فعل المؤلف مع الحبيب الجفري اتباعاً لهوى نفسه ونصرة لمذهب الوهابية مشايخه .

ومن وجه آخر : قوله / وأتوسل إليك / بيان لمعنى / وأتوجه إليك / فهو عطف تفسير مرادف لا مغاير على جهة الإدراج ومثل هذا الإدراج وقع من قبل الصحابة رضي الله عنهم ففي حديث السيدة عائشة في الصحيح

﴿ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ }﴾ {صحيح البخاري برقم:3} ،

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ فَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ ﴾

{ صحيح البخاري برقم:160} ،

وبين العلماء أن ذلك مدرج في الحديث ولم يتهموا الصحابة بالزيادة والكذب ، وقوله / يا أحمد يا أبا القاسم / فيه التبرك بتكرار ذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكنيته .

3- وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض الصحابة رضي الله عنهم أحدث ذكراً من قبل نفسه ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالرجل الذي قال بعد الرفع من الركوع ربنا لك الحمد حمداً كثيراً مباركاً فيه / وكالقائل اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ لقد سألت الله باسمه الأعظم ولم ينكر عليه ، وثبت في الأدعية المأثورة عن الصحابة والتابعين الكثير الكثير والذي مزجوه بالأدعية النبوية واستنبطوه منها ولم ينكر ذلك أحد من العلماء عليهم .

4- قال المؤلف ﴿ وبدونها لا يمكنه تبرير مذهبه وبزيادتها يبرر مذهبه ﴾

أقول : كأن المؤلف يظن أن بقول الجفري / وأتوسل إليك – وبجاهه عندك / قد بُرر مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً للوهابية والذي يتعصب المؤلف لهم ويدافع عن عقيدتهم ، ونسي المؤلف أو عمي عن عشرات الأدلة والبراهين الدالة على صحة التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم والمذكورة في كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة ، فيكون قول الحبيب علي الجفري – وأتوسل إليك وبجاهه عندك – عملاً بمذهب أهل السنة والجماعة في المسألة وليس تبريراً لها كما توهم المؤلف بعقله القاصر .

5- ثم قال المعترض : فكيف جوز الجفري لنفسه زيادتها على النص النبوي ؟

أقول : الجفري لم يأت بالحديث على جهة الرواية في هذا الموضع وإنما أتى به على جهة الدعاء ، ولو رجعت إلى الرواية التي ذكرها الجفري أو إلى ما أرشد إليه من التخريج لم تجد تلك الزيادة لأنها هنا رواية وهناك دعاء ، وكأن المؤلف لا يفرق بين الأمرين فيجعل الدعاء رواية والرواية دعاءً .

6- ثم أدخل المعترض الحبيب الجفري في حديث

﴿ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ ﴾{صحيح البخاري:107} ،

والحبيب لم يكذب ولا يتعمد الكذب وحاشاه من ذلك وهو أهل علم وتقوى وصلاح شهد له بها القاصي والداني حتى المؤلف في ص 60 من مؤلفه يصفه بالزهد والتأديب لنفسه وبتوكله على الله تعالى وبغيرها من الصفات الحميدة فكيف يتصور المؤلف رجلاً زاهداً مؤدباً لنفسه متوكلاً على الله يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هذا تناقض لا يقبله ذو عقل سليم .

7- ثم تعجب المؤلف من الحبيب الجفري كيف هجم على مخالفيه بقوله – وجعل هذه المسألة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريمها بعد وفاته جهل قبيح –

أقول : 1: لا داعي للتعجب فالحبيب بين عقيدة أهل السنة والجماعة بجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته خلافاً لمخالفيه من الوهابية الذين خصصوا الحديث بغير مخصص ، واستشهاد المؤلف بكلام المباركفوري الهندي في هذا الموضع مردود عليه لأنه من المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة ومن الموافقين للوهابية فيها ، ثم إن المباركفوري قال : / الحق عندي / فالذي رآه حقاً يراه أهل السنة والجماعة باطلاً وستأتي أدلة بطلانه .

8- أورد المؤلف حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه ثم قال بعد رواية الحديث كما هو في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى : هذه أطول رواية صحيحة للحديث وفيها كل الألفاظ النبوية الصحيحة .

أقول : أما أن فيها كل الألفاظ النبوية الصحيحة فنعم ، وأما أنها أطول رواية صحيحة للحديث فلا فقد رواه البيهقي رحمه الله تعالى في دلائل النبوة بزيادة في أوله وبوب عليه بقوله : باب ما جاء في تعليمه صلى الله عليه وسلم الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة – ثم ساق الحديث من طرق منها ما رواه بإسناده إلى

﴿ أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي ، واذكر حاجتك ثم رح حتى أروح فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسه فقال : انظر ما كان لك من حاجة ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فقال له عثمان بن حنيف ما كلمته ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ﴾ ثم ساق الحديث بتمامه

ورواه الطبراني في معجميه الكبير والصغير بالقصة المذكورة في أوله ثم قال : والحديث صحيح ، ونقل تصحيح الطبراني للحديث مع القصة الحافظ المنذري رحمه الله تعالى ، والحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى في باب صلاة الحاجة ووافق على ذلك الإمام النووي والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي والشيخ ابن تيمية والحافظ أبو عبد الله المقدسي في المختارة وغيرهم .

أقول : فالحديث مع القصة المذكورة صحيح بإجماع الحفاظ لا مطعن فيه ولا مغمز ، ولكن ما الذي حمل المؤلف على ذكر حديث الضرير دون القصة ؟

الذي حمله على ذلك أنه يخصص الحديث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم دون وفاته ولما كانت القصة تشهد لأهل السنة والجماعة والحبيب الجفري منهم بجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته تعمد حذفها من الرواية وربما يدعي وضعها أو ضعفها ويُرد عليه في ذلك بتصحيح من صححها من أئمة هذا الشأن وقد أشرت إلى بعضهم ويُرد عليه أيضاً بأن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى حسن الحديث ، وإذا كان الحديث حسناً فيجب أن تكون القصة كذلك لأنها مروية بإسناد الحديث نفسه .

أرأيتم أيها الأخوة إلى هذا المؤلف كيف يذكر من الرواية ما يتوافق ومذهبه ويترك ذكر ما يتوافق مع مذهب غيره ، ومَن ذلك الغير إنهم أهل السنة والجماعة ؟ فهل تصرفه هذا داخل في الأمانة العلمية والإنصاف كما أثنى عليه شيخ القراء بذلك أم هي الخيانة العلمية والتعصب ؟

وإليك أخي المسلم أدلة أهل السنة والجماعة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وهو الحق في المسألة عند أهل الحق :

1* قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ {النساء:64}

فهذه الآية تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بالحياة يحتاج إلى دليل مخصِّص ، فإن قيل : من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل ؟

قلنا : من وقوع الفعل في سياق الشرط والقاعدة المقررة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاما لأن الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدراً منكراً ، والنكرة الواقعة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم وضعاً . وقال بعض العلماء : إن الكاف في قوله تعالى : ﴿ جَاءُوكَ ﴾ مثل الكاف في قوله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾{الحج:27}

فكما أن فريضة الحج ليست مخصصة بالذين كانوا في حياة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بل هي عامة فكذلك الكاف في قوله : ﴿ جَاءُوكَ ﴾ تكون على العموم .

2* ثبت بالتواتر والإجماع أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ، إقرأ إن شئت رسالة حياة الأنبياء للبيهقي ، وثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم يستغفر لسيئات أعمال أمته كما في حديث عرض الأعمال وهو حديث صحيح ، وإذا كان كذلك جاز لنا أن نطلب منه الاستغفار ونحوه أخذاً بعموم الآية .

3* ثبت لمطلق موتى المؤمنين أنهم يشعرون بمن يسلم عليهم ويردون عليه السلام ويستأنسون به ما دام جالسا عندهم فكيف يمتنع الدعاء منهم في هذه الحالة بل هو ممكن جائز ليس في العقل ما يحيله ولا في الشرع ما يمنع منه .

4* ثبت توسل بعض الصحابة رضي الله عنهم به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فقد أخرج البيهقي في دلائل النبوة وفي إسناده إلى مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه قال :

﴿ أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب ؛ فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ؛ فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ؛ فقال ائت عمر فأقرئه السلام ، وأخبره أنكم مسقون . ﴾ { دلائل النبوة للبيهقي برقم 2974}

والرجل هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة كما رواه سيف في الفتوح ، وإن لم تصح رواية سيف أنه من الصحابة فالرجل تابعي جزماً ثم إن الحجة في إقرار سيدنا عمر رضي الله عنه له حيث لم ينهه عما فعل .

وإسناد هذا الأثر صحيح ، وعزاه الحافظ في الفتح إلى ابن أبي شيبة وقال : سنده صحيح .

5* في الزيادة التي تعمد المؤلف حذفها من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه فقد صح فيها أنه أمر الرجل الذي كانت له حاجة عند سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يدعو بهذا الدعاء فدعا به فقضيت حاجته ، وعثمان بن حنيف صحابي معروف والرجل الذي دعا إما أن يكون صحابياً أو تابعياً ، فعله يدل على عموم النص القرآني وعدم تخصيصه .

وإذا كان النص خاصاً كما زعم المبتدعة فكيف أمر عثمان بن حنيف وهو راوي الحديث ومشاهد لسبب وروده ذلك الرجل الذي كانت له إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه حاجة أن يدعو به ؟

أترى أن عثمان بن حنيف رضي الله عنه كان أقل ذكاءً وفهماً من هؤلاء المعترضة المبتدعين الذين خصصوا الحديث بغير مخصص ؟

وقد استدل العلماء بحديث الضرير هذا على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وذلك من وجوه :

آ – أن هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضرير فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء الناس في الأحكام الشرعية .

ب – أجمع العلماء على أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فخطابات الشرع محمولة على العموم حتى يقوم دليل التخصيص .

ج – أن الضرير سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء المذكور ، فعدوله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء المطلوب منه إلى تعليمه دعاءً دليل على أنه أراد أن يشرع لأمته حكماً عاما لا يختص بواحد منهم دون آخر .

د – أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الضرير إلى الصلاة والدعاء ، والصلاة مشروعة لجميع الناس بالإجماع فكذلك الدعاء والتفريق بينهما تعطيل لبعض الحديث من غير دليل ، وهو تلاعب بالنصوص ، مردود على فاعليه.

هـــ – أنه لو كان الحديث خاصاً بهذا الضرير أو بحال الحياة دون الممات لبين ذلك ، وإذا لم يبين ذلك لكان قد أخر البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوع لأنه تكليف بما لا يعلم .

و – الحديث أخرجه الترمذي في جامعه وقال في العلل ما نصه : جميع ما في هذا الكتاب من الحديث معمول به

ز – أن حفاظ الحديث ونقاده فهموا من حديث الضرير العموم حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك فذكروه في كتاب الدعوات على أنه من الدعوات المأثورة المشروعة ، وهذا اتفاق منهم على أن الحديث معمول به وأنه عام لجميع الناس في جميع الحالات ، ولو كان خاصاً بذلك الضرير أو بحالة دون أخرى لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ،

ولنبهوا على أنه غير معمول به كما نبهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصة أو منسوخة .

ح – أن ابن أبي خيثمة روى الحديث بزيادة في آخره وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم للضرير :

﴿ فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك ﴾ وإسناد هذه الرواية صحيح ، وهي دالة على العموم وهي زيادة ثقة وزيادة الثقة مقبولة بالإجماع. انتهى مختصراً من كتاب الرد المحكم المتين للعلامة المحدث أبي الفضل عبد الله الغماري رحمه الله تعالى .

ولنعد الآن إلى مناقشة المؤلف فيما ادعاه :

9 – قال المؤلف : فهل كان الجفري يقصده – أي المباركفوري – عندما قال إن هذا الكلام جهل قبيح ؟

أقول : يُسأل الحبيب الجفري عن قصده بقوله ، أما أنا فأقول : كل من خالف أهل السنة والجماعة ولو في مسألة فمخالفته دليل على جهله وهو قبيح أن يصدر مثله عن عالمٍ محقق ومدقق كالمباركفوري ،

ورحم الله تعالى الإمام مالكاً حيث قال : كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما منا من أحد إلا رد ورُد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن قوم نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال .

10 – أورد المؤلف قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه من كتاب الدر المختار وفيه الدعاء المأذون فيه ما استفيد من قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾{الأعراف:180}

أقول : أجمع العلماء قاطبة بجواز التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ، وبالأعمال الصالحة ، وبالدعاء برجل صالح ، فهل ينفي المؤلف التوسل بالأعمال الصالحة وبدعاء الصالحين لأن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه لم ينص على ذلك في كلامه ؟

أم أن كلام الإمام يحمل على ما هو الأفضل دون نفي صحة التوسل بغير ذلك لانعقاد الإجماع على جوازه ؟

وفي كلام الإمام جواز التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وبيان ذلك أن الجاه وهو المنزلة عند الله موهبة من الله تعالى واختصاص اختص به ذلك العبد المقرب من نبي أو ولي



قال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ {البقرة:105}

فيكون المتوسل بالجاه متوسلاً إلى الله تعالى بصفة من صفاته تسمى الاختصاص كما حققه علماء أهل السنة والجماعة بقولهم : التوسل بالأنبياء والأولياء هو سؤال الله بحقهم عليه وجاههم عنده وكرامتهم لديه ، وذلك في التحقيق يرجع إلى التوسل بحب الله وإكرامه لهم .

وسيأتي قريباً معنى الحق وجواز التوسل إلى الله تعالى به .

ثم إن خاتمة المحققين ابن عابدين رحمه الله تعالى ذكر في حاشيته على الدر المختار الثناء على الشيخ الأكبر ابن عربي ووصفه بالولاية الكبرى خلافاً لما نقله المؤلف عن المخالفين في مواضع من كتابه من القول بتكفيره ، وكذلك ذكر الشيخ ابن عابدين في حاشيته بيان أن الوهابية هم الخوارج .

والسؤال هو : لمَ نقل المؤلف من شرح الدر المختار ما يناسب هواه وبدعته في مسألة التوسل مقتصراً عليه ولمَ لم يرجع إلى الأقوال المعتمدة فيه ؟ ولم ينقل ما كتبه الشيخ ابن عابدين في مسألتي الشيخ الأكبر والوهابية ؟

هل المؤلف من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؟ وهل من الأمانة العلمية والإنصاف أن ينقل المؤلف الذي له دون الذي عليه ؟ والذي عليه هو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة .

ولمَ لم ينقل لنا المؤلف الأقوال الراجحة والمفتى بها عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة المتقدمين منهم والمتأخرين في مسألة التوسل ؟ ولمَ لم ينقل إلينا أدلة القائلين بجواز التوسل منهم ؟ ولمَ لم ينقل لنا ردودهم على شبهات المخالفين والمنكرين ؟

أليس بيان المسألة على وجهها الحق أولى من التعصب لرأي أو هوى قال به المبتدعة الوهابية المخالفون لأهل السنة ؟

11 – ثم أورد المؤلف ما قاله الشيخ القدوري رحمه الله في باب الكراهة من كتابه شرح الكرخي

﴿ قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ﴾ الخ

أقول : لا بد من البحث في إسناده هذه الرواية ومتنها : أما بالنسبة إلى الإسناد فهي من رواية بشر بن الوليد : وقد قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في الميزان ما نصه : قال صالح بن محمد جَزَرة : هو صدوق ولكنه لا يعقل كان قد خَرِف وقال السليماني : منكر الحديث ، وقال الآجري : سألت أبا داود : أبشر بن الوليد : ثقة ؟ قال : لا وروى السلمي عن الدار قطني : ثقة .

وبناءً على ذلك : الرواية ساقطة مردودة عند السليماني وأبي داود ، ومتوقف فيها على قول صالح أنه صدوق حتى يبين لنا المؤلف أو غيره هل حدث بهذه الرواية قبل الخرف أم بعده ؟ فإذا ترجح أنه حدث بها قبل خَرفه ننظر حينئذ فيها كما قال علماء أصول الحديث فيمن وصف بالصدوق .

وأما بالنسبة إلى متن الرواية فسننظر فيه ترجيحاً أنه حدث بها قبل الخَرَف فأقول :

آ – قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه – لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو الله إلا به – فتقدم بيانه بانعقاد الإجماع على جواز التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وبدعاء رجلٍ صالح وهو المعمول به لدى المخالفين والموافقين على حد سواء .

أم أن المؤلف لا يقول بالتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة وبدعاء الصالحين لأن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه لم ينص على ذلك ؟

ب – قوله – وأكره أن يقول : بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك – الخ

أقول : أما القول بكراهة قول : بمعاقد العز من عرشك ، فقد خالف فيه القاضي أبو يوسف رحمه الله شيخه الإمام أبا حنيفة ونقل لنا صاحب الرواية ما نصه : قال أبو يوسف : معقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا ، والمسائل المختلف فيها لا ننكرها على من فعلها أو تركها بل ننكر المسائل المجمع على إنكارها لدى جميع الأئمة الفقهاء وأما القول بكراهة قول القائل : بحق خلقك أو بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وأورد المؤلف قول القدوري في المسألة بخلقه وأنها لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً ، ثم أورد قول صاحب الهداية وقول الشيخ الزبيدي في كراهة ذلك .

أقول جواباً عن ذلك : المسألة فيها تفصيل :

1* هل للعباد حق على الله تعالى كتبه الله تعالى على نفسه تفضلاً منه على عباده أم لا ؟ الجواب : نعم للعباد حق على الله تعالى كتبه الله على نفسه تفضلاً منه على عباده

والدليل على ذلك حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه في الصحيحين وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿ أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ يُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ﴾

{ أخرجه أحمد برقم 21029} .

فيجوز لنا أن نسأل الله تعالى بالحق الذي كتبه على نفسه لعباده تفضلاً والمسألة لا أعلم بها خلافاً بين العلماء وقد قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله بعد ما نقل حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : فعلى هذا القول لأنبيائه وعباده الصالحين عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع إخباره / مجموع الفتاوى 1/ 214

وقال كذلك : بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح إذا أراد به الحق الذي أخبر الله بوقوعه فإن الله صادق لا يخلف الميعاد وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته / مجموع الفتاوى 1/ 217 / 218

2* ما ذكره المؤلف من قول من نقل عنهم بكراهة أو عدم جواز سؤال الله تعالى بحق أنبيائه ورسله فمردود بالحديث النبوي : فقد أخرج الطبراني في معجميه الكبير والأوسط وبإسناده عن أنس بن مالك قال :

﴿ لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ، فقال : رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعيني ، وتعرين وتكسونني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة . ثم أمر أن تغسل ثلاثا وثلاثا ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور ، سكبه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه ، وكفنت فوقه ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ، وغلاما أسود يحفروا ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده . فلما فرغ ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضطجع فيه ، وقال : (الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين) . ثم كبر عليها أربعا ، ثم أدخلوها القبر ، هو والعباس ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم﴾ {الحديث برقم 195}.

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف 1.هـــ

وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم ثقة مأمون ، فالحديث صحيح على رأي ابن حبان والحاكم لأنه على شرطهما والحديث ضعيف على رأي الدار قطني وابن عدي لكن ضعفه قريب محتمل وليس بضعف شديد .

قال المحدث أبو الفضل الغماري رحمه الله : والحاصل أن الحديث على القول بضعفه أحسن وأقوى من كثير من الأحاديث الضعيفة التي احتج بها الأئمة في الأحكام .

فبأيهما يعمل المؤلف وأمثاله بالحديث النبوي أم بأقوال بعض الفقهاء التي في ثبوتها عنهم نظر والتي هي معارضة بأقوال غيرهم من الفقهاء ؟

3* ما ذكره المؤلف من كراهة أو عدم جواز سؤال الله تعالى بحق فلان :

أقول : ذكرت في الفقرة السابقة جواز التوسل بحق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عملاً بالحديث النبوي ، وبالنسبة إلى / حق فلان / أقول :

آ – إن كان لمعين من الخلق غير نبي أو رسول فيكره ذلك لأننا لا نعلم مرتبته ومنزلته عند الله تعالى ، ولا نعلم على أي دين خُتم له ومن هذا قال العلماء المحققون لا نقطع لأحدٍ من العباد بالجنة أو بالنار بل ذلك من الغيب الذي لا يصح له التقول عليه .

ويستثنى من ذلك أولياء الله تعالى الذين وضع الله تعالى لهم القبول في الأرض بين الخاصة والعامة وشهد لهم الخلق بالولاية والصلاح فإنه كما ورد في الحديث : ﴿ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴾{البخاري برقم 1278} وفي الحديث : ﴿ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ﴾{البخاري برقم 1279} فنتوسل إلى الله تعالى بحبه واختصاصه لهم وبجاههم عنده وبحقهم عليه وذلك على جهة التعميم لا التخصيص بمعين

وفي ذلك ورد الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِك فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُون أَلْفِ مَلَكٍ ﴾ {الحديث برقم 770} ورواه الأئمة أحمد والطبراني وابن خزيمة وأبو نعيم رحمهم الله تعالى ،

وهذا الحديث قد حسنه ثلاثة من كبار الحفاظ : الحافظ أبو الحسن المقدسي نقل ذلك عنه تلميذه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ، والحافظ العراقي فقد نص على تحسينه في تخريج أحاديث الإحياء وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر فقد قال بعد تخريجه في أمالي الأذكار : حديث حسن .

وله شاهد عند ابن السني عن بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال :

﴿ بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا ﴾

أقول : فالحديث يفيد جواز التوسل إلى الله تعالى بالسائلين وبحق الممشى والمخرج فبطل به قول من قال بكراهة ذلك أو عدم جوازه .

12- قال المؤلف بعد أن ذكر أقوال بعض الفقهاء : وهذا قول العديد من العلماء قديماً وحديثاً فهل كان يعنيهم الجفري عندما قال إن هذا القول جهل قبيح ؟ أم أنه كان يجهل أقوال العلماء ؟

أقول : كنت أود أن يذكر لنا المؤلف من هم العلماء في القديم والحديث وهل هم من أهل السنة والجماعة أم من المبتدعة ؟ وأقوال هؤلاء مردودة كما بينت بالأحاديث النبوية السابقة ومعارضة بأقوال العلماء والأئمة من أهل السنة والجماعة كما يعلم ذلك الباحثون المتخصصون في العقيدة والحديث والذين عافاهم الله من داء العصبية المقيت والهوى المتبع الذي ابتلى به المؤلف وأمثاله .

13– ثم قال المؤلف : تنبيه : في هذا المقام أنا لست بصدد بيان أي الفريقين أقرب للصواب وليس هذا من شرط كتابي الخ ؟

أقول : آ– الواجب على المؤلف أن يبين الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة بأدلته إن كان منهم وأن يرد على شبه المخالفين لهم وإلا فهو شيطان أخرس .

ب– قال : – أقرب للصواب – وهذا مردود عليه فصيغة التفضيل تعني أن مذهباً قريب ومذهباً أقرب وهذا غير صحيح بل هناك بل هناك مذهب حق وصواب في المسألة يجب قبوله ومذهب باطل وخاطىء يجب رده ، لأن الحق في مسائل العقائد واحد لا يتعدد .

ج– قال : وليس هذا من شرط كتابي في كل المسائل الخلافية

أقول : هل من شرط كتابه في تلك المسائل أن يذكر أقوال المخالفين للحق ويترك أقوال الموافقين له ؟ وإذا كانت المسألة خلافية فلمَ الإنكار ؟

لأن العلماء المحققين ينكرون ما انعقد الإجماع المعتبر على إنكاره ولا ينكرون ما اختلف فيه .

د– قال : يحاول الشيخ الجفري – أصلحني الله وإياه –

أقول : ذكر العلماء في باب الغيبة المحرمة والتي هي من كبائر الإثم ما يكون على جهة الدعاء كما فعل المؤلف فعليه أن يبتعد عن ذلك لأنه محل شبهة وأن يتوب إلى الله منه وأن يستحل صاحب الحق الشيخ الجفري لأنه بلغه ذلك من خلال كتابه هذا .

هـــ– قال المؤلف : إن الجفري يحاول تصوير مذهبه للناس وأن كل الفتاوى التي يأخذ بها المخالفون له إنما هي مستحدثة ولا قائل بها من سلف الأمة .

أقول : متى كان المخالفون لأهل السنة والجماعة من الوهابية يأخذون بفتاوى الأئمة الأربعة وخلفائهم من العلماء في مسألة ؟ بل المعروف عنهم يأخذون بفتاوى مشايخهم فقط كابن تيمية وابن القيم وابن حزم وابن عبد الوهاب والألباني وأمثالهم وإذا قيل لهم قال أبو حنيفة أو قال الشافعي يقولون / نحن على الكتاب والسنة / أي لا بفهم الأئمة المجمع على إمامتهم بل بفهم أصحاب الأهواء من المطعون بهم في عقائدهم .

ثم المخالفون للجفري هم المخالفون لأهل الحق من أهل السنة والجماعة وأقوالهم من المحدثات في الدين التي هي البدع الضلالات في العقائد والأحكام ، ولا قائل بها من سلف الأمة الصالحين الذين هم سلفنا من الأئمة الأربعة وخلفائهم أما سلف المؤلف وزمرته فهم المجسمة والمشبهة والكرامية والمعتزلة فليهنأ وأمثاله بذلك السلف الضال المضل .

و– قال المؤلف : وكان بوسعه أن يبين للناس مذهبه – إلى قوله – دون أن يتعرض لتجريح الآخرين والتنقص منهم وبخاصة أن فيهم من هم في طبقة الأئمة .

أقول : هل تعرض الحبيب الجفري في كتابه لتجريح الآخرين والتنقص منهم بأن كفّر أحداً من المخالفين أو فسّقه أو رماه بالزندقة والمروق من الدين والضلال الكبير أم أن المؤلف هو الذي فعل ذلك مع أهل السنة والجماعة في مواضع من كتابه في حق الصوفية عامة وخاصة حيث رمى الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه بالكفر ص 64–81 ووصف الصوفية بأنهم جهال وضلال وخارجون عن طريقة الإسلام ص 76 ، ووصف مذهب الصوفية بأنه مذهب بطالة وجهالة وضلالة وأنه دين الكفار وعباد العجل ص 79 ، ووصفني بالضلال الكبير ص 100

فمن الذي جرّح ونقّص وكفّر وفسّق الحبيب الجفري أم المؤلف الذي حارت كل هذه الأوصاف عليه لأن الذين رماهم بذلك بريئون مما رماهم به ؟

وقوله : وبخاصة أن فيهم من هم في طبقة الأئمة .

أقول : هل يعني بذلك المباركفوري أم غيره من مشايخه أم من نقل أقوالهم من المخالفين ؟ وهل هؤلاء بلغوا رتبة الإمامة المطلقة والاجتهاد المطلق ؟ وهل أجمعت الأمة في عصر من العصور على إمامة واحد من هؤلاء الذين ذكرهم كإجماعهم على إمامة الأئمة الأربعة المجتهدين في جميع العصور والذين يعتبر المخالف لهم خارقاً للإجماع يفسق ويبدع ؟ عجباً للمؤلف وزمرته يدخلون من شاؤوا في الإمامة ويخرجون من شاؤوا بحسب الأهواء ، أعاذنا الله والمسلمين من هذا الضلال الكبير .

ز– ثم قال المؤلف : أليست المسألة خلافية بين العلماء ؟ الخ

أقول : ليت المؤلف التزم بأدب البحث والمناقشة وعرض المسائل التي ذكرها في كتابه على أنها مسائل خلافية وذكر ما له وما عليه ومن ذهب إلى هذا القول من العلماء ومن ذهب منهم إلى غيره .

ولكن نجد المؤلف ذكر في كل المسائل شبه أدلة المخالفين على أنها أدلة ولم يذكر شيئاً من أدلة الحق فأين الإنصاف ؟ وهل يحق له أن يطالب الآخرين بما يتعمد هو مخالفته ؟

ثم قال : فلماذا يريد الجفري أن يفرض رأيه بالقهر ؟ الخ

أقول : الجفري لا يملك سلطة أو قوة يفرض بها آراءه على الآخرين ، إنما يذكر مذهب أهل السنة بأدلته ويستأنس في بعض الأحيان بآثار ضعيفة يمكن تأويلها وحملها على محامل حسنة لمن أوتي سعة من العلم .

ثم قال : ثم إن المخالفين له أخذوا بالنص كما ورد ... الخ

أقول : أي نص أراد المؤلف ؟ ولم يذكر لنا في رد من ردوده أو اعتراض من اعتراضاته آية قرآنية قطعية الدلالة ولم يذكر لنا حديثاً نبوياً قطعي الثبوت قطعي الدلالة يستدل به المخالفون في مسألةٍ ما إنما أتى لنا بأقوال من تقلدهم من مشايخه ممن لم تجمع الأمة على إمامتهم وأقوالهم تلك مردودة بالنصوص القرآنية والنبوية ومعارضة بأقوال علماء أهل السنة والجماعة .

فهل يعتبر المؤلف أن مشايخه الذين يقلدهم في منزلة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟

وهل يعتبر أقوالهم نصوصاً قطعية يرد بها كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ إذا كان كذلك فهو من الذين يعرفون الحق بالرجال تاه في متاهات الضلال .

ثم قال : أما هو فقد زاد عليه وأدخل فيه ما ليس منه وبعد ذلك يسخر منهم ويسفههم !

أقول : بطل فيما سبق ادعاء المؤلف بزيادة الحبيب الجفري على النص لأنه ليس في معرض الرواية ، ولم نجد في كلامه شيئاً من السخرية والتسفيه وإنما وجدنا ذلك في كلام المؤلف في حق الصوفية وأئمتهم كما تقدم .

ثم قال : وكل ذلك في كتاب يقول عنه إنه لتزكية النفوس وتقويم السلوك !

أقول : وكتاب الشيخ الجفري هو كذلك كتاب تزكية وتربية ، ولكن كتاب المؤلف كتاب تكفير وتفسيق وكأني بالمؤلف لم تتزك نفسه عند مزكٍ مربٍ ولذلك لم يعرف ما هي التزكية وما هو السلوك فالتبست عليه الأمور فرأى بنظره القاصر الحق باطلاً والباطل حقاً ، ورحم الله ذلك الشيخ الصوفي القائل ﴿ من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه ﴾ انظر الرسالة القشيرية .

ونعوذ بالله من عمى البصر وعمه البصيرة

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾

{النو:40}

ويقول سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

{الحج:46}



الدفاع عن الحبيب الجفري 5 (يا دنيا من خدمني فاخدميه ..)

قال المعترض : يقول الجفري ص 81 : قال الله في الحديث القدسي :

﴿ يا دنيا من خدمنا فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ﴾ ثم قال : كيف يروي الجفري كلاماً..الخ

أقول : هذا الحديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى ، وبيان ذلك ، أما ضعف إسناده :

1- فقد رواه الشهاب القضاعي في مسنده من طريقين برقم 1332 من رواية سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه ﴿ يقول الله عز وجل للدنيا : يا دنيا اخدمي من خدمني ، وأتعبي يا دنيا من خدمك ﴾ قال في الموضوعات : مدار الطريقين على الحسين بن داود قال الخطيب : تفرد برواية هذا الحديث عن الفضيل وهو موضوع ورجاله كلهم ثقاة سواه .

أقول : قال الحافظ الذهبي في الميزان : قال الخطيب : ليس بثقة ، حديثه موضوع .

وهذا يعني أن كتاب الموضوعات سقط منه من كلام الخطيب أو أسقط قوله : ليس بثقة ، وكلمة ليس بثقة عند علماء مصطلح الحديث دالة على الضعف وليست من العبارات الدالة على الوضع ، فلو أنه قال : وضاع أو كذاب ، أو منكر الحديث أو أجمعوا على تركه لتركنا حديثه ، أما عندما يقول : ليس بثقة فهو ضعيف وحينئذٍ ننظر في رجال الإسناد فإن كانوا كلهم ثقاة كما هنا قلنا بضعف الحديث لا بوضعه ، وإن كان رجال حديث من أحاديثه ضعافاً أو فيهم متهم قلنا بالوضع لذلك الحديث .

فليست روايات الحسين بن داود البلخي جميعها موضوعة كما يتوهم لأن علماء الجرح لم يصفوه بأنه وضاع أو كذاب أو متهم .

أقول : وقد وجدت لهذا الحديث شاهداً صالحاً ليس في إسناده الحسين بن داود ففي الحلية عند أبي نعيم وبإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال :

﴿ أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني ، وأتعبي من خدمك ﴾

فطريق الرواية هذه يقوي تلك الرواية ويجبر ضعفها وتكون مقبولة على أنها ضعيفة وليست مردودة على أنها موضوعة .

فحكم لإمام ابن الجوزي على الحديث بالوضع مردود لأنه معروف بالتساهل في الحكم على الأحاديث بالوضع كما هو معلوم لدى المختصين من علماء الحديث .

وحكم الخطيب البغدادي متناقض لأنه قال : ليس بثقة ثم قال : حديثه موضوع ، والذي ليس بثقة لا يكون حديثه كله موضوعاً بل لا بد من التفصيل كما مر بيانه ، كيف وقد تقوى بشاهد صالح عند أبي نعيم من قول الإمام جعفر رضي الله عنه ، فهل يتهم المؤلف الإمام جعفر الصادق ويقول : كيف يروي كلاماً قال عنه العلماء إنه كذب وموضوع كما فعل مع الحبيب الجفري ؟

وهل يقول : بأن الإمام جعفراً متهاون في نسبة الكلام لله سبحانه ؟

أما بالنسبة إلى معنى هذا الخبر فهو صحيح : وذلك من وجوه :

1* فيه خطاب الله تعالى للدنيا وهو غير مستحيل لا شرعاً ولا عقلاً ، وفي القرآن الكريم خطاب الله تعالى للسموات والأرض في أكثر من آية ومنها قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ {فصلت:**11**} .

2* قال الله تعالى في الحديث القدسي الصحيح :

﴿ يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾{صحيح مسلم برقم **4165**}

قال الله تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾{الزمر:**63**}

فإذا كانت بيده المقاليد يضعها حيث يشاء ويعطي الدنيا لمن أبغض من عباده أفلا يعطيها لمن خدمه واشتغل بذكره وكان من أحبابه ، وفي الحديث ﴿ يقول الله من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين ﴾ {مصنف ابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان وهو حديث حسن لتعدد طرقه}

3* أخرج الإمام الترمذي برقم **2389** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ﴾ .

وأخرجه الإمام ابن ماجه برقم **4095** بلفظ مقارب وفي روايته : ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم **20608** بلفظ مقارب .

فانظر إلى قوله في الحديث﴿ أتته الدنيا وهي راغمة ﴾ أليس إتيانها إليه بأمر من الله تعالى وليس من ذاتها؟

أليس مجيئها راغمة بأمر إلهي هو معنى ﴿ يا دنيا اخدمي من خدمني ﴾ ؟

وإذا صح المعنى الأول صح العكس وهو معنى ﴿ وأتعبي يا دنيا من خدمك ﴾ ،

فليس في معنى الحديث ما يخالف العقيدة أو حديثاً صحيحاً حتى نحكم برده ونتهم القائل به بالتقول على الله تعالى وبالافتراء عليه كما وقع فيه المؤلف المعترض .



الفصل السابع

الدفاع عن الحبيب الجفري 6 (قصة العابد ..)

أورد الحبيب الجفري ص 104–205 قصة العابد واعترض عليه المعترض بأمورٍ وسأقوم بعرضها وردّها

1* قال المعترض : يذكر لك رقم الآية ويتغافل عن ذكر مصدر هذه القصة الخرافية المنافية للدين.

أقول : القصة من الإسرائيليات وتقدم في الردود السابقة بيان حكمها وروايتها فلتراجع .

أما اعتبارها خرافية ومنافية للدِّين فقول مردود على قائله ولم أجد فيها ما يتنافى مع أصلٍ من أصول الدين المقررة عند أهل السنة والجماعة ، إلا أن يكون مراد المعترض أنها منافية للدين بحسب العقيدة الوهابية وذلك لأنه لا يعتبر ما عليه الأشعرية والماتريدية وهم أهل السنة والجماعة ديناً وأنهم أعني أهل السنة في نظره مارقون عن الدين وخارجون عنه .

ثم قال المعترض : أمّا أن يرويها من ينصّب نفسه مدافعاً عن الإسلام ...الخ

أقول : كأن المعترض من المعتزلة القائلين بأنّ الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية فنسب إلى الحبيب الجفري أنه نصَّب نفسه مدافعاً عن الإسلام ، ونسي أنّ الله تعالى أقامه في ذلك لأن الله تعالى هو الخالق الموفق المقدر لا شريك له وإذا كان الله تعالى قد اختار بعض الأمم السابقة واصطفى أفراداً منهم على العالمين

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾{الدخان:32}

وقال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾{الأنبياء:73}

فهل يضيّع سبحانه هذه الأمة المحمدية التي هي أفضل الأمم ؟ وهل لا يختار ويصطفي علماء هذه الأمة ومرشديها ويجعل منهم أئمة خصوصاً من آل بيت النبوة كالحبيب الجفري وغيره من السادة الأشراف الذين هم على عقيدة أهل السنة والجماعة ولم يغيروا ولم يبدلوا كما وقع لغيرهم .

وإليك بيان موافقتها لأصول العقيدة الصحيحة :

أ– قال المعترض : جبريل – عليه الصلاة والسلام – يطالع في اللوح المحفوظ !

وقول – عليه الصلاة والسلام – زيادة من عندي على كلام المعترض لأنه لم يسلم عليه في الأصل وهذا من أجل الأمانة العلمية في النقل .

أقول : هل يستحيل عقلاً أو شرعاً اطّلاع جبريل عليه الصلاة والسلام على اللوح المحفوظ ؟

أما عند المؤلف فهو مستحيل عقلاً وشرعاً وأنا أطالبه بأدلة الاستحالة العقلية أو الشرعية إن كان يقول بها ؟

ومن قال ذلك من العلماء المعتبرين ؟ أم هو رأيه الخاص في المسألة ؟ فإن كان رأياً له خاصاً فلا حاجة لنا به ونضرب به عُرض الحائط ، وإن كان معتمداً على دليل أو قول لعالم معتبر فليأتِ به عملاً بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ {البقرة:111} .

وأما عند أهل السنة والجماعة فلا يستحيل اطّلاع سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام على اللوح المحفوظ لا شرعا ولا عقلاً وذلك أن جبريل عليه السلام اطّلع على القرآن الكريم وهو في اللوح ونزل به منجماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الحكم في بقية الكتب والصحف التي نزل بها على النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ولا بدَّ أن أبيّن ما هو اللوح المحفوظ الذي يستحيل عند المعترض اطّلاع جبريل عليه الصلاة والسلام عليه فأقول :

1ً – روى البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً :

﴿ اللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حِجْر ملك ﴾ {معالم التنزيل 8/389} .

2ً – وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبه :

﴿ إنّ الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ﴾

{المعجم الكبير 12/72 ، 10/316 راجع تفسير ابن كثير 8/373 سورة البروج} .

ونقل المفسرون آثاراً وأحاديث بعضها صحيح وبعضها ضعيف

عند قوله تعالى في سورة البروج : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ {البروج:21/22} فلتراجع ، وذكر شُرَّاح جوهرة التوحيد تفاصيل تتعلق باللوح عند قول الناظم :

والكاتبون اللوح كل حكم ...... فليراجعها من أحب .

أقول : النصوص الصحيحة الصريحة تدل على أنّ اللوح مخلوق وأنّ الله تعالى أمر القلم أن يكتب فيه المقادير وانعقد الإجماع على ذلك ،

وأنّ الملائكة الموكلين بتدبير أمر العالم والذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ {النازعات:5} تطّلع على اللوح المحفوظ وما كتب فيه من المقادير بإذن الله وتنزل بها من السماء إلى الأرض .

3ً – وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً :

﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا إسرافيل – إلى قوله – بين يديه اللوح المحفوظ فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح يضرب جبينه فينظر فيه فإن كان من عملي أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أمره بعمله وإن كان من عمل ملك الموت أمره به ﴾

{الحديث في شعب الإيمان للبيهقي:151} .



4 – وعن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً قال :

﴿ أول ما خلق الله القلم – وفيه – فقيل له : اجر في اللوح المحفوظ قال يا رب بماذا ؟ قال بما يكون إلى يوم القيامة ، فلمّا خلق الله الخلق وكّل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم فإذا قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل :

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ {الجاثية:29}

عرض بالكتابين فكانا سواء قال ابن عباس ألستم عرباً ؟ هل تكون النسخة إلا من كتاب ﴾

{رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه:3651} .

وذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيديهم مما قد أُبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القِدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ثم قرأ :

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {الجاثية:29} .

أقول : ما كان موقوفاً من هذه الروايات وأمثالها لا يقال مثله من قبل الرأي فيكون له حكم المرفوع .

والذي يهمنا في علم العقيدة الإيمان بوجود اللوح وأنه مخلوق وأن الملائكة المأمورين بتدبير أمر العالم ينظرون فيه للنزول بالمقادير ، ومن ذلك نزول الملك الموكل بالأرحام إذا أتم الجنين في بطن أمه أربعة أشهر كما ورد في الحديث

﴿ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ﴾

{صحيح مسلم برقم:4781}

فهذا الأمر من الله تعالى على قول أو من الملك المطلع على تلك المقادير في اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى وبإذنه ، وإذا كتب الإنسان شقياً أو سعيداً وهو في بطن أمه وعلم الملك الموكل ذلك

فهل يمتنع اطلاع رئيس الملائكة عليه سواء كان في اللوح المحفوظ العلوي أو عند الملك الموكل بالعبد . وبعد هذا يتبين لنا أن اللوح المحفوظ يصح الاطلاع عليه شرعاً ، وأما عقلاً فاللوح مخلوق ويصح لكل مخلوق أن يرى ويطلع عليه ، وثبت اطلاع ملائكة التدبير وسيدنا جبريل عليه السلام رئيسهم وسيدهم فإذا صح اطلاع عامة الملائكة على اللوح صح من باب أولى اطلاع رؤسائهم عليه .

ولنعلم أن رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام أفضل من اللوح والقلم فلا يمتنع اطلاع الفاضل على المفضول .

فهل يعتقد المعترض أن اللوح جزء من الله تعالى أو أن صفة العلم القائمة بذاته تعالى انفكت عنه وقامت في اللوح وحلت فيه فالله يعلم بعلم قام في غيره كما عليه بعض المبتدعة المخالفين لأهل السنة المجوّزين قيام صفاته تعالى بغير ذاته ؟ ولذلك امتنع عنده اطلاع جبريل عليه السلام عليه .

ب- قال المعترض : والله يأذن له أن يخبر الرجل الصالح بما في اللوح ؟

أقول : ترك المعترض جملة في القصة وهي قوله ـــ بعد أن تعجب من هذا الأمر ـــ ورُبّ معترض آخر يقول : كيف يتعجب الملك من هذا ؟ أقول : ليس تعجب اعتراض أو إنكار وإنما هو تعجب استفهام لخفاء الحكمة الإلهية عنه ، ومثل ذلك ما حكاه الله تعالى عنهم عند إعلامهم بإرادته تعالى أن يخلق آدم ويجعله خليفة في الأرض قال تعالى

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة:30}

فلم يكن اعتراضاً منهم ولا إنكاراً ، وإنما خفيت عليهم الحكمة الإلهية في ذلك فتعجبوا من ذلك تعجباً يعني الاستفهام والسؤال عن الحكمة في هذا الخلق .

ثم إن الملك الكريم جبريل عليه السلام استأذن الله تعالى في أن يخبر ذلك العابد بما كتب عليه في اللوح المحفوظ وفي بطن أمه من كونه شقياً لعله يظهر له شيء من علم الله تعالى وحكمته فيما خفيت عليه حكمته في المقادير المتعلقة بهذا الرجل ، فأذن الله تعالى له .

ج : ـــ في القصة ـــ فنزل وقال يا فلان إني جبريل فردّ عليه السلام .

أقول : تمثل الملك الكريم بصورة بشرية وظهوره أمام جماعة أو فرد وكلامه ليس بمستحيل عقلاً ولا شرعاً ، فالله تعالى يخبرنا بقوله

﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ {مريم:17/19}

فالسيدة مريم رضي الله عنها تمثل لها الملك الكريم بصورة بشرية وجرت بينهما محادثة ومكالمة .

وفي الحديث الصحيح أن الله تعالى أرسل ملكاً إلى أعمى وأقرع وأبرص فتمثل لهم بشراً وجرى بينه وبينهم محادثة ومكالمة ثم جاءهم على صورهم التي كانوا عليها .

وفي الحديث الصحيح أن جبريل عليه السلام كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتمثل له في بعض الأحيان بشراً يكلمه ورآه بعض الصحابة أفراداً وجماعات .

د : في القصة : قال جبريل عليه السلام : وجدت اسمك في اللوح المحفوظ فلان بن فلان شقي .

أقول : إخبار جبريل عليه السلام بأنه شقي على جهة الابتلاء والاختبار لتظهر له حكمة الله تعالى في إجراء الطاعة عليه مع ما كتب له على وفق إرادته تعالى وهل الإرادة والأمر هنا منفكان كما يكونان في غيره متوافقان ؟ فالله تعالى يريد ويأمر ، ولا يريد ولا يأمر ، ويريد ولا يأمر ، ويأمر ولا يريد .

فبين الأمر والإرادة عموم وخصوص من وجه وهو أن يجتمعا في مادة وينفرد كل منهما في مادة أخرى يجتمعان في إيمان المؤمن وينفرد الأمر دون الإرادة في إيمان الكافرين ، وتنفرد الإرادة دون الأمر في كفرهم ، وهذا عند أهل السنة والجماعة خلافاً للمبتدعة المعتزلة ، فلا يمتنع أن يكون الملك طلب من الله تعالى اطلاعه على حكمه في المقادير المتعلقة بذلك العبد وفي هذا بيان أن الملائكة لا تعلم الغيب الذي هو علم الله وحكمته وإن كانت تطلع على المقادير ، وإذا ظهرت لها الحكمة ازدادت علماً بالله تعالى إلى علمها الضروري وقد قص الله تعالى قصة عبده خضِر الذي أطلعه الله تعالى على حكمه في خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار وخفي ذلك كله عن نبي رسول هو سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على تلك الحكم سيدنا الخضِر فازداد علماً إلى علمه ، فلا يمتنع مثل ذلك في حق جبريل عليه السلام .

هـــ : في القصة : فأحببت أن أخبرك ما دمت شقياً ستذهب إلى النار تمتع قليلاً بالدنيا بدل أن تضييع حياتك .

أقول : أخبره بما كُتب عليه بحسب الظاهر ابتلاءً واختباراً ، ومثل من هذا حاله التمتع بالدنيا وليس القيام بالعبادة ، ومثل ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن سيدنا صالح عليه السلام بعد أن حقّت الشقاوة على قومه بعقر الناقة

﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ {هود:65}

وقوله تعالى للكافرين : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ {إبراهيم:30}

وقوله : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آَتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ {النحل:55}

وقوله : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ {الزمر:8}

وقوله : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ {الذاريات:43}

وقوله : ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾{المرسلات:46} .

فإذا جاز مثل هذا الخطاب من الله تعالى ورسله عليهم السلام لمن حقت عليهم الشقوة بالتمتع فلم لا يجوز أن يأمر جبريل عليه السلام الرجل بالتمتع في حياته وقد تبين له أنه شقي ، وقد أخبرنا الله تعالى أنه أنزل الملكين هاروت وماروت يعلمان الناس السحر على جهة الابتلاء والاختبار

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾{البقرة:102} .

ومن وجه آخر : قال علماء البلاغة بأن صيغ الأمر قد تخرج عن معناها الأصلي الذي هو طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام ومنها التهديد كما في النصوص القرآنية الآمرة بالتمتع .

ويتبين من هذا أن الملك لم يأمره على وجه التكليف والإلزام وإنما خرج الأمر عن حقيقته هنا إلى تمتع الإباحة ، وذلك أن الرجل كان عابداً لله تعالى في صومعة ومجتهداً في ليله ونهاره وهذه هي الرهبانية التي ابتدعها هؤلاء في دينهم كما قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ {الحديد:27} وكان من جملة رهبانيتهم تحريم المباح لأنهم كما قص الله علينا ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾{التوبة:31}

وقد ثبت في تفسير ذلك أنهم أحلوا لهم ما حرم الله وحرموا عليهم ما أحل ، فكأن جبريل عليه السلام نزل ينهاه عن هذه الشدة والتنطع والغلو المبتدع ويأمره بالتمتع في حياته بالشهوات المباحة التي حرمها على نفسه ، وهذا معنى قوله ـــ تمتع قليلاً بالدنيا بدل أن تضيع حياتك ـــ وهذا هو منهج الاعتدال الذي جاءت به الشرائع كلها قال تعالى حكاية ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾{القصص:77}

فمتبع الشرائع لا يضيع آخرته من أجل دنياه ولا دنياه من أجل آخرته .

و في القصة : أن العابد حمد الله واسترجع وحوقل وعاد إلى عبادته لم ينقص مما سبق شيئاً فتعجب جبريل عليه السلام أكثر الخ .

أقول : تعجب جبريل عليه السلام أكثر لأنه لا يعلم غيب السرائر ومن ذلك وجود عبدٍ يعبد الله لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ، وهذا المعنى الذي ساق الحبيب الجفري القصة من أجل بيانه

وذلك أن العباد على ثلاثة أصناف :

1- قوم يعبدون الله لله لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار بمعنى أنهم يعبدون الله لأنه رب يستحق العبادة وأولئك هم المخلِصون المخلَصون .

يسألون الله الجنة لأنها دار مجاورة الله ومشاهدته ، قال قائلهم :

ليس قصدي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراكا

ويستعيذون بالله تعالى من النار لأنها دار الحجاب عن الله ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ {المطففين:15 }

أولئك القوم تخلصوا من علل الأعمال فلا يعملون لعلةٍ من العلل

والرغبة رغبتان : رغبة في الله ورغبة فيما عنده ، فإذا رغب غيرهم فيما عنده من الثواب هم يرغبون في المشاهدة والاقتراب .

والرهبة رهبتان : رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب ،فإذا رهب غيرهم من العذاب يرهبون هم من الحجاب .

2- قوم يعبدون الله طمعاً في الجنة وما فيها من ألوان النعيم ، وهذه عند أهل المقام الأول علة قادحة في الإخلاص لأن معنى ذلك لو لم يخلق الله الجنة وما فيها لما عبدوه ، وكيف لا يعبد ولو لم يخلق الجنة ؟ أليس رباً يستحق العبادة ؟ بلى

3- قوم يعبدون الله خوفاً من النار وما فيها من ألوان العذاب ، وهذه علة قادحة في الإخلاص أيضاً لأن معنى ذلك لو لم يخلق النار لما عبدوه ، وكيف لا يعبد وهو رب يستحق العبادة ؟

فلما سأل جبريل عليه السلام العبد عن سبب استمراره في العبادة مع إعلامه أنه شقي بين له أنه يعبد الله لأنه رب يستحق العبادة ، وأنه عبد مملوك لسيده يفعل فيه ما يشاء ويتصرف فيه كيف يريد مفوضاً الأمر إليه ومستسلما لقضائه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ {الأنبياء:23}

وأنه لا يوجب على الله تعالى ثواباً على عبادته ولا يعبده لعلة .

فلما تبين لجبريل عليه السلام إخلاص هذا العبد وهو سر من أسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فظهر غيبه بكمال العبودية والافتقار والرضا والتسليم والتفويض صعد إلى السماء فوجد أن هذا العبد محي من ديوان الأشقياء وكتب في ديوان السعداء .

وهنا مسالة لابد من أن أعرض لها وهي معنى الشقاوة والسعادة ؟

فأقول : أهل السنة والجماعة في هذه المسالة على مذهبين :

1*: ذهب الأشاعرة إلى أن السعادة والشقاوة ليستا باعتبار الوصف القائم بالعبد في الحال من الإيمان في الأول والكفر في الثاني بل باعتبار ما سبق أزلاً في علمه تعالى ، فالخاتمة على وفق السابقة فالسعادة هي الموت على الإيمان باعتبار يعلق علم الله أزلاً بذلك والشقاوة هي الموت على الكفر بذلك الاعتبار

ولا يصح تحول كل واحد من السعيد والشقي عما سبق أزلاً في علمه تعالى فالسعيد لا ينقلب شقياً والشقي لا ينقلب سعيداً إلا لزم انقلاب العلم جهلاً وهو بديهي الاستحالة فالسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان .

فإن ختم له بالإيمان دل على أنه في الأزل كان من السعداء وإن تقدمه كفر ، وإن ختم له بالكفر دل على أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدمه إيمان ، ويدل لذلك حديث الصحيحين

﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا﴾ {أخرجه مسلم برقم:**4781**} .

2*: ذهب الماتردية إلى أن السعادة هي الإيمان في الحال والشقاوة هي الكفر كذلك فالسعيد هو المؤمن في الحال وإذا مات على الكفر فقد انقلب شقياً بعد أن كان سعيداً ، والشقي هو الكافر في الحال وإذا مات على الإيمان فقد انقلب سعيداً بعد أن كان شقياً .

وفي الحقيقة الخلاف بينهما لفظي لأن الخاتمة لا تكون إلا على وفق المسابقة التي هي علمه تعالى الذي لا يتبدل ولا يتغير .

أقول : في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ {الرعد:**39**}

بيان أن المقادير منها ما يمحوه الله تعالى ومنها ما يثبته وهذا الذي يظهر للملائكة المكرمين عليهم السلام في وجه اللوح الذي من قبلهم وهو الذي يقبل المحو والإثبات .

والوجه الآخر فيه بيان المقادير على ما هي عليه في علمه تعالى والتي لا تقبل التغيير ولا التبديل فإذاً برز لجبريل عليه السلام في وجه المحو والإثبات أن الرجل شقي ثم محي وكتب سعيداً وهذا لا يخالف العقيدة لأن ما برز آخراً هو ما سبق له في علمه تعالى الذي لا يتغير

وقد قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره : ظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا قال تعالى :

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون ﴾ {الأنبياء:23}

وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم ، وقيل الآية خاصة بالسعادة والشقاوة فالمراد من الآية أنه يمحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ ويثبت ما يشاء مما فيه ، وهذا لا ينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله " جف القلم " وذلك لأن المحو والإثبات من جملة ما قضاه الله سبحانه ، وقيل : إن أم الكتاب هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق .

ثم قال : أخرج ابن جرير وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿ هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما(ويثبت ، وعنده أم الكتاب) ﴾

{أخرجه في المستدرك على الصحيحين للحاكم برقم:3289}

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو يطوف بالبيت ﴿ اللهم إن كتبت علي شقوة أو ذنباً فامحه فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة ﴾ .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه .

أقول : فتبين بهذا جواز محو شقاوة العبد من وجه اللوح القابل للمحو والإثبات وكتبه سعيداً على وفق ما سبق له في علم الله تعالى .

وبهذا يظهر أن القصة ليس فيها نكارة ولا غرابة لأنها لا تعارض قواعد العقائد ولا تخالف شيئاً منها ، وبالتالي يكون قول المعترض : ـــ أتدري يا جفري ـــ انظر إلى أدبه مع حسيب نسيب ثابت النسب بالوجه الصحيح خلافاً له ـــ يناديه باسمه المجرد ـــ على من تتقول ؟ إنك تتقول على رب العلمين ، مردوداً وباطلاً لأن الحبيب الجفري لم يأت بهذه القصة من نسج خياله وإنما هو ناقل لها من كتب الرقائق ، ثم اتهامه من قبل المعترض بالتقول على الله يعني أن الله أطلعه على نيته وقصده وهو غيب فشارك فيه المعترض رب العالمين سبحانه فادعى أنه يتقول على الله ، أليس التحكم بنوايا الآخرين ومقاصدهم تقولاً على الله وافتراءً عليه وادعاءً لعلم الغيب معه ؟ سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم .

ز ـــ ثم قال المعترض : وتجعل الخرافة المنافية للدين دنياً ! وهذا تزوير للشريعة وتحريف لها .

أقول : تبين لنا من خلال التحليل العلمي للقصة أنها موافقة لقواعد الدين وأصوله ولم تتناف مع شيء منها ، وبالتالي لا تكون تزويراً للشريعة ولا تحريفاً لها .

ح – ثم قال المعترض : إذا كان التقول على الله عز وجل أمراً سائغاً مغتفراً الخ .

أقول : تقدم بطلان هذا الكلام وبيان أن تحميل الكلام ما لا يصح والتحكم بنوايا الناس ومقاصدهم الغيبية هو التقول على الله تعالى لأنه ادعاء مشاركته بعلم غيب السرائر التي انفرد بها سبحانه وتعالى .

ط – ثم قال المعترض : ولقد كان الأولى بالجفري ـــ إلى قوله ـــ وإلى الاستغفار من بعض الطاعات كما يقول الخ .

أقول : الاستغفار من بعض الطاعات بل كلها هو حقيقة من حقائق التوحيد والعبودية الصادقة وبيان ذلك :

1* النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله دبر كل صلاة ثلاثاً ، والصلاة طاعة وليست معصية وإذا جاز الاستغفار دبر الصلاة جاز الاستغفار دبر كل طاعة ومعها .

2* من نسب الطاعة إلى حوله وقوته وأن له تأثيراً في فعلها واستقلالية فهو مشرك وعليه أن يصحح عقيدته وإيمانه بالله تعالى وأن يتحقق بقوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ {الآية 5 الفاتحة }

فيشهد أن عبادته بعون الله وبحوله تعالى وقوته وبإمداده وتوفيقه وبفضله أجراها عليه .

3* من أوجب على الله تعالى من خلال ما تفضل الله به عليه من ألوان الطاعات أوجب عليه ثواباً أو قبولاً فهو معتزلي وعليه أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه من الإيجاب أو الوجوب عليه .

أقول : والمعترض بعيد عن فهم هذه المعاني التي يدعو إليها العلماء الربانيون كالحبيب الجفري وما سبب ذلك إلا أنه لم يتعلم عقيدة أهل السنة والجماعة الصحيحة ولم يسلك طريقاً من طرق التزكية الروحية التي تخلصه من علل الأعمال وآثارها .

وكل ما أقوم به من وجوه التأويل لكلام الحبيب الجفري عملاً بما أورده المعترض في مقدمة كتابه من قول سيدنا عمر رضي الله عنه / لا تظن بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً / وليته ومشايخه أوجدوا لها في الخير محملاً وأغلقوا أبواب الأحقاد والفتن عن عوام المسلمين وعلماءهم .

ي– ثم قال المعترض : كان الأولى به أن يتحاشى السقوط في الإثم العظيم المتوعّد عليه بالنار ثم أورد الأحاديث النبوية الشريفة .

أقول : ليس في إيراد القصة أن الحبيب نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدخل في وعيد تلك الأحاديث ، والمعترض قال في أدل كلامه : يتغافل عن ذكر مصدر هذه القصة الخرافية المنافية للدين ، هكذا في زعمه ووهمه .

ففي أول الكلام يجعلها قصة خرافية ثم في آخر كلامه يتوعد الحبيب الجفري بأحاديث العذاب لأنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في زعمه ووهمه ، والحبيب لم يرو القصة على أنها حديث نبوي فأين الكذب في كلامه ؟

أليس هذا كذباً على الحبيب الجفري وتحريفاً للكلم وتزويراً للكلام يا جامع القراءات العشر ؟



الدفاع عن الحبيب الجفري 7 (حديث إنما أنا عبد آكل ..)

-قال المعترض : إن حديث ﴿ إنما أنا عبد ﴾ الخ ضعيف .

أقول : قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أبو يعلى بإسناد حسن بلفظ ﴿ آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد﴾ ، وهو عند البيهقي في السنن والشعب ، وفي مصنف عبد الرزاق ، ورواه ابن سعد بسند حسن ، فبمجموع طرقه يرتقي إلى مرتبة الحديث الحسن وليس بضعيف .

وأما حديث ﴿ لن يدخل الجنة أحد بعمله ﴾ فهو عند الشيخين البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة .

وأما حديث ﴿ لو آخذني الله وابن مريم ﴾ فقد رواه ابن حبان في صحيحه

-(عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو يؤاخذني الله ، وابن مريم ، بما جنت هاتان يعني الإبهام والتي تليها ، لعذبنا ثم لم يظلمنا شيئا) .

قال المعترض : ضعيف ، وأريد منه بيان من ضعفه من علماء الحديث وليعلم المعترض أن شيخه الألباني صححه في صحيح الترغيب والترهيب له فليراجعه .

2- قال المعترض : فما هذا الأسلوب المستحدث ــ إلى قوله ــ ويجعل الجميع حديثاً واحداً ويعزوه للصحيحين؟

أقول : الحبيب الجفري لم يجعل الجميع حديثاً واحداً لتباين ما بينها في المعاني .

وقد قال : رواه البخاري ومسلم ، وهذا يشير إلى الحديث الصحيح منها ، ولم يقل رواها البخاري ومسلم حتى نقول بأنه جعل الجميع حديثاً واحداً ، لأن ضمير المفرد يعني حديثاً واحداً بينما ضمير الجمع يعني الجميع .

وكأني بالمعترض لا يعرف الفرق بين ضمير الفرد وضمير الجمع .

ثم قال المعترض : وفوق هذا يلحن في اللغة فيقول بما كسبت هاتين الخ .

أقول : هذا سبق قلم من الحبيب الجفري وليس لحناً متعمداً ، وقد وقع مثله للمعترض في كتابه ص 22

-قال : لماذا لا يبين لنا الجفري أيٌّ بالرفع والصواب أيِّ بالفتح فهل نسمي هذا لحناً أم سبق قلم

-قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾

-{القلم:39} .



الدفاع عن الحبيب الجفري 8 (حديث نور وجه النبي وضيائه ...)

قال : ويقول الجفري " ولله در السيدة عائشة " الخ .

1- قال المعترض : ثم إن القصة التي ساقها في بداية الحديث لا سند لها يعرف وليست في كتب السنة الخ .

أقول : قصة السيدة عائسة رضي الله عنها رُويت بإسنادٍ ضعيف عند الديلمي وابن عساكر ونصها : عن عائشة رضي الله عنها قالت : ﴿ استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخيط بها ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت مني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فضحكت فقال يا حميراء لم ضحكت ؟قلت : كان كيت وكيت ، فنادى بأعلى صوته : يا عائشة الويل ثم الويل لمن حُرم النظر إلى هذا الوجه ، ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهي أن ينظر إلى وجهي ﴾

كنز العمال / **35492**/ .

والحديث الضعيف تصح روايته في الفضائل ، وتتقوى هذه الرواية بما في الشمائل وغيرها من بيان أن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الناظر إليه أضوأ من القمر ليلة البدر ومن ذلك حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه :

﴿ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر اللحية فقال رجل : وجهه مثل السيف قال : لا بل مثل الشمس والقمر ﴾ مسلم والنسائي .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه :

﴿ ما رأيت أحسن من النبي صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ﴾ الترمذي .

وحديث أنس رضي الله عنه قال : ﴿ شهدته صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يومٍ دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدته يوم موته فما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يومٍ مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ .

رواه أحمد والدارمي وابن ماجه وعبد بن حُميد والترمذي في السنن والشمائل وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : ﴿ لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا الأيدي من دفنه وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا ﴾

{الترمذي برقم:**3551**} .

أقول : فإذا كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الشمس والقمر ، وأضاء منه كل شيء ، ألا تضيء من نوره حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها حتى ترى الإبرة ؟ بلى فليس ذلك بمستحيل شرعاً ولا عقلاً ، بل في الأحاديث الحسنة والصحيحة السابقة ما يؤكده ويثبته والله تعالى أعلم .

2- ثم قال المعترض : فلماذا يصر الجفري على التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى السيدة عائشة رضي الله عنها ؟

أقول : 1- هل أطلع الله تعالى المعترض على الغيب فعلم أن الحبيب الجفري أصرَّ على ذلك .

أليس الإصرار يتعلق بنية الشخص وعزمه القلبي ؟ فمن أين علم المعترض أن الحبيب يصر ؟ هل أطلعه الله على الغيب ؟ أم يفتري على الله ؟

ثم أين التقول على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى السيدة عائشة وقد بينت أن للحديث أصلاً كما في كتر العمال عند الديلمي وابن عساكر وله ما يؤيده من الشواهد الحسنة والصحيحة ؟

3- ثم قال المعترض : ولماذا يعزو الأكاذيب إلى كتب أئمة السنة وهم بريئون من روايتها ؟

أقول : الرواية ليست كذباً كما تبين ، والخطأ في العزو مرفوع عن الأمة إثمه كما في الحديث

﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ﴾ {أخرجه ابن ماجه برقم: 2033}

وانعقد الإجماع على ذلك وحمله على الخطأ بحسن الظن مقدم على حمله على التعمد بسوء الظن ،

ولا تنس أيها المعترض أنك ذكرت في المقدمة قول سيدنا عمر رضي الله عنه الذي يعين علينا أن نوجد لكل قول يقوله مسلم محملاً من الخير .

اللهم اجعل علمنا حجة لنا ولا تجعله حجة علينا آمين .



(حديث: يا أهل المحشر..)

قال : يروي الجفري حديثاً باطلاً دون أن يبين ذلك للناس وهو ﴿ يا أهل المحشر غضوا أبصاركم ﴾ ثم قال : قال الإمام الذهبي ﴿ رحمه الله تعالى ﴾هذا الحديث موضوع .

(وزيادة رحمه الله تعالى من عندي لأن المعترض ذكره ولم يترحّم عليه .)

أقول : الحديث حسن لغيره كما قال العزيزي في حاشيته على الجامع الصغير نقلاً عن الإمام السيوطي ، وذلك لكثرة طرقه وشواهده فقد رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه برقم 4740-4711 من طريقين ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم 178-18432

وفي الأوسط برقم 2497 عن علي رضي الله عنه قال في مجمع الزوائد : وفيه عبد الحميد بن بحر وهو ضعيف وعن أبي هريرة وأبي سعيد وعائشة رضي الله عنهم نحو حديث علي رضي الله عنه ، قاله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة برقم 6705 ج 22



الدفاع عن الحبيب الجفري 10 (حديث: أنفق أبو بكر ما معه..)

قال المعترض : في الصفحة 218 يروي الجفري حديثاً منكراً ضمن سياق قصة سقيمة ... الخ .

أقول : اختلف علماء الحديث في القصة والحديث الوارد فيها على قولين :

آ – قول بوضع القصة والحديث مسنداً وثبوتهما معنى .

ب – قول بضعفهما .

وسبب الاختلاف هو ما قاله علماء الجرح والتعديل في العلاء بن عمرو الحنفي الكوفي على أقوال كما جاء في لسان الميزان للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى :

وفي ج 2 ص 183 قال : وذكره ابن حبان في الثقات ج 8/ 504 .

وقال النسائي ضعيف ونقل الحاكم عن صالح جزرة أنه سئل عنه فقال لا بأس به .

وقال أبو حاتم : كتبت عنه وما رأيت إلا خيراً .

وفي ج 3/ 105 في ترجمة من اسمه يحيى : قال : والعلاء واه .

فيتبين من هذا أن العلاء بن عمرو لم يجمعوا على تركه ولم يضعوه بأنه وضاع أو كذّابٍ وغاية الأمر أنه مختلف فيه ما بين التضعيف والتوثيق .

فيكون حديثه ضعيفاً لا موضوعاً ، والذين قالوا من علماء الحديث بوضعه صرحوا بأن معناه ثابت صحيح ، وإليك ما قاله المحدث العجلوني في كشف الخفاء :

قال القاري في الموضوعات : وأما قولهم : أنفق أبو بكر ما معه حتى تخلل بالعباءة فليس في المرفوع لكن معناه صحيح 1.هـ

وقال النجم : أنفق أبو بكرٍ ما معه حتى تخلل بالعباءة ليس وارداً هكذا ومعناه ثابت لقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَاسَانِي بنفْسهِ وَمَالِه ﴾{أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 11299}

ولقوله : ﴿ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ {أخرجه أبي داود برقم 1429}

وأسلم وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله ، وقالت عائشة رضي الله عنها : ما ترك ديناراً ولا درهماً .

أقول : الحديث الذي أشار إليه النجم وأيد به صحة معنى القصة هو ما رواه أبو داود 1429 والترمذي 3608 والبيهقي في السنن والحاكم في المستدرك والدارمي : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

﴿ أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله وسلم ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، قال : وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شيء أبداً ﴾

وانظر إلى قول سيدنا أبي بكر رضي الله عنه : ﴿ أبقيت لهم الله ورسوله ﴾ لو قالها أمام وهّابي لقال له : أنت مشرك لأنك ذكرت الرسول مع الله وكأن الوهابية عند أنفسهم أعلم بالتوحيد وأحرص عليه من سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم ينكر على أبي بكر رضي الله عنه قوله هذا . وأما حديث ﴿ واساني بنفسه وماله ﴾ فهو عند الطبراني وله شواهد في الصحيح والسنن

وقصة العباءة وردت من طريقين ضعيفين ذكرهما المتقي الهندي رحمه الله في كنز العمال :

1* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ﴿ كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت وأبو بكر الصديق عن يمينه وقال : هنيئاً لك يا أبا بكر تحية من عند الله إياك ! هبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم من هذا المتخلل بالعباءة عن يمينك ؟ فقلت : هذا أبو بكر، أنفق ماله علي قبل الفتح وصدقني وزوجني ابنته فقال : يا محمد أقرئه السلام من الله وقل له : أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ فبكى أبو بكر طويلاً ثم قال : رضيت وسلمت لقضاء الله وقدره يا رسول الله ﴾ {رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة } .

2* عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : ﴿ بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر الصديق عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل فأقرأه من الله السلام وقال له : يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال فأقرئه من الله السلام وقل له : يقول لك ربك : أراضٍ أنت عني في فقرك أم ساخط ؟ فبكى أبو بكر وقال : أعلى ربي أغضب ؟ أنا عن ربي راض ﴾{أبو نعيم في فضائل الصحابة} .

أقول : ورواية ابن عمر رضي الله عنهما هذه ذكرها الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء وقال العراقي : أخرجه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء ، ونقل قول الإمام الذهبي فيه .

وتبين بهذا العرض أن الحديث مختلف فيه بين الوضع والضعف ، والذي أرجحه هو الضعيف لأن راويه العلاء بن عمرو لم يجمعوا على تركه ولم يصفه أحد بأنه كذاب أو وضاع بل قال فيه ابن حجر رحمه الله : واهٍ وهي كلمة تقال للضعيف .

ومن حكم عليه بالكذب كالذهبي غفر الله له فقد تشدد .

والحبيب الجفري روى الحديث بالمعنى ، ورواية الحديث بالمعنى في غير الأذكار وجوامع الكلم قال الجمهور بجوازها خلافاً للبعض ، وكثيراً ما يقع من كبار العلماء والخطباء رواية الكثير من الأحاديث بالمعنى وربما يصورونه للعامة بما يرسخه في أذهانهم ، ولا نجد أحداً من الموافقين أو المخالفين يتهمهم بالكذب والافتراء ،

ولقد قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾{المائدة:8}

تنبيه : أقول : في رواية حديث تخلل أبي بكر رضي الله عنه بالعباءة وهو ضعيف كما علمت ، ليس في طريق من طرقه أن أبا بكر رضي الله عنه قام فحجل أو رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فرحاً بذلك ، مما يذكره بعض أهل الطرق الصوفية استدلالاً على الحركة في الذكر ، فهو غير ثابت ولا يصح جعله دليلاً ،

فليحذروا من الكذب في الرواية حتى لا يدخلوا تحت الوعيد الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ﴾ .



الدفا ع عن الحبيب الجفري 11(حديث: في السماء ملائكة سجود..)

قال المعترض : وفي الصفحة 159-160 روى حديثاً / في السماء ملائكة سجود حتى قيام الساعة .

والحديث من أوله لآخره غير موجود في مسند الإمام أحمد ولا عند غيره باللفظ أو المعنى السابق .

أقول :

1- أما عزوه إلى الإمام أحمد رحمه الله فغير صحيح ، وكثيرا ما يخطئ علماء الحديث قديماً وحديثاً في العزو إلى المصادر الحديثية والذي عند الترمذي برقم 2234 وابن ماجه برقم 4180 وأحمد في المسند برقم 20539 عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحُق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، لوددت أني كنت شجرة تُعضد ﴾ {قال أبو عيسى حديث حسن غريب} .

2- قول المعترض بأن الحديث غير موجود عند غير أحمد رحمه الله باللفظ أو المعنى السابق فغير صحيح وذلك من وجوه :

آ : في كنز العمال برقم 29836 حديث : ﴿ إن لله عز وجل ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت ملكاً قائماً يسبح ، وملائكةً سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا إليه وقالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك ﴾

{ونسبه إلى البيهقي والخطيب وابن عساكر وأبي السيخ عن رجلٍ من الصحابة} .

أقول : والإبهام في الصحابي لا يضر لأن الصحابة كلهم عدول ثقات رضي الله عنهم أجمعين .

ب : رواه الإمام البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان برقم /160/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ﴿ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء والصلاة قائمة ، فذكر قصة امتناع أبي جحش الليثي عن الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هلم يا عمر « اجلس حتى أحدثك بغنى الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش إن لله في سمائه ملائكة خشوعا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم قالوا : ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجودا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم ، ثم قالوا : ربنا ما عبدناك حق عبادتك »﴾{قال البيهقي رحمه الله تعالى : « قد أخرجته بطوله في مناقب عمر رضي الله عنه} .



ج : ورواه الحاكم في المستدرك برقم 4477 .

د : وذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم 2482 عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال : ﴿ خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً ، فإن منهم الملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ، ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ﴾

أقول : ومثله لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد فله حكم المرفوع .

وتبين من مجموع هذه الطرق والروايات أن للحديث أصلاً مروياً في الجملة وأنه لتعدد طرقه ضعيف منجبر إن لم يرتق إلى درجة الحسن لغيره لشواهده .

3- ثم أورد المعترض حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال في آخره قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عروة بن مروان قال الدار قطني ليس بقويٍ في الحديث .

أقول :

1- حذف المعترض من قول الهيثمي في مجمع الزوائد : وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر ج 5 / ص 32 . وهذا الحذف يتنافى مع الأمانة العلمية في النقل .

2- قول الدار قطني : ليس بقويٍ في الحديث ، أعلى عند علماء مصطلح الحديث من قولهم : ضعيف الحديث ، فإذا كان عروة بن مروان ليس بقوي لا يعني أن حديثه مردود وموضوع ،

بل هو ضعيف ولما كان بقية رجاله رجال الصحيح انجبر ضعفه وارتقى إلى درجة الحسن ، وتتقوى به الأحاديث الضعيفة السابقة .

3- سقط من اللفظ الذي أورده المعترض { الهمزة } من قوله { وملك راكع }

والصواب : أو ملك راكع ، فليصحح .



الدفاع عن الحبيب الجفري 12 (حديث: إذا التقى المسلمان فتصافحا..)

قال في الصفحة 201 ذكر حديثاً ﴿ إذا التقى المؤمنان فتصافحا ﴾ ... الخ .

1* قال المعترض : ولقد عزا الإمام العراقي نحوه إلى الطبراني وذكر أن فيه الحسن بن كثير وهو مجهول :

أقول : هما حديثان : أما الأول :

آ : فقد رواه الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان برقم 8679 وبإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ إذا التقى المسلمان فتصافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادئ منهما تسعون وللمصافح عشر ﴾

ب : وذكره الإمام المنذري رحمه الله تعالى في الترغيب والترهيب بلفظ " روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ﴿ إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه ، فإن أحبهما إلى الله أحسنُهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة ، وللبادي منهما تسعون وللمصافَح عشرة ﴾{رواه البزار} .

ج : وذكره الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الجامع الصغير قريباً من رواية البزار ولفظه :

﴿ إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بِشراً بصاحبه فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافَح عشرة ﴾

ثم قال : رواه الحكيم الترمذي وأبو الشيخ ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ثم قال العزيزي : قال الشيخ – يعني الإمام السيوطي – حديث حسن لغيره .

فالمعترض نقل كلام السيوطي في نسبته الحديث للحكيم الترمذي وأبي الشيخ ، ولم ينقل تحسينه الحديث لغيره فهل هذه أمانة علمية في النقل ، قال المناوي : وظاهر حال المصنف أنه لم يره مخرجاً لأشهر من هذين وهو عجيب فقد رواه البزار عن عمر رضي الله عنه بهذا اللفظ ، ثم قال : فرمز المصنف لحسنه غير حسن إلا أن يريد لاعتضاده فقد رواه الطبراني بسند أحسن من هذا وذكر لفظ الرواية الثانية .

أقول : تحسين السيوطي له لاعتضاده برواية البزار والبيهقي السابقتين أرجح .

تنبيه : ليس في هذا الحديث الأول الحسن بن كثير المجهول بل هو في الحديث الثاني كما سيأتي والمعترض جعل الحديثين حديثاً واحداً خلط بينهما وحكم عليهما بحكمٍ واحد فهل يقبل مثل هذا عند علماء الحديث وأصوله ؟

2- وأما الحديث الثاني فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ﴿ إن المسلّمين إذا التقيا فتصافحا وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة ، تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وأبرّهما وأحسنهما مساءلةً بأخيه ﴾

{رواه الطبراني في معجميه الكبير برقم 671 والأوسط برقم 7887 وقال : تفرد به الحسن بن كثير ولم أعرفه ، قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد : وبقية رجاله رجال الصحيح} .

أقول : باعتبار وجود مجهول بين الرواية وبقية رجاله رجال الصحيح يقول العلماء في مثله : ضعيف وليس بموضوع أو مكذوب فأغفل المعترض قول الهيثمي : وبقية رجاله رجال الصحيح ، وهذا ليس من الإنصاف أو التحقيق العلمي المعتبر ، وقال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني بإسناد فيه نظر .

ثم قال المعترض : وقد جاء عند أبي داود مرفوعاً ﴿ إذا التقى المؤمنان المسلمان ﴾ إلى قوله وهو ضعيف:

أقول : الحديث رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعاً :

1* ﴿ إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله عز وجل واستغفراه غُفر لهما ﴾{برقم:4535} .

2* ﴿ ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا ﴾{برقم:4536} .

فليس في رواية منهما ﴿ إذا التقى المؤمنان ﴾ كما ذكره المعترض بل هي زيادة في الحديث من قبله ولا أدري كيف سوغ لنفسه أن يزيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه وأن يعزو ذلك إلى سنن أبي داود ؟

والرواية الثانية : رواها الترمذي أيضاً وقال : حديث حسن غريب برقم 2651 .

أما الرواية الأولى فقد قال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى : وإسناد هذا الحديث فيه اضطراب .

أقول : من المعلوم لدى طلاب العلم أن سكوت أبي داود عن الحديث يعني أنه صالح للاحتجاج به عنده

3- ثم قال المعترض : إن الأمر الخطير – إلى قوله – أو المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الخ

أقول : تبين في ردود الاعتراضات السابقة عدم رواية الحبيب الجفري لأي حديث موضوع أو مكذوب بل بعض الأحاديث حسنة وبعضها ضعيف منجبر يذكر في الفضائل .

وقد جمع المعترض بين قوله – الضعيفة أو المكذوبة – وسوى بينهما في الحكم بمنع الرواية لهما ، وهذه التسوية مردودة لأن علماء الحديث مجمعون على جواز رواية الحديث الضعيف في الفضائل بشرط ألا ينفرد بروايته كذاب أو متهم ، فعلى أي مذهب يقول المعترض بمنع روايتها ووجوب ردها وتسويتها بالموضوع ؟

4- ثم قال المعترض : بل وفي غزوها إلى المراجع الإسلامية الخ .

أقول : هذا داخل في الخطأ ولا أظن مسلماً يتعمد مثله .



5- ثم قال المعترض : ويحدث شيخاً كبيراً في الشريعة الإسلامية .

أقول : عجباً لهذا المعترض يبصر القذاة في عين غيره وينسى الجذع في عينه ، ألا يعلم أن الوهابية التي ينتمي إليها هي التي أحدثت شرخاً في الشريعة من خلال تكفير الأشعرية والماتريدية والصوفية – أهل السنة والجماعة – ومن خلال إدخال عقائد الحشوية والمشتبهة والقائلين بالجهة على العامة ، ومن خلال نشأتها المشبوهة بتآمرها على الخلافة العثمانية الإسلامية والقضاء عليها وتفريق كلمة العرب والمسلمين إلى دويلات وطوائف يتحكم فيها أعداء هذه الأمة ويصيطرون عليها .

اقرأوا أيها الناس كتاب – كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب للشيخ محسن الأمين العاملي – لتعرفوا ما فعله هؤلاء في المسلمين وبلادهم .



الدفاع عن الحبيب الجفري 13 (حديث: من صلى علي مرة..)

قال في الصفحة 63 روى حديثاً فقال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً ﴾ ... الخ

1- قال المعترض : الذي رواه هؤلاء الأئمة إنما هو قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ﴾ فقط بدون تلك الزيادات التي أوردها الجفري ، ... الخ

أقول : هذا صحيح ، ولكن ذكر الإمام المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ﴿ من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة ﴾ ثم قال : رواه أحمد بإسناد حسن .

وهو موقوف ومثله لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد فله حكم المرفوع . وهذه الرواية التي ذكرها المنذري هي في مسند أحمد رحمه الله برقم /6465/ وفي رواية أخرى عند أحمد رحمه الله برقم /6317/ عنه بزيادة في آخره :

﴿ فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ﴾ .

وذكر المنذري في الترغيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ من ذكرت عنده فليصل علي ، ومن صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً ﴾ وفي رواية :

﴿ من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه وسلم عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات ﴾ {رواه أحمد والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم ولفظه}

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ﴾

2- ثم قال المعترض : ولا يوجد لتلك الزيادات سند يصح !

أقول : أما قوله : ﴿ ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة ﴾ فهي عند الطبراني في معجميه الأوسط

برقم /7442/ والصغير برقم /900/ وفي آخره :

﴿ ومن صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء ﴾

قال المنذري : وفي إسناده إبراهيم بن سالم لا أعرفه بجرح ولا عدالة .

قال في مجمع الزوائد : وبقية رجاله ثقات .

أما قوله : ﴿ ومن صلى علي مائة صلى الله عليه بها ألفاً ﴾ فلم يثبت هذا اللفظ في طريق من طرق الأحاديث في المصادر التي بين أيدينا ، ومعناه صحيح لأنه نتيجة عددية صحيحة لما مر من الرواية الأولى الصحيحة فالواحدة بعشر والعشر بمائة والمائة بألف والألف بعشرة آلاف وهكذا ولعل من يذكره من الوعاظ أراد هذا المعنى العددي ولم يرد الزيادة على الرواية والبيان واجب دفعاً للإيهام .

وقد ذكر المنذري رحمه الله تعالى في الترغيب بصيغة التمريض ﴿ روي ﴾ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ﴾

ثم قال : رواه أبو حفص بن شاهين .

أقول : وهو ضعيف يعمل به في الفضائل .

ثم قال المعترض : وهناك الكثير من الأحاديث الضعيفة التي أوردها الجفري ... الخ .

أقول : من تتبع تلك الأحاديث الضعيفة التي ساقها الحبيب الجفري بلفظها وعزاها عزواً صحيحاً إلى مصادرها سيجدها من الضعيف المنجبر الذي يعمل به في الفضائل ، وسيجد بعضها مترقياً بكثرة شواهده إلى مرتبة الحسن ، ونقبل القول بالتضعيف إذا صدر من إمام مجمع عليه من أئمة السلف والخلف أهل الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف ، ولا نقبل مثل ذلك من الألباني وأمثاله ممن يعتمد عليهم المؤلف وأمثاله في الحكم على الحديث والذين ينقضون به في كثير من الأحيان حكم السابقين من الأئمة أهل العلم والورع فلينتبه لذلك .

ثم نسبة الأحاديث التي استدركها المعترض على الحبيب الجفري ولم يسلم له استدراكه في كثير منها كما رأيت في أجوبة الاعتراضات السابقة ، أقول نسبتها بالنسبة إلى أحاديث الكتاب التي يقول المعترض إن الحبيب الجفري ساقها بلفظها وعزاها عزواً صحيحاً لا تتجاوز نسبة خمسة بالمائة فهل يصح شرعاً وعرفاً وأدباً أن يرد الحق الذي في الكتاب أو يرد الكتاب كله ويطعن فيه وفي مؤلفه ويشهّر به من أجل نسبة قليلة من الخطأ تحتمل التأويل ولها شواهد ولا يسلّم الطعن في جميعها ؟ ورحم الله من قال : من كثر علمه قل اعتراضه ، ونحن قوم لا نترك حقاً لوجود باطل ، وقيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي أول الدر المختار للإمام الحصكفي رحمه الله : وأستغفر الله مستعيذاً به من حسد يسد باب الإنصاف ، ويردُّ عن جميل الأوصاف ، ألا وإن الحسد حسدك ، من تعلق به هلك ، وكفى للحاسد ذماً آخر سورة الفلق ، في اضطرامه بالقلق ، لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله :

وما أنا من كيد الحسود بآمن ولا جاهل يزري ولا يتدبر

ولله در القائل : هم يحســـدوني وشر الناس كلهم من عاش في الناس يوماً غير محسود

إذ لا يسود سيد بدون ودود يمدح وحسود يقدح ، لأن من زرع الإحن حصد المحن فاللئيم يفضح والكريم يُصلح {ويصفح }

ثم قال : ويأبى الله العصمة لكتابٍ غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه . انتهى

وقال الإمام سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى ــ إنه ما من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب لكنّ من الناس من لا تذكر عيوبهم : من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله ــ وقال الأولون : كفى المرء نبلاً أن تعد معايبُه .



الدفاع عن الحبيب الجفري 14 (حول تفسير معنى الاتّباع)

• قال المعترض : وفي الصفحة /51/ يشرح الجفري معنى الاتّباع فيقول : ترك ما نريد لما يريده الله تعالى على وفق ما جاء عن حبيبه صلى الله عليه وسلم ... الخ

ثم قال : وعزا الجفري الحديث لمسلم والنسائي وأحمد .

أقول : عزو الحبيب الجفري للمصادر التي ذكرها صحيح ، والحديث عند البخاري رحمه الله برقم /5063/ في باب الترغيب في النكاح ، وعند مسلم رحمه الله برقم /2487/ وعند النسائي رحمه الله برقم /3165/ وعند أحمد رحمه الله برقم /13045/ ، /13230/ ، /13534/ ، والحبيب الجفري رواها بالمعنى ، ورواية الحديث بالمعنى أجازها جمهور علماء الحديث في غير صيغ الأذكار النبوية وجوامع الكَلِم .

وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله في كتابه ﴿ التقريب ﴾ ما نصه

: وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف : يجوز بالمعنى في جميعه إذا قطع بأداء المعنى .

قال الإمام السيوطي في شرحه ﴿ تدريب الراوي ﴾ : لأنّ ذلك هو الذي تشهد به أحوال الصحابة والسلف ، ويدل عليه روايتهم القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، ثم ذكر الأدلة على ذلك

فلتراجع في ج 2 ص 98–99 وما بعدها ا.هـ

أما الرواية التي ذكرها المعترض أسفل ص 37 وعزاها إلى مسلم والنسائي وأحمد فهي عند مسلم باللفظ المذكور وعند النسائي وأحمد بألفاظ متقاربة .

2– ثم قال المعترض : ثم علّق على الحديث مفسِّراً له تفسيراً عجيباً حيث زعم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليهم ... الخ .

أقول : لم تسعفِ اللغة والبيان الحبيب علي الجفري في تفسير العبارات التي ذكرها وفي توضيح المراد منها وسأبين ذلك :

آ – قوله : لأنّ إرادة التعبد هذه ليست مقصودها الطاعة حقيقة :

وذلك لأنّ الطاعة الحقيقية ما كانت على السُّنة المحمدية اتباعاً واقتداءً أو بإذنٍ صريح منه صلى الله عليه وسلم في حياته ، أمّا أن يفعل صحابي أو غيره فعلاً على أنه طاعة وقربة من غير اتباع ولا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بإذنٍ صريح منه وينطوي فعل ذلك الصحابي أو غيره على تشبه بالرهبان فيما ابتدعوه من الرّهبانية فيكون الصحابي حينئذ مخطئاً في ذلك الفعل وإن لم يخطئ في القصد ،



وهنا مسألتان :

1* الصحابة رضي الله عنهم هل يجوز لهم الاجتهاد في حكم أو فعل يأتون به من قبل أنفسهم بحضور النبي صلى الله عليه وسلم وفي حياته ؟

الجواب : لا لأنه لا اجتهاد في مورد النَّص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو مورد النَّص فلا اجتهاد لأحدٍ في حياته وبحضوره ، والله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾{الحجرات:1}

ويقول سبحانه:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾{الأحزاب:36}

2* هل يصح الخطأ على الصحابة رضي الله عنهم أم لا ؟ الجواب : يصح الخطأ لأننا لا نثبت العصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإذا اجتهد الصحابة في حكم أو فعل استقلالاً دون اتّباع وكان قصدهم التقرب إلى الله تعالى وشابهوا فيه الرَّهبانية التي جاء الشرع الإلهي بإنكارها والنهي عنها نقول حينئذٍ : أخطأوا في الفعل ولم يخطئوا في القصد .

وخطأ الصحابي في مثل هذا معفو عنه ومغفور له قال الله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾{الفتح:29}

والخطأ لا نآخذ به قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾{البقرة:225}

وقال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾{الأحزاب:5}

وفي الحديث : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ ﴾{أخرجه ابن ماجه برقم 2033} .

وإذا أتى الصحابي بقولٍ أو فعل مصحوب باعتقاد التقرب وانطوى في ذلك تحريمٌ لحلالٍ أو تحليلٌ لحرمٍ فإنه ينازع الشرع الشريف لأنه جعل من نفسه مصدراً للتشريع ، ويكون مضاهئاً للذين ابتدعوا في شرائع أنبياءهم ورسلهم عليهم الصلاة والسلام من قِبل وحينئذٍ يبين النبي صلى الله عليه وسلم خطأهم في ذلك ويرده عليهم لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع شرعاً ، إذ لو سكت الشارع عن ذلك لكان مقراً له وبإقرار الشارع يجعل ذلك الشيء سنة مقررة لهم ولمن بعدهم ، ولكان سكوت الشارع إذناً لهم ولغيرهم أن يُحدثوا من قِبل أنفسهم ما أرادوا من العبادات والهيئات فصاروا بذلك مشرعين بحضور الرسول المشرع وهذا منازعة للشرع وتعطيل له وإحداث فيه ما ليس منه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

﴿ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ ﴾{أخرجه البخاري برقم 2499}

وفي رواية ﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ﴾{أخرجه مسلم برقم 3243} .

ب- في الحديث : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ﴾

{الإبانة الكبرى برقم 291 ، قال الحافظ في " الفتح " 13 / 289 : صححه النووي في آخر الأربعين}

والهوى ما تهواه النفس وتحبه من محمود كالعبادة أو مذموم كالمعاصي قال في القاموس المحيط : الهوى بالقصر العشق يكون في الخير والشر وإرادة النفس ، فلو هوي صحابي ما عبادة من العبادات أو هيئة من الهيئات التي لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستأذنه الصحابي بها فهواه محمود ولكن عندما يترتب على تلك العبادة تنطع وتشدد ورهبانية يحرم فيها حلالاً ويعطل فيها المصالح الشرعية واستمرارية الحياة التي جاءت الشرائع لاستمرارها وضبطها فإنه ينهى عن ذلك الهوى المحمود ويمنع منه ويؤمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى في كتابه / سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم / تحت عنوان : المنهاج الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم للعابدين ما نصه :

إن منهاجه صلى الله عليه وسلم الذي انتهجه في العبادة ، والذي رسمه للعباد هو أقوم المناهج وأقواها ، وأفضلها عند الله تعالى وأهداها ، وأعدلها في أداء الحقوق وأكملها ، وهو أبين طرق التقرب إلى الله تعالى وأقربها ، ومهما جاء العابد بمشاق التعبدات ، وأتى بعظائم من الطاعات ، لا يقربه ذلك إلى الله تعالى زلفى ، كما تقربه السنة المحمدية التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعات والعبادات .

ثم قال : ومن إرشاداته صلى الله عليه وسلم للعِباد والعُباد : أن يقوموا بأداء جميع الحقوق التي عليهم دون أن يشغلهم حق عن أداء حق ، ولا يحملهم أداء واجب على إهمال واجب آخر :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ﴿ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُون فَجَاءَهُ فَقَالَ يَا عُثْمَانُ أَرَغِبْتَ عَنْ سُنَّتِي قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ قَالَ فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنْكِح النِّسَاءَ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَل وَنَم ﴾ {سنن أبي داود برقم 1162} .

وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ﴿ أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ فَقُلْتُ لَهُ قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَقُم وَنَمْ وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَال فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُو أَفْضَلُ الصِّيَامِ فَقُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ﴾{صحيح البخاري برقم:1840} قال ابن عمرو : ﴿ لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَي مِنْ أَهْلِي وَمَالِي ﴾{مسلم برقم:1962} .

أقول : دله النبي صلى الله عليه وسلم على الأفضل وأخبره أن عمله هذا مفضول وأن الأفضل الاقتداء والاتّباع للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخصص له هنا في الرواية سيدنا داود عليه الصلاة والسلام ليقتدي به في صيامه وقيامه .

والذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم هو سنته وسنة الأنبياء قبله ، والذي زاده ابن عمرو رضي الله عنهما من قبل نفسه في ذلك ترك للأفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقره على ذلك .

ورُبّ إنسان يقول : لَمَ لم يشدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير ومنعه من ذلك ؟

فالجواب : علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حاله وقوته وأخذه بالعزيمة وتركه للرخصة أنه لا يترتب على ذلك كله مفسدة بأن يشغله هذا التطوع عن أداء حق واجب عليه ، أو يؤدي به إلى تحريم الحلال .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لأمته سنته وهديه في ذلك من خلال دلالة ابن عمرو رضي الله عنهما على الأفضل والأكمل ، وعندما يبلغ أمته من بعده بيانه هذا سيقتدون به في ذلك قطعاً لا بابن عمروٍ رضي الله عنهما إلا من كان حاله كحاله من التابعين وغيرهم بالشرط المذكور السابق ، وهم في ذلك تاركون للأفضل وهو الفعل بالاقتداء والاتباع ، ولا أظن أنهم يدركون بتلك الأفعال المفضولة ما فاتهم من أجرِ الاقتداء والاتباع في الأفضل من الأعمال .

ويكونون في ذلك أصحاب أحوال تسلم لهم أحوالهم كصحابةٍ وتابعين ولا يقتدى بهم في ذلك لأن الله تعالى جعل للأمة الإسلامية كلها بما فيها من صحابة وتابعين ومجتهدين وعلماء وعوام قدوة واحدة رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾{الأحزاب:21} .

وفي حديث ابن عمرو رضي الله عنهما عند أحمد رحمه الله في مسنده برقم **6188** زيادة في آخره وهي قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَد اهْتَدَى وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ ﴾

وعند أحمد رحمه الله في مسنده برقم:**22376** عن مجاهد رحمه الله قال : دخلت أنا ويحيى بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاةً لبني عبد المطلب فقال : إنها تقوم الليل وتصوم النهار قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَكِنِّي أَنَا أَنَامُ وَأُصَلِّي وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ فَمَنْ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّي وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ثُمَّ فَتْرَةً فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُه إِلَى بِدْعَةٍ فَقَدْ ضَلَّ وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدْ اهْتَدَى ﴾

والشرة كما في ترغيب الحافظ المنذري رحمه الله : بكسر الشين وتشديد الراء : النشاط والهمة .

ثم قال الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى : كما وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحرص على تأدية جميع الحقوق المترتبة على المكلف والقيام بها كاملة دون أن يشتغل ببعض الحقوق فإن ذلك يكون إفراطاً فيما اشتغل به وتفريطاً فيما أهمله وشُغل عنه .

ثم نقل كلاماً عن العلامة ابن المنير ومنه قوله : وليس المراد منع طلب الكمال في العبادة فإنه من الأمور المحمودة ، بل المراد منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل

فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج وقت الصلاة المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة .

أقول : قال علماء التصوف : من علامات الحرمان والرد المبادرة إلى فضيلة يترتب عليها تضييع فريضة

ثم قال الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى : ومن إرشاداته صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر من الدخول في العبادات على كراهية أو كسل ، بل يدخلها على جد ونشاط في العمل : جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : ﴿ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ مَا هَذَا الْحَبْلُ قَالُوا هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ ﴾

{صحيح البخاري برقم:1082}

– وفي رواية مسلم برقم:1306 : ﴿ فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ ﴾ .

أقول : هذا هوىً في عبادة وهو محمود قصداً لكن لما لم يكن على الاتباع والاقتداء ولم يُستأذن به النبي صلى الله عليه وسلم لم يقره النبي صلى الله عليه وسلم بل غيره ودل أمته على الأكمل والأفضل حتى لا يجعل فعل زينب رضي الله عنها قدوةً لغيرها في زمنه أو بعده .

وقد ذكر العلامة المحقق الشيخ أحمد زرُّوق رحمه الله تعالى في كتابه – عُدّة المريد الصادق – وهو كتاب يرد فيه الشيخ على الدخلاء على الصوفية والأدعياء لطريقتهم كثيراً من البِدع الضلالات وجعل لذلك أصولاً وفصولاً ، قال : ص 42 ولم يُدخلوا – أي مشايخ الصوفية – عليه – أي على المريد – في مقام الاستقامة وهو حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة غير تعريفه بالأصلح له من غير زيادة ولا نقص لاتّساع هذا الباب وجهل الإنسان باللائق به ، وقيامه مع شهوته تفريطاً أو إفراطاً ، مع ما يساعد ذلك من توسع الرخص أو تضييق الورع الذي قد يليق به وقد لا ، ويحمله عليه عدم علمه بحاله لاسترساله مع حاله كقوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر رضي الله عنه لما ذكر إسراره بصلاة الليل { ارفع قليلاً } ولعمر رضي الله عنه لما ذكر إعلانه { اخفض قليلاً } فأخرجهما عن مرادهما ، وما تقتضيه طباعهما إلى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تبرئة من الهوى وإن كانا برءاء منه فافهم .

أقول : والحديث في المستدرك برقم:1116 ولفظه عن أبي قتادة ﴿ أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي بكر ، وهو يصلي يخفض من صوته ، ومر بعمر وهو يصلي رافعا صوته . قال : فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي بكر : يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك ؟ فقال : قد أسمعت من ناجيت فقال : مررت بك يا عمر وأنت ترفع صوتك ؟ فقال : يا رسول الله ، أحتسب به أوقظ الوسنان ، قال : فقال لأبي بكر : ارفع من صوتك شيئا . وقال لعمر : اخفض من صوتك ﴾{قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي} .

وقوله : تبرئة من الهوى ـــ أي في العبادة بأن يطرأ عليهما وإن كان محموداً اجتهادهما ـــ وقوله : وإن كانا برءاء منه ـــ ابتداء وهكذا أراد الشارع من جميع إرشاداته للصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أن يتبرؤا من الهوى في العبادة وإن كان محموداً ابتداءً وانتهاءً وأن يكونوا في مأمن من طروئه عليهم وذلك باتباع الشارع والاقتداء به .

أقول : هذا الذي أشرت إليه فيما تقدم هو محمل قول الحبيب الجفري : لكن إرادة التعبد هذه ليست مقصودها الطاعة حقيقية وإنما هي اختلطت بمرادات النفس .

والذي يعين علينا أن نفهم قوله على هذا المحمل هو قوله في أول البحث في معنى الاتباع : ترك ما نريد لما يريده الله تعالى على وفق ما جاء عن حبيبه صلى الله عليه وسلم .

ومعنى ذلك : أننا نترك الهوى المحمود في العبادة لما طُلب منا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لنكون موافقين لشرعه متبعين لهديه ، لا مبتدعين أو محدثين طريقة في العبادة وإن كانت محمودة لم يشهد لها الشرع الشريف ولم توقفنا على أبواب الاقتداء والاتباع الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته .

فهي دعوة من الحبيب الجفري للاتباع وترك الابتداع ، وهذا هو الحق المتعين على الأمة كلها العمل به ودعوة بعضهم بعضاً إليه .

ثم قال الحبيب الجفري : هم انتقصوا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق :

أقول : يُحمل هذا القول من الحبيب الجفري على معنى : أن أولئك الصحابة رضي الله عنهم ظنوا أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناسب وحاله باعتبار أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يحتاج إلى زيادة عمل ، وهم عند أنفسهم ليسوا ملزمين بالتوقف عند هذا الحد من العمل لأنه لا يتناسب وحالهم من الوقوع في الذنوب ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال في حقه لأنه مغفور الذنب وليس كمالاً في حقهم لأنهم مذنبون فلا بد من الزيادة عليه ، فلما زادوا على الهدي النبوي ما فيه تنطع وتشدد وتشبه برهبانية المبتدعين في الأمم السابقة بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن فعله هذا ليس باعتبار حاله وليس خاصاً به على هذه الشاكلة بل هو تشريع لأمته وعليهم الاقتداء به في ذلك وترك الزيادة عليه .

وفي رواية الحديث : ﴿ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ {أخرجه البخاري برقم 4675} .

قال الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله في شرحه للحديث : تقالّوها أي رأوها قليلة بالنسبة لما ينبغي لهم ا.هـــ

وأما قولهم : أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الخ أي : بيننا وبينه صلى الله عيه وسلم بون بعيد ومسافة طويلة فإننا معرضون للذنوب وسوء العاقبة ولم تضمن لنا المغفرة ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو المعصوم والمضمون له الغفران ا.هـــ – كما في شرح ابن علّان على رياض الصالحين – وغيره .

أقول : في صحيح مسلم برقم:2488 عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ﴿ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا ﴾

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه : قال العلماء

التبتل هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعاً إلى عبادة الله ثم قال : وأما قوله : لو أذن له لاختصينا فمعناه : لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهنَّ من ملاذِّ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ليمكننا التبتل ، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم ولم يكن ظنهم هذا موافقاً فإنَّ الاختصاء في الآدمي حرام صغيرا كان أو كبيراً ا.هـــ .

أقول : انظر إلى قول الإمام النووي رحمه الله : في حق الصحابة أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم ولم يكن ظنهم هذا موافقاً : يتبين لك ما قلته قبل من ظن الصحابة أنّ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناسب وحاله ثم اجتهدوا بالزيادة على فعله ولم يكن ظنهم هذا موافقاً فأمروا بالاتِّباع والاقتداء بالمشرِّع وترك ما اجتهدوا فيه .

وقال البدر العيني رحمه الله في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ما نصه : قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ﴾ يعني : أكثر خشية وأشد تقوى وفيه ردٌّ لما بنوا عليه أمرهم من أنّ المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره فأعلمهم أنه مع كونه لا يشدد في العبادة غاية الشدة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون .

قوله – لكني أصوم وأفطر – ...الخ : استدراك من شيء محذوف تقديره : أنا وأنتم بالنسبة إلى العبودية سواء لكن أنا أصوم ... الخ.

ثم قال الحبيب الجفري : وجعلوا عبادهم ليس على مراد الاتّباع له لكن على مراد أهوائهم هم :
أقول : تقدم ما يتعلق بهذا الكلام ، وأن أهوائهم وإن كانت محمودة لأنها في عبادة إلا أن الشرع لم يقرها على ذلك فتعين عليهم أن يجعلوا أهواءهم تلك تبعاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولما عمل به ليكمل إيمانهم ، وتقدم الحديث النبوي : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ﴾ أي فعلاً وتركاً وعملاً وحالاً ، وتقدم أن الهوى هو الحب والعشق ويختلف باختلاف حال النفوس فصاحب النفس الأمّارة بالسوء يحب ويعشق الشهوات المحرمة فهواه مذموم ، وصاحب النفس المطمئنة الراضية المرضية يهوى ويحب الطاعات والمجاهدات والمشاق فهواه محمود فإن وجد سُنَّة تشهد له عمل بها اتباعاً وإلا خالف هواه ورجح الاتّباع للمعصوم صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى لم يضمن العصمة إلا لكتابه ولرسله عليهم الصلاة والسلام وللأمة فيما أجمعت عليه .
ثم قال الحبيب الجفري : لّما أرادوها على مراد أهوائهم كان ذلك سبباً في إعراض رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وفي غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوال :
1* إعراض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم يظهر بترك إقرارهم على ما اجتهدوا فيه من الزيادة على سنته وهديه ، فليس الإعراض عن أشخاصهم كما توهم المعترض وإنما الإعراض عن آرائهم واجتهاداهم بترك موافقتهم عليها ، ألا ترى أن كل من ترك اتّباع صاحب رأي أو هوى في رأيه وفكره يسمّى معرضاً عنه وإن لم يعرض عن شخصه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾{الكهف:57}

أي ترك العمل والحكم بها والاحتكام إليها وإن قرأها بلسانه .

2* قوله : وفي غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :
أقول : ذكر الغضب هنا وأراد الإنكار عليهم ، والإنكار متوجه إلى الفعل لا إلى الذات ، فيكون غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أفعالهم لا على ذواهم ، ولا يصح تفسير الغضب هنا بإرادة الانتقام والعقاب كغضب الله تعالى على المغضوب عليهم كما توهم المعترض ، وهنا مسألة لا بدَّ من أن أعرض لها وهي :
هل تصرف بعض الصحابة رضي الله عنهم تصرفاتٍ أوجبت غضب النبي صلى الله عليه وسلم وإنكاره أم لا ؟
الجواب نعم ومن ذلك :
آ – غضبه صلى الله عليه وسلم لّما رأى صحيفة من التوراة في يد عمر رضي الله عنه وإنكاره ذلك

وإليك نص الحديث:فيفي مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر قصة وفيها : ﴿ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذي في يدك يا عمر قال : قلت يا رسول الله كتاب نسخته لتزداد به علماً إلى علمنا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرَّت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح ﴾{قال الهيثمي رواه أبو يعلى وأحمد والطبراني والبزار بألفاظ متقاربة} .

ب – غضبه صلى الله عليه وسلم من حبّه وابن حبّه أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما قتل رجلاً بعدما قال لا إله إلا الله ولما شفع في المرأة المخزومية وإنكاره ذلك وإليك نص الحديثين :

1* أخرج البخاري برقم **3935** عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : ﴿ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِلَى الْحُرَقَةِ ـــ الحديث وفيه ـــ فَقَالَ يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ .

2* حديث عائشة رضي الله عنها : ﴿ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ – الحديث وفيه – فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَه أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴾{الحديث في صحيح مسلم /**3197**/ وهو عند البخاري بلفظ مقارب برقم: **3216**} .

ج – غضبه صلى الله عليه وسلم من كثرة السؤال : أخرج البخاري في باب الغضب في الموعظة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ﴿ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس سلوني عما شئتم ﴾{ الحديث برقم **90** وهو في باب وقت الظهر عند الزوال } بأطول منه برقم **507**} .

د – غضبه صلى الله عليه وسلم من تصرف معاذ بن جبل رضي الله عنه لما أطال صلاة العشاء وإنكاره ذلك وإليك نص الحديث : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ﴿ أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل ـــ الحديث وفيه ـــ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرات ﴾

{ صحيح البخاري برقم **664** ومسلم برقم **709** } .

وأخرج البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: ﴿ قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضباً من يومئذٍ فقال : أيها الناس إنكم منفرون فمن صل بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة ﴾ .

هـــ – غضبه صلى الله عليه وسلم من رجل : عن أبي قتادة رضي الله عنه ﴿ أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تصوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما رأى ذلك عمر قال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله فلم يزل عمر يرددها حتى سكت غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ { سنن أبي داود برقم **207** } .

و – غضبه صلى الله عليه وسلم من تصرف بعض أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لما اجتمعن عليه في الغَيرة حتى اعتزلهن شهراً : والقصة في صحيح البخاري برقم **2288** ـــ **5395** ـــ ومسلم برقم **2704** .

ز – غضبه صلى الله عليه وسلم من الثلاثة الذين خلفوا بعد غزوة تبوك وهجرته لهم وأمره للصحابة بهجرتهم حتى نزلت توبة الله عليهم في سورة براءة : وقصتهم في صحيح البخاري برقم **4066** ومسلم برقم **4973** .

ح – غضبه صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : ﴿ قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءِ عَلَيْهَا وَالاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ، إِلَى أَنْ قُلْتُ: قَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ:كَيْفَ قُلْتِ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا. ﴾{الطبراني في المعجم الكبير :**18555**}

وفي الأحاديث الصحيحة مواضع أخرى من هذا القبيل يعلمها العلماء المتخصصون ، ولا يراد بالغضب هنا إخراج أولئك الصحابة المكرمين رضي الله عنهم من دائرة الإسلام والإيمان إلى دائرة الكفر والنفاق ، والعياذ بالله من هذا الفهم السقيم ، ولا يراد بالغضب كذلك إخراج أولئك الصحابة المكرمين من دائرة المحبين والمحبوبين إلى دائرة المغضوب عليهم أو الضالين .

فالغضب من تصرفٍ خطأً يتم تصحيحه وإصلاحه ولا يُصرُ صاحبه عليه هو غضب محمود لأنه من أجل شرع الله سبحانه وحقوقه وحقوق نبيه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه صلى الله عليه وسلم كلها محمودة حتى الغضب لأنه يغضب لله ولشرعه لا لنفسه ، فالغضب في غيره مذموم وفيه صلى الله عليه وسلم محمود ، وفي حق من اقتدى به فيه بشروطه وفي مواطنه .

فالغضب من تصرفات بعض الصحابة رضي الله عنهم لحق من حقوق الله تعالى وحقوق نبيه صلى الله عليه وسلم ثابت لا ينكر .ومع ذلك فالأولى أن نقول : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أي بسببهم لله تعالى ولشرعه ، وألا نقول : غضب عليهم حتى لا يُوهم ذلك عند من قل علمه وكثر اعتراضه معنىً يستغله في الإساءة والنقد الجاهلي الهدام لا النقد العلمي البناء .

وتعديه بعلى يكون بمعنى وجد عليه وفي القاموس : وَجَد عليه يجِد وجداً وموجِدةً غضب ، وهي ثابتة في الأحاديث ومنها في سنن البيهقي في حديث أبي لبابة رضي الله عنه : وفيما كان سلف قبل ذلك في أمور وجد عليه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال الحبيب الجفري : بينما جاءتنا نماذج من الصحابة قاموا الليل كله ومن التابعين قاموا الليل كله... الخ

أقول : تقدم فيما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على بعض أصحابه رضي الله عنهم ما عزموا عليه من صيام النهار وقيام الليل وترك النكاح خشية أن يؤدي الأمر إلى مفسدةٍ كالرهبانية أو تضييع فريضة أو تحريم مباح وبينت أن تأخر البيان عن وقت الحاجة ممتنع ، وأن السكوت إقرار ويجعل ذلك سنة مشروعة لغيرهم ولمن بعدهم ، ويتعارض الشرع حينئذٍ في قواعده الأصلية لأنه مبني على الحنيفية السمحة كما صح من قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ﴾ علقه البخاري في باب الدين يسر وقد مُنع الصحابة من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزول الوحي خشية أن يحرم عليهم شيء من المباح ففي صحيح البخاري برقم **6745** مرفوعاً ﴿ إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيءٍ لم يحرم فحرِّم من أجله مسألته ﴾ في باب ما يكره من كثرة السؤال .

وامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخروج إلى قيام رمضان بعد ثلاث وقال : ﴿ خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها ﴾ صحيح البخاري برقم **872** فلما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه وزال المانع عاد حكم سؤال العلماء إلى الإباحة أو الوجوب وقيام رمضان إلى الاستحباب المؤكد ومثله صيام النهار وقيام الليل في حق أولئك الصحابة أو التابعين ومن بعدهم لأنه لا يترتب عليه إقرار يجعله سنة نبوية سكوت النبي صلى الله عليه وسلم لانتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ولا يؤدي ذلك إلى مفسدة كالرهبانية لأنه لم يقره النبي صلى الله عليه مسلم في زمنه .

والصحابة الذين فعلوا ذلك في عهده صلى الله عليه ومسلم كابن عمروٍ رضي الله عنهما تقدم بيان نهي النبي صلى الله عليه وسلم لهم عن ذلك فلم يبق فعلهم سنة يقتدي بهم فيها من في زمنهم أو بعدهم .

وتقدم كلام العلماء في جواز النافلة كالصيام أو القيام إذا لم يترتب عليها تضييع فريضة أو حق ، وأن الإفراط والتفريط محظوران ، وعلى ذلك يحمل ما ورد عن بعض الصحابة والتابعين أنهم قاموا الليل كله أو صاموا الدهر كله

ثم قال الحبيب الجفري : كان الإمام زين العابدين يصلي كل ليلة ألف ركعة ... الخ

أقول : روي هذا عن السلف

1* جاء في كتاب ألقاب الصحابة والتابعين في ترجمة مرة بن شراحيل المهراني المعروف بمرة الطيب لحسن عبادته : قال محمود بن غيلان : سمعت وكيعاً يقول : كان مرة يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة فلما كبر ذهب عنه الشطر فكان يصلي خمسمائة ركعة .

2* وجاء في كتاب العبر في خبر من غبر : في ترجمة الإمام علي زين العابدين رحمه الله تعالى : وقال مالك إن علي بن الحسين كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات ، قال : وكان يسمى زين العابدين لعبادته / ونقله في تهذيب التهذيب عن مالك / ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء عنه ونقل مثل ذلك في كتاب سمط النجوم العوالي : قال محمد بن سعد : كان زين العابدين ثقة مأموناً – إلى قوله – وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة .

3* وجاء في الإصابة في معرفة الصحابة : في باب ذكر من ذهب إلى أن الخضر حي : وذكر الزبير بن بكار وبإسناده عن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ومثله في تهذيب التهذيب ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

4* وفي الإصابة أيضاً في ترجمة عامر بن عبد قيس التميمي الغبري : روى ابن أبي الدنيا من طرق أنه كان قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة .

5* وفي كتاب الوافي بالوفيات وتهذيب التهذيب في ترجمة بلال بن سعد بن تميم الدمشقي قال الأوزاعي : وكان له في كل يوم وليلة ألف ركعة . ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

6* وفيه في ترجمة كهمس بن الحسن التيمي : وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة باراً بأمه . ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

7* وفي ثقات ابن حبان : في ترجمة علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم : وكان من العباد يصلي في كل يوم ألف ركعة ، ومثله في تهذيب التهذيب ، ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

8* وفي تهذيب التهذيب في ترجمة الميمون بن مهران أنه صلى في سبعة عشر يوماً سبعة عشر ألف ركعة . ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

فهل يطعن المعترض وأمثاله فيما نقله أولئك الأعلام الثقات في كتبهم المذكورة عن أولئك الصالحين من عباد السلف الصالح ويحسبون ذلك بالدقائق والساعات وأن الزمن لا يتسع لها في وهمهم .

وهؤلاء المعترضون على مذهب المبتدعة الذين ينكرون كرامات الأولياء وخوارق العادات ومنها طي الزمان والمكان والبركة فيهما وقد وقع ذلك لآصف جليس سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام الذي آتاه الله تعالى علماً من الكتاب : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ {النمل:40} يعني عرش بلقيس وهذا طي زمان ومكان ولو حسبناه بعقولنا القاصرة لاستغرق ذلك الذي وقع في لحظة شهوراً .

وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه الأذكار من هذا القبيل في البركة الزمانية في كتاب تلاوة القرآن وبيان أحوال السلف الصالح قال :

وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة ، وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وآخرون في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات ، أربعاً في الليل وأربعاً في النهار ، وممن ختم أربعاً في الليل وأربعاً في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي رضي الله عنه وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم واليلة ، وروى السيد الجليل أحمد الدَّورقي بإسناده عن منصور بن زاذان من عباد التابعين رضي الله عنهم : أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ، ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء ، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئاً .

وروى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أنَّ مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يُحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله عنهم .

قال العلامة ابن علّان في شرحه على الأذكار 3/233 تنبيه : هذا والذي قبله وما في معناه من أنواع الكرامات وهو المباركة في الوقت بحيث يجري فيه من الخير ما لا يجري فيما هو أطول منه ، ومنه ما نقل أن المصنف – يعني الإمام النووي – نفع الله به وزّعت مؤلفاته من يوم ولادته إلى يوم وفاته كل يوم كراساً كتابة وتأليفاً ا.هـ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في نتائج الأفكار 3/160 تعليقاً على ما أورده الإمام النووي في الذين ختموا القرآن في ركعة :

﴿لم ينقله أبو عبيدة ولا ابن أبي داود في كتابيهما عن غير هؤلاء الثلاثة فكأنّ الشيخ أراد بالكثرة من جاء بعدهم﴾

أقول : فماذا يقول المعترض وأمثاله في مثل الإمام النووي رحمه الله وكلامه هذا ؟؟؟

ثم قال الحبيب الجفري : الإمام أبو حنيفة صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ...الخ

أقول : نقل مثل هذا عن كثير من السلف الصالح :

1* جاء في كتاب العبر في خبر من غَبر في ترجمة الإمام / سليمان بن طرخان أبي المعتمر / أحد علماء البصرة وعبادها قال المعتمر : مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي الفجر بوضوء العشاء ، ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء .

2* وجاء فيه في ترجمة / عبد الواحد بن زيد البصري / الزاهد الذي قيل : إنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة .

3* وجاء فيه في ترجمة / هشيم بن بشير السلمي الواسطي محدث بغداد : قال ابن أبي الدنيا : حدثني من سمع عمرو بن عون يقول : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء عشر سنين قبل موته ، ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء وميزان الاعتدال ، وفي لفظ في تهذيب الكمال : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء الآخرة قبل أن يموت عشرين سنة .

4* وفي ثقات ابن حبان في ترجمة وهب بن منبه قال : مكث وهب بن منبه أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء بنحوه .

5* وفي سير أعلام النبلاء في ترجمة ابن عبدوس فقيه المغرب قال : أقام ابن عبدوس أربع عشرة سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء .

6* وفي كتاب وفيات الأعيان في ترجمة الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى وقيل : إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة .

7* وفي كتاب تهذيب الأسماء واللغات : عن أسد بن عمرو قال : صلى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة .

أقول : فرواية الحبيب الجفري عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ذكرها الإمام النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء ونقل ذلك عن غيره بروايات الثقات من العلماء فماذا يقول المعترض وزمرته في مثل هذه النقول ؟

ثم قال الحبيب الجفري : لكن الذي أنكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك التنطع بمعنى أن يريدوا أن يسيروا إلى الله كما يفهمون هم لا كما يريد الله جلَّ جلاله ...الخ .

أقول : لأن ذلك في عهد النبوة زمن التشريع ونزول الأحكام فخشي النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما عزم عليه أصحابه رضي الله عنهم أن يفتحوا باب الرهبانية فيماثلوا المبتدعة في الأمم السابقة والذين قال الله فيهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾{الحديد:27} ويكون ذلك تشريعاً بإقراره فلما كمُل الدين واستقر التشريع وبنيت السُّنة المنهاج الكامل المبني على الاعتدال وعدم التفريط والإفراط وتركنا النبي صلى الله عليه وسلم على المحجَّة البيضاء كما قال في الحديث : ﴿ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ ﴾{ابن ماجه:43 ، مسند أحمد:16519}

قام من قام من عُبّاد السلف الصالح بمثل ما نقله عنهم الثقات على أنها أحوال ومواهب للخاصة وليس لها أية صبغة تشريعية لمن جاء بعدهم لعدم الأمر بها في الكتاب والسنة ، ولأنهم ليسوا بمشرِّعين للأمو شيئاً بعد كمال الشريعة بقوله تعالى : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾{المائدة:3} .



الفصل السادس عشر

الدفاع عن الحبيب الجفري 15 (حول وجوب الوضوء من لحم القعود)

قال المعترض : ويقول الجفري ص 64 : في معرض السخرية والتهكم بالقائلين بوجوب الوضوء من أكل لحم الجمل : ثم أورد كلام الحبيب الجفري .

أقول :

1- لا أدري كيف اطلع المعترض على قلب ونية وقصد الحبيب الجفري فحكم عليه بالسخرية والتهكم ، وأين السخرية والتهكم في الكلام الذي ذكره ؟ على كل قارئ عاقل منصف أن يقرأ كلام الحبيب الجفري وأن يدلني على موضع السخرية والتهكم فيه لأني لم أعثر عليه .

إن المنهج الوهابي الذي ينتمي إليه المعترض والمبني على سوء الظن بعباد الله وعلى التشفي بالافتراء عليهم والإساءة إليهم هو الذي جعله يحكم على كلام الحبيب الجفري وغيره من العلماء الربانيين بأنه سخرية وتهكم.

قال الله تعالى في قوم سيدنا نوح عليه السلام :

﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ {الآية 38 هود}

2- ادعى المعترض أن السخرية والتهكم بالقائلين بوجوب الوضوء من أكل لحم الجمل :

أقول : القائلون بوجوب الوضوء من أكل لحم الجمل هم السادة الحنابلة رحمهم الله تعالى ، ولا أتصور ولا أصدق أن مسلماً عامياً فضلاً عن عالم كالحبيب الجفري يصدر منه استهزاء وسخرية بالإمام المبجل أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأتباعه .

إن أهل السنة والجماعة علماء وعوام مجمعون على تعظيم الأئمة المجتهدين وتعظيم ما استنبطوه من الأحكام الفقهية من كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

فهل يصح لنا شرعاً أن ننسب إنساناً ما إلى السخرية والتهكم بالفقه وأهله ؟ إن ذلك كذب وافتراء بُنيا على سوء ظن وريبة ولا يصح لمسلم الاتصاف بهما في تعامله مع أخيه المسلم .

3- جاء في كلام الحبيب الجفري : جاء في رواية أخرى أن رجلاً أكل من لحم القعود : ... الخ

أقول : لا أصل لهذه الرواية ولا يصح جعلها علةً لحديث : ﴿ من أكل لحم جزور فليتوضأ ﴾ إن الذين ذكروا هذه القصة من السادة الشافعية رحمهم الله تعالى أرادوا تخصيص عموم الحديث بواقعة عين لا يقاس عليها ، وبما أن القصة لم تثبت من طريق فلا داعي لتخصيص عموم الحديث بل هو عام ثم نسخ على مذهب جمهور الفقهاء كما سيأتي .

وهنا أمر لا بد من أن أشير إليه : وهو أنني لست موافقاً للحبيب الجفري في جميع ما قاله ويقوله ، ولست منكراً على المعترض كذلك جميع ما قاله ويقوله فلا تربطني بالأول صداقة تجعلني أقبل خطأه ، ولا عداوة بيني وبين المعترض تجعلني أرد صوابه ، إنما أنا مع الحق أدور معه حيث دار ، والحق أحق أن يتبع ، فأنا صديق الحق ولو ظهر على لسان مبغض ، وعدو الباطل ولو ظهر على لسان محب .

هنا مثلاً قلت : لا أصل لهذه الرواية والقصة راداً قول الحبيب الجفري ، وأطالبه ببيان مصدرها إن ثبتت عنده بطريق ما ، فإن ظهر عدم ثبوتها فهي هفوة وقديماً قيل : لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ، ولكن لا ينبغي أن يصدر مثلها من مثله ، وجل من لا يخطئ .

الذي جعلني أرد على المعترض هو اعتداؤه من خلال ردوده على الحبيب الجفري على منهج أمةٍ من الناس من سلف الأمة وخلفها ، هو تكفيره للسادة أهل التصوف جملةً وتفصيلا ، هو تفسيقه وتبديعه لمن هم عند العامة والخاصة مشهود لهم بالولاية والتقوى والصلاح .

ولا يجعلني هذا الذي ذكرته أن أرد حقاً يقوله في مسألةٍ ما لأن ذلك حق العلم والعدل قال تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾{الآية 8 المائدة} .

4- الكلام حول حديث : ﴿ من أكل لحم القعود فليتوضأ ﴾ والذي أورده الحبيب الجفري في كلامه :

أقول : الحديث ضعيف الإسناد وقد عمل به الفقهاء الحنابلة رحمهم الله تعالى لّما تقوى بالصحيح والحسن عند مسلم وأبي داود وفيهما الأمر بالوضوء من لحوم الإبل .

وقد أشار إلى الحديث العلامة المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير عند شرحه حديث : ﴿ من أكل لحماً فليتوضأ ﴾ وقد ذكره الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الجامع الصغير ونسبه إلى الإمام أحمد والطبراني ورمز لحسنه وهو موجود عندهما

كما قال السيوطي رحمه الله تعالى فهو في المسند برقم 16963/ 21453 وفي معجم الطبراني في معجمه الكبير برقم 5492 .

قال العلامة المناوي ما نصه : ﴿ من أكل لحماً فليتوضأ ﴾ أي لحم إبل كما يرشد إليه بعض الروايات أو لحماً مسته النار كما جاء في الأخبار من الأمر بالوضوء مما مسته ، وكيفما كان فالخبر منسوخ أو محمول على الندب .

{حم طب عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه} رمز لحسنه ، قال الهيثمي : وفيه سليمان بن أبي الربيع لم أر من ترجمه ، والقاسم بن عبد الرحمن مختلف في الاحتجاج به .

وذهب الجمهور من الفقهاء رحمهم الله تعالى إلى أن أحاديث وجوب الوضوء من أكل لحم الجمل والجزور والقعود منسوخة خلافاً للإمام أحمد رحمه الله تعالى :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه للحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله :
اختلف العلماء في أكل لحوم الجزور فذهب الأكثرون إلى أنه لا ينقض الوضوء وممن ذهب إليه الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة رضي الله عنهم أجمعين وجماهير التابعين ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم رحمهم الله تعالى .
وذهب إلى انتقاض الوضوء به أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه ويحيى بن يحيى وأبو بكر بن المنذر وابن خزيمة واختاره الحافظ أبو بكر البيهقي وحكي عن أصحاب الحديث مطلقاً وحكي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين واحتج هؤلاء بحديث الباب وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ نعم فتوضأ من لحوم الإبل ﴾ وبحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : ﴿ سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل فأمر به ﴾ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وإسحق بن راهويه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا حديثان حديث جابر وحديث البراء ، وهذا المذهب أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه وقد أجاب الجمهور عن هذا الحديث بحديث جابر رضي الله عنه ﴿ كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار ﴾

ولكن هذا الحديث عام وحديث الوضوء من لحوم الإبل خاص والخاص مقدم على العام والله أعلم 1.هـ
أقول : ولذلك استحب الفقهاء رحمهم الله القائلون بنسخ أحاديث وجوب الوضوء من أكل لحم الجزور الوضوء خروجاً من الخلاف .
وليُعلم أنه لم يبلغ المتأخرين جميع أدلة الفقهاء المتقدمين ، فربما يكون عند المتقدمين من جماهير الصحابة والتابعين القائلين بالنسخ أدلة أخرى غير ما ذكره الإمام النووي رحمه الله ولكن لم تبلغنا ، ذكر في ترجمة الإمام البخاري رحمه الله أنه قال: أخرجت هذا الكتاب – يعني الصحيح – من زهاء ست مئة الف حديث ، ولم يذكر في صحيحه منها سوى سبعة آلاف ونيفاً بالمكرر ، والله أعلم .

فتبين من كلام الإمام النووي رحمه الله أن الشافعية والجمهور قائلون بنسخ الأحاديث التي قال بها الحنابلة ، ولم يذكر الشافعية ولا غيرهم نسخ الأحاديث أو تخصيصها بالقصة التي رواها الحبيب الجفري نقلاً عن غيره .

5- ثم قال المعترض : ثم ادعى الجفري أن الإمام الشافعي عمل بهذه القصة السخيفة .

أقول : الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال بنسخ الأحاديث ولم يعتمد في ذلك على القصة المذكورة كما تقدم ، أما قوله : / السخيفة / فهي زيادة من المعترض ولم يقل الحبيب الجفري بأن القصة سخيفة ولم يصفها بذلك ،

فمن الأمانة العلمية ألا يوهم المعترض القارئين أن الحبيب الجفري يستخف بالإمام الشافعي رحمه الله تعالى واستدلالاته الفقهية بل هو والصوفية جميعاً على التعظيم له ولغيره من الأئمة الفقهاء رحمهم الله تعالى

خلافاً للوهابية الذين تمتلأ كتبهم بتنقيص الأئمة وأتباعهم من الفقهاء ابتداءً من الشتائم وانتهاءً بالتكفير واقرؤا إن شئتم التأكد من ذلك ﴿ قاموس شتائم الألباني ﴾ ا.هـ



الدفاع عن الحبيب الجفري 16 (حول كون إبليس رئيس المقربين)

• قال المعترض : وفي الصفحة /207/ يقول الجفري : جاء في بعض الأخبار أن ما من وضع شبر في الأرض إلا قد سجد إبليس فيه لله سجدة ... الخ .

أقول : هذه الرواية من الإسرائيليات وقد تقدم فيما سبق بيان حكم روايتها فليراجع .

ولا بدّ قبل الرد على المعترض من أن أعرض لمسألة وهي :

هل إبليس من الجن أم من الملائكة ؟ وهل خلق في الأرض أم في السماء ؟ فأقول :

1- اختلف السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في إبليس هل كان من الجن أو من الملائكة ؟ على قولين :

آ- قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾{البقرة:34} ،

قوله : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ استثناء متصل لأنه كان من الملائكة على ما قاله الجمهور ، واستدل هؤلاء بما أخرجه ابن إسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جناً ﴾

وبما أخرجه ابن المنذر والبيهقي في الشعب برقم /140/ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ كان إبليس من خزان الجنة ، وكان يدبر أمر السماء الدنيا ﴾

تنبيه : ما نسبه الشوكاني رحمه الله إلى الجمهور باطل مردود ، وما استدلوا به ضعيف لا تقوم به الحجة لأنه معارض بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة كما سيأتي ، والجمهور من الصحابة والتابعين على خلافه

ب- وقال شهر بن حوشب وبعض الأصوليين ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الذين كانوا في الأرض فيكون الاستثناء على هذا منقطعاً ، واستدلوا على هذا بقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾{التحريم:6}

وبقوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ والجن غير الملائكة ، وقال الشوكاني رحمه الله في تفسيره قوله تعالى :
﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ ﴾{الكهف:50}

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رحمه الله قال : قاتل الله أقواماً زعموا أنّ إبليس كان من الملائكة ، والله يقول : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ .

وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : ما كان من الملائكة طرفة عين إنه لأصل الجن كما أنّ آدم عليه السلام أصل الإنس . ا.هــ

أقول : مما يدل على بطلان القول بأنه من الملائكة أو من صنف منهم يقال له الجن وقد نسبه الشوكاني إلى الجمهور :

آ– القرآن الكريم فقد أخبرنا الله تعالى في عدة مواضع أنه خلق إبليس من النار بإقراره واعترافه ومنها قوله تعالى حكاية : ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾{الأعراف:12}

وقوله تعالى : ﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾{الحجر:27}

وقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾{الرحمن:15}

وغير ذلك ، بينما الملائكة خلقوا من النور كما صحّ في الحديث

﴿ خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ﴾

{أخرجه مسلم برقم:5314 عن عائشة رضي الله عنها}.

ب– قوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾{الكهف:50}

، أفاد هذا النص الكريم أنّ إبليس ينكح وأن له ذرية ، بينما الملائكة الكرام عليهم السلام لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ولا يتناكحون ولا يتناسلون بالإجماع فليس لهم ذرية ، فتبين أن إبليس ليس منهم .

ج– قوله تعالى عن الملائكة عليهم السلام : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾{التحريم:6} ، ويستحيل في حقهم الكفر وإبليس عصى الله تعالى وأبى واستكبر قال تعالى :

﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾{البقرة:34} فتبين بهذا أنّ إبليس من الجن وليس من الملائكة قطعاً .

المسألة الثانية : أين خلق الجن في الأرض أم في السماء ؟

الجواب : الجن خلقوا في الأرض ولم يخلقوا في السماء عند جمهور العلماء ، والدليل على ذلك ما حكاه الله تعالى عن الملائكة عليهم السلام : ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾{البقرة:30}

وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنّ الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة قبل أن يخلقه ثم قرأ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾{البقرة:30}

وأخرجه الحاكم وصححه وزاد : وقد كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فلما أفسدوا في الأرض بعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور ، فلما قال الله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾{البقرة:30}

كما فعل أولئك الجان فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمروٍ رضي الله عنهما مثله ، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أطول منه ، فتبين من هذا أنّ الجن خلقوا في الأرض ولم يخلقوا في السماء .

مسألة : إبليس من الجن خلق من النار وهو في الأرض مع قبيله فكيف دخل ملكوت السماء ؟

الجواب : إنّ الجن كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾{الجن:9} وعند بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنع الجن من استراق السمع قال تعالى : ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾{الجن:9} .

هؤلاء عامة الجن ، وهم ذرية إبليس كما ورد في النص القرآني ، ولا يمتنع أن يكون إبليس عابداً لله مؤمناً به ابتداء إما بالفطرة وإما برؤيته للملائكة عليهم السلام لخصوصية خصَّه الله تعالى بها ، ثم استأذن الله تعالى أن يدخل ملكوت السماء ليعبد الله فيها مع الملائكة فأذن له والدليل على ذلك أنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام في السماء وليس في الأرض وإبليس كما في النصوص القرآنية كان بين الملائكة في السماء عند صدور الأمر الإلهي ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾{الأعراف:13} وقال سبحانه : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾{الحجر:34} .

وربّ قائل يقول : إن إبليس لم يكن من الملائكة كما تقدم فهو غير مأمور بالسجود لآدم عليه السلام فكيف يعاقب على مخالفته أمراً لم يوجّه إليه ؟

أجاب بعض أهل العلم : إنّ إبليس لو لم يكن مأموراً لقال لله تعالى – إنك لم تأمرني حين قال الله له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾{الأعراف:12} ،

ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر ، ففهمنا أنه كان مأموراً وإن كان من غير الملائكة ، ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح في آدم بالسجود وإبليس كان حاضراً ، وإنما ذكر الله تعالى الملائكة لأنهم كانوا الجمهور الأعظم في الحاضرين ووجود فرد من غيرهم لا يضر في صدور الأمر على هذه الصورة ، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وإن كان غير ملك ، وليس لأحد أن يكون أقوم بحجة إبليس من إبليس نفسه .

مسألة : نعلم أنّ إبليس طرد من ملكوت السماء عقب إبائه السجود فكيف وصل إلى آدم عليه السلام في الجنة حتى أغواه وزوجه ودلّاهما بغرور ؟

أجاب بعض العلماء : إن طرده من السماء وإهباطه منها لا يجعل دخولها مستحيلاً عليه ، وقد دخلها عاصياً آثما لإغواء من حسده من أول يوم .

أقول : ثم بعد ذلك أهبط هو وآدم وحواء عليهما السلام وهو المشار إليه بقوله تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً ﴾{البقرة:38} .

وبعد هذا البيان : ما قاله الحبيب الجفري يحتمل وجهين :

1- أنه موافق لمذهب من قال من الصحابة والتابعين بأنه ملك وكان من سكان الأرض ثم رقي إلى السماء فكان من خزان الجنة ومدبراً أمر سماء الدنيا . وهو قول باطل ومردود كما ذكرت .

2- أنّه قائلٌ بأنّ إبليس من الجن وخلق في الأرض وعبد الله فيها ثم استأذن فدخل ملكوت السماء وعبد الله فيها مع الملائكة المقربين حتى فُضِّل عليهم ، ومعلوم أنّ عوامّ المكلفين من الإنس والجن وهم الأولياء أفضل من عوامِّ الملائكة عليهم السلام فلا يمتنع أن يكون إبليس عابداً في أول أمره ثم سلب والعياذ بالله تعالى ، والعباد باستثناء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير معصومين وليسوا بأمانٍ من السَّلب كما وقع لبلعام بن باعوراء الذي قال الله فيه : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾{الأعراف:175} الآيات .

2* قال المعترض : أقول : يا سبحان الله ، إبليس رئيس المقربين ؟

أقول : عند التعجب يقال : ﴿ سبحان الله ﴾ بنية الذكر ، ولا يصح النداء بقول : - يا سبحان الله - عقيدة وإن جاز عند بعضهم لُغَيَّةً لأنّ نداء غير الله شرك قولي فكيف ينادي غير الله ؟

عليه أن يجدِّد إسلامه وأن يقول : سبحان الله ، أو أن يقول : يا الله .

وربما قصد المعترض بقوله / يا سبحان الله / التنزيه ولم يقصد التعجب ، فيصبح المعنى كما أنزه الله تعالى عمّا لا يليق به أنزه إبليس عن أن يكون رئيساً للمقربين أو أنزه المقربين عن أن يكون إبليس رئيساً لهم وتنزيه إبليس أو المقربين لا يجوز لأنّ التنزيه لله تعالى وحده ، فالأصح أن يقول المعترض بعد التسبيح أإبليس رئيس للمقربين على جهة الاستفهام الإنكاري فيصبح المعنى أنزه الله تعالى عن جعله إبليس رئيساً للمقربين وأنكر على من قال ذلك أو اعتقده .

3* ثم قال المعترض : إبليس رئيس المقربين .

أقول : تقدّم قول ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ بأنّ إبليس كان من خزان الجنة وكان يدبّر أمر سماء الدنيا ﴾

فإذا أسقطنا روايته أنه من الملائكة لمعارضتها القرآن الكريم ، لا تسقط الرواية الثانية هذه لأنها لا معارضة فيها فلا يمتنع القول بها مع كونه من الجن .

فيحمل قول الحبيب الجفري على أنّ إبليس رئيس المقربين في السماء الدنيا عملاً برواية ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما هذه .

4* ثم قال المعترض : والذي نعرفه أنّ إبليس كان في السماء ثم أهبط إلى الأرض فكيف عكس الجفري الأمر ؟
أقول : عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء ، وأنت أيها المعترض بين خيارين باعتبار القولين السابقين :
آ- إما أن تقول إنّ إبليس من الملائكة خلق في السماء ثم أهبط إلى الأرض ، وهو قول باطل ومردود كما تقدم .
ب- أو تقول : إنّ إبليس من الجن خلق في الأرض ثم أذن له فدخل ملكوت السماء ثم أهبط منها المرة الأولى ، ثم دخل ملكوت السماء عاصياً ثم أهبط منها مرة ثانية وهذا هو الحق كما تقدم في الأدلة والنصوص .
فمن الذي عكس الأمر ؟ الجفري أم المعترض ؟ أترك الجواب للقارئ العاقل المنصف .
5* ثم قال المعترض : وهل كلما رأى الجفري قصة مروية في بعض الكتب أخذها وألقاها للناس ... الخ
أقول : الحبيب الجفري ليس قصّاصاً وإنما هو عالم ، يرى ما لا مخالفة فيه للعقيدة والنصوص من الروايات الإسرائليات فيرويها بالإذن النبوي كما تقدم في حديث ﴿ وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ﴾

[صحيح البخاري برقم:3202 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]

خصوصاً إذا قال بعض الصحابة كابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهما مثل ذلك كما تقدم في الرواية عنهما في هذه المسألة . فهل يردُّ المعترض على ابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهما ما لا مخالفة فيه للنصوص ولا معارضة فيه مما رووه من الإسرائيليات كما ردَّ ذلك على الحبيب الجفري وهو ناقل ؟
6* ثم قال المعترض : ولماذا لا يقف الجفري إلا على أمثال هذه القصص ... الخ ؟
أقول : تبين من خلال هذه القصص مسائل علمية كثيرة وأقوال للعلماء فيها ، وبعضها له شواهد في القرآن والحديث ، فليست كل قصة باطلة يجب ردّها ، بل منها المقبول ومنها المتوقف فيه ومنها الباطل المردود .

6* ثم قال المعترض : إنه حقاً أمر عجيب .
أقول : لا تعجب ، فإنَّ التعجب مما له أصل دليل على قلة العلم ، وقد أُثني عليك بأنك عالم فلم العجب .

ا.هـ



لدفاع عن الحبيب الجفري 17 (عدم أمن الملائكة من مكر الله)

قال المعترض : وفي الصفحة /213/ يقول الجفري : روي أن جبريل وميكال بكيا لمّا طرد الله إبليس بكاءً شديداً ... الخ .

أقول : في كلام الجفري مسائل تتعلق بمصدر هذه القصة ومعناها ولا بدَّ من ذكرها وهي :

آ- القصة من الإسرائيليات وقد تقدم بيان أقسامها وحكم روايتها ، وذكرها الآلوسي رحمه اله في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾{النمل:10}

وذكرها الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في إحياء علوم الدين ج/4 في بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف ونصه : وقيل : لّما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما : ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ، فقالا يارب ما نأمن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري ا.هـــ

ولم يخرجها الحافظ العراقي رحمه الله تعالى ولم يذكر لها مصدراً ولم يحكم عليها بقبول أو ردّ بل سكت عنها ، ونظرا لذلك لا بدَّ من دراسة معناها من حيث علم العقيدة :

فأقول : هل المقرَّبون من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم المعصومون والمقطوع لهم بالجنة يأمنون من مكرِ الله وعذابه ، أم أنهم يخافونه ويخشونه ؟

الجواب : المقطوع لهم بالجنة من عباد الله المقرّبين من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أُلحق بهم كالعشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم لا يأمنون من مكر الله وعذابه بل يخافونه ويخشونه وقد دلت على ذلك آيات وأخبار منها :

1- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾{فاطر:28}

2-قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ{49} يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾{النحل:49/50}

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله .

3-قوله تعالى : ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾{الأنبياء:28} قال الإمام ابن كثير رحمه الله : من خوفه ورهبته

4-قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ﴾{الأعراف:155}

وأما الأحاديث فمنها :

1- ﴿ إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا ﴾{صحيح البخاري برقم:19 عن عائشة رضي الله عنها} وفي رواية له برقم: 4675 ﴿ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ﴾

2-﴿ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَإِذَا أَمْطَرَتْ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ }

﴾{البخاري برقم:2967 } ومسلم عنها برقم:1495 ولفظه :

﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَت سُرَّ بِهِ وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَر رَحْمَةٌ ﴾.

3- وقرئ عنده صلى الله عليه وسلم :

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيما{12} وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾{المزمل:12/13} فصعق ﴾

{قال الحافظ العراقي رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلا برقم:927 }

أقول : ونسبه في كتر العمال برقم:18644 إلى ابن النجار .

4- ورأى صورة جبريل بالأبطح فصعق/قال الحافظ العراقي رواه البزار من حديث ابن عباس بسند جيد .

5- كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل {قال الحافظ العراقي : رواه أبو داود برقم:769 ، والترمذي في الشمائل برقم:313 ، والنسائي برقم:1199}

6- روى أبو الشيخ في كتاب العظمة برقم:356 عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ إنّ جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يَدَي الجبار ترعد فرائصه فرقاً من عذاب الله ﴾ أقول : وهو موقوف ولا يقال مثله من قبل الرأي فله حكم المرفوع .

7- عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : مالي لا أرى ميكائيل يضحك فقال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار { قال الحافظ العراقي رواه : أحمد برقم:12864 وابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء برقم: 404 بإسناد جيد ، وورد ذلك في حق إسرافيل رواه البيهقي في الشعب برقم:923 }

8- روي أنّ النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفاً من الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا : ومن يأمن مكرك ﴾ قال الحافظ العراقي : رواه ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر ورويناه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

ذكر هذه الأحاديث الإمام الغزالي في الإحياء ، وتخريجها للحافظ العراقي رحمه الله تعالى .

أقول : في تفسير ابن أبي حاتم عند قوله تعالى : ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾{الأعراف:99} وبإسناده إلى ابن زيد عن أبيه : ﴿ إن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : ما هذا الخوف الذي قد بلغكم وقد أنزلتكم المترلة التي لم أنزلها غيركم ؟ فقالوا ربنا لا نأمن مكرك ، لا يأمن مكرك إلا القوم الخاسرون ﴾ برقم 98/8

9- وفي الحلية لأبي نعيم رحمه الله : قال عمر رضي الله عنه : ﴿ لو نادى مناد من السماء : يا أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو ، ولو نادى مناد : أيها الناس ؟ إنكم داخلون النار إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا هو ﴾ .

10- سمعت بكر بن عبد الله يقول يوم الجمعة: ﴿ لو قيل لي: خذ بيد خير أهل المسجد، لقلت: دلوني على أنصحهم لعامتهم، فإذا قيل: هذا، أخذت بيده، ولو قيل لي: خذ بيد شرهم، لقلت: دلوني على أغشهم لعامتهم، ولو أن مناديا نادى من السماء: إنه لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد، لكان ينبغي لكل إنسان أن يلتمس أن يكون هو، ولو أن مناديا نادى: إنه لايدخل النار منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يفرق أن يكون ذلك الواحد ﴾{ سير أعلام النبلاء }.

ولأئمة التفسير رحمهم الله تعالى أبحاث قيّمة في خوف المقرّبين من الله تعالى منها :

1- قال الآلوسي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾{إبراهيم:35} ما نصه :

﴿ واجنبني وبني ﴾والمراد هنا على ما قال الزجاج طلب الثبات والدوام على ذلك أي ثبتنا على ما نحن عليه من التوحيد وملة الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام وإلا فالأنبياء معصومون عن الكفر وعبادة غير الله تعالى .

وتعقب ذلك الإمام بأنه لما كان من المعلوم أنه سبحانه يثبت الأنبياء عليهم السلام على الاجتناب فما الفائدة في سؤال التثبيت؟ ثم قال : والصحيح عندي في الجواب : أنه عليه السلام وإن كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضماً لنفسه وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله سبحانه وتعالى في كل المطالب وأنت تعلم أن المبشرين بالجنة على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام كانوا كثيراً ما يسألون الله تعالى الجنة مع أنهم مقطوع لهم بها .

2- قال الآلوسي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى حكاية :

﴿ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾{الأنعام:15} ما نصه :

﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي ﴾

ويفهم من كلام بعضهم أن خوف المعصوم من المعصية لا ينافي العصمة لعلمه أن الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد وأنه لا يجب عليه شيء ، وفي بعض الآثار أنه عز شأنه قال لموسى عليه السلام :

﴿ يا موسى لا تأمن مكري حتى تجوز الصراط ﴾ .

وجاء في غير ما خبر أنه صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح يصفر وجهه الشريف ويقول : أخاف أن تقوم الساعة مع أن الله تعالى أخبره أن بين يديها ظهور المهدي وعيسى عليهما السلام وخروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها إلى غير ذلك من الأمارات التي لم توجد إذ ذاك ولم تحقق بعد . وصح أنه صلى الله عليه وسلم اعتذر عن عدم خروجه عليه الصلاة والسلام لصلاة التراويح بعد أن صلاها أول رمضان وتكاثر الناس رغبة فيها بقوله : " خشيت أن تفرض عليكم " مع أن ما كان ليلة الإسراء إذ فرضت الصلوات يشعر بأنه تعالى لا يفرض زيادة عن الخمس وكل ذلك يدل على أن لله تعالى أن يفعل ما شاء .

3- قال الآلوسي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾{النمل:10} ما نصه :

﴿ يا موسى لا تخف ﴾

ورد أن الملائكة عليهم السلام جعلهم الله تعالى معصومين من ذلك أيضاً وهم يخافون .

ففي الأثر لما مكر بإبليس بكى جبرائيل . وميكائيل عليهما السلام فقال الله عز وجل لهما : ما يبكيكما؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك فقال تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري

4- قال الشيخ ابن عجيبة رحمه الله تعالى في تفسيره / البحر المديد / عند قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾{الأحقاف:9} ما نصه :

﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾

هذا ، وقد قال تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : {وَللأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّك فَتَرْضى } [الضحى : 4 ، 5] وقال : { لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الفتح : 2] ، ومع ذلك كله لم يقف مع ظاهر الوعد ، لغيب المشيئة ، فقال في حديث ابن مظعون : ﴿ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي ﴾{رواه البخاري برقم:1166}

وحديث ابن مظعون بالمدينة بعد الهجرة ، فتبيَّن أنَّ الأمن الحقيقي لا يحصل لأحد قبل الختام ، وإن كان الغالب والطرف الراجح أن من وُعد بخيرٍ أو بُشِّر به يُنْجَز له بفضل الله وكرمه ، والكريم إذا وعد لا يُخلف ، لكن المشيئة وقهرية الربوبية لا تزال فوق رأس العبد حتى يلقاه . والله تعالى أعلم .

5- في تفسير ابن أبي حاتم عند قوله تعالى : ﴿ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾

8798- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا هَارُونُ بْنُ سَعِيد، أَنْبَأَ ابْنُ وَهْب، أَنْبَأَ ابْنُ زَيْد، عَنْ أَبِيه،"أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِلْمَلائِكَةِ: مَا هَذَا الْخَوْفُ الَّذِي قَدْ بَلَغَكُمْ وَقَدْ أَنْزَلْتُكُمُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي لَمْ أُنْزِلْهَا غَيْرَكُمْ ؟ فَقَالُوا: رَبَّنَا لا نَأْمَن مَكْرَكَ، لا يَأْمَنُ مَكْرَكَ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُون".

أقول : خوف المقرّبين كما قال المحققون من علماء التوحيد من شهودهم الجائز الذاتي في حقه تعالى وهو فعل كل ممكن أو تركه ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّايَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾{الأنبياء:23}

ومن غير ملاحظة الواجب العَرَضي الثابت بوعد الله تعالى الذي لا يتخلف .

فتبين من خلال الآيات القرآنية والأحاديث والآثار عدم مخالفة القصة الإسرائيلية للعقيدة بل معناها صحيح لكثرة الشواهد المتقدمة وإن لم يثبت لها إسناد .

ب- قال الحبيب الجفري : حتى جعلته طاووساً للملائكة وجعلته رئيساً قريباً .

أقول : تقدم في رد الاعتراض السادس عشر ما يتعلق بإبليس فليراجع

وقوله : / طاووس الملائكة / لا يراد منه الطائر المعروف ، ففي القاموس : الطاووس : الجميل من الرجال فيحمل على أنه جعله أجملهم ، لما كان عليه من عبادة وتكليف .

2* قال المعترض : وأقول : أعوذ بالله من الجهل .

أقول : ونحن نعوذ بالله من الجهل البسيط والجهل المركب المخالف للحق ، ونعوذ به سبحانه من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع وطرف لا يدمع ودعاء لا يرفع ، اللهمّ اجعل علمنا حُجة لنا ولا تجعله حجة علينا آمين .

3* قال المعترض : الله تعالى يخبرنا في محكم كتابه عن الملائكة خزنة النار فيقول :

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾{التحريم:6} ثم قال : فما بالك بجبريل وميكائيل عليهما السلام ؟

أقول : والله تعالى يقول : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾{النحل:50} ويقول :

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾{الأنبياء:28}

فلا يصح أن نؤمن ببعض الكتاب ولا نؤمن بالبعض الآخر وإلا وقعنا في الكفر والعياذ بالله تعالى ، وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من جبريل وميكائيل عليهما السلام كان يبكي من خشية الله فما بالك بهما عليهما السلام ؟

4* قال المعترض : إنّ طريقة تفكير الجفري المرتكزة على الخرافات والمستحيلات والممنوعات شرعاً وعقلاً تجعله يقبل مثل هذه القصص .

أقول : المعترض مطالب بالدليل على ما يقول على أنّ هذه القصة من المستحيلات العقلية والشرعية ومن الذي قال باستحالتها من العلماء والعقلاء ، وإذا لم يأت بالأدلة والنصوص وكلام العلماء فكلامه مردود عليه لأن عقله ليس ميزاناً وضعه الشرع للأمة تزن به الروايات فهل ما قبله عقله منها قبلناه وما لم يقبله رددناه ؟ وإن الله لم يجعل عقل أحد ميزاناً للقبول والرد ، وإنما هي النصوص والأدلة فحسب .

المستحيل العقلي هو : ما لا يتصور في العقل وجوده ، والمستحيل الشرعي : هو ما ورد النص الشرعي باستحالته ، وهذه القصة ليست من أحد المستحيلين ، بل هي من قسم الجائز .

5* ثم قال المعترض : ولكنّ العجيب حقاً كيف لا يتورع من التقول على الله تعالى ؟

أقول : الصحيح لغة : أن يقول : لا يتورع عن ، لأنه يتعدى بعن لا بمن

والحبيب الجفري لم يأتِ بهذه القصة من عنده ولم ينسجها من خياله ، بل نقلها من المصادر التي وجدت فيها كالإحياء وتفسير الآلوسي لّما وجد لها شواهد من القرآن والحديث ، ووجدها لا تتنافى مع أصل من أصول العقيدة ، وليست مستحيلة عقلاً ولا شرعاً .

فهو لم يتقول على الله تعالى ، وحاشا أن أظن بمسلم فضلاً عن عالم مثل هذا السوء من الظن .

6* ثم قال المعترض : وإذا كانت الملائكة تبكي فهي تبكي على حال أمتنا ...الخ .

أقول : عجباً لهذا التناقض في كلام المعترض ، قبل أسطر جعل بكاء الملائكة من خشية الله تعالى ومن مكره وعذابه مستحيلاً عقلياً وشرعياً ، وهنا يجعل بكاءهم من حال الأمة جائزاً أو واجباً لأنه صدَّر كلامه بإذا الدالة على تحقق وقوع ما بعدها .

أليس في هذا تقولاً على الغيب ؟ يُبكي الملائكة متى شاء ويجعله جائزاً ، ويمنعهم من البكاء متى شاء ويجعله مستحيلا وممنوعاً ، هل الملائكة عليهم السلام طوع أمره وإرادته يتحكم فيهم كيف يشاء ؟

لقد ابتلينا بقومٍ في هذا الزمن يقلبون الحقائق ويجعلون الجائز مستحيلاً ويتدخلون بآرائهم وأهواءهم بكل شيء حتى بالملائكة الكرام عليهم السلام .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم اجرنا في مصيبتنا وعوّض لنا خيراً منها ا.هـ



الدفاع عن الحبيب الجفري 18 (مفهوم البدعة)

قال المعترض : وفي الصفحة / 61 / وعند حديثه عن البدعة ... الخ .

أقول : في كلام المعترض مسائل يجب بيانها وتفصيلها :

آ : قال المعترض : وطبعاً هو لا يرى في المسلمين – إلى قوله – فهو بنظر الجفري من البدع .

أقول : إن الوهابية هم المقصودون بكلام الحبيب الجفري وذلك لأنهم الذين سلكوا من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر وقت ظهور الحركة الوهابية مسلك التضليل والتجهيل والتفسيق والتكفير للسواد الأعظم من الأمة الإسلامية – أهل السنة والجماعة : الأشعرية والماتردية والصوفية – ورميهم بالبدع الضلالات في العقائد وغيرها .

والوهابية التي يحذر منها الحبيب الجفري وعلماء المسلمين قاطبة بسبب تبديعها وتفسيقها لأئمة أهل الحق ، طائفة مبتدعة بدعاً ضلالات في العقائد والفقه وغيرها خالفت فيها أهل الحق ، وسبب ذلك وجود تباين في أصول العقائد والفقه بين المنهجين منهج أهل السنة ومنهج الوهابية ، فللوهابية عقيدة مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة ولهم فقه وقواعد اجتهادية مخالفة لما عليه أهل الحق في الفقه والاجتهاد .

والتبرؤ من الوهابية وغيرهم من أهل البدع الضلالات واجب شرعاً فقد قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما في القدرية : ﴿ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ﴾{صحيح مسلم برقم:9}

فتجب هجرتهم وبغضهم في الله ولا تصح الصلاة خلفهم ولا يعاد مريضهم ولا يشيع ميتهم ، ولا يصلى عليه ، ولا يصح أخذ العلم والرواية عنهم ، فقد ورد في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ﴾{سنن أبي داود برقم:3512}

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من كثر سواد قوم فهو منهم ﴾
{رواه أبو يعلى كما في كشف الخفاء برقم:2588} .

ب : قال المعترض : خلط بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية وأخذ كلام بعض العلماء في اشتمال الأحكام الخمسة للبدعة اللغوية وأسقطه على البدعة الشرعية .

أقول : 1– لا بد من ذكر تعريف البدعة لغةً وشرعاً :

آ – قال في القاموس المحيط : والبدعة بالكسر الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال .

ب – قال في المصباح المنير : أبدعت الشيء وابتدعته : استخرجته وأحدثته ، ومنه قيل للحالة المخالفة بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهو ما شهد لجنسه أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة يندفع بها مفسدة .

ج – قال في لسان العرب : البدعة : الحدث في الدين بعد الإكمال ، ابن السّكيت : البدعة كل محدثة وفي حديث عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه ، ابن الأثير : البدعة بدعتان : بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز المدح ، الخ

د – قال في عدة المريد الصادق : حقيقة البدعة شرعاً : إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء كان بالصورة أو بالحقيقة .

قال المحققون : وإنما قسمها بعضهم لأقسام الشريعة اعتباراً بمطلق الإحداث ومن حيث اللغة ومنه قول عمر رضي الله عنه في شأن التراويح : ﴿ نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ﴾{صحيح البخاري برقم:1871}

فسماها بدعة من حيث صورة إثباتها وإلا فهي سنة ، ثم من خواص البدعة أنها لا توجد غالباً إلا مقرونة بمحرم صريح أو آيلة إليه أو يكون تابعاً لها ، ومن تأمل ذلك وجده في كل أمر قيل إنه بدعة لا ينحزم بحال .

فصل في موازين البدعة : وهي ثلاثة :

الميزان الأول :

أن ينظر في الأمر المحدث فيما له مستند شرعي بوجه شامل محيط هو جملة الشريعة ومعظمها فإن كان هذا الأمر مما شهد له معظم الشريعة وأصلها وذمتها فليس ببدعة ، وإن كان مما يأباه ذلك بكل وجه فهو باطل ضلال مبتدع إلحاد إن كان في جانب الاعتقاد ونحوه ، وإن كان مما تراجعت فيه الأدلة وتناولته الشبهة واستوت فيه الوجوه اعتبرت وجوهه ، فما ترجح فيه من ذلك رجع إليه .

الميزان الثاني :

اعتبار قواعد الأئمة وسلف الأمة العاملين بطريق السنة فما خالفها بكل وجه فلا عبرة به وما وافق أصولهم فهو حق ، وإن اختلفوا فيه فرعاً وأصلاً فكل يتبع أصله ودليله ، وقد عرف من قواعدهم أنّ ما عمل به السلف وتبعهم الخلف لا يصح أن يكونوا قد أحدثوه من عند أنفسهم لعصمة الإجماع ، فلا يصح أن يكون بدعة ولا مذموماً ، وما تركوه بكل وجه واضح لا يصح أن يكون سنة ولا محموداً ، وما أثبتوا أصله ولم يرد عنهم فعله فقال مالك رضي الله عنه : هو بدعة ، وقال الشافعي رضي الله عنه : كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة وإن لم يعمل به السلف ، لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه ، واختلفوا أيضاً فيما لم يرد في السنة له معارض ولا مثبت هل هو بدعة ؟ قال الشافعي رضي الله عنه : ليس ببدعة ، ذكره ابن الحاج في باب الذكر .



الميزان الثالث :

ميزان التمييز بشواهد الأحكام وهو تفصيلي ينقسم إلى أقسام الشريعة الستة أعني : الوجوب والندب والتحريم والكراهة وترك الأولى والإباحة ، فكل ما انحاز لأصل بوجه صحيح واضح لا بعد فيه أُلحق به ، وما لا فهو بدعة ، وعلى هذا الميزان جرى كثير من المحققين في تقسيم البدع واعتبارها من حيث اللغة للتقريب والله أعلم .

ثم قال : وأقسام البدع ثلاثة :

1 – البدع الصريحة وهي ما أُثبت من غير أصل شرعي في مقابلة ما ثبت شرعاً من واجب أو سنة أو مندوب أو غيره فأماتت سنة أو أبطلت حقاً ثابتاً ، وهذه شرُّ البِدع ، وإن كان لها مستند من الأصول والفروع فلا عبرة به .

2– البدع الإضافية وهي التي تضاف لأمر لو سلم منها لم تصحَّ المنازعة في كونه سنة أو غير بدعة بلا خلاف ، أو على خلاف .

3– البدع الخلافية وهي مبنية على أصلين يتجاذ بها كل منهما بحكمه ، فمن قال بهذا قال : بدعة ، ومن قال بمقابله قال سنة ، فأما مجاري البدع في العبادات أعني صورها اتفاقاً فكل ما أحدث فيها زيادة أو نقصاً فهو بدعة إن ثبت له حكم مخالف أو لم يكن ، واختلف في جريها في العادات وفيما لم يرد له حكم خاص كالأكل والشرب واللباس ونحوه فقيل : تجري فيه ، وقيل : لا تجري في ذلك .

هـــ – قال ابن الحاج في المدخل : ج 2/ص 115 البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام : بدعة واجبة وهي مثل كتب العلم وكشكل المصحف ونقطه ، وبدعة مستحبة مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق وبناء المدارس ، وبدعة مباحة كالمنخل والأُشنان وبدعة مكروهة كالأكل على الخوان ، وبدعة خامسة وهي المحرَّمة وهي أكثر من أن تنحصر منها : ما أحدثه النساء اللاتي وصفهنّ عليه الصلاة والسلام في الحديث بقوله : ﴿ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ﴾{صحيح مسلم برقم:3971 عن أبي هريرة رضي الله عنه} الحديث .

أقول : التغليب اللُّغوي استعمل لفظ البدعة في كل محدَث سواء كان مندرجاً تحت الأحكام الشرعية أو لم يكن ، ومن هذا الاستعمال اللُّغوي للمحدثات صحَّ تقسيم البِدع إلى محمودة ومذمومة ، ثم خُص هذا العموم اللغوي باستعمالٍ شرعي وهو : كل ما وجد بعد عهد النبوة مقيَّداً بكونه – لا يرضي الله ورسوله – بأن كان غير مندرج تحت أصل من الأصول الشرعية العامة ويطلق عليه اسم : البدعة الضلالة أو السنة السيئة .

فلفظ البدعة من قبيل المشترك بين اللغة والشرع ، والبدع الشرعية هي الضلالات من المحدثات ، وما عداها من المحدثات يسمى بدعة في اللغة فحسب ، ومن هنا صح إدخال الأمور الدنيوية في مسمى البدعة لغة مع أنها غير مذمومة بإطلاقها بل لقد اعترتها الأحكام الشرعية الخمسة ، حسب تقسيم شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى .

2 – هذه أقوال بعض الصحابة وعلماء السلف في تعريف البدعة وتقسيمها ، زيادة على ما تقدم :

آ – قول أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : ﴿ إن الله كتب عليكم صيام رمضان ولم يكتب قيامه ، وإنما القيام شيء أحدثتموه فدوموا عليه ولا تتركوه فإن ناسا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فلم يرعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها ، فقال : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾{قيام رمضان للمروزي}.

ب – رواه أحمد في كتاب السنة والبزار والطبراني والطيالسي والبيهقي في الاعتقاد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً : ﴿ مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، ومارآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح ﴾ {وهو موقوف حسن} .

ج – قَالَ الشَّافِعِيّ : الْبِدْعَة بِدْعَتَانِ : مَحْمُودَة وَمَذْمُومَة ، فَمَا وَافَقَ السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُوم " أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم بْن الْجُنَيْد عَنْ الشَّافِعِيّ ، وَجَاءَ عَنْ الشَّافِعِيّ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبه قَالَ " الْمُحْدَثَات ضَرْبَانِ مَا أُحْدِث يُخَالِف كِتَابًا أَوْ سُنَّة أَوْ أَثَرًا أَوْ إِجْمَاعًا فَهَذِهِ بِدْعَة الضَّلَال ، وَمَا أُحْدِث مِنْ الْخَيْر لَا يُخَالِف شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهَذِهِ مُحْدَثَة غَيْر مَذْمُومَة " انْتَهَى . وَقَسَّمَ بَعْض الْعُلَمَاء الْبِدْعَة إِلَى الْأَحْكَام الْخَمْسَة وَهُوَ وَاضِح ،هكذا نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح صحيح البخاري في كتاب ﴿ الاعتصام بالكتاب والسنة ﴾ ج 20/ص 330

وعلى هذا بنى شيخ الإسلام ابن عبد السلام وتلميذه الإمام القرافي مذهبهما في تقسيم البدعة اللغوية إلى الأحكام الخمسة ، وهما مسبوقان في هذا التقسيم بالإمام الشافعي رضي الله عنه ، وبناءً عليه فلا يلتفت إلى تشنيع الإمام الشاطبي رحمه الله على القرافي لمخالفته اجتهاده في هذا الموضوع .

د – قال الإمام البدر العيني رحمه الله في عمدة القاري : البدعة لغة : كل شيء عُمل على غير مثال سابق ، وشرعاً : إحداث ما لم يكن له أصل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي على قسمين : بدعة ضلالة وبدعة حسنة ، وهي – أي البدعة الحسنة – ما رآه المسلمون حسناً ولا يكون مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع . أقول : وتسمية السنة الحسنة بدعة باعتبار التغليب اللغوي وإلا فإنَّ الشرع سماها سنة حسنة فلا نسميها بغير ما سماها الشرع به ، ففي الحديث : ﴿ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ﴾ {الحديث{صحيح مسلم برقم:1691 عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه} .

هـــ – قال الإمام الزركشي رحمه الله في قواعده : البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم .

أقول : فقول المعترض : خلط بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية ، مردود وتبين مما عرَّضته من كلام الأئمة والعلماء صحة ما قاله الحبيب الجفري .

ج – وقول المعترض : وأخذ كلام بعض العلماء في اشتمال الأحكام الخمسة للبدعة اللغوية وأسقطه على البدعة الشرعية مردود أيضاً وفيه أخطاء وبيان ذلك :

1 – قوله : اشتمال الأحكام الخمسة للبدعة اللغوية كلام مقلوب والصحيح أن يقول : اشتمال البدعة اللغوية للأحكام الخمسة .

2 – الأحكام الخمسة ليست أحكاماً لغوية وإنما هي أحكام شرعية وبيان ذلك :

كل العلماء من السلف والخلف قسَّموا الحكم إلى ثلاثة أقسام : حكم شرعي وحكم عقلي وحكم عادي ، وليس في كلام واحد منهم حكم لغوي ، وإلا صارت أربعة ، فابتدع لنا المعترض حكماً رابعاً سماه الحكم اللغوي وجعل أقسامه خمسة : واجب لغة ومندوب لغة ومباح لغة ومحرم لغة ومكروه لغة ، فنقول في تقسيم البدع على رأي المعترض : هذه بدعة واجبة لغة ومندوبة لغة ومباحة لغة ومحرمة لغة ومكروهة لغة ، فجعل اللغة قائمة مقام الشرع في ذلك ، وجعلها مصدراً للأحكام بدلاً عن الشرع بينما علماء الأصول قاطبة جعلوا الأحكام الشرعية خمسة أو ستة فقالوا : الحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين : حكم تكليفي وأقسامه خمسة : الوجوب والندب والإباحة والكراهة والتحريم ، وحكم وضعي وأقسامه خمسة كذلك .

فباعتبار تعريف البدعة لغة وهي كل محث محموداً كان أو مذموماً صح تنزيل الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة عليها فتقول : هذه بدعة لغة واجبة شرعاً ، هذه بدعة لغةً مندوبة شرعاً ، هذه بدعة لغةً مباحة شرعاً ، هذه بدعة لغة مكروهة شرعاً ، هذه بدعة لغة محرَّمة شرعاً .

وإلى ذلك ذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وجعلوا المسكوت عنه في عهد نزول الأحكام على الإباحة لا على الحظر فالأصل في الأشياء عندهم الإباحة ، وجعلوا أحكام الوقائع والنوازل تعتريها الأحكام الشرعية الخمسة مع تسمية تلك الوقائع والنوازل بدعاً لغة ، وذلك لأنّ جمهور العلماء يقولون بالقياس ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض العلماء كالشاطبي وابن تيمية وبعض الحنابلة رحمهم الله ووافقهم على ذلك المبتدعة الوهّابية ، فزعموا أن الأشياء المسكوت عنها الأصل فيها الحظر لا الإباحة ،

وجعلوا أحكام الوقائع كلها بين التحريم والكراهة فقط لإنكارهم الإجماع ونفيهم للقياس ، وهذا فيه تضييق للشريعة الصالحة لكل زمان ومكان وفيه إيقاع المسلمين بالحرج والإثم وهو مرفوع عنهم بقوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾{الحج:78} ،

وبحديث : ﴿ وسكت عن أشياء رحمةً بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ﴾{أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني والدار قطني عن أبي ثعلبة الخشني وأبي الدرداء رضي الله عنهما وقال الإمام النووي في أربعينه حديث حسن}

وبقول ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلَالٌ وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ وَتَلَا { قُل لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾{أبو داود برقم:3306 والبزار والحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي}

د – ثم قال المعترض : مع العلم أنّ العلماء يقولون إن البدعة الشرعية يعني في العبادات لا يشملها إلا حكمان إما الحرمة أو الكراهة .

أقول : أراد بالعلماء هنا بعض الحنابلة والشاطبي وأتباع مذهبه في تعريف البدعة وتقسيمها ووافقهم الوهابية على ذلك ، وهو خلاف ما عليه الجمهور من العلماء المعتبرين من أهل السنة والجماعة وقد ذكرت أقوالهم وتعاريفهم وتقسيماهم المعتمدة عند أهل الحق فيما تقدم .

وتقدم أنّ القياس الذي يقول به الجمهور تعتريه الأحكام الشرعية الخمسة ، لا الحكمان اللذان ذكرهما المعترض فحسب .

هـ – قال الحبيب الجفري : وهناك بدع محرَّمة وهي التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تخالف شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لها أصل في الدِّين .

أقول : هي بدعة من حيث حدوثها بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها محرَّمة ومن كبائر الإثم قبل حدوثها فيكون الإخبار بها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها من باب الإخبار بالغيب الذي سيقع في أمته ، ووقعت كما أخبرنا ، وهي من دلائل صدقه في نبوته صلى الله عليه وسلم تنضم إلى كل إخباراته بالغيب والتي وقعت وستقع كما أخبر .

ثم ذكر الحديث النبوي : ﴿ صنفان من أهل النار لم أرهما ﴾ ابتدعوا شيئاً جديداً : أي لم يكن في عصر النبوة وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استدل بالحديث ذاته الإمام ابن الحاج في كتابه المدخل ج 2/ص 115 على البدعة المحرَّمة ،

وقد تقدم كلام العلامة أحمد زرّوق المالكي رحمه الله : ثم من خواصِّ البدعة أنها لا توجد غالباً إلا مقرونة بمحرّم صريح أو آيلة إليه أو يكون تابعاً لها .

فاعتراض المعترض ليس موجّهاً للحبيب الجفري في إيراده الحديث كدليل على البدعة المحرَّمة لأنه لم يخترع ذلك من عنده كما اتهمه بذلك المعترض بل هو تابع فيه لابن الحاج الذي أورده ولعلماء أهل السنة عامة فيكون اعتراض المعترض موجها إلى هؤلاء كلهم ، ومن هؤلاء ؟ إنهم شيوخ الإسلام وعلماء الأمة في المذاهب الفقهية وأصولها ، والاعتراض عليهم اعتراض على الدين وأحكامه المستنبطة من النصوص الشرعية وكفى بذلك بدعةً ضلالةً لا يرضاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

و – ثم قال المعترض : فجعل الآثام والمعاصي وإتيان المحرّم هي البدع إذاً فشارب الخمر مبتدع وآكل الربا مبتدع ... الخ

أقول : الآثام والمعاصي تنقسم إلى قسمين :

1 – آثام ومعاصٍ كانت موجودة في عهد النبوة ، نزلت النصوص القرآنية وجاءت الأحاديث النبوية بتحريمها ولا تسمى بدعاً ، فالخمر وأكل الربا والزنا والسرقة والكذب وما إلى ذلك موجودة وقت نزول الأحكام ، ونزلت بتحريمها .

2– آثام ومعاصٍ لم تكن موجودة في عهد النبوة وإنما وُجدت بعد ذلك فتسمى بدعاً لحدوثها بعد أن لم تكن وهي باعتبار الحُكم الدالّ على التحريم تنقسم إلى قسمين :

آ – آثام ومعاصٍ حرَّمها الشرع الشريف قبل حدوثها في الأمة بالنصوص الصريحة فجاء الحكم بتحريمها نصًّا كالحديث المستدل به ، وكان حُكم تحريمها قبل الحدوث منصوصاً عليه بسبب أنها تقابل فرضاً من فرائض الله تعالى وتعطله ، وكذلك حكم تعطيل كل فرضٍ يكون محرماً قطعياً ، فيكون اعتقاده بدعة ضلالةً محرمة موجبة للنار ويكون العمل التابع لذلك الاعتقاد محرَّماً من كبائر الإثم .

ب – آثام ومعاصٍ حدثت في الأمة ولم ينصَّ بنص صريح في عهد النبوة على تحريمها فحرِّمت قياساً بأقوال الأئمة المجتهدين ، وتسمى بدعاً ضلالات لحدوثها بعد عصر النبوة وتكون محرَّمة لقياسها على محرَّم .

وتقدم أنَّ القياس عند القائلين به من الأئمة الأربعة المجتهدين وأتباعهم من العلماء يشمل الوقائع والنوازل ويتزل حكمها على أحد الأحكام الشرعية الخمسة .

ز– ثم قال المعترض : ونحن لم نسمع أنَّ عالماً واحداً من علماء المسلمين سمّى هذه المعاصي بدعاً .

أقول : لأنّ ما مثّل به المعترض من الخمر والربا والزنا والسرقة والكذب كان موجوداً في عهد النبوة ولم يحدث بعدها فكيف يسمي العلماء ما كان موجوداً بِدعاً ؟ وإنما يقاس عليها في حكم التحريم ما يوجد بعد عهد النبوة الذي يسميه العلماء بدعة محرمة ، وذلك كزخرفةِ المساجد فإن ذلك من البدع المحدثة لأنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بوقوعه في أمته ووقع كما أخبر ونصَّ العلماء على أنّ حكم هذه البدعة التحريم .

وكقراءة القرآن بالأنغام والألحان الموسيقية لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة ونصَّ العلماء على تحريم ذلك ، وكشرب الدخان وبيعه وشرائه فهو بدعة لأنه لم يكن في زمن النبوة ونصَّ العلماء على تحريمه ، وكتجنس المسلم بجنسية دولةٍ غير إسلامية وإيداعه الأموال في بنوكها بدعة ضلالة لأنها لم تكن في عهد النبوة ونص العلماء على تحريم ذلك ، وغير ذلك كثير يعلمه طُلّاب العلم المتخصصون بعلم أصول الفقه ومعرفة القياس ومباحثه .

ح – ثم قال المعترض : ولكنّ الجفري لا يعلم أنّ العلماء عرَّفوا البدعة فقالوا – وأتى بتعريف الإمام الشاطبي رحمه الله – .

أقول :

1 – من أين للمعترض أنَّ الحبيب الجفري لا يعلم تعريف الشاطبي للبدعة ، وهل سأله عن ذلك ؟ أم أنه افتراء على الغيب ؟ وهل أطلع الله المعترض على ما يعلمه الحبيب الجفري وغيره وعلى ما لا يعلمونه ؟ أليس ادّعاء معرفة الغيب شركاً ويتناقض مع العقيدة ؟

فعلى المعترض أن يجدد إسلامه ويتوب إلى الله تبارك وتعالى من مثل هذا الادّعاء .

2 – هل من الأمانة العلمية والإنصاف أن يأتي بقول الإمام الشاطبي ويجعله كلام العلماء دون غيره ؟ أليس في هذا إلغاء اعتبار العلماء من المخالفين للشاطبي ومذهبه في تقسيم البِدع ؟ فهؤلاء في نظر المعترض ليسوا بعلماء ولا يلتفت إلى قولهم ، أليس إلحاق العلماء والأئمة بالجاهلين وتسويتهم بهم مخالف لقول الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾{الزمر:9}

لو أنّ المعترض عرض مذهبي العلماء في البدعة وتقسيمها لكان منصفاً ، أما أن يعرض قولاً مرجوحاً ذهب إليه البعض ويترك القول الراجح الذي عليه الجمهور وتبعهم عليه السواد لأعظم من الأمة الإسلامية خلال ثلاثة عشر قرنا ابتداءً من القرن الثاني إلى ظهور الحركة الوهابية فليس من الإنصاف العلمي في شيء .

الإنصاف العلمي يعني عرض المسألة ما لها وما عليها وما هي مذاهب العلماء فيها وما هي أدلة كل فريق وما هي شبه الأدلة المردودة ، لا اعتبار البعض وإلغاء البعض .

إنّ قول الشاطبي رحمه الله الذي أورده المعترض واعتمده وأغفل القول الثاني والذي عليه الجمهور ، قول معارض بكلام علماء الأصول ابتداءً بالإمام الشافعي وأتباعه من العلماء ومروراً بالإمام العز بن عبد السلام وتلميذه الشهاب القرافي وعلماء المذاهب الأئمة المجتهدين الموافقين لهم في ذلك .

فلماذا يُلزمنا المعترض بتركِ ما عليه جمهور الأئمة والعلماء سلفاً وخلفاً واتّباع الشاطبي وابن تيمية والوهابية ؟ أنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟

إنها صفقة خاسرة حينئذ ، ونعوذ بالله تعالى أن نكون من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾{البقرة:16} .

ط – ثم قال المعترض : إذاً البدعة مخترعة في الدين ، والمعاصي ليست مخترعة الخ .

أقول : هل كل المعاصي والآثام كانت مجموعة في عهد النبوة ؟ ، وهل نزل القرآن وورد الحديث بتحريم كل واحدة منها ؟ بحيث لا يوجد بعد عهد النبوة معصية لم تكن .

هذا تكذيب لواقع الأمم والشعوب من بعد عهد النبوة وإلى زمننا اليوم ، فليست المعاصي كلها كانت مجموعة في عهد النبوة ولم تنزل النصوص في حكم جميعها ، بل حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم معاصٍ وآثام تسمى بدعا باعتبار حدوثها ، بعضها مخبر عن حكمه بالتحريم قبل وقوعه وبعضها استنبط حكمها وهو التحريم من الإجماع أو من القياس وهو الأصل الرابع من أصول التشريع ، ويعلم ذلك كل طالب علم قرأ شيئاً من علم أصول الفقه .

ي – ثم قال المعترض : ثم البدعة تضاهي الشريعة أي تحاكيها وتماثلها .

أقول : هذا قسم من أقسام البدع وهو يشمل أن يعتقد الإنسان محرماً مثلاً مباحاً فيستحله ، أو يعتقد المباح محرماً أو يفرض فريضة أو يوجب واجباً خلاف ما فرضه الشرع أو أوجبه .

ويدخل في ذلك كل من أعطى إنساناً صبغة تشريعية واتبعه في ذلك ، ويماثل هؤلاء من ذكرهم الله تعالى في كتابه قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ {التوبة:31}، فهم لم يعبدوهم من دون الله ولكن أحلوا لهم وحرموا .

ففي سنن الترمذي برقم:/3020/ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : ﴿ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيب مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ } قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ ﴾{وهو في مسند الإمام أحمد برقم:9752}

ك – ثم قال المعترض : أين وجه الشبه بين الحجاب والسفور ؟

أقول : الحجاب فرض منصوص عليه فيجب اعتقاد فرضيته والعمل به ، والسفور بدعة محرمة بنص سابق فيجب اعتقاد حرمته والامتناع عنه فمن اعتقد من رجل أو امرأة بفرضية الحجاب ولم يعمل به يسمى مرتكب كبيرة ولا يخرج بذلك عن دائرة الإسلام ، ومن اعتقد عدم صلاحية الحكم الشرعي لزمن ما يكون اعتقاده بدعة ضلالة تورثه النار وتجعله مرتداً عن دين الإسلام ، ومن تبرجت معتقدة حرمة ذلك إلا أنها تفعله بحكم العادة الموروثة فهي مرتكبة كبيرة ولا تخرج بذلك عن دائرة الإسلام ، ومن تبرجت معتقدة حل ذلك لا حرمته يكون اعتقادها بدعة ضلالة تورثها النار وتجعلها خارجة عن دين الإسلام مع ارتكابها لكبيرة من الكبائر فوجه الشبه بينهما : هو اعتقاد الفرضية في الحجاب واعتقاد الحرمة في السفور فمن خالف الاعتقاد فيهما فاعتقد عدم الفرضية في الحجاب أو اعتقد الحل في السفور فحكمه واحد من حيث البدعة الضلالة في العقيدة وما يترتب عليها من الخروج عن دائرة الإسلام ، فتدخل البدعة الضلالة في كل واحدة منهما من حيث الاعتقاد المخالف .

وقد ذكر شرّاح الأربعين النووية عند حديث جابر رضي الله عنه : ﴿ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِك شَيْئًا أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَاللَّه لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ﴾ {صحيح مسلم برقم:18}

قال الشراح : أحللت الحلال : أي فعلته معتقداً حله ، وحرمت الحرام :أي اجتنبته معتقداً حرمته .

فالاعتقاد يدخله البدع الضلالات كالأعمال وربما يجتمعان وربما يوجد أحدهما دون الآخر .

ل – ثم قال المعترض : ثم إن البدعة يقصد منها التقرب إلى الله الخ .

أقول : هذا تابع للاعتقاد فيما يبتدع مما فيه مضاهاة للشريعة ولا يدخل تحت أصل من أصولها ، ثم كلام المعترض هنا يتعارض مع كلامه قبل ذلك : إن البدعة الشرعية في العبادات لا يشملها إلا حكمان إما الحرمة أو الكراهة وبيان ذلك : أن يقال للمعترض هل يتقرب إنسان إلى الله تعالى بالمحرم أو المكروه ؟ فإن قال نعم : نقول إذاً تقرب إلى الله بالمعصية المحرمة أو المكروهة فكيف تقول بعد ذلك : وهل في المعاصي تقرب إلى الله ؟ ما هذا التناقض ؟ فالصحيح أن يقال : البدعة التي يقصد بها التقرب إلى الله إن كانت محرمة أو مكروهة فهي بدعة ضلالة لأنه لا يتقرب إلى الله بالمحرم ولا بالمكروه ، ونيته التقرب إلى الله بذلك فاسدة وباطلة ، وإن اعتقد جواز التقرب إلى الله بالمحرم أو المكروه يكفر .

وإن كانت البدعة التي يقصد بها التقرب إلى الله مباحة أو مندوبة أو واجبة قياساً فهو مطيع بذلك وليس بعاصٍ لأنه لا يرتكب حراماً ولا مكروهاً ، ويؤجر على نيته وقصده ويكون له التقرب في ذلك .

فالبدعة تعتريها الأحكام الخمسة وليس حكما الكراهة والتحريم كما زعم المعترض ، فالذين يذكرون الله تعالى جهرا جماعة في المساجد ولم يصحب ذلك تشويش على مصلٍ أو قارئ ويقصدون بذلك التقرب إلى الله عملهم هذا بدعة محدثة ولكن داخل في قسم المباح أو المندوب ، فليس محرماً ولا مكروهاً وليس معصية ومن ادعى خلاف هذا فعليه أن يأتي بالدليل على أن فعلهم هذا معصية لا طاعة وأن يأتي بدليل الكراهة أو التحريم نصاً أو إجماعاً أو قياساً معتبرا من أهله وبشروطه .

ثم أورد المعترض كلام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى / من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح /

أقول : هذا صحيح لا شك فيه ، وأكبر دليل على صحته كتاب المعترض هذا وكتاب أمثاله من الوهابية الذين إذا قيل لهم :

﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾{البقرة:11/12} .

تنبيه : قال المعترض في ترجمة العلامة الشاطبي رحمه الله / أسفل ص 47 / توفي 790 هـــ .

نظر في جميع تعاريف البدعة التي سبقت للعلماء قبله ونظر في أوصاف البدع التي أحدثت على مر القرون ثم صاغ هذا التعريف الجامع المانع الدقيق وجرى عليه العلماء من بعده .

أقول : يُفهم من كلام المعترض أن للبدعة تعاريف سبقت للعلماء قبل الشاطبي رحمه الله ،
وأنا أسأل المعترض على أي التعاريف مشى العلماء من قبل الشاطبي ؟ وما هو الذي اعتمدوه منها ؟ وهل كانوا على صواب أو خطأ فيما ذهبوا إليه ، وما هو حكم بقية العلماء الذين اعتمدوا تلك التعاريف المعمول بها قبل الشاطبي وعملوا بها من بعده ؟ .

وتقدم أن الإمام الشافعي رضي الله عنه عرف البدعة وقسمها إلى قسمين محمودة ومذمومة كما رواه الإمام البيهقي عنه ، فإذا اعتمد المعترض على تفسير الشاطبي للبدعة ورآه جامعاً مانعاً ، فإننا نعتمد على تفسير الإمام الشافعي رضي الله عنه لها ونراه جامعاً مانعاً لا سيما وقد عمل به العلماء قبل الشاطبي وبعده إلى يومنا هذا ، ومن أحق بالاتباع الشافعي أم الشاطبي ؟

وانظر أخي القارئ إلى قول المعترض عن الشاطبي رحمه الله : ونظر في أوصاف البدع ، فإنه يقر بأن البدع لها أوصاف وهذا يناقض قوله من قبل بأن العلماء حصروا البدعة في وصفي الحرمة والكراهة ، فهل للبدعة أوصاف عند الشاطبي ووصفان عند المعترض وعلمائه ؟ ا.هـ



الدفاع عن الحبيب الجفري 19 (حول البدعة)

قال المعترض : ويقول الجفري في ص/88/ أثناء كلامه في البدعة : ﴿ هل فهمت الفرق بين معنى { كل } في اللغة ، ومعنى { كل } في علم الأصول ﴾ . ثم قال : هذه عجيبة حقاً وهل قال أحد من أئمة الأصول إن كلمة ﴿ كل ﴾ لها معنى في الأصول مغاير لمعناها في اللغة ؟

أقول :

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم

إن الكلمات لها مدلولات بحسب الفن الذي تذكر فيه ، فمن الكلمات ما يكون له حقيقة لغوية وتستعمل بمعان مجازية لغة وتستعمل في المصطلحات الشرعية الفقهية بحقيقة شرعية مغايرة ، وربما يكون بينهما العموم والخصوص الوجهي أو المطلق ، ومن ذلك كلمة ﴿ كل ﴾ فلها معنىً لغوي ولها معنىً أصولي اصطلاحي ، والذي يقول بأن حقيقة أي كلمة في الفنون العلمية واحدة فليجعل علم اللغة وكتبها علم الأصول وكتبه ، وليجعل علم الأصول وكتبه علم اللغة وكتبها ولا حاجة حينئذٍ إلى هذا التنوع والاختصاص ما دام الجميع راجعاً إلى حقيقة واحدة .

ولنذكر هنا كلام علماء اللغة والأصول حول كلمة ﴿ كل ﴾ :

قال في البحر المحيط " كُلُّ " وَمَدْلُولُهَا الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ فَرْد مِنْ الْجُزْئِيَّات إنْ أُضِيفَتْ إلَى النَّكِرَة ، أَوْ الْأَجْزَاءِ إن أُضِيفَتْ إلَى مَعْرِفَة ، وَمِنْهُ الْإِكْلِيلُ لِإِحَاطَته بالرَّأْسِ ، وَالْكَلَالَةُ لِإِحَاطَتِهَا بالْوَالد وَالْوَلَد ، وَمَعْنَاهَا التَّأْكيدُ لمَعْنَى الْعُمُومِ ، وَلهَذَا قَالَ الْقَاضي عَبْدُ الْوَهَّاب : لَيْسَ بَعْدَهَا في كَلَام الْعَرَب كَلمَةٌ أَعَمُّ منْهَا ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقَعَ مُبْتَدَأً بِهَا أَوْ تَابِعَةً ، تَقُولُ : كُلُّ امْرَأَة أَتَزَوَّجُهَا فَهِيَ طَالقٌ ، وَجَاءَنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ فَيُفيدُ أَنَّ الْمُؤَكَّدَ به عَامٌّ .

وَهِيَ تَشْمَلُ الْعَاقلَ وَغَيْرَهُ ، وَالْمُذَكَّرَ وَالْمُؤَنَّثَ ، وَالْمُفْرَدَ وَالْمُثَنَّى وَالْمَجْمُوعَ ، فَلذَلكَ كَانَتْ أَقْوَى صِيَغِ الْعُمُومِ ، وَتَكُونُ فِي الْجَمِيعِ بِلَفْظٍ وَاحدِ . تَقُولُ : كُلُّ النَّاسِ ، وَكُلُّ الْقَوْمِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ ، وَكُلُّ امْرَأَة .

1- كل التي تفيد العموم عند علماء اللغة والأصول كما تقدم ، قد يخص من عمومها المذكور البعض بمخصص وهو إما شرعي وإما عقلي وإما عادي فيصبح مدلولها الأصولي مغايراً لمدلولها اللغوي .

قال العلماء ومثلها في ذلك : أمر ، وشيء ، وموجود ، وكائن ، فتذكر ويراد بها العموم ، وقد يخص عمومها بمخصص مما ذكر مثال ذلك :

1* قوله تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾{الأنعام:111} قال صاحب التحرير والتنوير :

﴿ كل شيء ﴾ يعم الموجودات كلها لكن المقام يخصصه بكل شيء مما سألوه ، أو من جنس خوارق العادات والآيات ، فهذا من العام المراد به الخصوص ،

أقول : لو قال فهذا من العام المخصوص لكان أولى لثبوت فرق بين الأمرين كما سيأتي .

2* قوله تعالى في ريح عاد : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾{الأحقاف:25}

أي من الأشياء القابلة للتدمير فقصروا عمومه على ما يقبل التدمير من الأشياء فهذا من العام المخصوص لأن الحجارة لم تُدَمّر مثلاً .

3* قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾{القصص:88} عام خص منه ما خُلق للبقاء كالروح وعجب الذنب وأجساد الأنبياء والشهداء والعرش والكرسي والجنة والنار والحور العين ، قال العلامة الباجوري رحمه الله في تحفة المريد : فتكون الآية من قبيل العام المخصوص ، والعام : لفظ يستغرق الصالح له بغير حصر ، والتخصيص : قصر العام على بعض أفراده ، ثم قال : وهذا الجواب لجماعة كابن عباس رضي الله عنهما ذكر ذلك عند قول الناظم صاحب الجوهرة الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله وكل شيء هالك قد خصصوا عمومه فاطلب لما قد لخصوا .

4* قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾{البقرة:284}قصروا عمومه على ما تتعلق به القدرة وهو كل ممكن ، لأن القدرة لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل ، فهو عام مخصوص .

ويلحق بالبحث هذا ما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله في إتمام الدراية :

قال : 1- العام المخصوص :

كتخصيص قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ {البقرة: 228 } خص منه الحامل والآيسة والصغيرة بقوله تعالى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ {الطلاق:4} وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ {الطلاق:4} .

2-العام الذي أريد به الخصوص كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ {النساء:54}

أي رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ {آل عمران:173}

أي نُعيم بن مسعود الأشجعي .

والفرق بينهما : أن الأول حقيقة لأنه استعمل فيما وُضع له ، ثم خُص منه البعض بمخصص ، والثاني مجاز لأنه استعمل من أول وهلة في بعض ما وضع له .

ثم ذكر : ما خُص من الكتاب بالسنة ، وما خص من السنة بالكتاب ، فليراجع فإنه مهم .

أقول : تبين للمعترض وجود فارق بين ﴿ كل ﴾ في استعمالها اللغوي و﴿ كل ﴾ في استعمالها الأصولي من حيث العموم والخصوص .

2- قال المعترض : وهل فهم الصحابة رضي الله عنهم معنى كلمة ﴿ كل ﴾ وفق اللغة أم وفق علم أصول الفقه الذي لم يكن وجد بعد ؟

أقول : لم يكفِ المعترض التطاول فيما سبق على الأئمة والعلماء وعدم اعتبار أقوالهم في المسائل ، حتى تطاول على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالجهل ، ووصف من جاء بعدهم بالعلم ، وبيان ذلك :

أن الصحابة رضي الله عنهم وجدت عندهم مصادر العلوم التي دونت من بعدهم ، وذلك كعلم اللغة والنحو والإعراب مثلاً فهم يعلمون مدلول الكلمة عند لغات القبائل العربية ويعلمون ما نزل من القرآن وما ورد في الحديث على لغة بني فلان أو لغة بني فلان ، ويعلمون موقعها من الإعراب من غير احتياج إلى كتب مصنفة يتعلمون منها أن الفاعل مرفوع وأن المفعول به منصوب ، ثم دونت هذه العلوم وصُنفت وذكرت فيها القواعد من بعدهم على وفق ما كانوا متلبسين به في لغاتهم ولهجاتهم .

وكذلك ما سمي من بعدهم بعلم أصول الفقه وما دون فيه من القواعد كان يعلمونه في نصوص الكتاب والسنة ، فهل الصحابة رضي الله عنهم لا يعلمون أن قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ { البقرة:228} قد خص من عمومه الحامل والآيسة والصغيرة وأن المخصص شرعي هو نص قرآني آخر ؟

وهل كانوا لا يعلمون أن الناس في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾

المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الناس في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ المراد به نُعيم بن مسعود الأشجعي ، وأن هذه النصوص القرآنية عام أريد به الخصوص ؟

هل غاب علم ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عاينوا التتريل وشاهدوا أسبابه ، وعلم ذلك من جاء بعدهم ممن دوّن ذلك في علم سماه / أصول الفقه / ؟

فأئمة الصحابة رضي الله عنهم يعلمون أصول كل العلوم التي ورثها من بعدهم منهم ودونوها في الكتب وجعلوا لها قواعد وفصولاً وأبواباً ، ومن انتقصهم فهو المنتقَص / بالفتح / ومن طعن بهم فهو المطعون به

ثم إن علم أصول الفقه الذي يستخف به الوهابية ولا يولونه أي اهتمام هو من علوم السلف الصالح من العلماء ، وهؤلاء يدّعون أنهم على مذهب السلف ، فأي سلف يريدون ؟ ومن يقصدون ؟ إن كانوا يريدون الشيخ ابن تيمية والشيخ ابن القيم رحمهما الله فهما من الخلف وليسا من السلف بحسب الاصطلاح ، وإن كانوا يقصدون الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهو من خلف الخلف . فمن حق الانتماء والتقليد لهؤلاء والذي هم عليه أن يسموا أنفسهم خلفية لا سلفية .

* أول من وضع قواعد علم أصول الفقه الإمام أبو يوسف القاضي رحمه الله ومن بعده الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اتبعهما العلماء في ذلك .

فهو من علوم السلف الصالح ، ويجب الرجوع إليه في حكم كل واقعة ونازلة لصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وهؤلاء هم أولو الأمر أهل الاستنباط والاجتهاد الذين قال الله فيهم :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾{النساء:83}

3- ثم قال المعترض : كل هذا التحايل من الجفري لأجل أن يلغي من أذهان الناس وجود شيء منكر اسمه بدعة ... الخ

أقول : ما هذا التناقض في كلام المعترض ؟ في الاعتراض الثامن عشر يقول عن الحبيب الجفري : خلط بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية وأخذ كلام بعض العلماء في اشتمال الأحكام الخمسة للبدعة اللغوية وأسقطه على البدعة الشرعية

إذاً هو يقول بالبدعة اللغوية و بالبدعة الشرعية باعتراف المعترض وهنا يقول عن الحبيب الجفري إنه يريد أن يلغي من أذهان الناس وجود شيء منكر اسمه بدعة !

لا أكاد أصدق كيف يجمع الحبيب علي الجفري بين متناقضين كما زعم المعترض يقول بالبدعة اللغوية والبدعة الشرعية ثم يريد بكلامه إلغاء ما اسمه بدعة .

فأي الكلامين نعتمد أيها المعترض فيما نقلت وكتبت ؟ على الأول أم على الثاني ؟ أليس هذا تحايلاً على كلام الحبيب الجفري وتحاملاً عليه ؟

4- ثم قال المعترض : ومن ثم فكل من ينادي باجتناب البدع من العلماء والدعاة إنما هم جهلة أو أصحاب أهواء معادية للدين .

أقول : إن كان هؤلاء العلماء والدعاة من الوهابية وينادون باجتناب ما يسمونه / بدعاً / بناءً على مذهبهم الوهابي فقد صدق الحبيب الجفري في تسميتهم بالجهلة وأصحاب الأهواء فإن كل الفرق التي خرجت عن أهل الحق ومنها الوهابية الكرامية الحشوية تسمى / أهل الأهواء / قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾{الجاثية:18} والعلم هو الجزم المطابق للواقع عن دليل ، فكل من جاء بشيء وجزم به ولم يكن مطابقاً للواقع ولم يكن عن دليل بل عن شبهة أو تقليد يسمى بنص القرآن صاحب هوى ونهينا عن اتباعه في هواه لأنه على ضلال قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ {ص:26}

وقال :﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ {الأنعام:116}

قال حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنهما : ﴿ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْت أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ ﴾{صحيح البخاري برقم:3338}

فلو كانت فرقة منها على الحق لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتزامها ، فلما أمرنا باعتزال تلك الفرق ومنها الوهابية علمنا أن جميعها من أصحاب الأهواء وأنهم على باطل وضلال .

قال الله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾{الكهف:17} .

5- ثم قال المعترض : ولكي يخرج من إشكال وجود بعض البدع راح يروج لما يقال له / بدعة حسنة / ويلحق كل ما نراه من بدع بها .

أقول : تقدم قول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه :

﴿ ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح ﴾

وتقدم أيضاً قول علماء السلف في تقسيم البدعة إلى محمودة ومذمومة فلتراجع ، فكل علماء الإسلام قبل الشاطبي رحمه الله وبعده يقولون بوجود بدعة حسنة وبدعة سيئة ، والحبيب الجفري لم يأت بهذا من عنده وإنما هو متبع في ذلك لجمهور علماء الإسلام من السلف والخلف ، والمعترض هو ومن معه شذوا عن السواد الأعظم وابتدعوا لأنفسهم طريقاً ما أنزل الله بها من سلطان .

6- ثم نقل المعترض كلام الإمام مالك رضي الله عنه : من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله تعالى يقول :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾{المائدة:3} — فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

أقول : كلام الإمام مالك مرتبط أوله بآخره وآخره بأوله ومعناه : من ابتدع بدعةً يضاهي بها دين الله وجعلها دينا وشرعاً ورآها حسنة فهو المقصود بالذم .

المبتدع هذا جاء بشرع غير شرع الله وبدين غير دينه ودعا الناس إليه ورآه حسناً ، فليه مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئاً .

ومعاذ الله أن يقصد الإمام مالك البدع الحسنة المندرجة تحت أصل من أصول التشريع لأنه يعلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾{ مسلم برقم:3242 }
ومعاذ الله أن يخالفه إلى رأي من عنده .

والحديث يقول : ﴿ ما ليس منه فهو رد ﴾ وهذا الذي سماه جمهور العلماء البدعة المذمومة أو البدعة السيئة ، وأما ما كان منه بأن يندرج تحت أصل فهو مقبول وليس برد وهذا الذي سماه جمهور العلماء البدعة المحمودة أو البدعة الحسنة ويعلم الإمام مالك أيضاً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه أن يخالفه :

﴿ وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ لَا تُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا ﴾{سنن الترمذي برقم:2601}

وانظر إلى وصفها بالضلالة لأن الإضافة قيد بالوصف ، وانظر إلى قوله : ﴿ لا ترضي الله ورسوله ﴾ يفهم منه وجود بدعة لا توصف بالضلالة ، ويرضاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهي البدعة الحسنة المحمودة وعلى هذا درج جمهور العلماء من أهل الحق من عهد الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى زمننا .

7- ثم قال المعترض : ولقد أنكر العديد من علماء الإسلام على مر العصور وجود بدعة حسنة .

أقول : حبذا لو ذكر لنا المعترض أسماءهم لنعرف هل هم من أهل السنة والجماعة أم من الوهابية ؟ فإن كانوا من أهل السنة فكلامهم معارض بكلام الأئمة من السلف والخلف ، ولا نترك قول الإمام الشافعي رضي الله عنه وأتباعه لقول الشاطبي رحمه الله ولا غيره ممن لم يبلغ رتبة الإمامة والاجتهاد المطلق ، وإن كانوا من الوهابية أو غيرهم من المبتدعة فلا يكون كلامهم حجة على أهل السنة لاختلاف ما بينهم في العقائد والأصول ، ونحن مع أئمتنا من أهل السنة والجماعة ولا نترك اتباعهم لقول المبتدعة ، فإن أئمتنا الأنف وغيرهم الأذناب :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

لقد جاء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان إذا لم يجد نصاً في المسألة أخذ بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه ، قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرا، قلت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام قرشي، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عالم قريش يملأ الأرض علما " إلى أن قال أحمد: وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي {سير أعلام النبلاء ج 10}

فأين الوهابية من عمل الإمام أحمد رحمه الله هذا ومن الاقتداء به في ذلك ؟

8- ثم قال المعترض : لأنَّ البدعة الممنوعة هي كل ما أضاف إلى الدين شيئاً ، وجمع القرآن لم يضف شيئاً وإنما دوّن ووثق النص الموجود .

أقول : من أين للمعترض هذا التعريف للبدعة ؟ وما دليله ؟ ومن الذي قاله من العلماء المعتبرين ؟

لو قال : هي كل ما أضاف إلى الدين شيئاً ليس منه لسلم له ذلك ، أما هذا الإطلاق فمردود بالأحاديث النبوية المتقدمة وبعمل الصحابة رضي الله عنهم وأئمة التابعين من بعدهم رحمهم الله تعالى .

ومما أحدث الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى بدعة محمودة أو سنة حسنة سوى جمع القرآن الكريم في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،

وقد قال العلامة ابن بطّال رحمه الله تعالى في ذلك : إنما تردّد أبو بكر رضي الله عنه أولاً ثم زيد بن ثابت رضي الله عنه ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فكرها أن يُحلّا أنفسهما محلّ من يزيد احتياطه للدِّين على احتياط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نبههما عمر رضي الله عنه على فائدة ذلك ، وأنه خشي أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة ، رجعا إليه ، قال : دلّ ذلك على أنّ فعل الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تجرّد عن القرائن وكذا تركه لا يدل على وجوب ولا تحريم ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ليس ذلك من الزيادة على احتياط الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو مستمد من القواعد التي مهّدها الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن الباقلاني رحمه الله تعالى : وقد فهم عمر رضي الله عنه أنّ ترك النبي صلى الله عليه وسلم جمعه لا دلالة فيه على المنع ، ورجع إليه أبو بكر رضي الله عنه لما رأى وجه الإصابة في ذلك ، وأنه ليس في المنقول ولا في المعقول ما ينافيه .

أقول : وللشيخ المحدث الغماري رحمه الله رسالة قيمة سماها – الدرك في أحكام الترك – فلتراجع .

ومن ذلك المحدث في عهد الصحابة رضي الله عنه :

1– كتابة المصحف الشريف على حرف قريش ولهجتها ، ونسخ القراءة ببقية الحروف واللهجات السبعة ، وذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

2– جمع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد في قيام رمضان عشرين ركعة وقال : ﴿ نعمت البدعة هذه ﴾ ففي الموطأ وغيره عن يزيد بن رومان قال : ﴿ كان الناس يقومون في زمن عمر رضي الله عنه في رمضان بثلاث وعشرين ركعة ﴾

فماذا يقول المعترض ومن معه في زيادة ركعات قيام رمضان من قبل سيدنا عمر رضي الله عنه ، هل هي زيادة في الدين ؟ وبدعة ضلالة ؟ وفاعلها في النار ؟

3– اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على حدِّ شارب الخمر ثمانين جلدة في عهد عمر رضي الله عنه ، ففي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين وفيه : حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين ، حتى عتوا وفسقوا جلد ثمانين .

4– إمضاء عمر رضي الله عنه طلاق الثلاث ثلاثاً في غير المدخول بها قياساً على المدخول بها .

﴿ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَبُو الصَّهْبَاءِ كَانَ كَثِيرَ السُّؤَالِ لِابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا جَعَلُوهَا وَاحِدَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ إِمَارَةِ عُمَرَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَلَى كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا جَعَلُوهَا وَاحِدَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ إِمَارَةِ عُمَرَ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ تَتَابَعُوا فِيهَا قَالَ أَجِيزُوهُنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ {سنن أبو داود برقم:1880}

5– أذان عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة بالزوراء عند دخول وقت الظهر .

فهل هذا الأذان زيادة في الدين وبدعة ضلالة وفاعلها في النار ؟

وهذا الذي أحدثه الصحابة رضي الله عنهم يسمى السنة الحسنة وسنة الخلفاء الراشدين ، وفي الحديث الصحيح : ﴿ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ﴾ فسمَّى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سنة ولم يسميه بدعة ضلالة وبهذا يثبت تخصيص عموم قوله / كل بدعة ضلالة / فيكون من العام المخصوص كما سيأتي .

9– ثم قال المعترض : والذي يجب أن يعلمه الجفري أنّ استدلاله بوجود بدعة حسنة لا بدّ له من أن يعتمد على قاعدة عامّة صحيحة ...الخ .

أقول : ليس الحبيب الجفري هو أول من قال بوجود بدعة حسنة واستدل على ذلك بل هو مذهب جمهور علماء الأمة من عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا ، وقد تقدم قول الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو من أئمة السلف في القرن الثاني الهجري .

ثم قال : حتى لو خُصصت فيجب أن يكون التخصيص مبنياً ... الخ .

أقول : في كلام المعترض اعتراف بتخصيص عموم حديث : ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ وبوجود مذهب للعلماء في المسألة يقولون بتخصيص عمومه وهو الحق الذي عليه الجمهور .

فقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ عامٌ مخصوص ، خُص منه سنن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وسنن الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى :

آ- ودليل تخصيص عمومه في حق سنن الخلفاء الراشدين قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ﴾ الحديث .

ب- ودليل تخصيص عمومه في حق سنن الأئمة المجتهدين قوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَن فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ﴾
{صحيح مسلم برقم:1691}

وليس كل مسلم يحق له أن يسن فتعين أنّ المراد أولوا الأمر الذين يجب الرجوع إليهم في أحكام الوقائع والنوازل وهم علماء الاجتهاد والاستنباط الذين قال الله فيهم :

﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾{النساء:83}

ومراتب أولئك المجتهدين المعتبرة ستة من أصل السبعة التي ذكرها خاتمة المحققين الحنفية الشيخ ابن عابدين رحمه الله في حاشيته وهي :

1- طبقة المجتهدين في الشرع كالأئمة الأربعة رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الأصول .

2- طبقة المجتهدين في المذهب كأبي يوسف ومحمد القادرين على استخراج الأحكام من الأدلة على مقتضى القواعد التي قررها أستاذهم .

3- طبقة المجتهدين في المسائل التي لا نصَّ فيها عن صاحب المذهب كالخصاف وأبي جعفر الطحاوي وأبي الحسن الكرخي وشمس الأئمة الحلواني وشمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي وفخر الدين قاضي خان وأمثالهم .

4- طبقة أصحاب التخريج من المقلدين كالرازي وأضرابه .

5- طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين كأبي الحسين القدوري وصاحب الهداية .

6- طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوي والضعيف وظاهر المذهب والرواية النادرة كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين ، وأمثال هؤلاء في الطبقات الستة المذكورة في مذاهب الشافعية والمالكية والحنابلة .

فما سنّه إمام مجتهد أو تلقاه علماء الاجتهاد والاستنباط بالقبول وسكتوا عنه ولم ينكروه يكون سنة حسنة ويسمى سنة الفقهاء

وكما جاز ذلك قياساً في الأمور الفقهية يجوز في الأمور السلوكية التربوية التي سنّها أئمة أهل التصوف المجمع على إمامتهم كالإمام الجنيد وأتباعه من الأئمة ويسمى ذلك سنة المشايخ ، ويكون من السنن الحسنة المأذون بها من النبي صلى الله عليه وسلم القيام بها ودعوة الناس إليها كالذكر الجماعي وقراءة الأوراد المترتبة على الأوقات وغير ذلك .

ولقد اتبع الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله عنهم كل من جاء بعدهم من علماء المسلمين في الأصول والفروع ، كما اتبع أولئك العلماء أولياء الله تعالى أئمة التربية والإرشاد وكانوا على طرقهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ أحمد البدوي والشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وخلفائهم ، فكل ذلك من السنن الحسنة عند أهل السنة والجماعة .

10- ثم قال المعترض : ونحن لا نجد عملياً الصوفية يقولون عن أي أمر بدعة محرمة لا يقولون ذلك أبداً

أقول : وذلك لأن الصوفية بنوا مذهبهم على الورع والاحتياط فليس في طرقهم بدعة محرمة أو مكروهة ، وإنما عندهم البدع المباحة والمندوبة والواجبة ، فالصوفية يتمسكون بالمندوب كما تتمسك العامة بالواجبات ويجتنبون المكروه وخلاف الأولى كما تتجنب العامة المحرمات .

أما ما يرونه عند غيرهم من البدع المحرمة في العقائد وغيرها فإنهم لها منكرون ، وأكبر دليل على ذلك الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى وهو من خلفاء الطريقة الشاذلية ومن شراح الحكم العطائية وصاحب كتاب – قواعد التصوف – فقد ألف كتاباً سماه – عدة المريد الصادق – ذكر فيه ما يتعلق بالبدع وقواعدها وما دخل على الطرق الصوفية منها والتي يقوم بها الجهال والأدعياء والدُّخلاء على التصوف وأهله ، فليقرأ لزاماً .

11- ثم قال المعترض : وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري **13/253** أنّ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان ينكر بشدة تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب وكان يعدّه من البدع .

أقول : عبارة الحافظ ابن حجر كما جاءت هذا نصها : فَممَّا حَدَثَ تَدْوين الْحَديث ثُمَّ تَفْسير الْقُرْآن ثُمَّ تَدْوين الْمَسَائل الْفقْهيَّة الْمُوَلَّدَة عَنْ الرَّأْي الْمَحْض ثُمَّ تَدْوين مَا يَتَعَلَّق بأَعْمَال الْقُلُوب ، فَأَمَّا الْأَوَّل فَأَنْكَرَهُ عُمَر وَأَبُو مُوسَى وَطَائفَة وَرَخَّصَ فيه الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا الثَّاني فَأَنْكَرَهُ جَمَاعَة منْ التَّابعينَ كَالشَّعْبيِّ ، وَأَمَّا الثَّالث فَأَنْكَرَهُ الْإمَام أَحْمَد وَطَائفَة يَسيرَة وَكَذَا اشْتَدَّ إنْكَار أَحْمَد للَّذي بَعْده .

وليس فيه / وكان يعده من البدع / بل هي زيادة من المعترض وافتراء وهذه الزيادة موهمة أن الإمام أحمد رحمه الله ينكر علم القلوب ويعده من البدع وليس كذلك ، فالذي أنكره الإمام أحمد بشدة تدوين علم القلوب ولم ينكر علم القلوب كما أنكر تدوين المسائل الفقهية ولم ينكر تلك المسائل وأنكر غيره تدوين الحديث والتفسير ولم ينكروا الحديث والتفسير ، فالمحدث هو التدوين لهذه العلوم وليس العلوم ذاتها .

إن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه جمع الله له العلم والورع كغيره من أئمة السلف الصالحين ، ومن ورعه أنكر تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب درءاً لمفسدتين :

1–خشية أن يدّعيها من لم يتحقق بها ممن ليس من أهلها فيقع في الكذب

2–خشية أن يفهمها جاهل على غير وجهها فتكون سبب فتنته ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح

وقد دلت الأحاديث الشريفة على درء أمثال هاتين المفسدتين : فادعاء ما لم يتحقق به الإنسان أوعد عليه في الحديث : ﴿ الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ ﴾{صحيح البخاري:4818} ،

وتحديث الناس بما يفهمون واتقاء ضده مطلوب في الشرع ففي صحيح مسلم من قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : ﴿ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً ﴾ وفي صحيح البخاري من قول سيدنا علي رضي الله عنه : ﴿ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾

وقد هجر الإمام أحمد رحمه الله الإمام الحارث المحاسبي رحمه الله وهو من هو في العلم والتصوف بسبب أنه كان يرد على المبتدعة بدعهم ولما سأله عن سبب هجره قال : أوليس تذكر بدعتهم .

فإذا كان الإمام أحمد هجر المحاسبي رحمهما الله تعالى لأنه يذكر بدعتهم عند الردّ عليهم وربما يكون ذلك متعينا عليه ،

أفلا يكون من باب أولى على مذهب الإمام أحمد رحمه الله أن نهجر من يدعو إلى البدعة الضلالة في العقائد وغيرها ويروِّجها وينشرها كالمعترض وأمثاله الذين يؤلفون الكتب في البدع الضلالات التي عليها الوهابية المخالفون لأهل السنة والجماعة ؟ بلى ونحن على مذهبه في ذلك وإننا لهم هاجرون ومبغضون في الله حتى يتوبوا إلى الله عن بدعتهم وضلالاتهم .

وقد ألف الشيخ ابن تيمية والشيخ ابن القيم رحمهما الله مؤلفات تتعلق بأعمال أهل القلوب وشاركا أهل التصوف في مصطلحاتهم فهل يعتبر المعترض مؤلفاتهم تلك بدعة ويجري عليها الحكم نفسه

ويفتي بإتلافها وحرقها ؟ وتقدم أنّ الإمام أحمد رحمه الله تعالى كان فيما لا نصّ فيه يفتي بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فهل يتّبع المعترض ومن معه الإمام أحمد رحمه الله فيتبعون الإمام الشافعي رضي الله عنه في علم الأصول وغيره وفي تعريف البدعة وتقسيمها ؟ أم يبقى مصراً على مخالفة الإمامين الجليلين الشافعي وأحمد ، ومتبعاً لمن لم يبلغ درجتهما في الاجتهاد والعلم والورع ؟

12- ثم قال المعترض : وهذا الإنكار من الإمام أحمد رحمه الله إنما هو لكتب الأوائل فما بالك بكتاب الجفري ؟
أقول : تأليف الكتب عند السلف الصالح وفي عهد الأئمة والزمن زمن ظهور أهل الحق لكثرتهم وقلة المبتدعة كانوا يتركونه تورعاً كما ترك الصحابة والتابعون كتب الحديث وجمعه لأسباب يعلمها طلاب العلم ثم كتبوه وجمعوه جزاهم الله خيراً ، وكذلك بعد عصر الأئمة بدأ العلماء يكتبون ويؤلفون في العلوم وأعمال القلوب ليحفظوا على الأمة دينها وليحصنوها من المبتدعة وغيرهم إلى أن صار التأليف والكتابة في الأزمنة المتأخرة – والتي هي أزمنة الانحطاط وانتشار الفساد – متعيناً على القادرين المتأهلين له ، وإنني أظن أنّ الإمام أحمد رحمه الله لو رأى ما في زمننا من فساد القلوب والأعمال واطّلع على كتاب الحبيب الجفري لشكره على ذلك وقال له : جزاك الله خيراً ، ولو اطّلع على كتاب المعترض وما فيه مما خالف فيه الحق وأهله لردّ عليه أشدَّ الرد وتبرأ منه ومن أمثاله ونصح الأمة بهجرهم في الله تعالى إلى أن يتوبوا ، هكذا ظني بالإمام أحمد رحمه الله – وعند الله تجتمع الخصوم –
﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾{الشعراء:227} .
وشتّان ما بين كتاب الحبيب الجفري الممتلئ بالنصائح والإرشاد وبين كتاب المعترض الممتلئ بالأخطاء العقائدية والحديثية والضلالات التي نسبها إلى أهل التصوف الكرام كذباً وزوراً ، وهم منها برآء .
13- ثم قال المعترض : وروى الحسن البصري رحمه الله عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً ولا تكن الخامس فتهلك فقيل للحسن : وما الخامس : قال المبتدع .

أقول : الحمد لله الذي عافانا أهل السنة والجماعة من فقهاء وصوفية من البدع التي ابتلي بها الوهابية وكانوا بسببها من الهالكين كما قال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه .

وللتنبيه : قول / رحمه الله / زيادة من عندي على كلام المعترض لأنه لم يترحم على السلف من التابعين عند ذكرهم إلا نادرا



الفصل الحادي والعشرون

الدفاع عن الحبيب الجفري 20 (حول ثناء العلماء على التصوّف)

قال المعترض : قال الجفري في ص 68 : روى الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه سير أعلام النبلاء في ترجمة ﴿ معروف الكرخي ﴾ وهو من كبار أئمة الصوفية الخ .

1- قال المعترض : هذه محاولة من الجفري لزجّ أمثال الشيخ معروف الكرخي رحمه الله في سلك المتصوفة الخ

أقول : عجباً لهذا المعترض كيف أعمى الهوى والتعصب عقله وقلبه فجعله يهرف بما لا يعرف ، هلا رجع إلى الرسالة القشيرية التي شرحها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى والذي قال في أول شرحه : وبعد فإن هذه الرسالة في علم التصوف للإمام العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري نور الله مضجعه وبرد مثواه ومنزعه إلى قوله – وسميته أحكام الدلالة على تحرير الرسالة – وأرويها بالسند عن جماعات – وذكرهم – عن مؤلفها ومولده في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة ووفاته صبيحة يوم الأحد سادس عشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور .

أقول : هلا رجع إليها ليجد أن الإمام أبا القاسم القشيري رحمه الله قال في باب ذكر مشايخ هذه الطريقة ما نصه : اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سِمة ، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المأتين من الهجرة ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطائفة .

ثم ذكر منهم : إبراهيم بن أدهم وذا النون المصري والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي والسري السقطي وبشر الحافي والحارث المحاسبي وداود الطائي وشقيق البلخي ، وهكذا إلى الإمام أبي القاسم الجنيد ومن بعده رضي الله عنهم أجمعين .

أقول : يؤخذ من كلام الإمام القشيري رحمه الله أن خواص أهل السنة وزهادهم والورعين فيهم تسموا بهذا الاسم أي – التصوف – قبل المأتين من الهجرة ، وأدخل فيهم الزهاد والعباد وذكر منهم معروفاً الكرخي رضي الله عنه . فإذا أدخل القشيري رحمه الله الشيخ معروفاً في سلك أهل التصوف وجعله منهم هل يحق للمعترض بعد هذا أن يتهم الحبيب الجفري أنه يحاول زج أمثال الشيخ معروف في سلك المتصوفة ؟

إذا كان يعترض على مثل هذا فليعترض على الإمام القشيري رحمه الله الذي جعله من أئمة صوفية السلف وأدخله في رسالته ، فإذا اعترض على القشيري وعلى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمهما الله تعالى يدل اعتراضه حينئذٍ على الهوى والتعصب الذي أعماه فلم يميز بين الحق وأهله والباطل وأهله ، ويكون اعتراضه مردوداً عليه فليس له ولا لمشايخه من المكانة العلمية والورع والزهد مثلما للقشيري والأنصاري رحمهما الله فلا نترك قولهما لقول من لا يساوي شيئاً أمامهما .

2- ثم قال المعترض : وهو بفعله هذا يشوش على الناس بأن أمثاله من صوفية اليوم هم أتباع لهؤلاء الرجال العباد الزهاد الخ .

أقول : لا يلزم من عدم وجود كمال المتبوع في التابع عدم صحة النسبة والإسناد إليه ، وإنه وإن فات الصوفية المعاصرين حقيقة ما كان عليه علماء الصوفية من السلف فإنه لم يفتهم بركة أخذ العهد وتلقين الذكر وإلباس الخرقة واتصال السند بذلك وكل هذا مما توارثه العلماء قاطبة وبقصد التبرك بالنسبة ولم ينكره أحد منهم كما سيأتي بيانه وتفصيله .

ففي كل طريقة من طرق التصوف وعند كل شيخ من شيوخ الصوفية أسانيد متصلة بالعلماء وبالصالحين إلى الإمام الجنيد رضي الله عنه وهو متصل الأسانيد ولا شك بالتابعين والصحابة المكرمين رضوان الله عليهم أجمعين ، فصوفية اليوم هم أتباع لأولئك الرجال المترجم لهم في الرسالة القشيرية وفي كتب الطبقات على رغم أنف المعترض ومن معه .

﴿ والإسناد من الدين ﴾ كما قال الإمام ابن المبارك رحمه الله تعالى ، وكما هو موجود عند القراء والمحدثين والفقهاء وعلماء التوحيد موجود عند أهل الطرق بالاتصال الصحيح إلى السلف الصالح في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

وقد لبس خرقة الصوفية تبركاً كبار العلماء من السلف والخلف ، ومثل ذلك في التبرك أخذ العهد بالمصافحة أو المشابكة وتلقين الذكر ، وقد ذكر العلامة المحدث الإمام يوسف بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه / تهذيب النفس للعلم وبالعلم / ما نصه :

وعلى كل من طلب العلم أن يلتمس أهل الخير والصلاح من المشايخ يطلب منهم العلم فإنهم الذين يحصل النفع في العلم بهم وبدعائهم ، ووقوع النظر منهم عليه يكفي ، وإن حصل منهم أثر من آثارهم يكون عنده يتبرك به منهم وإن ألبسوه خرقة تكون عليه فذلك ما يرجى به الخير ، وقد كان جماعة من السلف يفعلون ذلك ويطلبون لبس الخرق من أيدي الصالحين والتأدب بأحوالهم وأفعالهم وقد اعتنى أهل التصوف بلبس الخرقة المباركة ، وقد ألبسني إياها شيخنا شهاب الدين بن زيد قال : ألبسني إياها جمال الدين بن الشرايحي قال : ألبسني إياها أبو عبد الله الأنصاري قال : ألبسني إياها الشيخ قطب الدين اليونيني وهو لبسها من يد والده أبي عبد الله اليونيني وهو لبسها من يد عبد الله البطائحي وهو لبسها من يد الشيخ عبد القادر الجيلي وهو لبسها من يد أبي سعيد المخرمي

وهو لبسها من يد أبي الحسن اليكلدي وهو لبسها من يد أبي الفرج الطرسوسي وهو لبسها من يد أبي الفضل التميمي وهو لبسها من يد عبد العزيز التميمي وهو لبسها من يد أبي بكر الشبلي وهو لبسها من يد أبي القاسم الجنيد وهو لبسها من يد سري السقطي وهو لبسها من يد معروف الكرخي وهو تأدب بعلي بن موسى الرضا وهو تأدب بالكاظم والكاظم تأدب بجعفر الصادق والصادق تأدب بالباقر والباقر تأدب بزين العابدين وزين العابدين تأدب بوالده الحسين والحسين تأدب بوالده علي بن أبي طالب وعلي صحب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين .

ثم أورد طريقين آخرين وفي الثاني منهما وعند ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال : وبالإسناد المتصل المسلسل بلبس الخرقة وهو لبسها من يد سيده ووالده وشيخه قطب الأولياء محي الدين أبي محمد عبد القادر الكيلاني الحنبلي قال قدس الله روحه ، ثم أكمل بقية السند المبارك .

أقول : قال الحافظ السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة : في بيان من لبسها وألبسها من العلماء والمحدثين – كالدمياطي والذهبي والهكّاري وأبي حيان والعلائي ومُغلطاي والعراقي وابن الملقن والأنباسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين – ثم قال : هذا مع إلباسي إياها لجماعة من أعيان المتصوفة امتثالا لإكرامهم لي بذلك حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركاً بذكر الصالحين واقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين ا.هـ

فهنيئا لصوفية اليوم وجود بركة هذه النّسبة المتوارثة عن كبار العلماء والمحدثين والتي حُرم منها كثير من علماء هذا العصر بسبب بدعتهم ولانقطاع صلتهم بالسلفِ الصّالح وإنكارهم للتصوف وما عليه أهله الصادقون الصالحون رضوان الله عليهم أجمعين .

3– ثم قال المعترض : وشتّان ما بين الشيخ معروف الكرخي وأمثاله وبين متصوفة اليوم .

أقول : لا يلزم من عدم التشبه الكامل من جميع الوجوه عدم صحة النّسبة أو الإسناد ونحن نقول أيضاً : شتّان ما بين المعترض وبين جده الأمير عبد القادر رحمه الله الذي كان شيخ الصوفية في عصره وكتابه – المواقف – أكبر دليل على ذلك وكان يقرأ كتب الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سرّه الأنور ، ولا يلزم من البعد ما بين الحفيد أو السبط وبين الجد عدم صحة النسب أو انقطاعه .

ونقول أيضاً : شتّان ما بين شيخ القراء في عصرنا وبين شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه ، والذي هو واسطة عقد سلاسل القراء والمحدثين والصوفية ، ولا يلزم من هذا البعد بينهما في الشاكلة انقطاع النسبة أو السند ، وهكذا الصوفية المعاصرون مع أسلافهم .

4- ثم قال المعترض : إنّ الذهبي لم يصفه بالصوفي أبداً لا في العنوان ولا في كل الترجمة .

أقول : استثقل المعترض أن يكرر وصف الحافظ الذهبي رحمه الله بأنه الحافظ وأن يترحم عليه فقال : إنّ الذهبي ، ورحم الله من قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .

وإن مصيبة طلاب العلم في عصرنا فقدهم الأدب مع علماء الإسلام من السلف والخلف ، فكيف يتأدبون مع مشايخهم وعلماء عصرهم أو مع إخوانهم وطلبتهم ؟

وردا على ما قال المعترض أقول : إن كلام الحبيب الجفري – وهو من كبار أئمة الصوفية تلقى عن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم – جملة اعتراضية لترجمة الشيخ معروف الكرخي رحمه الله وتعريف للقراء به ،

وتوهم المعترض أنه نسبه إلى الحافظ الذهبي رحمه الله ليتوصل بذلك إلى رميه بالكذب عليه ، وكيف يسلك هذا المسلك وهو الذي أورد قول سيدنا عمر رضي الله عنه في المقدمة :

﴿ لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً ﴾ .

نعوذ بالله من علم لا ينفع .

ثم إن الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ترجم لكثير من علماء الصوفية ووصفهم بذلك ، ومنهم على سبيل المثال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله فقد قال في ترجمته – شيخ خراسان وكبير الصوفية – كما سيأتي مفصلا وأولئك الذين ترك الحافظ الذهبي وصفهم بالصوفية وهم منهم لا يعني عدم وصفه لهم بذلك إنكاره فإنهم وصفوا بهذا الوصف في المصادر التي نقل منها الحافظ الذهبي تراجمهم ، وقد وصفهم بذلك من بعده المحدث الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقات الشافعية الكبرى وقال في شيخه الحافظ الذهبي ما نصه :

وهذا شيخنا الذهبي رحمه الله له علم وديانة وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه ج 2/13 ثم قال : ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي رحمه الله ما نصه :

الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه في ما يقوله الناس ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ، ومنافرة التأويل ، والغفلة عن التتريه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التتريه ، وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات ، فإذا ترجم واحداً منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ في وصفه ، ويتغافل عن غلطاته ، ويتأول له ما أمكن ، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين ، والغزالي ونحوهما ، لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذلك ويبديه ، ويعتقده ديناً ، وهو لا يشعر ، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها . وكذلك فعله في أهل عصرنا ، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته : والله يصلحه ، ونحو ذلك . وسببه المخالفة في العقائد ا.هـ

والحال في حق شيخنا الذهبي أزيد مما وصف ، وهو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع . وقد وصل من التعصب المفرط إلى حدٍ يسخر منه . وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين ، وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية ، فإن غالبهم أشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقي ولا يذر .

والذي أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعل أدناهم عنده أوجه منه .

فالله المسئول أن يخفف عنه ، وأن يلهمهم العفو عنه ، وأن يشفعهم فيه ا.هـ

وقال قبل ذلك بأسطر : وقد قال شيخ الإسلام سيد المتأخرين تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى في كتابه / الاقتراح / أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام / أي القضاة /

وقال في الصفحة / 19 / من الجزء المذكور : ومما ينبغي أيضاً تفقده وقد نبه عليه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد : الخلاف الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث فقد أوجب كلام بعضهم في بعض كما تكلم بعضهم في حق الحارث المحاسبي وغيره ، ثم قال الحافظ تاج الدين السبكي رحمه الله : وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد وإن عده ابن دقيق العيد غيره وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ محي الدين النووي وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات فإن النووي أشعري العقيدة ، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه ، وهذا عندي من كبائر الذنوب فإنه تحريف للشريعة وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من المصنفات فقبح الله فاعله وأخزاه ، وقد كان في غنية عن كتابة هذا الشرح ، وكان الشرح في غنية عنه . 1.هـ

أقول : قد فعل وهابية عصرنا مثل ذلك في كثير من كتب العلماء والأئمة ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر : طباعة كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله مع حذف ما يتعلق بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيارته ، طباعة فتاوى الشيخ ابن تيمية رحمه الله مع حذف الجزء المتعلق بالتصوف ، طباعة رسائل الشيخ ابن عابدين رحمه الله مع حذف الرسائل التي كتبها في التصوف . فأية خيانة علمية يقع بها هؤلاء ؟



وعلى ما ذكره المحدث التاج السبكي رحمه الله عن شيخه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى أقول بياناً للحقيقة وإنصافا للبحث العلمي النزيه ناقلاً كلاما جاء في مقدمة سير أعلام النبلاء وهذا نصه :

إن الحافظ الذهبي رحمه الله قد ميز بين طائفتين من الصوفية أولاهما كانت متمسكة بالدين القويم متبعة للسنة احترمهم الحافظ الذهبي الاحترام كله بل لبس هو خرقة التصوف من الشيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي رحمه الله تعالى عند رحلته إلى مصر ،

وكان يعتقد ببعض كرامات كبار الزهاد ويُعنى بإيرادها في كتابه بل يكثر منها عادة ويورد بعض أقوالهم وحكاياهم في الزهد والمحبة فيه ،

أما الثانية فقد عدهم الحافظ الذهبي مارقين عن الدين مشعوذين بهم مس من الجنون انظر

الجزء /1/ من سير أعلام النبلاء ص 132 .

وقد نسب ما كان عليه الصحابة والتابعون إلى التصوف ونسبه إليهم فقال في الجزء /18/ فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس ، بل عبدوا الله وذلوا له وتوكلوا عليه وهم من خشيته مشفقون ولأعدائه مجاهدون وفي الطاعة مسارعون وعن اللغو معرضون والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
وذكر في كتابه الكثير من تعاريف التصوف ونسبها إلى قائليها من أئمة السلف رحمهم الله تعالى ، وذكر الكثير من أعلام التصوف ورجاله بوصف / الصوفي / وعلى سبيل المثال لا الحصر :

قال في ترجمة أبي حمزة الصوفي رحمه الله في الجزء / 13 / قال : قال لي أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : يا صوفي ما تقول في هذه المسألة .

– وقال في ترجمة الحافظ الأوحد أبي الفضل علي بن الحسين الهمذاني : وكان صوفياً مشمرا .

– وقال في ترجمة : الفضل بن محمد بن عبيد العدل المأمون الصالح ، في تاريخ الإسلام : شيخ ثقة مشهور من بيت العدالة والصلاح ـــ إلى قوله ـــ وكان صوفيا مليحاً خيّرا .

– وقال في ترجمة : الإمام الحافظ الجوال الرحال محمد بن طاهر ذي التصانيف المقدسي الأثري الظاهري الصوفي إلى قوله ـــ كان صوفياً ملامتياً ـــ .

– وقال في ترجمة : حنبل بن علي أبي جعفر البخاري ثم السجستاني الصوفي نزيل هراة .

– وقال في ترجمة : الشيخ الإمام الثقة أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي الهروي ، قال ابن نقطة : كان صوفياً من جملة من لحقته بركة شيخ الإسلام ، لازم الفقر والورع إلى أن توفي .

–

قال الخطيب : قال لي محمد بن يوسف القطّان : كان السُّلمي غير ثقة وكان يضع للصوفية

قال الخطيب : قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل وكان مع ذلك محموداً صاحب حديث .

قال التاج السبكي : قول الخطيب فيه هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة ولا عبرة بهذا الكلام فيه ا.هـــ

أقول : قال الأستاذ نور الدين شريبة الأزهري في مقدمته لكتاب – طبقات الصوفية –

شيوخ السُّلمي : هناك شيوخ لهم أثر واضح في أبي عبد الرحمن ، أما أحدهم فالمحدث الحجة العالم أبو الحسن الدار قطني ،

أقول : وقد أكثر المصنفون في الجرح والتعديل اعتماد روايته عن الدار قطني في الرجال توثيقاً وتجريحاً ، وقد ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء العشرات من رواياته تلك في أحوال الرجال ، ومثله الإمام ابن حجر رحمه الله في لسان الميزان ثم ذكر الأستاذ شريبة من لقيهم وروى عنهم ، وبعد ذلك ذكر تلاميذه ومن روى عنه فذكر فيهم : أبا بكر البيهقي الحافظ الفقيه وأبا بكر الشيرازي مسند خراسان ، وأبا محمد الجويني إمام عصره بنيسابور والد أبي المعالي ، وأبا القاسم القشيري ، وأبا عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم الحافظ المعروف بابن البيِّع رصيف أبي عبد الرحمن وزميله في التلقي عن الشيوخ ، وغيرهم .

الثناء على أبي عبد الرحمن : قال معاصره الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء : ﴿ هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف ، مقتد بسيمتهم ملازم لطريقتهم متبع لآثارهم مفارق لما يؤثر عن المتخرمين المتهوسين من جُهال هذه الطريقة منكر عليهم ﴾

قال في السير نقلاً عن الخشاب رحمه الله : وقد كان مرضياً عند الخاص والعام والموافق والمخالف والسلطان والرعية في بلده وسائر بلاد المسلمين ومضى إلى الله كذلك .

وجاء في مرآة الزمان : قال فيه أبو عبد الله الحاكم : / إن لم يكن أبو عبد الرحمن من الأبدال فليس لله في الأرض ولي / .

ثم قال الأستاذ شريبة : أبو عبد الرحمن ورأي العلماء فيه : بين الصوفية وبين الفقهاء والمحدثين بعامة والحنابلة منهم بخاصة صراع عنيف بدت بواكيره في النصف الأخير من القرن الثاني ، إلى قوله : وقد نال أبا عبد الرحمن في هذا الصراع ما ينال كل صوفي ينافح عن فكرته ويدعو إليها ،

- وقال في ترجمة : الشيخ الإمام العالم المفتي المتفنن الزاهد العابد القدوة شيخ المشايخ أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي الشافعي الصوفي الواعظ ، شيخ بغداد .

أثنى عليه السمعاني كثيراً فقال : تفقه في النظامية ثم هبَّ له نسيم الإقبال والتوفيق فدله على الطريق .

وقال عمربن علي القرشي : هو من أئمة الشافعية وعلم من أعلام الصوفية .

– وقال في ترجمة ابن تاج القراء الشيخ الزاهد المعمّر أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الطُّوسي ثم البغدادي ، قال السمعاني : كان صوفياً خدم المشايخ وتخلق بأخلاقهم .

وغير هؤلاء كثير يُمكن للطالب المتخصص جمعهم من كتاب / سير أعلام النبلاء / في جزء مستقل .

فالتورع والاحتياط يقتضيان أن نذكر في كل مسألة ما لها وما عليها وأنّ نذكر الأدلة والشُّبه وردها ، وألا نقبل قول العلماء بعضهم في بعض ، بل نحسِّن الظن بالجميع ونأخذ منهم الثناء والآداب ونترك لهم المطاعن والمثالب.

5– ثم قال المعترض : إنّ مقولة / وقبر معروف ترياقٍ مجرَّب / رواها الحافظ الذهبي من قول إبراهيم الحربي وليست من قول الذهبي .

أقول : لا بدَّ من التعرف على الراوي لهذه المقولة والمروية عنه وما هو رأي الحافظ الذهبي فيها :

1– أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السُّلمي ، ترجم له الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال : الإمام الحافظ المحدث شيخ خراسان وكبير الصوفية ، صاحب التصانيف ، صنف في علوم القوم سبع مئة جزء .

وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من جمع الأبواب والمشايخ وغير ذلك ثلاث مئة جزء وكانت تصانيفه مقبولة .

ثم قال : قال عبد الغافرين إسماعيل الفارسي : حدّث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء وكتب الحديث بنيسابور ومرو والعراق والحجاز وانتخب عليه الحفاظ ﴿ الكبار ﴾ زيادة من الطبقات .

ذكره الخطيب البغدادي فقال : محله كبير وكان مع ذلك صاحب حديث ، مجوداً ، جمع شيوخاً وتراجم وأبوابا وعمل دويرة للصوفية وصنّف سنناً وتفسيراً ا.هـ

وفي لسان الميزان في ترجمته :

وقال الحاكم : كان كثير السماع والحديث متقناً فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف .

وقال السراج : مثله إن شاء الله لا يتعمد الكذب ونسبه إلى الوهم ا.هـ

وقال المحدث تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقات الشافعية ما نصه : كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان ، له اليد الطُّولى في التصوف والعلم الغزير والسير على سنن السلف ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو القاسم القشيري وأبو بكر البيهقي وخلق سواهم .

والذين حملوا على أبي عبد الرحمن أو نقدوه ردوا ذلك إلى أمرين :

1– أنه ألف للصوفية / حقائق التفسير / 2– أنه كان يضع للصوفية الأحاديث .

أقول : سأرجئ الكلام عن حقائق التفسير إلى موضعه من المناقشة .

ثم قال : وأقدم من نعلمه رمى أبا عبد الرحمن بالوضع هو محمد بن يوسف القطان وهو من أهل نيسابور معاصر لأبي عبد الرحمن ولكنه لم ينل منزلته ، ولماذا لم نجد معاصراً آخر يرمي أبا عبد الرحمن بالكذب والوضع والاختلاق إلا القطان ، أهو وحده كان أنفذ بصيرة من كل من كانت تمتلئ بهم نيسابور وغير نيسابور من علماء الجرح والتعديل أعتقد / أن ذلك من قبيل الحسد ولا نقبل منه / مرآة الزمان .

وقد قال فيه الخطيب / وقد كان مع ذلك صاحب حديث مجودا /

ثم قال : وخير القول في أبي عبد الرحمن هو قول الذهبي أنه كان للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ والرواة سؤال عارف ...... وأنه ليس بالقوي في الحديث .

أقول : قد تبين بما تقدم اختلاف العلماء في أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله ما بين موثق له كالتاج السبكي ، ومجود لحديثه كالخطيب البغدادي ، ومضعف له في الحديث كالحافظ الذهبي .

وللعلم فإن علماء الجرح لم يذكروه في الوضاعين ولا في الكذابين ، وإنما ذكر في الضعفاء .

ثم كيف يعتمد المعترض طعن القطان فيه ولم يسلم له ذلك ، ولم يوافقه على ذلك أحد من علماء الجرح ، وقد تقدم أن من تلامذته والراويين عنه كبار الحفاظ كالبيهقي والحاكم فهل يرويان عن وضاع كذاب ، ولو حكمنا برد رواياته لاتهامه بالوضع والكذب كما ذهب إلى ذلك المعترض للزمنا أن نرد جميع ما رواه عن الحافظ الدارقطني من الجرح والتعديل في حق عشرات الرجال ، والتي اعتمد قوله فيها ورواية السلمي لها وذكرها في كتبهم كبار الحفاظ كالذهبي وابن حجر ، رحم الله الجميع وغفر لهم آمين .

هذا حال الراوي لتلك المقولة أما المروية عنه فهو كما في سير أعلام النبلاء جزء /13/ .

2- الشيخ الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو إسحق إبراهيم بن إسحق البغدادي الحربي صاحب التصانيف قال أبو بكر الخطيب : كان إماماً في العلم رأساً في الزهد عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث مميزاً لعلله قيما بالأدب جماعة للغة صنف غريب الحديث وكتباً كثيرة .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : سألت الدارقطني عن إبراهيم الحربي فقال : كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه 1.هـ

3- رأي الحافظ الذهبي رحمه الله في مقولة إبراهيم الحربي ــ قبر معروف ترياق مجرب ــ

قال : يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء ، كما أن الدعاء في السحر مرجو ودبر المكتوبات وفي المساجد ، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق ، اللهم إني مضطر إلى العفو فاعف عني .

أقول : الحافظ الذهبي رحمه الله قبل هذه المقولة فلم ينكرها ولم يردها ، خلافا للمعترض ومن معه الذين رأوها مخالفة للشرع فردوها ،

وسأناقش هذه المقولة من ناحية علم العقيدة وهل هي مخالفة للشرع كما ادعى هؤلاء في آخر هذا لبحث .

قال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته : ﴿ كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب ﴾ .

قال الشارح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله : قال أبو عبد الرحمن الزهري : يقال : من قرأ عند قبره مائة مرة ـــ قل هو الله أحد ـــ وسأل الله تعالى ما يريد قضيت حاجته ، ومثله يذكر عن قبري أشهب وابن القاسم صاحبي الإمام مالك رضي الله عنه وهما مدفونان بمشهد واحد بالقرافة ، يقف الزائر بين قبريهما ويقرأ ما ذكر ويدعو متوجه القبلة فيستجاب له .

أقول : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله قبل هذه المقولة ولم يردَها ولم يرفيها مخالفة للشرع كما ادَعى المعترض . وانظر إلى قول القشيري رحمه الله : يقول البغداديون ولم يروها فقط عن إبراهيم الحربي ومعنى ذلك أن الأمر استفاض حتى بلغ مبلغ الشهرة والتواتر ورواه أهل بغداد وهم أمة وبمثل خبرهم يحصل القطع .

جاء في فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهَاب حول التوسل والدعاء عند القبر في مجموع المؤلفات مانصَه :

لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب منه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات .

فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه 1.هـــ

ففي كلامه جواز التوسل وجواز أن يقصد قبر معروف أو غيره للدعاء عنده ، فماذا يقول المعترض في فتوى إمامه ؟

وأما قوله : ﴿ يستشفى بقبره ﴾ أي : وكذلك بقبور أهل الولاية والصلاح فقد جاء في كتاب / الحكايات المنثورة / للإمام الحافظ الثقة ضياء الدين المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي رحمه الله تعالى : سمعت الشيخ الإمام العالم الحافظ أبا محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي رحمه الله تعالى / كان خرج في عضدي شيء يشبه الدّمل وكان يبرأ ثم يعود ، ودام بذلك زمانا طويلاً فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد / .

فما رأي المعترض في فعل هذا الإمام الحجة ، هل يعده مشركاً ؟ وهل يسميه قبورياً ؟ وهل يراه مخالفاً للشرع في فعله هذا ؟ وهو من هو فقهاً وعلما وحفظاً ودراية ورواية .

لقد ابتلي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن سلط عليه كفار قريش وثقيف صبيانهم وسفهاءهم فرموه بالحجارة حتى سال الدم من عقبيه صلى الله عليه وسلم ، وابتلي وراثه من أهل السنة أشعرية وماتريدية وصوفية بحدثاء الأسنان سفهاء الأحلام الذين يرمونهم بالقبائح وينسبون إليهم الرذائل ويتهمونهم بالشرك والضلال ويطعنون في دينهم وعلمهم ويجحدون فضلهم وينكرون معروفهم فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

مناقشة مقولة / وقبر معروف ترياق مجرب / عقيدة

1* الأسباب العادية كلها العلوية والسفلية ليس لها تأثير ذاتي في المقادير ، يخلق الله تعالى عندها لا بها ولا بقوة مودعة فيها ما يشاء ويختار ، وكلها متساوية في الإمكان ، والإرادة تعلقت بكل ممكن تعلق تخصيص ، والقدرة تعلقت بكل ممكن تعلق إبراز .

فالله تعالى يخلق الشفاء من غير تعاطي دواء ، ويخلق الشفاء عند تعاطي الدواء ، فالترابط بين الدواء والشفاء ترابط عادي يصح تخلفه ، وليس بينهما تلازم عقلي لا يصح معه التخلف .

والله تعالى يخرق قوانين الأسباب العادية لمن شاء ومتى شاء سبحانه ، وهي المفتقرة إليه وهو الغني عنها ، وقدرته تعالى بحكم عموم تعلقها بالممكنات إبرازاً ، يكون من الجائز أن يُوجد الله تعالى عند سبب أدنى أو أعلى ما يوجده عند غيره من الأسباب لتساويها في الإمكان ولتعلق القدرة بها جميعها على السواء .

ومن ذلك أن يخلق الله تعالى الشفاء عند ذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في باب إذا خدرت رجل أحدكم أثرين وهما :

1- برقم{895} روينا في " كتاب ابن السني " عن الهيثم بن حنش قال :

﴿ كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فخدرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكأنما نُشط من عقالٍ ﴾ {ابن سني :170}

2- برقم{896} وروينا فيه عن مجاهد قال : ﴿ خدرت رِجلُ رَجُلٍ عند ابن عباسٍ ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : اذكر أحب الناس إليك ، فقال : محمد صلى الله عليه وسلم ، فذهب خدره ﴾ {ابن سني: 169 }

وليس هذا بممتنع شرعاً لوروده ولا عقلاً ، فهل يخلق الله تعالى الشفاء مثلا عند حبة { أسبيرين} ولا يخلق الشفاء عند ذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأفضلهم وأعلى الأسباب الخلقية في الأرض وفي السماء ؟ وهل يكون للسبب الأدنى ما لا يكون للسبب الأعلى ؟

2* ومن ذلك أن الله تعالى أزال الغشاوة من عيني سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام عند إلقاء قميص ابنه سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام على وجهه كما قال تعالى حكاية : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ {يوسف:93}

فقام القميص مقام الدواء لتساويهما في الإمكان ولتعلق القدرة بهما على السواء .

3* ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ريقه الشريف في مداواة سيدنا علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان أرمد ففي صحيح البخاري : ﴿ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَه فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّه لَمْ يَكُن بِهِ شَيْء ﴾ { برقم 2724}

وتفل في عين قتادة رضي الله عنه بعد ما قلعت وردها إلى مكانها فكانت أحدّ عينيه فقام الريق مقام الدواء ، ففي مصنف ابن أبي شيبة : ﴿ حدثنا ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن قتادة بن النعمان سقطت عينه على وجنتيه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدهما. ﴾ ورواه الحاكم في مناقب قتادة ابن النعمان رضي الله عنه فقال : ﴿ وشهد قتادة بن النعمان العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا وأحدا ورميت عينه يوم أحد ، فسالت حدقته على وجنته ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن عندي امرأة أحبها ، وإن هي رأت عيني خشيت تقذرها ، « فردها رسول الله بيده » ، فاستوت ورجعت ، وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر ﴾ { برقم 5286 } ورواه البيهقي وأبو يعلى وأبو نعيم والطبراني بألفاظ متقاربة .

4* ومن ذلك استشفاء الصحابة رضي الله عنهم بثوبه صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله { ففي الحديث الصحيح عند مسلم برقم 3855 } :

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت في حديث طويل : ﴿ هَذِه جُبَّةُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَت إِلَيَّ جُبَّةَ طَيَالِسَة كِسْرَوَانِيَّة لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاج وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فَقَالَتْ هَذِه كَانَت عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْن نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا ﴾ قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم 14/44 :

﴿ وفي الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم ﴾ انتهى .

5– حديث أمر العائن بالوضوء وغسل داخلة إزاره وصبه على المعين ﴿ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِين ﴾ {رواه أبو داود برقم 3382}

وفي رواية البيهقي ﴿ ثم يغمس داخلة ازاره اليمنى في الماء ثم يقوم الذى في يده القدح بالقدح فيصبه على رأس المعيون من ورائه ﴾ وفي رواية النسائي ﴿ على ما يقتل أحدكم أخاه إذا رأى ما يعجبه فليدع بالبركة ثم أمره أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين والركبتين وداخلة إزاره فأمره أن يصب عليه ﴾

فعلى هذا يصح أن يخلق الله تعالى الشفاء عند التمسح بقبر نبيٍّ أو وليٍّ أو الوقوف والدعاء عنده وقد ثبت فعل ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وإليك بعض الأدلة :

1- اعتنق سيدنا أبو أيوب رضي الله عنه قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال في مجمع الزوائد : باب وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ عن أبي داود بن أبي صالح قال أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال أتدري ما يصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أرد الحجر ﴾ . وهو بتمامه في كتاب الخلافة رواه أحمد وداود ابن أبي صالح قال الذهبي لم يرو عنه غير الوليد بن كثير وروى عنه كثير ابن زيد كما في المسند ولم يضعفه أحد.

وقال أيضاً : باب ولاية المناصب غير أهلها

عن داود بن أبي صالح قال: ﴿ أقبل مروان يوماً فوجد رجلا واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدري ما يصنع فاقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ﴾ . رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره وضعفه النسائي.

2- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : ﴿ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِقَبْرِي وَمَسْجِدِي ﴾{رواه أحمد}

3- فتوى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في جواز ذلك ، فقد جاء في كتاب الجامع في العلل ومعرفة الرجال قال الإمام الثقة عبد الله بن أحمد سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عزّ وجل فقال لا بأس بذلك .

4- قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه اقتضاء السراط المستقيم ص/374/ ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندهم وتوقي الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعمن جاورها وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى واستحباب الاندفاع عند بعضهم وحصول الإنس والسكينة عندهم ونزول العذاب بمن استهان بها فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه ، وما في قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق ، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك ا.هـــ

5- حديث عائشة رضي الله عنها في الكُوى ، قال الإمام الدارمي في سننه باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته : ثم روى بإسناد عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال : ﴿ قُحِط أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى – أي : نوافذ مفتحة – إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْف. قَالَ : فَفَعَلُوا فَمُطِرْنَا مَطَرا – أي : كثيرا – حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الإِبِلِ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ ﴾ .

6- حديث ضرب الملائكة القبر الشريف بأجنحتها فقد روى الدارمي بإسناده أن كعباً – أي : كعب الأحبار –

﴿ دَخَل عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَال كَعْبٌ : مَا مِنْ يَوْمٍ يَطْلُعُ إِلاَّ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفاً من الْمَلاَئِكَةِ حَتَّى يَحُفُّوا بِقَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ مِثْلُهُم فَصَنَعُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الأَرْض خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً من الْمَلاَئِكَةِ يَزِفُّونَهُ ﴾ .

ورواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب .

وفي رواية ابن النجار وغيره ﴿ يضربون قبر النبي صلى الله عليه وسلم – أي : يمسحون القبر الشريف بأجنحتهم تبركاً وتشرفاً به – ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط ﴾ .

وفي رواية البيهقي : ﴿ يوقرونه ﴾ ، قال الحافظ الزرقاني : أي : يعظمونه صلى الله عليه وسلم إكراما .

قال : ولعل كعباً علم هذا من الكتب القديمة لأنه حبرها ا.هـــ ، ورواه ابن النجار وابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والقرطبي في التذكرة كما في المواهب .

وروى هذا الأثر أيضاً الحافظ إسماعيل القاضي بسنده وهو جيد في المتابعات والشواهد والمناقب وفضائل الأعمال ا.هـــ أفاده شيخنا المحدث محمد بن علوي المالكي رحمه الله تعالى في كتابه القيم / مفاهيم يجب أن تصحح / وذكره شيخنا المحدث عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى في كتابه / سيّدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم – شمائله الحميدة وخصاله المجيدة .

7- ذكر القاضي عياض رحمه الله في الشفا فصل في أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان في حياته وبإسناده إلى ابن حميد قال : ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً فقال :

﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾{الحجرات:2} ، ومدح قوماً فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم ﴾{الحجرات:3} ، وذم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾{الحجرات:4} وإنّ حرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم , فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابا رَّحِيماً ﴾{النساء:64} .

قال المحدث أبو الفضل الغماري رحمه الله : فهذه الحكاية عن الإمام مالك رحمه الله صريحة في جواز التوسل بل استحبابه وهي وإن كانت ضعيفة الإسناد فقد تلقاها أهل المذهب بالقبول وعملوا بمقتضاها وناهيك بالقاضي عياض حيث استدل بها ولم يعقبها بما يخالفها ولهذا لا يحفظ عن أحدٍ من المالكية قول بمنع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو كراهته بل كلهم متفقون على جوازه واستحبابه ا.هـ

أقول : وجميع ما حصل من الاستشفاء بجبته صلى الله عليه وسلم وعند قميص سيدنا يوسف عليه السلام ويحصل عند قميص العائن إنما هو باعتبار سريان ما في الروح إلى الجسد ومنه إلى الثوب ، فالأصل الروح وما يتنزل عليها والجسد والثياب تابعة ، فيسري سر الاختصاص من الباطن إلى الظاهر فيكون تابعاً له فيه ، فإذا خرجت الروح من الجسد بقي سر الاختصاص فيها ولها صلة ببدنها كصلة أشعة الشمس بذرات التراب وهو أحد أقوال ذكرها الشيخ ابن القيم في كتاب الروح ، والروح عندما تقبض لا تحول الكثائف من الأسقفة المتعددة المبنية في زماننا من الإسمنت والحديد بينها وبين الخروج والعروج ، فلو قُدِّر وجود مائة سقف في بناءٍ وقبض إنسان في الطابق الأرضي لاخترقت روحه تلك الأسقفة كلها مع ملائكة الموت عليهم السلام حتى تعرج إلى السموات السبع ،

وإذا كان في عصرنا اليوم تخترق الأشعة الأجسام الكثيفة حتى تصور ما وراءها أفلا تخترق الملائكة والأرواح الممدَّة بعالم الأمر تلك الأجسام ؟ بلى .

فإذا اخترقت الروح في عروجها الأجسام وعرجت إلى السموات تعود بعد عروجها فتدخل بين الكفن وبين الجسد عند حمله والصلاة عليه فإذا وُضع في القبر دخلت الروح في الجسد من أجل سؤال الملكين الكريمين ، وبعد ذلك أرواح المقرّبين والمؤمنين لا تبقى في القبر ولا تحبس فيه بل يؤذن لها بالإطلاق البرزخي على اختلافِ مقامات الأرواح في ذلك وأفلاكها ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ{88} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾{الواقعة:88/89} قال الإمام مالك رحمه الله : قوله : بلغنا أن أرواح المؤمنين تروح حيث شاءت ، وفي الحديث : ﴿ إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق حيث شاءت ﴾{رواه الطبراني}

﴿ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَائِرٍ خُضْرٍ ، تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِةِ الْجَنَّةِ ﴾{رواه أحمد} ،

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعث ﴾{رواه مالك وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان}

ويكون لها زيارة لبدنها في القبر من بعد عصر يوم الخميس إلى ما قبل طلوع شمس يوم السبت كما نقل ذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في كتابه الغنية ، والشيخ ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح .

وحين هبوط الروح من العالم العلوي إلى القبر تخترق البناء الذي عليه إن وجد أو التراب واللّبن وتستقر مع جسدها ، والرُّوح تكون محمّلة بأنوار الملكوت العلوي والمواهب اللدنية فحين مرورها بالقبر واختراقها له كاختراق الأشعة يسري ما في الروح من الأنوار إلى ذرات التراب التي لا مستها عند الاختراق فتحمل شيئاً من خصائصها وأنوارها ويكون لها ذلك بمنزلة الجسد والقميص الذي عليه ، فكما حمل الجسد والقميص أسرارها وأنوارها تحمل ذرات التراب الملامسة لها مثل ذلك فعندما يتمسح به مريض يسري من أثر تلك الأرواح النورانية الصاعدة والهابطة إلى يده وجسده ما يجعل الله تعالى عنده الشفاء هذا من أثر الروح فكيف بما يكون معها ولها من هبوط الملائكة عليهم السلام على قبورهم وصعودهم غدواً وعشياً والملائكة عليهم السلام يهبطون من جهة السماء على القبور ويدخلون عليهم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون{30} نَحْن أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُم فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون ﴾{فصلت:30/31} ،

فاختلط بذرات تلك القبور نور الأرواح ونور الملائكة فصح التمسح به ويخلق الله تعالى الشفاء عنده إذا شاء كما يخلقه عند الأسباب الأخرى سواء .

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم عند المرور بقبور الظالمين أن نسرع خشية أن يصيبنا ما أصابهم ، ففي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ﴾ ، وعنه رضي الله عنهما قَال : ﴿ لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَن يُصِيبَكُم مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ثُم قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ ﴾ .

ويُفهم من الحديث بمفهوم المخالفة ألا نسرع عند قبور الصالحين ليصيبنا ما يصيبهم من الرَّحمات والنفحات بل نتباطأ ونجلس، لأن الله تعالى لا يجعل حياة المسلمين ومماتهم كالمجرمين في حياتهم ومماتهم سواء قال تعالى :

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾{القلم:35/36}

وقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾{الجاثية:21} .

أقول : تبين بهذا صحة وصف قبور الأنبياء والأولياء بأنها ترياق مجرب وأن ذلك ليس مخالفاً للعقيدة ، وقد تأيّد بفعل وفتاوى الأئمة رحمهم الله تعالى وجزاهم خيراً آمين ومن ذلك :

آ- قال الحافظ الخطيب في تاريخ بغداد وبإسناده إلى الحسن ابن إبراهيم أبي علي الخلال قال : ما أهمني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الكاظم رحمه الله تعالى فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب ، والخلال أحد أئمة الحنابلة .

ب- قال الحافظ الخطيب في تاريخ بغدلد أيضاً وبإسناده إلى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال : إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائراً فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى .

ج- قال الحافظ التاج السبكي رحمه الله في طبقات الشافعية في ترجمة الغزالي الكبير واسمه أحمد بن محمد رحمه الله تعالى : قال : حكى لي سيدنا الشيخ الإمام العلامة ولي الله جمال الدين عمدة المحققين محمد بن محمد الجمالي أنّ قبر الغزالي القديم مشهور بمقبرة طوس وأنهم يسمونه الغزالي الماضي وأنه جُرِّب من أمره أنّ من كان به همٌّ ودعا عند قبره استجيب له ا.هـ

د- وذكر أيضاً في ترجمة ابن فورك أنّ الإمام الشهيد أبا الحجاج يوسف المالكي قبره ظاهر خارج باب الصغير بدمشق معروف باستجابة الدعاء عنده .

هـ- ونقل أيضاً عن عبد الغافر الفارسي : أنّ قبر ابن فورك ظاهر بالحيرة يستسقى به ويستجاب الدعاء عنده .

و- ونقل الإمام النووي في ترجمة الإمام نصر المقدسي قال : سمعنا الشيوخ يقولون : الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب .

ز- وحكى الحافظ أبو بكر ابن المقري في مسند أصبهان أنه واثنين من كبار حفّاظ السنة وعلماءها وهما الطبراني وأبو الشيخ أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبره وشكوا إليه الجوع فأغاثهم الله وأطعمهم على يد شريف بأمر منه صلى الله عليه وسلم . ونقل هذه الحكاية الحافظ السخاوي رحمه الله في القول البديع .

فماذا يقول المعترض ومن معه عن أولئك الأئمة وهل هم مشركون قبوريون ؟

6- ثم قال المعترض : قال الحافظ ابن حجر ﴿ رحمه الله ﴾ في لسان الميزان : أبو عبد الرحمن ابن حسين السلمي ..... تكلموا فيه وليس بعمدة .

أقول : هذا القول منه دال على ضعفه وليس فيه اتهامه بالوضع والكذب ، وقد تقدم عن لسان الميزان قول الحاكم / كان كثيرا السماع والحديث متقناً فيه / وقول السراج : مثله إن شاء الله لا يتعمد الكذب ونسبه إلى الوهم .

وقد ذكر ذلك الإمام ابن حجر رحمه الله في الترجمة نفسها فانظر أخي القارئ المنصف إلى فعل المعترض أخذ من الترجمة قولاً واجتزأه من جملة الترجمة وترك بقية أقوال الأئمة فيه من الموضع ذاته ، فهل هذا من الأمانة العلمية والنزاهة في البحث والنقل ؟

7- ثم قال المعترض : قال الحافظ الذهبي في السير : قال الخطيب قال لي محمد بن يوسف القطان الخ

أقول : أخذ المعترض من الترجمة قول الإمام الخطيب الذي روى فيه قول القطان ، وترك قول الخطيب ذاته فيه والذي اعتمده المحدث السبكي في الطبقات واعتبره توثيقاً من الخطيب له وهو : ﴿ وكان مع ذلك محموداً صاحب حديث ﴾ وقد تقدم .

والحافظ الذهبي رحمه الله عندما ترجمه قال : / الإمام الحافظ المحدث شيخ خراسان وكبير الصوفية / فوصفه بالإمامة وعدّه من الحفاظ ومن المحدثين ، والمعترض الذي اجتزأ كلام القطان من الترجمة لم ينقل ما قاله الخطيب كما تقدم ولم ينقل وصف الذهبي له بالإمام الحافظ المحدث ، فأين الأمانة يا جامع القراءات العشر ؟

8- ثم قال المعترض : نقلاً عن الحافظ الذهبي رحمه الله : وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية .

أقول :

1 – سأنقل هنا كلام الأستاذ نور الدين شريبة الأزهري فيما يتعلق بكتابه حقائق التفسير كما وعدت من قبل ثم أعلّق عليه :

قال : أنت لو قرأت هذا التفسير لم تجد فيه لأبي عبد الرحمن رأياً خاصاً ، إنما هي آراء القوم وفهمهم ، جمعها في كتاب أخرجه للناس ، قال في كشف الظنون / لكن المفسرين من أهل الظواهر تكلموا فيه على ما هو رأيهم في أمثاله /

أقول : ثم نقل الأستاذ الأزهري كلام الحافظ الذهبي رحمه الله وفيه : في حقائق التفسير أشياء لا تسوغ أصلاً عدَّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدَّها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، ونعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بالهوى .

فالمعترض اجتزأ كلام الذهبي هذا ووقف عند الباطنية ، ولم يذكر ما قاله الحافظ الذهبي بأنّ بعضهم عدَّها عرفانا وحقيقة .

ثم قال الأستاذ شريبة : بل إنه – أي الحافظ الذهبي – ليرى أنّ ما في هذا الكتاب تحريف وقرمطة –

أقول : ذكر الإمام التاج السبكي رحمه الله في الطبقات ما نصه : قال شيخنا أبو عبد الله الذَّهبي : كان – يعني السُّلمي – وافر الجلالة له أملاك ورثها من أمه وورثتها هي من أبيها وتصانيفه يقال :

إنها ألف جزء ، وله كتاب سمّاه – حقائق التفسير – ليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة فدونك الكتاب فسترى العجب ا.هـ

ثم قال السبكي رحمه الله : قلت : لا ينبغي له أن يصف بالجلالة من يدّعي فيه التحريف والقرمطة ، وكتاب – حقائق التفسير– المشار إليه قد كثر الكلام فيه ، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحالّ للصوفية ينبوعنها ظاهر اللفظ ا.هـ

ثم قال الأستاذ شريبة : ويراه السيوطي رحمه الله تفسيراً غير محمود ، والقرآن حمّال ذو وجوه ، وأبو عبد الرحمن راوية ، وناقل الكفر ليس بكافر ، فهذه حملة ظالمة على أبي عبد الرحمن .

أقول : قوله ناقل لكفر ليس بكافر : إذا كان الكلام صريح الكفر قطعي الدلالة عليه لا يقبل التأويل بوجه ما ، ونقله الناقل مقراً له راضياً به فهو كفر ، وإذا نقله منكراً له أو مستفسراً عن مكان الشبهة فيه لرده أو ناقلاً له بقصد الردّ والإنكار أو إقامة شهادة عند القاضي فليس بكفر .

ثم قال الأستاذ شريبة : وبرغم هذا فإنه إذا كان المفسرون من أهل الظواهر قد تكلموا فيه على ما هو رأيهم في أمثاله فإنّ هذا الكتاب قد لقي رواجاً وقبولاً عند خاصة العلماء حتى في حياة مؤلفة ، قال السلمي : لما دخلنا بغداد قال لي الشيخ أبو حامد الأسفرايني أريد أن أنظر في حقائق التفسير فبعثت به إليه فنظر فيه وقال : أريد أن أسمعه ووضعوا لي منبراً ا.هـ

أقول : ينبغي أولاً ذكر ما يتعلق بكتاب / حقائق التفسير / وغيره من التفاسير المنسوبة إلى أهل التصوف من السلف والخلف من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة :

آ– أما من حيث الثبوت فإنه إما قطعي الثبوت إلى المؤلف بجملته وإما ظني الثبوت ، فإن كان قطعي الثبوت بجملته لا نحكم بأن كل كلمة فيه قطعية الثبوت لاحتمال دسها وقد وقع ذلك كثيراً في كتب الصوفية عامة وإن كان ظني الثبوت بجملته فإنّ ذلك يعني أنه نسب إليه وليس من تأليفه .

ب– وأما من حيث الدلالة فإنه إما قطعي الدلالة على الكفر الصريح ولا يقبل التأويل بوجهٍ صحيح ألبتة وهذا نادر

الوقوع بل لا يكاد يُوجد ، وإن وجد لا ندري هل بقي قائله على اعتقاده ومات عليه أم رجع عنه ؟ فيتعين الإمساك عن القائل وتفويض أمره إلى الله تعالى من غير قطع أنه من أهل النار ، وإما ظني الدلالة فيحتمل الكفر وغيره ويقبل التأويل بوجهٍ صحيح تقبله قواعد العقائد الصحيحة والأصول .

وبناء على ذلك فكتاب حقائق التفسير إن كان قطعي الثبوت إلى الإمام أبي عبد الرحمن السُلمي رحمه الله تعالى بجملته ، فإننا لا نستطيع الحكم على كل كلمة فيه أنها قطعية الثبوت لأننا لم نسمعها من قائلها ولم تصل إلينا بالتواتر الذي يفيد القطع وتحتمل أنها مدسوسة على القائل ومنسوبة إليه كذباً من أعدائه أو حساده عبر قرون من الزمن .

والكلمات التي فيه ظنية الدلالة بمعنى أنها تحتمل وجوهاً من التأويل ، منها ما يتوافق مع القواعد والأصول ، وهو الذي نرجحه ونعمل به تغليباً لحسن الظن بالمسلمين وأنهم ماتوا على التوحيد إن شاء الله تعالى ، ولأن نخطئ في الحكم على رجل بالإيمان وهو عند الله كافر خير من أن نخطئ في تكفيره وهو عند الله مؤمن .

وقد قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله محذراً من المجازفة بالتكفير : إنّ القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال : من قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعيّن الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد فلا يشهد على معيّن من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد يتوب من فعل المحرّم وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة المحرّم وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه وقد يشفع فيه شفيع مطاع .

2– قسم علماء التفسير رحمهم الله تعالى ما كتب في التفاسير إلى ثلاثة أقسام :

آ– التفسير الظاهر سواء كان بالأثر أو باللغة وقواعد العلم وأصوله ، وهو الحق المقدم على غيره من التفاسير ولا يصح إنكار شيء منه وذلك كتفاسير الأئمة ابن كثير والقرطبي والبيضاوي والنسفي وأبي السعود والشوكاني والخازن والآلوسي وأمثالهم رحمهم الله تعالى .

ب– التفسير الإشاري وهو الذي كتبه علماء الصوفية كإشارات وفهوم يترقى بها حال السالكين في أثناء سلوكهم إلى الله تعالى من غير تعطيل ما ذهب إليه أهل التفاسير الظاهرة ومن غير تعطيل الأحكام الشرعية والحدود ، وقد استقر رأي جمهور علماء التفسير والأصول على قبول هذا القسم من التفسير وعدم إنكاره على قائليه علماء التصوف ما دام لا يعطل الشريعة ولا ينكر أحكامها الظاهرة .

جـ– التفسير الباطني وهو من وضع الباطنية الذين ادعوا أن ظاهر الآيات القرآنية من الفرائض والمحرمات ليس مراداً وإنما المراد أمور باطنية معنوية لا علاقة لها بالظاهر .

وهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف في شيء وإن ادعوا ذلك تستراً وتقيّة ، ومن نسبهم إلى الصوفية فقد أعظم الفِرية ، والصوفية كلهم خصماؤه يوم القيامة بنسبة هؤلاء إليهم .

أقول : يراجع للزيادة في هذا البحث كتاب / التفسير والمفسرون / للدكتور الذهبي رحمه الله تعالى .

وبناء على ما تقدم فما يوجد في كتاب / حقائق التفسير وغيره / إن كان من قبيل التفسير الشرعي الظاهر أو التفسير الإشاري فهو مقبول ، وما كان من قبيل التفسير الباطني فهو مردود ، ولا يصح لنا القطع بنسبته إلى معين ولا تكفيره سواء روي عنه أو نسب إليه بل يتعامل معه على أنه قول مجهول قائله ومن اعتقده أنه تفسير لكتاب الله ومراد له فإنه يُكفر ، فالحكم على المعتقد له لا على من رُوي عنه أو نسب إليه لاحتمال دسه وافترائه عليه ، ولاحتمال رجوعه عنه وعلى هذا يحمل قول الإمام أبي الحسن الواحدي رحمه الله والذي نقله عنه الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالى في فتاويه .

9- ثم قال المعترض : فإنه من غير المقبول ذكر كلام ليس له مستند شرعي فكيف بكلام مخالف للشرع أقول : يعني بكلامه هذا الحافظ الذهبي رحمه الله فإنه أورد كلمة / قبر معروف ترياق مجروب / ويراها المعترض مخالفة للشرع وقد تقدم بطلان قوله هذا وبيان موفقتها للشرع وأدلة ذلك .

ثم إنه بكلامه هذا ينسب إلى الحافظ الذهبي أنه أورد في كتابه أو كتبه ما يخالف الشرع ولم ينكره ولم ينبه عليه بل أورده مقرّاً له وراضياً به – ومن فعل ذلك يخشى عليه الكفر فالذهبي وغيره في نظر المعترض إذاً مخالفون للشرع ومظنة وقوع الكفر قائمة في حقهم وماذا يريد المعترض وأمثاله من هذه الفكرة الهدّامة لكل درجات الثقة والتوثيق بعلماء الأمة وحفّاظها والذين دونوا قواعد الحق وأدلته والتي أجمع عليها الأئمة والعلماء سلفاً وخلفاً ؟

فلتهنأ أيها الإمام الذهبي بهؤلاء التلاميذ البررة – المعترض ومن على شاكلته – والذين يتهمونك أنك ممن يعرف الحق بالرجال بينما هم عرفوا الرجال بالحق ، لقد عرفوا من الحق ما لم تعرف وتبين لهم أنك على ضلال .

أما نحن فنردُّ على الثقة القول الشاذ الذي ينفرد به في العقيدة والفقه والحديث والتصوف ويكون به مخالفاً لما قاله جماهير الثقات قبله وبعده وخارقاً لإجماعهم ، من غير أن يقدح ذلك في ثقته وعدالته وعلمه وإمامته ، إلا إذا عُرف ببدعةٍ ضلالةٍ في العقيدة وكان داعية إليها فحينئذٍ لا تصح الرواية عنه ويكون ذلك قادحاً في توثيقه وإمامته . وبهذا نطبق قول من قال : نحن قوم نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال .

10- ثم قال المعترض : واللافت للانتباه أنّ الجفري لم يقتدِ بالحافظ الذهبي عندما حكم على الأحاديث والقصص ... الخ

أقول : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾{القلم:39} الحكم الذي تحكم به على غيرك أنت تحكم به على نفسك ، فهو حكم منك عليك ، أنت أيها المعترض في الصفحة ذاتها لم تقتدِ بالحافظ الذهبي رحمه الله في قبوله مقولة ﴿ قبر معروف ترياق مجرب ﴾ وجعلته مخالفاً للشرع خارجاً عنه وجعلته من الذين عرفوا الحق بالرجال ، بينما اعتمدت قوله في الصفحة ذاتها عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه غير ثقة وأنه كان يضع للصوفية فأنت لم تقبل جميع ما قاله الذهبي لأنه خالف بدعتك ،

فكيف تلزم الحبيب الجفري بقبول جميع ما قاله فيما شذّ به عن الجماعة ؟

إذا كنت تجرؤ على ردِّ الحق بالباطل فنحن أجرأ منك في رد الباطل بالحق ، ونحن مع الجماعة ، ومن شذّ عن الجماعة فهو إلى النار ، هل تقبل أيها المعترض جميع ما قاله الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه / سير أعلام النبلاء / من تعاريف التصوف ومن خوارق العادات والكرامات ومن أقوال العباد والزُّهاد التي ذكرها في كثير من التراجم ؟ فإذا كنت لا تقبله وهو حق كيف تلزم أهل الحق بقبول ما هو باطل ؟ ألا فاتق الله ، ودلَّ هذا الذي لفت انتباه المعترض أنه ليس بمنتبه ولا نبيه لأنه وقع فيما أنكره على غيره .

11- ثم قال المعترض : ذكر القاضي عياض ﴿ رحمه الله ﴾ في كتابه / الشفا / في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ثم أورد قولين عن الإمام مالك رحمه الله تعالى :

أقول : رجعت إلى كتاب الشفا فوجدت فيه : الفصل التاسع / حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم عليه / فحذف المعترض من كلام القاضي عياض رحمه الله / وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم عليه / وهذا الحذف متعمد لأن الوهابية لا يرون فضيلة في زيارته صلى الله عليه وسلم ، و يرون أن السفر بهذا القصد معصية ، خلافاً لأهل السنة والجماعة الذين ذكر القاضي عياض رحمه الله مذهبهم في الباب المذكور بقوله :

– وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها ، ثم أورد أحاديث رويت في فضل زيارته صلى الله عليه وسلم وهي وإن كانت ضعيفة إلا أنها بمجموعها تتقوى لا سيما وقد قال بها جماهير علماء أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفا .

ثم قال القاضي عياض : وكره مالك أن يقال : زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم / ثم أورد اختلاف العلماء في وجه الكراهة / وقال : قال أبو عمران رحمه الله : إنما كره مالك أن يقال : طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وأحب أن يُخَص بأن يقال : سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم ، يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض .

والأولى والذي عندي أن منعه وكراهة مالك رحمه الله لإضافته لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لو قال : زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد . فمحى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك ، قطعا للذريعة وحسماً للباب والله أعلم .

ثم قال : وقال ابن أبي فُديك / الإمام الثقة روى عنه الستة وأحمد / سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾{الأحزاب:56}،ثم قال : صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان .

ثم قال : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده .

ثم أورد قول مالك في المبسوط : قال العامة الخفاجي في حاشيته على الشفا عند قول الإمام مالك رحمه الله المذكور : وظاهره أن مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقاً ونقل الشافعية عنه أنّ استحباب عدم الوقوف عنده لأهل المدينة المقيمين بها لا للغرباء الزوار فإنهم يستحب لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في أكثر أيامه للعبادة والقربة بناءً على قاعدته في سد الذرائع .

وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رأيته يفعل ذلك مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف رواه البيهقي وغيره .

وأورد ما رواه ابن سعد أنه رئي ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه .

ثم قال : قال مالك في كتاب محمد : ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج / يعني في المدينة / وفيما بين ذلك ، قال محمد : وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر ...... وكذلك من خرج مسافرا .

ثم قال المعترض : وقال مالك في المبسوط : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء ، وقال فيه أيضاً : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، فقيل له : إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يرويدنه ...الخ ما نقله المعترض .

أقول : حذف المعترض من الكلام الذي نقله من الشفا ونقله عن مالك رحمه الله في المبسوط قوله : وقال فيه أيضاً / لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم / الخ .

وهذه الجملة في كلام مترابط ـــ ذكر المعترض أوله وآخره وحذفها من وسطه لأنها لا تتناسب وبدعته ، فهل هذه هي الأمانة العلمية التي أُثني عليه بها ؟

قال العلامة الشيخ ملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه على الشفا والشهاب الخفاجي رحمه الله في حاشيته عند قول الإمام مالك رحمه الله : لم يبلغني هذا عن أحدٍ من أهل الفقه ببلدنا : أي وقوف المدني من غير سفر عند القبر ، وقوله ببلدنا يعني المدينة لأن عمل أهلها حجة عنده ، وقوله / وتركه واسع / أي جائز يعني ولو فعله فسائغ شائع لأنه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه / ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن / والقياس بوقف الوفاة على حال الحياة صحيح ولا شك أن الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه في حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون بأخذ الفيض من أنوار بركاته فأي مانع من التردد على بابه والتوسل إلى جنابه ـــ إلى قوله ـــ نعم إن كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك أن يقال في حقها الكراهة ، وأما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل إلى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث أبي بن كعب في تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل أن تكثيرها مستحب بالإجماع فإيقاعها أولى في أفضل البقاع ،

ولعل السلف الصالح كان عندهم أمور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك .

أقول : قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله : قد سبق فعل ابن عمر رضي الله عنهما ولا شك أنه كان من أهل المدينة .

ثم قال القاضي عياض : قال ابن القاسم : ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا ، قال وذلك رأي ، قال الباجي : ففـــرّق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم .

قال الشيخ ملا علي القاري : وفيه أنه لا يلزمهم ترك ذلك وأي مانع لما هنالك فهل ترى أحداً قال بأن الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لأنهم قصدوها في سفرهم دون أهل مكة حيث لم يقصدوها في إقامتهم .

وقال العلامة الخفاجي رحمه الله في حاشيته : قال الإمام السبكي رحمه الله في كتابه / شفاء السقام / بعدما نقل مذهب مالك رحمه الله أن الزيارة قربة لكنه كره الإكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع ، وغيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الإكثار منها مطلقاً واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه ، والذريعة ليست بمسموعة في كل مقام كما تقدم عن القرافي رحمه الله تعالى . 1.هـــ مختصراً

أقول : ترك المعترض كل هذا الذي أورده القاضي عياض لأنه لا يتناسب وبدعته واجتزأ من كلام الإمام مالك رحمه الله ما يناسب بدعته وهو بهذا يعتبر خائناً للأمانة وتسقط بذلك عدالته .

أقول : قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء بعد أن ذكر ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى عن محمد بن سيرين قال : قلت لعَبيدة : / عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنسٍ أو من قبل أهل أنس فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها / هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس.

ومثل هذا يقوله هذا الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه.

فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شئ من ذلك عنده، أكنت تعده مبذرا أو سفيها ؟ كلا.

فابذل ما لك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذ بالنظر إلى " أحده " وأحبه، فقد كان نبيك صلى الله عليه وسلم يحبه، وتملا بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم.

وقبل حجرا مكرما نزل من الجنة، وضع فمك لاثما مكانا قبله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر.

ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل.

ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله. وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها، ويقول: يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزلة يمين الله في الارض مسته شفتا نبينا صلى الله عليه وسلم لاثما له.

فإذا فاتك الحج وتلقيت الوفد فالتزم الحاج وقبل فمه وقل: فم مس بالتقبيل حجرا قبله خليلي صلى الله عليه وسلم.

12- ثم أورد المعترض ما رواه البخاري في تاريخه وغيره عن الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه الخ.

أقول : نسب الرواية التي ساقها إلى البخاري في تاريخه والضياء في المختارة وأبي يعلى في المسند والقاضي إسماعيل والرواية ليست عند جميعهم باللفظ الذي ساقه بل اللفظ مختلف فعند البخاري في تاريخه

﴿ فيدخل فيها فيدعو فدعاه ﴾ ثم أورد الحديث بقوله ﴿ لا تتخذوا قبري عيداً ﴾ فالرواية عنده ﴿ فدعاه ﴾ وعند غيره ﴿ فنهاه ﴾ ففيها اضطراب .

وقال الهيثمي رحمه الله تعالى في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفري ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا توثيقا وبقية رجاله ثقات ، قال في لسان الميزان قال الخطيب هو مجهول

والجواب عن هذا الأثر : يحتمل أن الرجل كان من أهل المدينة ومذهب الإمام علي بن الحسين كمذهب الإمام مالك رحمه الله على قول في كراهة الإكثار منها للمقيم بالمدينة خشية الملالة وقد تقدم رده من كلام المحدث الإمام القاري والعلامة الخفاجي ، وأن غيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الإكثار منها

وهذا معارض بأقوال الأئمة الآخرين وأفعالهم وقد تقدم بيان ذلك ، وهم الجمهور من العلماء فقولهم مقدم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ﴿ لا تتخذوا قبري عيداً ﴾ وهو حديث حسن صحيح لكثرة شواهده وطرقه فأقول :

1- قال العلامة المحدث ملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه على الشفا ما نصه : والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيداً ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الأيام ،

وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وأبنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك تحذيراً لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث

﴿ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد ﴾{صحيح البخاري}

ويحتمل أن يراد به الحث على كثرة زيارته إذ هي أفضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى أكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين أو في العمر كرتين بدليل أحاديث كثيرة وردت بالحث عليها وبوجوب الشفاعة لمن أتى إليها ، وقيل : يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن الأمة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله / صلوا علي حيث كنتم / أو لكراهة أن يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة ؛ وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم : إن اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد ، وقال في موضع آخر : والاجتماع العام عندها في وقت معين هو اتخاذها عيدا .

13- ثم أورد المعترض ما رواه سعيد بن منصور رحمه الله من أثر الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ... الخ وقال في التعليق ورواه الذهبي أيضاً في سير أعلام النبلاء .

أقول : القول في معنى هذا الأثر كالقول في سابقه ، وهو معارض بأقوال جمهور العلماء من السلف والخلف في جواز ذلك واستحبابه .

أما قوله ــ ورواه الذهبي أيضاً ــ أقول : لا يقال ــ رواه الذهبي ــ لأنه من المتأخرين عن عصر تدوين الحديث بل يقال وذكره الذهبي ويصح أن يقال خرج بتشديد الراء بناءً على اصطلاح المحدثين في الفرق بين أخرج وخرج حيث يستعملون اللفظ الأول فيمن يسند واللفظ الثاني فيمن يعزو الحديث إلى من أسنده .



إلا أن المعترض حذف من كلام الحافظ الذهبي رحمه الله عند شرحه للحديث كلاماً من الأهمية بمكان

وهذا نصه :

فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً ، مصلياً على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة وأجمل في التذلل والحب ، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته ، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط ، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا ، ولكن من زاره ـــ صلوات الله عليه ـــ وأساء أدب الزيارة أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع فهذا فعل حسنا و سيئاً فيعلم برفق والله غفور رحيم ، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار فزيارة قبره من أفضل القرب ا.هـــ فحذف المعترض هذا الكلام لأنه لا يتناسب وبدعته ، فهو يأخذ من كلام الحافظ الذهبي رحمه الله ما يهواه ويراه حقاً ويرد عليه مالا يهواه ، وما يراه باطلا .

وإني أرى أن باطل الحافظ الذهبي عند المعترض وأمثاله بنظرهم القاصر أكثر من حقه ، وخطؤه أكثر من صوابه .

14- ثم قال المعترض : هذا كلام علماء الإسلام في مسألة الدعاء عند قبر سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فما بالك بمن هو دونه بكثير ؟

أقول : ذكر المعترض قولاً من أقوال الإمام مالك رحمه الله وقد أوّله العلماء ونقلوا عنه غيره كما تقدم ، وذكر قولي الإمامين علي زين العابدين والحسن بن الحسن رضي الله عنهما فقط .

هل أولئك فقط هم علماء الإسلام فقط عند المعترض ؟ وهل يأخذ بأقوال من احتج بأقوالهم في هذه المسألة في جميع المسائل ويعتبرها حجة ؟

أليست هذه الأقوال معارضة بأقوال وأفعال أئمة السلف والخلف الذين لا يُحصون ؟ فلم يترك الجماعة ويتبع ما شذ به الثقة وخالفهم فيه ؟ إنه الهوى المتبع المهلك لصاحبه والعياذ بالله تعالى ، ورحم الله الإمام ابن عطاء الله القائل في حكمه : لا يُخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك ولكن يخاف عليك من غلبة الهوى عليك .

ومن لم يستطع الوصول إلى قبر النبي صلى الله عليه و سلم فليدع عند مقابر المسلمين في بلده أو عند من اشتهرت ولايته وعلمه كما كان يفعل الإمام الشافعي رضي الله عنه عند قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وقد تقدم .

15- ثم أورد المعترض الحديثين الشريفين : ﴿ لا تجعلوا قبري عيداً ﴾ و ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ﴾ .

أقول : الحديثان صحيحان فالأول عند أبي داود برقم 1746 ، وعند الإمام أحمد وابن أبي شيبة بلفظ

﴿ لا تتخذوا قبري عيداً ﴾ وغيرهم وعند عبد الرزاق وأبي يعلى بلفظ ﴿ لا تتخذوا بيتي عيداً ﴾ ، وقد تقدم الكلام على الأول وسيأتي عند قول الإمام المناوي رحمه الله المزيد ،



أما الحديث الثاني فقد رواه مالك برقم 376 بلفظ

﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

وأحمد برقم 7054 بلفظ ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

وابن أبي شيبة ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً يصلى له اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

وعبد الرزاق بلفظ ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً يصلى إليه فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ وغيرهم بألفاظ متقاربة .

أقول : هذه روايات الحديث ، وقد اجتزأ منها المعترض الجملة الأولى عند مالك رحمه الله فقط ، وترك الجملة الثانية من كلام النبي صلى الله عليه وسلم المفسرة للجملة الأولى وترك رواية ابن أبي شيبة ﴿ يصلى له ﴾ ورواية عبد الرزاق ﴿ يصلى إليه ﴾ لأنها تفسر معنى اتخاذه وجعله وثناً يعبد أي بالصلاة له وإليه ، وليس بالوقوف والدعاء عنده ، فلما رأى المعترض أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم هذا يبطل ما ذهب إليه من الضلال لم يورده وتعمد حذفه ، أليس هذا تقديم للرأي والهوى على كلام النبوة ؟ أليس هذا تكذيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورداً لقوله يدخل صاحبه في الكفر، والعياذ بالله تعالى ، كنت أظن أن الهوى الذي يتبعه المعترض والبدعة التي عليها جعلاه يجتزئ كلام العلماء والأئمة ويأخذ منه ويدع كما تقدم .

أما أن يصل به الأمر إلى تجزئة كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأن يأخذ منه ويدع فهذا هو الكفر بعينه والضلال والإضلال ، إن علماء الحديث ذكروا الحديث بجملتيه وفسروه وشرحوه بما في الروايات الأخرى أي بالصلاة إلى القبر عبادة لمن فيه ،

كما قال : ﴿ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

أي يسجدون لها كما يسجدون للأوثان .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتابه : / الجواب الباهر في زوار المقابر / ما نصه : وقد استجاب الله دعوته فلم يتخذ / ولله الحمد / وثناً كما اتخذ قبر غيره بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بنيت الحجرة ، إلى قوله : استجاب الله دعوته فلم يمكن أحداً قط أن يدخل إلى قبره فيصلي عنده أو يدعو أو يشرك به كما فعل بغيره اتخذ قبره وثناً ، ثم قال : فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وعصم قبره المكرم أن يتخذ وثناً . 1.هـ

ويقال للمعترض : هل استجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ لقد استجاب الله تعالى دعاءه بلا شك ولا ريب ، فلم يُعبد قبره صلى الله عليه وسلم ولم يُتخذ وثناً ، فالمؤمنون الموحدون لا يسجدون للقبور ولا

يعبدون أصحابها من أنبياء وأولياء ولا يعتقدون بهم نفعاً ولا ضراً ذاتيا .

وإذا كان المعترض وأمثاله يعتبرون أن الوقوف والدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم عبادة له فقد اتخذ حينئذ قبره وثناً وعُبد من دون الله ، ولم يستجب الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم أو يكون الحديث غير صحيح فيبطل الاحتجاج به مع صحته ، فليختر لنفسه ما يحب أو يقول ما قاله العلماء في معناه إن الوقوف والدعاء عند القبر ليس عبادة لصاحب القبر من نبي أو ولي وليس اتخاذاً له وثناً يعبد من دون الله كما يتوهم المعترض وأمثاله وإلا يكون علماء المسلمين وأئمتهم من عهد السلف إلى زمننا والقائلون بالجواز مشركين وعباد وثن ، ومن يظن بعلماء الأمة وأئمتهم مثل ذلك فهو ضال مضل بلا ريب ولا شك .

وكيف لا تصح الصلاة والدعاء وقد قال تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾{البقرة:125} وهو مقام أقام فيه الخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصلاة والدعاء فيه ، وقال في حق سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾{آل عمران:38} في مكان مكرم عند امرأة مصطفاة على العالمين .

16- ثم قال المعترض : قال الإمام النووي الشافعي رحمه الله في كتابه ﴿ الإيضاح في مناسك الحج ﴾ ... الخ

أقول : هل يأخذ المعترض ومن معه بجميع أقوال الإمام النووي رحمه الله كما أخذ منه هذا القول في هذا الموضع ؟ ونحن نلزمه بذلك كما ألزم الحبيب الجفري من قبل بأخذ جميع أقوال الإمام الذهبي رحمه الله التي لم يأخذ هو بها كلها أيضاً فإن كان يأخذ بجميع ما قاله

فليسمع ما يقوله الإمام النووي رحمه الله في الموضع ذاته من الكتاب المذكور وليأخذ به إن كان رجلا :

قال في الفائدة السابعة بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما : ثم يرجع إلى موقعه قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول : ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ﴾{النساء:64} الآية وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي فداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته على الصراط إذا ما زلت القدم

وصاحباك فلا أنساهما أبدا مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : يا عتبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له 1.هـــ

فما رأي المعترض ومن معه بكلام الإمام النووي رحمه الله هذا هل هو من المقبول عنده أم هو رد ؟
اللهم إنا نعوذ بك أن نكون من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .
ثم إن الإمام النووي رحمه الله قال في أثناء كلامه الذي نقله المعترض عنه : فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء .
فهل يقتدي المعترض ومن معه بأقوال جماهير الأئمة والعلماء التي رددت بها اعتراضاته على الحبيب الجفري أم يبقى مصراً على بدعته واتباع هواه ؟

وقد أشار الإمام ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى في حاشيته على الإيضاح عند قول الإمام النووي رحمه الله / ويكره مسحه وتقبيله – إلى قوله – : وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه : إلى خلافٍ في المسألة وأن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال في إحدى الروايتين عنه / لا بأس به / وأن المحب الطبري وابن أبي الصيف قالا : يجوز تقبيل القبر ومسه ، وأن الإمام السبكي رحمه الله قال : إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه ثم ذكر حديث إقبال مروان فإذا برجل ملتزم القبر ـــ الحديث ـــ

وفيه وذلك الرجل هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وهذا الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند فيه كثير بن زيد ، وثقه جماعة وضعفه النسائي 1.هـــ
أقول : قال في خلاصة الوفا ما نصه : وفي كتاب العلل لعبد الله ابن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال : سألت أبي عن الرجل يمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالمنبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى فقال لا بأس به .
قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله يعني / أحمد بن حنبل رضي الله عنه / قبر النبي صلى الله عليه وسلم يمس ويتمسح به ؟ فقال : ما أعرف هذا قلت له : فالمنبر ؟ فقال أما المنبر فنعم الخ .
قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم : روى أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ويده ولم يرخصوا في التمسح بقبره ، وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره ا.هـــ
وفي بدائع الفوائد للشيخ ابن القيم رحمه الله وغيره : أن الإمام ابن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى لمّا سئل عن المفاضلة بين الحجرة النبوية الشريفة والكعبة المشرفة قال : إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله لا العرش وحلته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة ، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح .

17– ثم أورد المعترض قول ﴿ الإمام ﴾ ابن حجر الهيتمي الشافعي الصوفي ﴿ رحمه الله تعالى ﴾ في حاشيته على كلام الإمام النووي ﴿ رحمه الله ﴾ السابق .

أقول :

1– ما بين الأقواس زيادة من عندي لأنّ المعترض لم يصفهم بالإمامة ولم يترحم عليهم .

2– حذف المعترض من كلام الإمام ابن حجر رحمه الله جملة في موضع النقاط وهي مع ما قبلها : وعُلم مما تقرر كراهة مسِّ مشاهد الأولياء وتقبيلها – نعم إن غلبه أدب أو حال فلا كراهة – أتدرون لم حذفها المعترض ؟ لأنه لا يعرف منه وممن حوله من الوهابية الأدب ولا الحال ، وقد ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله قبل هذا الموضع بأسطر أحاديث التوسل التي ذكرها في رد الاعتراض الرابع وقال بعدها : ولا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء ، فهل يقول المعترض بمثل قوله أم يرده ؟

وقال القسطلاني في المواهب اللدنية : وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه ، وتكلم على معنى الاستغاثة وأنه لا فرق بين التعبير بلفظها أو بلفظ التوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قبل خلقه وبعده في مدة حياته ويعد وفاته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة.

3– قال المعترض في كلام الشيخ ابن حجر رحمه الله : وروى أنس ﴿ رضي الله عنه ﴾ أنه رأى رجلاً وضع يده على القبر الشريف فنهاه وقال : ما كنا نعرف هذا أي الدنو منه إلى هذا الحد .

أقول : الصحيح روي عن أنس رضي الله عنه كما جاء في الأصل ، وإلا أصبح أنس رضي الله عنه راوياً عن نفسه فحقُّ العبارة أن يقول حينئذٍ – رأيت رجلاً – .

ومعنى قول سيدنا أنس رضي الله عنه : ما كنا نعرف هذا أي الدنو منه إلى هذا الحد ، أي لمنافاته الأدب وإخلاله بالتعظيم فإنّ حرمته صلى الله عليه وسلم وهو في برزخه كحرمته في حياته .

قال الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام .

وهذا الذي قاله الإمام النووي رحمه الله في كلامه السابق : ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته صلى الله عليه وسلم هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه .

وتقدم قول الإمام مالك رضي الله عنه في كراهة قول زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنّ الأولى أن يقال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم . فكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم بغيره من الناس .

قال الشيخ المحدث ملّا علي القاري رحمه الله في شرحه على كتاب الشفا : / فيمن وقف بالقبر لا يلصق به / لأنه ناشئ عن قلة الأدب مع رسول الرب صلى الله عليه وسلم ، / ولا يمسُّه / أي لعدم وروده بل ورد النهي عن مسه ولمسه / ولا يقف عنده طويلاً / خوفاً من الرياء والسمعة أو من الملالة والسآمة .

قال العلامة الخفاجي رحمه الله في حاشيته : فلا يقبله فيكره مسُّه وتقبيله وإلصاق صدره لأنه ترك أدب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبري رحمهما الله تعالى لا بأس بتقبيله والتزامه ، وروي أنّ أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه كان يلتزم القبر الشريف ، قيل : وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة ، وهو كلام حسن ا.هـ

وقال عند قوله – ولا يمس القبر بيده – فيكره إلصاق الظهر أو البطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الآن لما في ذلك من مخالفة الأدب معه صلى الله عليه وسلم – إلى قوله : – بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي إلى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكن – الخ فمن أحب الزيادة فليرجع إليه فإنه بحث نفيس .

أقول : مما تقدم تبين أنّ العلة في المنع من تقبيل القبر الشريف منافاة الأدب والتعظيم ، وهذا خاصٌّ به صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إن علمت قبورهم بوجه قطعي لا يقاس عليهم غيرهم لأننا لا نسوِّيهم بأحدٍ من الخلق غيرهم ، والعلة في المنع من تقبيل غير قبره صلى الله عليه وسلم خشية مجاوزة الحد الوارد الذي يؤدي إلى محذور من باب سدِّ الذرائع ، ويستثنى من ذلك كما تقدم من غلبه أدب أو حال وتيقن عدم وقوعه أو وقوع غيره في محذور ، ويُتسامح عند قبور الأولياء والصالحين إذا لم يؤد إلى محذور ما لا يُتسامح بمثله عند النبي صلى الله عليه وسلم لعدم التسوية كما تقدم .

18– ثم أورد المعترض قول الشيخ المناوي الشافعي الصُّوفي ﴿ رحمه الله ﴾ في فيض القدير عند شرحه لحديث ﴿ لا تجعلوا قبري عيداً ﴾ ... الخ .

أقول : حذف المعترض من كلام المحدِّث المناوي رحمه الله وأوله وآخره وإليك ما قاله بنصِّه :

– ولا تتخذوا بيتي عيداً – / أي لا تتخذوا قبري مظهر عيد ، ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوز واحد التعظيم / وقيل : العيد ما يعاد إليه أي : لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليَّ ، وظاهره ينهى عن المعاودة والمراد المنع عمَا يوجبه ، وهو ظنهم أنَ دعاء الغائب لايصل إليه ، ويؤيده قوله : ﴿ وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ﴾ أي لا تتكلفوا المعاودة إليَّ فقد استغنيتم بالصلاة علي ، / لأنّ النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهد بنفسها أو بإخبار الملك لها وفيه سرٌّ يطلع عليه من يُسِّر له / ا.هـ

بحروفه فما بين القوسين في أول هذا الكلام وآخره تعمد المعترض حذفه لأنه لا يتناسب وهواه وبدعته ، فأين الأمانة العلمية في النقل ؟ وقد تقدم شرح الحديث وأقوال العلماء في معناه ، ومن ذلك ما جاء في حاشية كتاب الشفا لتلامذة الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله تعالى وحفظهم ما نصه : أي كالعيد باجتماع الناس عنده ... أولا تقللوا الزيارة مرة في العام كالعيد بل زوروه دائماً ، ولا حجة في هذا الحديث لمن ادّعى منع الزيارة بل أجمعت الأمة على خلافه ، وهذا يقتضي تفسيره بغير ما فهموه ا.هـ

19- ثم قال المعترض : وأما قول الجفري : إنّ الكرخي ﴿ رحمه الله ﴾ تلقى عن الإمام علي الرضا ﴿رضي الله عنه﴾ ... الخ .

أقول : ما بين القوسين زيادة على كلامه ، وما قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى معارض بقول غيره وإليك البيان :

1- ما نقله الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى بقوله : وكان معروف أسلم على يد عليٍّ بن موسى الرِّضا ، وكان بعد إسلامه يحجبه فازدحم الشيعة يوماً على باب علي بن موسى فكسروا أضلع معروف فمات ودفن ببغداد ، وهذا الكلام مؤيد ومثبت بالإسناد المتصل .

2- فقد ذكر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته في ترجمته : وهو من موالي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ، وقال في موضع آخر : أسلم على يَدَي علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ، ثم قال الإمام القشيري رحمه الله : وموعظة ابن السمّاك ما قاله معروف : كنت مارًّاً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السمَّاك وهو يعظ الناس

فقال في خلال كلامه : من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاً ما ، فوقع كلامه على قلبي فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال : يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت ، ثم قال القشيري رحمه الله مبيناً إسناد هذه الحكاية أخبرني بهذه الحكاية محمد بن الحسن قال سمعت عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد يقول سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول سمعت علي بن عيسى يقول سمعت سرياً السقطي يقول سمعت معروفاً يقول ذلك .

3- تقدم من قول العلامة المحدث يوسف بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله تعالى : ذكر إسناده في خرقة الصوفية من طريقين وفي الأول منهما قوله : - وهو لبسها من يد معروف الكرخي وهو تأدب بعلي بن موسى الرضا – وفي الثاني منهما قوله : ولبسها سري من يد معروف الكرخي وهو أخذ العلم والأدب من علي بن موسى الرضا ا.هـ فهذان الإمامان القشيري والمقدسي رحمهما الله تعالى مثبتان والإمام الذهبي رحمه الله ينفي ، والمثبت مقدّم على النافي عند المحدثين فسقط اعتراض المعترض على الحبيب الجفري ، فاضرب باعتراضه وجه المعترض قبل أن تضرب عُرْض الحائط .



الفصل الثاني والعشرون

الدفاع عن الحبيب الجفري 21 (حول ثناء العلماء على التصوف وأئمته)

– قال المعترض : وفي الصفحة / 67 / زعم الجفري أنّ مجرّد إيراد العلماء لتراجم الصوفية في كتبهم مثل ابن الجوزي والذهبي ... الخ

– : من أين له أنّ الحافظ الذهبي أو الإمام ابن الجوزي إذا أرادا أن يمدحا أحداً قالا عنه إنه صوفي ؟

أقول :

1– تقدم ما ذكر في مقدمة سير أعلام النبلاء من أن الصوفية قسمان : قسم من أخيار الأمة وصالحيها وهؤلاء مُدحوا وأثني عليهم من قبل كل مؤرخي كتب الأعلام ، وقسم من الأدعياء والدخلاء المارقين وهؤلاء ذُمّوا وطعن فيهم وتبرأ علماء التصوف منهم .

فمدح الصوفية ليس على إطلاقه ، وذمهم ليس على إطلاقه ، فيمدح قوم ويُذَمُّ آخرون .

2– تقدم أيضاً في سير أعلام النبلاء أنّ الحافظ الذهبي رحمه الله لبس خرقة التصوف تبركاً وكفى بفعله هذا حُجة على صحة طريقتهم والثناء عليهم ، وإذا كان المعترض وأمثاله يعتبرون لبس الإمام الذهبي وغيره من الأئمة خرقة الصوفية ذماً ونقصاً للتصوف وأهله فإنهم بذلك يذمون هؤلاء الأعلام وينتقصونهم ، والذي يذم أعلام العلماء وينتقصهم يُعزَّرُ بالضرب والسجن قضاء .

3– ذكر الإمام الذهبي رحمه الله تعاريف كثيرة للتصوف في كتابه وأثنى على كثير من أعلامهم ومشايخهم كما تقدم بيانه ومن ذلك :

1* جاء في ترجمة الإمام الحسن البصري رحمه الله : وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب .

2* قال في ترجمة أبي حفص النيسابوري رحمه الله الإمام القدوة الرباني شيخ خراسان ، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور .

3* قال في ترجمة ابن مسروق الشيخ الزاهد الجليل الإمام أبو العباس البغدادي شيخ الصوفية ، وهو القائل : التصوف خلو الأسرار مما منه بد ، وتعلقها بما لا بد منه .

4* قال في ترجمة الإمام الجنيد رحمه الله : علمنا يعني التصوف مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها : فسألوه عن التصوف فقال هو إفراد القديم عن الحدث والخروج عن الوطن ، وقطع المحاب ، وترك ما علم أو جهل ، وأن يكون المرء زاهداً فيما عند الله راغباً فيما لله عنده .

–

–

5* وقال في ترجمة يحيى بن محمد بن صاعد الإمام الحافظ المجود : قال أبو عبد الرحمن السلمي سألت الدار قطني عن يحيى بن محمد بن صاعد فقال : ثقة ثبت حافظ ، وعمهم – أي عبد الله ابن صاعد – يحدث عن سفيان ابن عيينة في التصوف والزهد .

6* قال : القدوة العارف شيخ الصوفية أبو بكر محمد بن علي البغدادي الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف .

7* المرتعش الزاهد الولي أبو محمد عبد الله ابن محمد النيسابوري كان يقال : عجائب بغداد في التصوف ثلاث : نكت أبي محمد المرتعش وحكايات الخلدي وإشارات الشبلي .

8* ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد البصري الصوفي نزيل مكة وشيخ الحرم صحب المشايخ وتعبد وتأله وألف مناقب الصوفية وحمل السنن عن أبي داود وكان كبير الشأن بعيد الصيت عالي الإسناد

قال : التصوف كله ترك الفضول .

وقال : إنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الايثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل.

وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة.

9* ابن داود الإمام الحافظ الرباني العابد شيخ الصوفية أبو بكر محمد بن داود النيسابوري الزاهد وكان صدوقاً حسن المعرفة من أوعية العلم وكان في التأله صنفاً آخر

أرخه الحاكم فقال : هو شيخ عصره في التصوف .

10* بندار بن الحسين الشيرازي القدوة شيخ الصوفية أبو الحسين .

11* أبو سهل الصعلوكي محمد بن سليمان بن محمد النيسابوري الفقيه الشافعي المتكلم النحوي المفسر اللغوي الصوفي شيخ خراسان قال الحاكم : هو حبر زمانه وبقية أقرانه .

قال أبو العباس النسوي : كان أبو سهل مقدماً في علم التصوف ، وله كلام حسن في التصوف : قال الحافظ الذهبي : مناقب هذا الإمام حجة .

–

–

12* الإمام المحدث القدوة الواعظ شيخ الصوفية أبو القاسم إبراهيم بن محمد الخراساني النصرابازي النيسابوري الزاهد .

وقال : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع .

وأكتفي بهذا القدر من التراجم لكثرتها في الكتاب المذكور وأحيل القارئ إليه ليجمعها وليقرأ أن وصفهم بالصوفي كان مدحاً لازماً خلافاً لما زعمه المعترض وافتراه على الإمام الذهبي رحمه الله تعالى .

وانظر أخي القارئ أيضاً في كلمتي القوم والطريقة لتجد أنهما في كثير من المواضع المراد بهما الصوفية وطريقتهم والثناء عليهم إلا من خرج عن الشريعة منهم فإنه مذموم .

4– ما زال مشرب أهل التصوف محترماً ومعظماً على لسان علماء المسلمين من عهد السلف إلى عهد الخلف ومن ذلك :

1* الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء ، ونقل عنه الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه – مدارج السالكين – قوله : أعزُّ الخلق خمسة أنفس : عالم زاهد ، وفقيه صوفي ، وغني متواضع ، وفقير شاكر ، وشريف علي .

2* شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : حكى الإمامان السبكي والسيوطي رحمهما الله تعالى : أن العِز لبس خرقة التصوف من الشهاب السُّهروردي – صاحب عوارف المعارف – وكان يحضر عند الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ويسمع كلامه ، وسئل عن قول الإمامين القشيري والغزالي رحمهما الله تعالى – الصوفية أفضل من العلماء الراسخين – فقال : هذا متفق عليه ولا يشك عاقل أن العارف بالله أفضل من العارفين بأحكام الله بل العارفون أفضل من أهل الفروع والأصول . نقله في كتاب / نجوم المهتدين /

3* الشيخ ابن تيمية رحمه الله : لم يعرف عنه أنه يجرُّ ذيل الإنكار على مذهب التصوف برُّمته بل هو في كتبه ومؤلفاته يثني على الإمام الجنيد وأضرابه وعلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهم ، وينقل كلامهم ويفسره ويبين المراد منه وخصص مجلداً ضخماً في فتاويه الكبرى للتصوف والدفاع عنه وعن رجاله فليرجع إليه المعترض إن أحب اتباع العلماء والأئمة والابتعاد عن البدعة والهوى ، وأوصى الشيخ رحمه الله أن يدفن في مقابر الصوفية بدمشق وهذا يدل على اعتقاده بهم وأنه محب لهم ولطريقتهم .

4* الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى : ذكر الإمام السبكي رحمه الله في الطبقات أنه كان يقتدي في التصوف بالشيخ الكبير ياسين المراكشي رحمه الله ويجله إجلالاً كبيراً وكان يتأدب معه ويرجو بركته ، وقرأ على تلامذته في دار الحديث بدمشق كتاب / صفوة التصوف للحافظ المقدسي رحمه الله / .

–

–

5* الشيخ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : في كتابه / مدارج السالكين / وكتابه / طريق الهجرتين / الثناء الكثير على التصوف وأهله ومن ذلك قوله في المدارج : الصوفية ثلاثة أقسام : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وبدع الفريقين المقلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه ، وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين ، فهم في الحقيقة علماء حكماء .

ومن ذلك قوله في الجزء الثالث منه : رحمة الله على أبي القاسم الجنيد ، ما أتبعه لسنة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أقفاه لطريقه وطريق أصحابه .

6* الإمام أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله تعالى : قال في كتاب سراج المريدين : ولقد رأيت في هاته الصوفية أعياناً أجلَةً علماً وخشية ، وأولياء ذوي كرامات كثيرة يُفتخر بها على سائر الملل ، وإن كان منهم الغَث والسمين والصالح والطالح وكان ينتمي إلى عدة مشايخ من رجال التصوف كالإمام الغزالي وأبي منصور الشيرازي رحمهما الله تعالى .

7* الإمام الشاطبي رحمه الله : قال في كتابه / الموافقات / مانصه : الصُّوفية حجّة في علومهم وهم صفوة الله من خلقه باتفاق ، وقال : جعل الله هاته الطائفة صفوة أوليائه وفضّلهم على الكافّة بعد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام

- وقال في كتابه الاعتصام : إنَ الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلَين بشيء من آدابها ، أبعد الناس عن البِدع وأهلها ، ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى ضلالة ، وأكثر من يذكر منهم علماء وفقهاء ومحدَثون وممن يؤخذ عنه الدين أصلاً وفرعاً ، ومن لم يكن كذلك فلابد أن يكون فقيهاً في دينه بمقدار كفايته .

8* قال العلامة ابن الحاج رحمه الله في الجزء الثاني من مدخله : بعدما انتقد ما ظهر له انتقاده من أعمال بعض المتصوفة : ولا يظن ظان أنَ ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله بشرطه المعتبر عندهم إذ أنه درج عليه السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر الانتماء إلى المشايخ بشروطه ، وفيه أيضاً : اعلم أن طريق القوم نظيفة وكل شيء يدنَس النظيف .

أقول : وغير هذا كثير واو أردت استقصاء ما ذكره الأئمة والعلماء في شرف التصوف وفضله واحترامهم وتعظيمهم لأهله لاحتاج الأمر إلى مجلدات وقد كتبت أكثره في كتابي / علماء الصوفية هم السلفية الحقيقيون / وذكر أكثره الشيخ أحمد بن عليوه المستغانمي رحمه الله تعالى في رسالته / الناصر معروف في الذَب عن مجد التصوف / فليرجع إليها من يحب المزيد .

وأما الإمام ابن الجوزي رحمه الله فلا أدلَّ على تعظيمه للتصوف وأهله من كتابه ـــ صفة الصفوة ـــ فسماهم الصفوة وأورد الكثير من تراجمهم مادحاً لهم ومعظما للتصوف وأهله .

وأقول للمعترض ومن معه : ما رأيكم في كلمات الأعلام والأئمة السابقة وهل هي مدح للتصوف وأهله أم ذم لهم ؟ وكأني بالمعترض لا يعرف الفوارق بين المدح والذم في كلام العرب فيجعل كل مدح ذماً ، وهذا من عمى القلب والعياذ بالله تعالى وصدق الله القائل :

- ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور ﴾{الحج:46}

5- ثم قال المعترض : نجد أن الحافظ الذهبي ﴿ رحمه الله ﴾ يعدد أوصاف الشخص ... الخ .

أقول : هذا المعترض إما أنه لم يقرأ كل التراجم في كتب السير والتي منها تراجم أعلام التصوف والثناء عليهم وهي كثيرة ، وإما أنه قرأها واطلع عليها ثم تعامى عنها وتجاهلها لأنها لا تتناسب مع بدعته وهواه ، وأحسّن الظن به فأقول بالاحتمال الأول وأقول عد إلى قراءة كتب التراجم والسير من جديد لتجد خلاف ما ادعيته وافتريته ، لعلك تتوب إلى الله تعالى قبل نزول الموت بك وتستدرك بما بقي من أيام حياتك ما فاتك من الخير فيما مضى منها .

ثم إن وصف رجل بأنه شافعي ونحوي ومسند وأصولي وحنفي ولُغوي كالنسبة إلى علم من العلوم كل ذلك من صفات المدح لا الذم لأن العلوم كلها محمودة سواء كانت من علوم الشريعة أو آلاتها ، ولم يمر في كتب العرب قديماً وحديثاً أن أحداً ذُم بعلم من هذه العلوم وإذا كان المعترض يعتبر هذه الأوصاف ذماً لا مدحاً فهو دليل على جهله بالعربية وجهله بتلك العلوم ومكانتها ومكانة من اشتغل بها من العلماء ، وكل علمٍ من علوم الشريعة وآلاتها معظّم ومعظّم أهله عند العامة والخاصة من المسلمين في كل المذاهب والطوائف إلا الوهابية فإنه لا قدر عندهم لهذه العلوم ولا لأهلها وأكبر دليل على ذلك هو كلام المعترض هذا الذي جعل الممدوح من العلوم مذموماً وجعل المدح لها ذماً ، وهذه استهانة منه بالعلوم واستخفاف بأهلها يستحق بسببه أن يعزر عليه بالضرب والسجن في حكم القضاء عند قضاة المسلمين وحكامهم .

أما قوله : النيسابوري البغدادي وما إلى ذلك من النسبة إلى بلدٍ ما ، فهذه نسبة وليست وصفاً يستحق به الإنسان مدحاً أو ذماً ، فإن البلاد لا تقدس أحداً وإنما يقدس الإنسان علمه وعمله ، والمعترض لم يفرق بين النسبة إلى العلوم التي يستحق بها الإنسان وصفاً يمدح به وبين النسبة إلى البلاد التي لا يستحق بها الإنسان وصف مدحٍ أو ذم وإلا فعليه أن يبين لنا البلاد التي يستحق الإنسان أن يُمدح الإنسان إذا نسب إليها ، والبلاد التي يُذم بنسبته إليها ، وليس في كلام أحدٍ من العلماء أو العقلاء ما يدل عليه أو يشير إليه بل هو ضرب من الجهل والجنون أعاذنا الله والمسلمين من ذلك آمين .

ولا ندري هل بلاد الجزائر التي ينتسب إليها المعترض من بلاد المدح أو الذم ؟ ربما يكون في المسألة خلاف فبعضهم يعتبره مدحاً وبعضهم يعتبره ذماً فليبين لنا المعترض ذلك بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة .

-



6- ثم قال المعترض : فلماذا عدَّ كلمة الصوفي مدحاً ؟

أقول : تقدم أنَّ التصوف مُدِح وأثني عليه من كبار العلماء والأئمة ، وأن الصوفية منهم من يُمدح ومنهم من يذم بحسب تقيدهم بأصول المذهب وقواعده أو خروجهم عنها ، فلا يمدحون مطلقاً ولا يذمون مطلقاً ، وهذا هو الإنصاف العلمي النزيه .

7- ثم قال المعترض : وإننا إذا تأملنا في ترجمة الإمام الذهبي ﴿ رحمه الله ﴾ للكثير من أشياخه ... الخ .

أقول : إذا كان مفهوم التصوف عند الإمام الذهبي رحمه الله كما هو عند غيره من العلماء والأئمة : الاستقامة على الشريعة وآدابها ظاهراً وباطناً والإخلاص لله تعالى وصدق التوجه إليه ، وتزكية النفس وتخليصها من الرعونات وعلل الأعمال .

فإنه ومشايخه وأصحابه ومن يجلهم كانوا متحققين بذلك إن شاء الله عملاً بحسن الظن بالمسلمين وعلمائهم ، فسواء أطلق عليهم اسم الصوفي أو لم يطلق فهم متحققون بمعناه ، وإلا فيكون هو ومشايخه وأصحابه ومن يجلهم غير متحققين به ولذلك لم يطلق عليهم اسم الصوفي الدال على ذلك .

وهل يرضى المعترض ومن معه أن نتهم أولئك الأكابر بأنهم كانوا غير مستقيمين على الشريعة وآدابها وغير مخلصين لله ولا صادقين في التوجه إليه ولم يزكوا أنفسهم ولم يخلصوها من الرعونات وعلل الأعمال ؟ إن كان المعترض وأمثاله يرضون ذلك للأكابر ويتهمونهم به فإننا لا نرضاه لهم ولا نتهمهم به .

قال الإمام الجرجاني الصوفي رحمه الله في كتابه / التعريفات / التصوف مذهب كله جدّ فلا يخلطه شيء من الهزل ، وقيل : نظافة من مخالطة البرية وموافقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدَّعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ما هو أولى على السّرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة .

فهل كان الإمام الذهبي الذي لبس خرقة الصوفية ومشايخه وأصحابه ومن يجلهم متحققين بهذه المعاني أم لا ؟ أما عندنا فنعم ، وأما عند المعترض فلا ، لأنهم لم يوصفوا بالصوفية .

ثم إن علماء الأمة وأتقياءها من السلف والخلف أحرص الناس على إخفاء أحوالهم مع الله تعالى فلا يحبون أن يُعرفوا بوصف ولا أن يمدحوا ولا أن يُشهروا لأن كل ذلك قادح في الإخلاص .

وكثير منهم يستحيون من الله تعالى أن يثني عليهم بوصفٍ لا يشهدونه من أنفسهم ، ويستحيون من الله أن ينسبوا إلى الصوفية من علماء السلف كالجنيد وأضرابه ولم يتحققوا بما كانوا عليه أدباً مع أولئك العلماء الربانيين أن يزاحموهم في مراتبهم وأن يدّعوها لأنفسهم .

-

-

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في صوفية القرن الرابع بعد مقايستهم برجال التصوف من أهل القرنين الثاني والثالث :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحيّ غير نساءها

الإنسان الذي يدعي حالة لم يتحقق بها أو يدعي الانتماء إلى قوم لم يحقق النسبة إليهم داخل في أهل الكذب والزور ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

– ﴿ الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُور ﴾{أخرجه البخاري برقم:4818} .

وهؤلاء العلماء الربانيون أتقى وأورع من ادّعاء الانتماء وعدم تحقيق النسبة ، ولذلك أَبقَوا قدسية المذهب وجلالة أهله بعدم نسبتهم إليه وإليهم خشية أن يلوث أو يساء إليه ، ورحم الله العارف الرواس القائل :

إني إذا ادعيت يوماً حبهم لعبأ وزري يا هذيم أستحي .

نقل لي والدي رحمه الله عن شيخه محمد الهاشمي رضي الله عنه قوله : لو ظهر الصوفية ورأوا ما نحن عليه لقالوا عن أمثالنا لصوص وقطاع طريق ا.هـــ

وذلك لأننا سرقنا الوصف وادعيناه دون تحقيق ولا تخلق .

8– ثم قال المعترض : نجده كثيراً ما يذم تراجم المتصوفة ... الخ .

أقول : على الباحث المنصف أن يرجع إلى كتاب سير أعلام النبلاء وأن يجدول بجدولين تراجم الصوفية الذين مدحهم الحافظ الذهبي رحمه الله وتراجم الصوفية الذين ذمَهم ، وأنكر عليهم انحرافاتهم وبدعهم كما يدعي المعترض ، وبعد ذلك يحكم على المعترض بالحكم الذي يراه مناسباً . وقد تقدم قول الإمام السبكي رحمه الله في شيخه الذهبي رحمه الله أن الصوفية والأشعرية الذين حط عليهم وذمهم بغير حق كلهم خصماؤه يوم القيامة ، ومعلوم في علم أصول الحديث أنَ الجرح غير المفسر والمبيَن لايلتفت إليه ، وأن تعديل من عدله مقدم عليه .

9– ثم أورد المعترض قول الإمام أبي نعيم الحافظ رحمه الله عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله / تخرَج به جماعة من الأعلام كإبراهيم بن المولد وكان ملازماً للشرع متبعاً له / وقال الحافظ الذهبي رحمه الله : يعني أنه كان سليما من تخبيطات الصوفية وبدعهم ، ثم قال : فما رأي الجفري بهذا ؟

أقول : الحافظ أبو نعيم رحمه الله له كتاب اسمه / حلية الأولياء / ترجَم فيه للمئات من سلف الأمة إلى زمانه ، وجعل في أكثر التراجم في أولها تعريفاً للتصوف يتناسب وحال المترجم له حتى قاربت تعاريف التصوف في كتابه الخمسمائة تعريف فهل اطَلع عليها المعترض ومن معه ؟ وهل يقرون الحافظ أبا نعيم أم يعترضون عليه ويردون كلامه ؟

–

–

- وها هو الحافظ الذهبي رحمه الله يستشهد بقوله ويعتمده في ترجمة سعيد بن عبد العزيز رحمه الله ، واعتماده قوله حجة على المنكرين المعترضين ثم إن كلام الحافظ الذهبي رحمه الله أنه كان سليماً من تخبيطات الصوفية وبدعهم ، محمول على القسم الثاني من الصوفية وقد تقدم في مقدمة السير بيان القسمين وكلنا منكر لهم ونحن مع الحافظ الذهبي رحمه الله في إنكاره على الدخلاء والأدعياء أصحاب التخبيطات والبدع ، هذا هو رأينا ورأي الحبيب الجفري وكل من تشرف بالانتساب إلى مذهب القوم رضي الله عنهم أجمعين .

10- ثم قال المعترض : ومسألة أن يورد الذهبي تراجم الصوفية في كتابه لا يمكن جعلها بمنزلةالرضا بعقائد بعضهم الباطلة لأن الإمام الذهبي وغيره يوردون في كتب التراجم أسماء وتراجم للنصارى والمجوس واليهود ... الخ .

أقول : قاتل الله الهوى المعمي لقلب وعقل صاحبه .

1* هلّا ذكر المعترض عقائد البعض الباطلة ومن هم أولئك البعض الذين ذكرهم الحافظ الذهبي وغيره ؟ حتى نميزهم عند أهل الحق وعقائدهم الصحيحة .

فإنه بكلامه يثبت بعضاً عقائده باطلة ومفهوم هذا وجود بعض آخر عقائده صحيحة فيتعين جدولة الفريقين وبيان عقائدهم حتى لا نأخذ أهل الحق بجريرة أهل الباطل ، قال تعالى :

- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾{الإسراء:15}

2* تسوية البعض الذين سماهم المعترض أصحاب العقائد الباطلة بالنصارى والمجوس واليهود يعني إخراجهم من دائرة الإسلام والتوحيد إلى الكفر ،

- فهذا حكم من المعترض بتكفيرهم وقد قال الله تعالى :

- ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾{القلم:35}

- وقال : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِين ﴾ {الحجر:2}

- ومعلوم عند أهل السنة والجماعة قاطبة أن الحدود تدرأ لأدنى شبهة لحديث :

- ﴿ ادْرَؤوا الْحُدُودَ وَالْقَتْلَ عَنْ عَبَّادِ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُم ﴾

- {الطبراني في الكبير برقم:9580 عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه}

- فكيف بما هو أشد وهو التكفير ؟ ثم إن أهل السنة مجمعون على عدم تكفير أحد من المخالفين لهم من أهل البدع الصريحة من أهل القبلة ، ومجمعون أيضاً على أن عقائد الصوفية هي عقائد أهل السنة والجماعة لم يخرجوا عن شيءٍ منها ، وليرجع المعترض إلى معرفة عقائد الصوفية في أول الرسالة القشيرية وفي كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي رحمه الله تعالى .

-

ثم ادعاؤه أن الحافظ الذهبي وغيره ذكروا النصارى والمجوس واليهود في كتبهم ادعاء باطل وحبذا لو يذكر لنا المعترض بجدول تلك الكتاب وأسماء أولئك لنستدل على صدقه .

فالإمام الذهبي سمى كتابه / سير أعلام النبلاء / فهل هؤلاء النصارى والمجوس واليهود معدودون في أعلام النبلاء عند المعترض حتى يذكرهم الإمام الذهبي ؟

والحافظ أبو نعيم سمى كتابه / حلية الأولياء / فهل أولئك معدودون من الأولياء عند المعترض حتى يذكروا في الحلية ؟

والحافظ ابن الجوزي رحمه الله سمى كتابه / صفة الصفوة أو صفوة الصفوة / فهل هؤلاء معدودون من الصفوة حتى يذكرهم ومناقبهم الحافظ ابن الجوزي رحمه الله ، وهكذا يقال في كتب التراجم ، سبحانك ربِ فهذا بهتان عظيم .

11- ثم قال المعترض : ما هذا الفهم العجيب ؟

أقول : ظهر فيما سبق صدق الحبيب الجفري وكذب المعترض المفتري فما هذا الافتراء الغريب يا جامع القراءات العشر ؟

إن الأمة الإسلامية في عصور الانحطاط والتخلف ابتليت بالوهابية التي تنبح وتنطح وبأدعياء الصوفية التي تمرح وتشطح فالأولى أفرطت والثانية فرطت،ولا إفراط ولا تفريط في دين الله وشرعه،إنما هي الوسطية والاعتدال والإنصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج : ﴿ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَان ﴾

- {أخرجه البخاري برقم:6880 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه}

إن الوهابية التكفيرية جعلت شغلها الشاغل ليلاً ونهاراً على الفضائيات وفي المؤلفات والخطب النباح الدائم على التصوف والصوفية جملة وتفصيلا بتكفيرهم ونسبة الافتراءات والاتهامات بكبائر الإثم إليهم ، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم القائل عن أهل الأهواء : ﴿ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِه ﴾

- {أبو داود برقم:3981 عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه} .

12- ثم قال المعترض : ولكن الذي حمل الجفري على زعمه ذلك فيما أظن هو رغبته في تهييج العامة على أهل العلم الذين ينكرون عليه ؟

أقول : ظنك هذا ظن سوء تأثم به ، فالرجل مازال على قيد الحياة ويجب عليه أن تسأله عن رغبته هل هي تهييج العامة أم الخاصة ؟ أم غير ذلك من الرغبات ؟

-

-

-

ثم من هم أهل العلم الذين ينكرون عليه ، أليسوا هم الذين ينكرون التصوف وينكرون على أهله من عهد السلف إلى زمننا ؟ وهؤلاء ليسوا من أهل العلم المعتبرين بل هم أدعياء العلم ومتبعوا الأهواء ومبتدعة الآراء ، أهل الرمد والسقم الذين قال فيهم الإمام البوصيري رحمه الله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال غيره : ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريض يجد مُرَّاً به الماء الزُّلالا

13– ثم قال المعترض : فلذلك يحتال بكل حيلة ولو كانت غير معقولة .

أقول : ما رأيت إلى الآن فيما قرأته عن الحبيب الجفري أو سمعته منه عبر الفضائيات ما يدل على أنه يسلك طريق الاحتيال خلافاً للمعترض الذي في كل اعتراض يظهر لنا احتياله وكذبه وافتراؤه .

وحبذا لو يعرض لنا المعترض بعض احتيالات الحبيب الجفري غير المعقولة عنده وعند أمثاله من القاصرين لنعرضها على العقلاء والعلماء فنكشف عنها هل هي معقولة عندهم أم لا ؟ وهل هي من الاحتيالات أم لا ؟ فيرجع في بيان ذلك إلى العقلاء لا إلى من في عقولهم كوثة وهوى .

14– ثم قال المعترض : لأنه يخاطب أناساً لا يفقهون دلالة هذه الأمور .

أقول : جمهور الحبيب الجفري الذين يخاطبهم هم من جميع طبقات الأمة الإسلامية ومجتمعاتهم ففيهم العلماء وفيهم العقلاء وفيهم أرباب السياسة والكفر وفيهم الخاصة وفيهم العامة ، ولا يصح للمعترض أن يتهم أولئك جميعاً بأنهم لا يفقهون دلالة هذه الأمور ،

- هل يُعقل أن يغيب هذا الفقه عن عقول أمة بكاملها تبلغ آلافاً مؤلفة ليكتشفه لنا فرد أو أفراد ليس لهم نسبة
- أمام ذلك الجمع العظيم ؟ المرض الخطير الذي ابتلي به المعترض وأمثاله : العُجب المهلك كما ورد في الحديث ﴿ ثَلاثٌ مُهْلِكَات ﴾{المعجم الكبير للطبراني برقم:651 عن ابن عمر رضي الله عنهما} فرأى صاحب هذا العجب أنه فقه دلالة هذه الأمور دون الأمة كلها فالأمة كلها لا تفقه والمعترض يفقه ،

فيا أسفاً كم يدعي الفقه جاهل ويا عجباً كم يدعي النقص كامل

15– ثم قال المعترض : وأما الإمام ابن الجوزي ﴿ رحمه الله ﴾ الذي يتقوى به الجفري ويلبِّس على الناس فيوهمهم أنّ الإمام ابن الجوزي يعظم الصوفية ... الخ

أقول : للإمام ابن الجوزي رحمه الله كتاب سمّاه – صفة الصفوة – وهو مطبوع بأربع مجلدات اختصر فيه الحلية للحافظ أبي نعيم رحمه الله ترجم فيه للرجال من أئمة الصوفية الذين ترجم لهم الأئمة القشيري رحمه الله في رسالته ، وأبو نعيم رحمه الله في حليته ، والسلمي رحمه الله في طبقاته ، والذهبي رحمه الله في سير أعلامه ، فلم يكون هؤلاء جميعاً مادحون ومعظِّمون ويكون الحافظ ابن الجوزي عند المعترض منفرداً بالذم والتنقيص ، إن فعل ذلك الحافظ ابن الجوزي فقول ثقة خالف فيه أقوال الثقات فيكون شاذّاً مردودا ،

- وإن وافق الثقات قبله في أولئك المترجم لهم فذكرهم وذكر أقوالهم معظما ومتأدباً وهو الواقع قطعاً فقد ظهر كذب المعترض وافتراؤه على الحافظ ابن الجوزي رحمه الله .

لو أن كل باحث عن الحقيقة رجع إلى تراجم الأعلام في كتاب ابن الجوزي رحمه الله – صفة الصفوة – والذين ترجمهم من كان قبله لن يجد في ترجمة واحد منهم كلمة ذمٍّ أو تنقيص صدرت من ابن الجوزي رحمه الله في حق واحد من هؤلاء ، وأتحدى المعترض ومن معه أن يوجد لنا في كلام هذا الإمام كلمة ذم أو تنقيص في حق واحد ممن ترجم له غيره وأثنوا عليه .

والكتاب مطبوع وننصح المسلمين بقراءته وعلماءهم بإقرائه لما فيه من القواعد والفوائد عن الصوفية وعلماءهم وعُبَّادهم وزهادهم ، أليس ذكر أولئك القوم وتخليد سيرهم وأقوالهم تعظيماً لهم ورضاً عنهم ؟ أما عند أهل الحق فبلى بلى ،

- وأما عند أهل الباطل فلا لأنهم لانعكاس وانتكاس قلوبهم وعقولهم يرون التعظيم إهانةً والرضا سخطاً والمدح ذمًّا

16– ثم قال المعترض : فأنا أدعو الجميع لقراءة كتاب / تلبيس إبليس / لا بن الجوزي ﴿ رحمه الله ﴾ الذي يفضح فيه حقيقة ... الخ

أقول : قبلت دعوة المعترض فرجعت إلى كتاب / تلبيس إبليس / فوجدت فيه ما يصفع المعترض على وجهه أو قفاه وقبل أن أذكر ذلك أنبه على أمر :

كما لم يقبل المعترض فيما سبق جميع ما قاله أئمة أهل السنة الأعلام كابن حجر العسقلاني والنووي والهيثمي والذهبي رحمهم الله تعالى بل قبل منهم ورد عليهم بهواه وبدعته ، فنحن مع الحق ندور معه حيث دار ، فكتاب ابن الجوزي / تلبيس إبليس / فيه مواضع لبَّس فيها إبليس على ابن الجوزي نفسه فأخطأ فيها كما أصاب في مواضع فنحن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال ، فهو ثقة وما يخالف به الثقات فشاذٌّ مردود عليه ، وما يوافقهم به فمقبول منه ، وهكذا الحكم مع غيره خلافاً للمعترض الذي يعتمد الشاذ من الأقوال المخالفة لجمهور العلماء الثقات ويدفع به أقوالهم الحقة المطابقة للواقع فنحن مع الجمهور ولسنا مع من يشذ ولو كان ابن الجوزي رحمه الله ثم إنّ كتاب الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله المسمى / الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين / وما ذكره في كتابه الإحياء من الغرور وأنواعه ، وكتاب / تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر لما خالفوا فيه سلفهم الطاهر / للشيخ الإمام الشعراني رحمه الله تعالى يغنيان عن كتاب ابن الجوزي رحمه الله / تلبيس إبليس / والسبب في ذلك أنّ الشيخ ابن الجوزي ذكر في كتابه هذا مذاهب الفلاسفة والطبائعيين والثنوية وغيرهم مما تضر قراءته للعامة لأنه قرر مذاهبهم وشبههم فربما تستقر الشبهة في ذهن عاميٍّ ولا يدرك الرد عليها ، فيموت عليها ويبعث مع أهلها ، بينما كتابا الغزالي والشعراني رحمهما الله خاليان من هذا الضرر لأنهما خطاب للمسلمين عامة وخاصة .

ثم إنني أنصح المعترض ومن معه ، وطُلاب العلم بقراءة كتاب / دفع شبهة التشبيه بألف التتريه / للحافظ ابن الجوزي رحمه الله وهو كتاب قيّم في العقيدة الصحيحة ، ولم يشذ فيه مؤلفه عن الثقات العدول في شيء من قواعده وأصوله ، وهو حنبلي المذهب على عقيدة الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل رضي الله عنه في التتريه ،

- رد بهذا الكتاب على الحشوية متأخري الحنبلية المشبهة عقائدهم الباطلة في التشبيه .

والوهابية هم الحشوية المشبهة ، فهل يقبل المعترض اعتماد هذا الكتاب وما فيه عقيدة كما اعتمد من كتب الشيخ الحافظ ابن الجوزي رحمه الله كتابه / تلبيس إبليس / ؟ وهل يرجع عن عقيدة التشبيه إلى عقيدة التتريه ؟ إن فعل ذلك فقد أنصف ، وإلا فهو ضالٌّ مضل ، والعياذ بالله تعالى .

وإليك أخي القارئ بعض ما قاله الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في كتابه / تلبيس إبليس / فيما يتعلق بعقيدة المجسمة والمشبهة والوهابية الحشوية أولاً ثم بأقواله في الصوفية :

1* قال : ـــ فصل ـــ وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم : إن الله تعالى جسم – تعالى الله عن ذلك – ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام ومنهم من قال لا كالأجسام ثم اختلفوا فمنهم من قال : هو نور ومنهم من قال : هو على هيئة السبيكة البيضاء ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – .

وقال هشام : هو متناهي الذات ، وله ماهية يعلمها هو .

قال الشيخ الحافظ ابن الجوزي رحمه الله : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضا وذلك ينقض القول بالتوحيد ، وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها ، والحق سبحانه ليس بذي جنس ولا مثل له ، ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته لا متناهية على معنى أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية ، إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية .

ثم قال : ومنهم من يقول : إن لله صورة وأعضاء ، ويجوز أن يمس ويلمس ويعانق ، وقال بعضهم هو جسم فضاء والأجسام كلها فيه ، وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه ، ومنهم من يقول : هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك .

ثم قال : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا : هو على العرش بذاته على وجه المماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار ، وحملوا نزوله على الأمر الحسي الذي يوصف به الأجسام وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس ، ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته ، وله يد وله أصبع ، وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس .

–

–

أقول : وهذه هي عقيدة الوهابية التي أنكرها الحافظ ابن الجوزي وردها ردا بليغاً في كتبه كلها ، وهي التي ينشرها هؤلاء ويعلنون بها في الفضائيات والمؤلفات ، فهل يقبل المعترض ومن معه من هؤلاء كلام الإمام ابن الجوزي هذا والذي وافق به أهل السنة ولم يشذ عنهم فيه أم يبقون على عقائدهم الضالة وبدعهم المضلة ؟ فلم قبل المعترض كلام ابن الجوزي على إطلاقه في الصوفية وهو مقيد بلا شك بالأدعياء منهم ، ولم يقبل كلامه في العقيدة الصحيحة ؟ يُسأل المعترض ومن معه على ذلك ، حتى لا أتقول عليهم .

ذكر بعض ما قاله الشيخ ابن الجوزي رحمه الله مما يتعلق بأقوال الصوفية وتفريق ما بين السلف منهم والدخلاء عليهم :

قال في الباب العاشر :

التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب .

كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام فيقال : مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم أنشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية ، وقال آخرون بل هو منسوب إلى الصوف وهذا يحتمل والصحيح الأول .

ثم قال : وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى .

ثم قال بإسناده : سئل الجنيد بن محمد عن التصوف فقال : الخروج عن كل خُلق ردئ – والدخول في كل خُلق سيء .

وبإسناده قال : قال رويم : كل الخلق مقدموا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

قال : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبَّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

–

–

أقول : تبين بهذا أن الشيخ الحافظ ابن الجوزي رحمه الله يفرِّق بين أوائل القوم الذين لبَّس إبليس عليهم في أشياء كما قال وحبذا لو ذكرها وذكر من هم ، وبين المتأخرين منهم وفيهم الدخلاء والأدعياء والجهلة من العوام .

فوافق بقوله هذا كلام غيره من الأئمة والعلماء والحفاظ وأن الصوفية فيهم الصالحون وفيهم غير ذلك كما هو موجود في الفِرق والطوائف والمذاهب كلها ، وما قال أحد بالعموم والإطلاق ذماً وتكفيراً كما وقع به المعترض وأمثاله من المعاصرين .

ثم قال : وإنما استحسنوها ـــ أي طريقة القوم ـــ لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم ، وفي سير السلف نوع خشونة ، ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع ، والطباع تميل إليها ، وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء ، فصاروا أصدقاء .

ثم قال : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة ، وإنما لبَّس الشيطان عليهم لقلة علمهم ثم قال بإسناده : قال أبو سليمان الداراني ﴿ رحمه الله ﴾ : ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة .

وبإسناده قال : قال أبو يزيد ﴿ رضي الله عنه ﴾ لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود .

وبإسناده قال : قال أبو يزيد : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادّعى بهذا الشأن فهو مبتدع .

وبإسناده قال : من ادّعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو مخالط .

وبإسناده قال : عن الإمام الجنيد رضي الله عنه : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً : علمنا هذا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتـــفقه لا يُقتدى به .

وقال أيضاً : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى .

وعن أبي بكر الشفاف رحمه الله تعالى قال : من ضيع حدود الأمر والنهي في الظاهر حُرم مشاهدة القلب في الباطن وقال الحسين النوري لبعض أصحابه : من رأيته يدَّعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدّعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ الظاهر فاتهمه على دينه .

وعن الجريري قال : أمرنا هذا كله مجموع على أصل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً ، وعن أبي جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال .

قال المصنف : وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فإن كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محابات في الحق ، وإن لم يصح عنهم حذّرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر ، فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة ، إلى أن قال : وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلـــله .

أقول : هذا كلام عالم منصف ، فلا بد أولاً من إثبات صحيح بطريق معتبر لننسب كل قول إلى قائله ، فإن لم نجد رددنا القول دون نسبته إلى أحد وحذرنا منه ومن السيد على مذهبه في ضلاله وانحرافه دون أن نطغى على الحق فنظهره بمظهر ذلك الباطل ، وقد تقدم في كلامي مثل هذا .

وقد ذكر الشيخ أقوال أوائلهم مقراً لها غير منكر ثم بين أن أقواماً تشبهوا بالقوم وليسوا منهم ولهم أغاليط كثيرة ، وبمثل قوله هذا يقول علماء الصوفية قاطبةً ، وهذه القاعدة التي ذكرها الشيخ هي الأصل وما بعد ذلك من الكلام على الصوفية متفرع عليها فلا أدري ما الذي حمل المعترض على ذكر ما يتعلق بذم الصوفية من كلامه ، وتركِ مثل هذا الكلام المنصف !

- إنه التعصب والهوى والعياذ بالله تعالى .

17- ثم قال المعترض : قال ابن الجوزي عاصم : قال ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث .

أقول : لا بد من تطبيق القاعدة التي ذكرها الشيخ أول كلامه فهل هذه الكلمة جاءت من طريق صحيح أم هي مكذوبة على من نسبت إليه والإسناد مركب كذباً ، الأمر محتمل وما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

ثم إن قوله يدل على أنهم يرمون بالتحامق ويستترون بالحديث ، فكيف تم الجمع بين هذين الوصفين فإن اشتغالهم بالحديث صفة مدح والتحامق صفة ذم ، فهم يُمدحون لوجه ويذمون لآخر ، أي فلا يذمون مطلقاً وعلى العموم لوجود صفة خير فيهم وهي اشتغالهم بالحديث .

ثم من الذين رماهم بالحمق حتى عُرفوا به ؟ ربما يكون الذي رماهم بذلك أبناء الدنيا وأعداؤهم من المبتدعة فلا تقبل أقوالهم فيهم للاختلاف الذي بينهم في العقيدة والمقاصد ، فأبناء الدنيا أعداء لأبناء الآخرة ويتهمونهم لا بالحماق فقط بل بالجنون والبلاهة .

والمبتدعة أعداء أهل السنة من الأشعرية والصوفية إلى زمننا ، ولهم بذلك أسوة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فما من نبي ولا رسول إلا اتهمه قومه بالجنون وهم برآء منه قطعاً ، قال الله تعالى

- ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِك ﴾{فصلت:43} ،

- وكذلك أولياء الله تعالى ووراث أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

-

ثم هذا القول فيه بشرى للصوفية بسبب رميهم من قبل أعداءهم بالحماقة والبله والجنون وتلك البشرى لهم من وجهين :

1* روى سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعا ﴿ أكثر أهل الجنة البُله ﴾ {رواه البزار وفيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه غير واحد ، ورواه البيهقي في الشعب والقضاعي }.

وقال في المقاصد الحسنة : وجاء عن سهل بن عبد الله التُستري رحمه الله في تفسيره للحديث : هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل ، وعن أبي عثمان رحمه الله قال : هو الأبله في دنياه الفقيه في دينه ، وعن الأوزاعي رحمه الله قال : هو الأعمى عن الشر البصير بالخير رواها البيهقي رحمه الله في الشعب .

وقال في النهاية : البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن .

أقول : كل هذه الأوصاف تنطبق على الصوفية ، فكافة المبتدعة وأبناء الدنيا يرمونهم بالبلاهة والحماقة والجنون فتبين أنهم أكثر أهل الجنة ولله الحمد على هذه البشرى النبوية .

وقد قال الإمام العراقي رحمه الله في تخريج أحاديث الإحياء : أخرجه البزار من حديث أنس رضي الله عنه بسند ضعيف ، وزيادة / وعليون لذوي الألباب / لم يوجد لها أصل بل هي مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري رحمه الله تعالى .

أقول : أحمد بن أبي الحواري من كبار الصوفية ومن رجال الرسالة القشيرية وهو الذي روى عنه ابن الجوزي رحمه الله وبالإسناد إليه قول عاصم : ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق ... الخ .

فهل يصح لكبير الصوفية في عصره ابن أبي الحواري أن يذمهم أو أن يروي ما فيه ذمهم ؟ فلا بد أن تؤول روايته هذه بما يتوافق مع الحديث المذكور وأنهم يُرمون بالحماقة أو يتحامقون عند أبناء الدنيا من الحكام والأغنياء لتزهيدهم فيهم وإبعادهم عنهم خشية أن يوافقوهم على أهواءهم أو يصيبوا من دنياهم ما فيه فساد دينهم وذهاب آخرتهم ، وقد فعل ذلك كثير من السلف الصالح .

قال الشاعر : ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

أما إذا كان المقصود بالحمق قلة العقل والفطنة فهذا موجود أمثاله في كل الفرق والطوائف والمذاهب فلا تخلو عن بعضٍ من هؤلاء وليس الأمر موقوفاً على الصوفية وحدهم .

2* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا : ﴿ أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ﴾

- {رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وغيرها والحاكم وابن حبان وصححاه} .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا :﴿ اذكروا الله ذكراً حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون﴾

- {رواه الطبراني وفيه الحسن بن أبي جعفر الجفري وهو ضعيف} .

-

أقول : الصوفية عرفوا في تاريخهم بالذكر حتى صار علما لهم لا يُعرف به غيرهم من المبتدعة ، ولم يتحقق ما في الحديث النبوي بأحدٍ إلا بهم فهم يذكرون الله حتى يقول الناس عنهم مجانين وحتى يقول المنافقون إنهم مراؤون .

فهنيئاً للصوفية ذكرهم لله تعالى لأنه يذكرهم سبحانه ، قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم ﴾{البقرة: 152} وهنيئاً لهم بما يرميهم به أعداؤهم من الجنون وما يصفونهم به من الرياء فإنهم مثابون ومأجورون بكل ذلك إن شاء الله لصبرهم على إيذاء الخلق لهم .

18- ثم أورد المعترض : وبإسناد عن يحيى بن يحيى قال : الخوارج أحب إلي من الصوفية .

أقول : إن صح هذا القول عنه ــ وما أظنه يصح ــ فهو مع من يحب ، والخوارج من أهل النار بنص الحديث النبوي فليكن معهم لمحبته لهم ، ففي الحديث الصحيح : ﴿ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَب ﴾

- {أخرجه البخاري برقم:5702 عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه}
- وقد روى ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعا ﴿ الخوارج هم كلاب النار ﴾
- {رواه أحمد وابن ماجه وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني وأبو داود الطيالسي} .

الخوارج الأوائل كفّروا سيدنا علياً رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم ، وقاتلوهم وانتصر عليهم ، فكيف يحب قوماً كفروا الصحابة وقاتلوهم ، ويبغض الصوفية الذين لم يكفروا ولن يكفروا أحداً من أهل القبلة ولم يقاتلوا ولن يقاتلوا أحداً حتى من يكفرهم ويقاتلهم ، فإنهم كخير ابني آدم عملاً بالحديث : ﴿ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَم ﴾{سنن أبي داود برقم : 3715 عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه} ب

- ينما المبتدعة من الخوارج وغيرهم كشر ابني آدم .

أما الخوارج المعاصرون الوهابية التكفيرون ، قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَان قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاء الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُون مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُم فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْم الْقِيَامَة ﴾

- {أخرجه البخاري برقم:3342 عن علي رضي الله عنه} الحديث .

قال الشيخ ابن عابدين خاتمة المحققين الحنفية في حاشيته : هم الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب .

فليهنأ المعترض ومن معه بحب الخوارج كلاب أهل النار وليكونوا منهم ومعهم لأنهم أحب إليهم من الصوفية رياحين أهل الجنة .

- ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أطلعه الله على ما يقع في أمته من الفتن وبدع العقائد ، ففي صحيح مسلم برقم:5149 عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال : ﴿ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْر وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَل فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْر ثُمَّ نَزَل فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِن فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا ﴾

- وفي سنن أبي داود برقم:3705 عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : ﴿ وَاللَّه مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَم تَنَاسَوْا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ ﴾ ،

- وذكر أصول المبتدعة كالخوارج كما مر وذكر القدرية والمرجئة

ففي سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا : ﴿ القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ﴾

- وعند البيهقي والطبراني بزيادة : ﴿ وهم شيعة الدجال وحق على الله عز وجل أن يلحقهم به ﴾ ،

- وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا :

- ﴿ صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ ﴾ .

فلو كان الصوفية من أهل البدع الضلالات ومن أهل الفتن لذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر غيرهم ، فلما سكت عنهم مع إعلام الله له بوجودهم من بعده دل على أنهم من أهل الحق المرضي عنهم إن شاء الله تعالى وفي الحديث : ﴿ فَأَخْبَرَنَا بِمَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

- {مسند أحمد برقم:17514 عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه} .

19- ثم أورد المعترض : وبإسناد عن يحيى بن معاذ ﴿ رحمه الله تعالى ﴾ يقول : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين .

أقول : يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله من كبار علماء الصوفية وحكماءهم ومن رجال الرسالة القشيرية ، ونُقل عنه هذا القول في أكثر من كتاب ولكن بإبدال الفقراء بالقراء المداهنين ، والصوفية كلهم يقولون بقوله هذا ويحذرون من صحبة الجاهلين والعوام الطغام الذين ابتلي بهم التصوف وعلماؤه الصالحون .

ومفهوم المخالفة لهذا الكلام : اصحب العلماء الذاكرين ، والقراء الزاهدين ، والمتصوفة العارفين .

20- ثم أورد المعترض ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله من أن الفقهاء بمصر أنكروا على ذي النون .الخ.

أقول : جاء في صحيح البخاري رحمه الله برقم:6467 من قول ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَال وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِه إِلَّا عُودِي ﴾{عن عائشة رضي الله عنها} .

فلو كان كل مخرج ضالاً مضلاً لكان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أخرجهم قومهم من بلادهم كذلك وحاشاهم من هذا وكذلك وراث النبيين عليهم الصلاة والسلام من العلماء وأهل البيت النبوي الشريف الذين أوذوا في الله وشردوا في الأرض والذين أخرجهم أهل البدع وأصحاب الأهواء وأبناء الدنيا من الفقهاء والأمراء بعد أن افتروا عليهم وكذبوا واتهموهم بما هم منه برآء ، لتكمل فيهم الوراثة المحمدية ،

- وقد أخرج كثير من الأئمة الأعلام من بلادهم على أيدي المبتدعة من المجسمة والمشبهة والحشوية ، وأوذي آخرون وسجنوا وضربوا ، وإليك بعض الأمثلة :

1* قال الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله في الطبقات / ج 2 / ما نصه :

قاعدة في الجرح والتعديل : الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعاته على معاصيه ومادحوه على ذاميه ، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية إلى أن قال : ومن ذلك قول بعض المجسمة في أبي حاتم بن حبان : لم يكن له كبير دين ، نحن أخرجناه من سجستان لأنه أنكر الحد لله ، فيا ليت شعري من أحق بالإخراج ؟ من يجعل ربه محدوداً أو من يتزهه عن الجسمية ؟

2* ذكر الشيخ الإمام الشعراني رحمه الله في أول كتابه / اليواقيت والجواهر / ما نصه :

وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة ما صورته : ومما أنعم الله به عليَّ أن أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يا رسول الله ، من أشد الناس بلاء ؟ قال : الأنبياء قال : ثم من ؟ قال : العلماء قال : ثم من ؟ قال : ثم الصالحون ﴾{ رواه الحاكم في مستدركه برقم:109 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه} ...الخ 1.هـ

ثم قال : وكان لسعد بن أبي وقَاص رضي الله عنه جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع إنه مشهود له بالجنة وشكوه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا إنه لا يحسن أن يصلي .

وأما الأئمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الإمام أبو حنيفة رحمه الله مع الخلفاء وما قاساه الأئمة مالك الشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى وما قاساه البخاري رحمه الله حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك .

ثم أورد إخراج أبي يزيد البسطامي وذي النون المصري وسهل التستري ومحمد بن الفضل البلخي لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من إجرء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والإيمان بها على علم الله تعالى فيها ، ولما أخرجوه قال يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الأشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم تلك من بلخ صوفي أبداً مع أنها كانت أكبر بلاد الله صوفية ،

أقول : ثم ذكر الكثيرين ممن أخرج غير هؤلاء فليرجع إلى البحث من أراد الزيادة والاطلاع .

وفي كلام الشيخ الشعراني رحمه الله أنَّ الإمام البخاري رحمه الله أُخرج من بلده حتى دعا بالموت ففي سير أعلام النبلاء ما نصه :

جاء محمد بن إسماعيل ﴿ رحمه الله ﴾ إلى خرتنك قرية على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم فسمعته ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل اللهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك ، فما تم الشهر حتى مات .

- قال التاج السبكي رحمه الله : قول بعضهم في البخاري رحمه الله تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ ، فيا لله والمسلمين أيجوز لأحد أن يقل البخاري متروك ، هو حامل لواء الصناعة ، ومقدم أهل السنة والجماعة ، ثم يا لله والمسلمين أتجعل مَمادحه مذامَ فإن الحق في مسألة اللفظ معه ، إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أنّ تلفظه من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى ، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضي الله عنه لبشاعة لفظها .

أقول : فهل إخراج الإمام البخاري ومحمد بن الفضل البلخي وغيرهما من الأئمة والعلماء الذين أخرجوا على أيدي أهل البدع والأهواء يكون إخراجهم عند المعترض وأمثاله دليلاً على أنهم مبتدعة ضالون وزنادقة مارقون ؟ ومثل إخراج هؤلاء إخراج أئمة أهل التصوف الذين ذكرهم الشعراني وابن الجوزي رحمهما الله تعالى لا يكون دليلاً عند أهل الحق أنهم مبتدعة وزنادقة .

وليسمع المعترض ومن معه ما قاله الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين في هؤلاء الذين أُوذوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا بعقيدة التتريه ويدعوا إلى التصوف التريه :

قال في ج 1 ص 138 ما نصه : فكلام أئمة الطريق هو على هذا المنهاج فمن تأمله – كسهل بن عبد الله التستري وأبي طالب المكي والجنيد بن محمد وأبي عثمان النيسابوري ويحيى بن معاذ الرازي وأرفع من هؤلاء طبقة مثل أبي سليمان الداراني وعون بن عبد الله – الذي كان يقال له حكيم الأمة – وأضرابهما فإنهم تكلموا على أعمال القلوب وعلى الأحوال كلاماً مفصلاً جامعاً مبينا مطلقاً من غير ترتيب ولا حصر للمقامات بعدد معلوم فإنهم كانوا أجل من هذا وهممهم أعلى وأشرف ، إنما هم حائمون على اقتباس الحكمة والمعرفة وطهارة القلوب وزكاة النفوس وتصحيح المعاملة ولهذا كلامهم قليل ، فيه البركة ، وكلام المتأخرين كثير طويل قليل البركة ، ولكن لا بدَّ من مخاطبة أهل الزمان باصطلاحهم إذ لا قوة لهم للتشمير إلى تلقي السلوك عن السلف الأول وكلماتهم وهديهم ، ولو برز لهم هديهم وحالهم لأنكروه ، ولعدوه سلوكا عامياً ، وللخاصة سلوك آخر ، إلى أن قال : فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن و ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾{الطلاق:3} ا.هـــ

فبأي الكلام يقتدي المعترض ومن معه : بكلام ابن الجوزي رحمه الله الذي نقل ذمهم وطعن بهم أم بكلام الشيخ ابن القيم رحمه الله الذي مدحهم وأثنى عليهم ؟

21– ثم أورد المعترض قول ابن الجوزي رحمه الله : وذلك لأنّ السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكاً بالسنة ا.هـــ

أقول : ومن ذلك هجر الإمام أحمد رحمه الله الحارث المحاسبي رحمه الله لأنه اشتغل برد كلام أهل البدع ، مع أن الرد ربما يكون متعيناً عليه ، وأنكر على الإمام البخاري رحمه الله مسألة اللفظ مع أن الحق معه كما تقدم ، وكان ذلك منه تورعاً واحتياطا .

وقوله – من أدنى بدعة – لم يثبت أنّ الصوفية مبتدعة في العقائد ، ولو ثبت لذكرهم من ألف في الفِرق والملل والنحل ، والمتروك في زمنه لا يكون تركه سنة وإلا لزم أن نزيد في تعريف العلماء للسنة – وتركه –

– وهو لم يقل به أحد إلا الوهابية وهم خارجون عن أهل السنة وليسوا منهم .

وقوله – تمسكاً بالسنة – لم يُرد بها السنة النبوية لأنها قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله ولإقراره ووصفه ، وإنما أراد الطريقة المتبعة عند السلف في درء المفاسد وسدِّ الذرائع ، وتقدم في الرد 18–19 الكلام عن البدعة وأقسامها فليرجع إليه .

22– ثم أورد المعترض ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله من قول عبد الرحمن بن مهدي في الصوفية وأنهم قسمان : قوم أخرجهم الأمر إلى الجنون ، وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة .

أقول : إنّ هذا الكلام المجمل المبهم لا يصح إنزاله على أفراد الصوفية كلهم ، لأنهم اتُّهموا كما تقدم من قبل أهل البدع والأهواء بالجنون والزندقة ، ولا يقبل قول أهل البدع في أهل السنة لاختلاف ما بينهم في العقائد والأصول ، وكُذب عليهم وركبت أسانيد نُسب فيها كلام في ذم الصوفية إلى بعض الأئمة وكل ذلك من الافتراء عليهم وعلى الأئمة ، كما ركبت أسانيد الرجال الثقات على متون نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مكذوبة عليه ، وقد بينها علماء الحديث جزاهم الله خيراً وبينوا من كان يركب الأسانيد على الأحاديث المختلقة المكذوبة ، فربما يكون الإسناد صحيحاً والمتن مكذوب ، وهكذا الأمر في كلام الأئمة فيما فيه ذم وطعن بأهل الحق ا.هـ

23– ثم قال المعترض : ولا أدري ماذا سيكون حال الجفري بعد أن يطلع قراؤه على كتاب ابن الجوزي ؟ .. الخ .

أقول : وأنا لا أدري ما يكون حال المعترض وأمثاله بعد أن يطلعوا على هذه الردود العلمية ، وبعد أن يطلع الناس على كذبهم وخيانتهم ولا أقول ماذا سيكون .

انتهى الرد الحادي والعشرون–



- الدفاع عن الحبيب الجفري 22 (موقف الإمام النووي من الصوفية ومتفرقات حوله)

- قال المعترض : وفي الصفحة /66/ قال الجفري : إن الإمام النووي ﴿ رحمه الله ﴾ عندما ترجم رجال سنده لصحيح مسلم ... الخ ثم قال : الفكرة المغلوطة التي يحاول الجفري أن يرسخها ... الخ

أقول : ليت المعترض بين لنا الفكرة المغلوطة التي يحاول الحبيب الجفري أن يرسخها في أذهان الناس ! هل الكلام على الصوفية وثناء العلماء عليهم فكرة مغلوطة ؟ هذا هو المسلك الذي يتّبعه الحبيب الجفري هو نقل ثناء الأئمة والعلماء على التصوف وأهله وتحبيب العامة والخاصة من أهل عصرنا فيهم ، فما هي الفكرة المغلوطة في ذلك ؟ إذا كان المعترض قد نفى في كلامه أنّ الحديث عن الصوفية فكرة مغلوطة ، والحبيب الجفري يتكلم ويتحدث عنهم إذاً كلامه ليس فكرة مغلوطة ، فوقع المعترض في تناقضٍ ظاهر في سطرٍ واحد من كلامه

2- قال المعترض : فكلمة الصوفية تعني طائفة من الناس فيهم الصالح وفيهم الطالح فلا يمكن أن تكون كلمة مدحٍ بإطلاق !

أقول : الصوُّفية ليست فرقة من الفرق ولا طائفة من الطوائف ، الصوُّفية هم خُلَّص أهل السنة والجماعة من سلف الأمة وخلفها ، والتصوف هو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي التي هي الإسلام والإيمان والإحسان ، الإحسان وتزكية النفس وما يتعلق بالقلوب ومواجيدها وأحوالها والتخلص من كبائر الإثم الباطنة المتعلقة بها ومنها عبودية الباطن لغير الله تعالى ، والتحلي بالفرائض القلبية العينية هو التصوف وهذا لا يخلو عن التحقق به عالم من علماء الإسلام .

– قال الإمام السبكي رحمه الله في البراهين القاطعة :

علوم الشريعة ثلاثة : الفقه وإليه الإشارة في الحديث بالإسلام ، وأصول الدين وإليه الإشارة بالإيمان ، والتصوف وإليه الإشارة بالإحسان .

وما عدا هذه العلوم إما راجع إليها وإما خارج عن الشريعة .

- – وقال العلامة ابن خلدون رحمه الله في مقدمته عند تعريفه للتصوف ما نصه :

إنّ طريق هؤلاء القوم – يعني الصوفية – لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية – إلى قوله – وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف ثم فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا فاختص المقبلون على العبادة باسم – الصوفية والمتصوفة – .

-

فقول المعترض : فيهم الصالح وفيهم الطالح إن أراد به علماء الأمة من السلف والخلف الذين سلكوا التصوف وأثنوا عليه فهو مردود ، وإن أراد بالصالحين العلماء وبالطالحين العوام من أهل النسبة فقط فهو سوء ظن منه بالعوام ولا بد من الاحتراز فعوام الصوفية فيهم المقبول وهم أهل الاستقامة الشرعية ، وفيهم المردود ، وأعني بالمردود الدخلاء عليهم والأدعياء لطريقتهم من الخارجين عن الشريعة وآدابها .

وقوله : فلا يمكن أن تكون كلمة مدح بالإطلاق وهذا المعنى واضح عند علماء الإسلام ،

أقول : أي ولا كلمة ذمٍّ بإطلاق وهذا ما أشرت إليه من قبل ، وهذا من المعترض أول موضع بلاغي في كتابه يسمى الاكتفاء وهو دال على أنّ له باعاً في البلاغة وأساليبها ويستحق الثناء عليه بأنه عالم البلاغة – فريد العصر ووحيد القرن – .

وقوله : – وهذا المعنى واضح عند علماء الإسلام – لم يذكر لنا فيما سبق شيئاً من وضوحه ولا قولاً من أقوال الإسلام في مدحه والثناء على أهله ، وربما يستدرك .

3– قال المعترض : وقول الجفري : إنّ الإمام النووي ﴿ رحمه الله ﴾ إذا أراد أن يثني على أحد قال عنه – وكان صوفياً – غير صحيح .

أقول : استعملت كلمة – صوفي – على ألسنة كبار علماء السلف والخلف مدحاً لا ذماً ، فالحق مع الحبيب علي الجفري في هذه المسألة وليس مع المعترض .

وهل ذكر أحد من علماء الجرح والتعديل أنّ كلمة – صوفي – إذا وقعت في ترجمةٍ تكون دالةً على الذم والانحراف ؟

- إنْ مرَّ مع المعترض وأمثاله قول لأحدهم فليذكره لنا ، لا علاقة لكلمة صوفي في الجرح أو التعديل ، وإنما هي كلمة مدح إذا أطلقت على عالم محقق مدقق مستقيم في ظاهره وباطنه ، ولا يصح إطلاقها على غيره ، فإطلاقها على العامة من غير أهل الاستقامة ظلم لها كما أن عدم إطلاقها على أهل الاستقامة من العلماء ظلم لهم ، إن العالم المحقق عندما يقول في ترجمة واحد / إنه صوفي / يعتبر ذلك مدحاً وثناءً لأن التصوف كما تقدم هو كمال الدين ، وتقدم معنا أن الإمام النووي رحمه الله كان يقتدي في التصوف بالشيخ الكبير ياسين المراكشي رحمه الله تعالى ويتأدب معه ويرجو بركته .

وأقول في هذا الموضع : القارئ لتاريخ الأئمة والقادة الفاتحين إذا لم يكن على عينيه غشاوة يرى أنهم جميعا تتلمذوا لكبار الصوفية من علماء عصرهم وجالسوهم وتأدبوا معهم واستشاروهم وعملوا بما أرشدوهم إليه وهذا هو السرُّ الكامن في انتفاع الناس بعلومهم وفي الفتح الذي أجراه الله تعالى على ألسنتهم وأيديهم ، بينما غير هؤلاء ممن أوتي علم اللسان ولم يؤت علم القلوب كان زبداً رابياً لم ينتفع به ولا بعلمه العامة ولا الخاصة قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاس فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾{الرعد:17}

4- ثم قال المعترض : بل هل تقول من الجفري على الإمام النووي ﴿ رحمه الله ﴾ وهذا لا يجوز كما لا يجوز التقول على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

أقول :

1* ليس في كلام الحبيب الجفري تقول على الإمام النووي رحمه الله فإنه ما ذكر الصوفية أو التصوف في كتبه ومؤلفاته إلا معظماً ومتأدباً ومثنياً ، وأنا أتحدى المعترض ومن معه أن يأتوا بكلمةٍ واحدة من كلامه قالها الإمام النووي رحمه الله ذمّ فيها التصوف وأهله ولو واحداً منهم .

فالعلماء من أهل السنة والجماعة في شأن التصوف وأهله إما ساكت عنهم على جهة التأدب معهم وإما مثن عليهم ومادح لهم ومعتمد لأقوالهم ، والإمام النووي رحمه الله من القسم الثاني كما نجد ذلك صريحاً في كتبه ومؤلفاته .

ومن ذلك ما قاله في تهذيب الأسماء واللغات : في ترجمة الإمام أبي سهل الصعلوكي رحمه الله تعالى : الإمام الهمام الفقيه الأديب اللغوي النحوي الشاعر المتكلم المفسر المفتي الصوفي الكاتب العروضي خير زمانه وبقية أقرانه رضي الله عنه .

ونقل في كتابه / تهذيب الأسماء / قول الإمام الحافظ القاضي أبي بكر ابن العربي المالكي في كتابه / الأحوذي في شرح الترمذي / مقراً غير منكر : قال بعض الصوفية : لله عز وجل ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم .

ونقل أيضا فيه في ترجمة سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : قوله في أقسام البدعة وأمثلتها مقرا بذلك غير منكر له وجعل التكلم في دقائق التصوف ورُبط الصوفية من المندوب إليه فقال : وللبدع المحرمة أمثلة منها : مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة ، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة ، وللبدع المندوبة أمثلة منها : إحداث الرُبُط والمدارس ، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل ، ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى .

وقد قال العلامة المحدث أبو الفضل عبد الله الغماري رحمه الله في مبحث المقارنة بين تقسيم الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله للبدعة وبين كلام الشاطبي ﴿ رحمه الله ﴾ في كتابه / الرد المحكم المتين / ما نصه :

وكلامه ـــ أي سلطان العلماء العز بن عبد السلام ـــ في ذلك كلام ناقد بصير أحاط خبرا بالقواعد الفقهية وعرف المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام على وفقها ، ومن مثل سلطان العلماء في معرفة ذلك ؟

–

–

ــ إلى أن قال ــ حتى جاء صاحب الاعتصام فخرج عن جمهرة العلماء وشذ بإنكار هذا التقسيم ، ثم قال : على أنّا وإن كنا نعلم أن للشاطبي دراية بعلم أصول الفقه على سبيل المشاركة فلا نشك في أن سلطان العلماء فيه أمكن وعلمه بقواعده أتم ، وقواعده الكبرى خير شاهد على ذلك ، وإني لأعجب من الشاطبي كيف أنكر على سلطان العلماء ذلك التقسيم مع أنه بناه على اعتبار المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام على وفقها ، ولم ينكر على المالكية القول بالاستصلاح الذي لم يعتبره الشارع ولا قبله جمهور العلماء بل أنكروه وأبوا أن يرتبوا عليه أحكاماً كما فعل المالكية لعدم اعتبار الشارع له ، ما القول بهذا مع إنكار ذلك إلا تعصب مذهبي ظاهر 1.هــ

أقول : وقد سبق لي بحث هذا الموضوع في الرد الثامن عشر فليرجع إليه .

وقد تقدم قول الإمام الذهبي رحمه الله في السير عند ترجمة / ابن الأعرابي رحمه الله / والعالم إذا عري من التصوف والتأله فهو فارغ كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة زلّ عن سواء السبيل .

فأقول للمعترض ومن معه : إذا كنتم علماء فلا تتخلوا عن التصوف والتأله وعن تعظيم أهله والتأدب معهم لأن ذلك من علامات الفراغ على حدّ قول الإمام الذهبي رحمه الله .

ثم كيف يصح للمعترض أن يجعل التقول على لسان أحدٍ من العلماء أو العامة كالتقول على الله والرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- ﴿ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّار ﴾{البخاري برقم 1209}

- إن قول المعترض بالتسوية ما بين التقول على الله ورسوله والتقول على الإمام النووي رحمه الله أو غيره مخالف للحديث النبوي الشريف وافتراء وتقول على الشريعة المطهرة .

فأيهما أعظم إثماً وجناية التقول على الإمام النووي رحمه الله أو غيره إن وقع أم التقول على الشريعة المطهرة وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ ليس ككذب على أحد ﴾ والمعترض يقول : الكذب على غيره كالكذب عليه سواء ، نعوذ بالله تعالى من مثل هذا الجهل وسوء الأدب الذي وقع به المعترض ومن معه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته الغراء .

-

-

-

5- ثم قال المعترض : وإذا عدنا إلى كلام الإمام النووي ﴿ رحمه الله ﴾ في مقدمة شرحه لصحيح مسلم ... الخ

أقول :

1* كون الإمام النووي رحمه الله لم يذكر كلمة الصوفية إلا في ترجمة اثنين من رجال سنده فقط ، لا يعني إنكار التصوف ولا ذم الصوفية وقد تقدم ما يبطل ذلك .

ثم إنه نقل ذلك عن غيره في هاتين الترجمتين مقراً له غير منكر ، والإقرار بمثل ذلك مدح وثناء إذا صدر من الإمام النووي رحمه الله وأمثاله من العلماء والأئمة .

وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم قولاً للصوفية واعتمده ولم يرده واعتبر قول المحدثين المقابل له شاذاً وإليك كلامه بحروفه : قال في باب من فضائل الخضر عليه السلام :

جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يُحصر وأشهر من أن يُستر ، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك ، قال : وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين ا.هـــ وقاله أيضاً في التهذيب .

أقول : فما رأي المعترض ومن معه بكلام الإمامين النووي وابن الصلاح في هذه المسألة ؟ هل هم مع المتفق عليه عند الصوفية وجماهير العلماء أم مع أهل الشذوذ الفكري والعقائدي ؟

6- ثم قال المعترض : فالثناء فيه ليس على مطلق الصوفية وإنما لكونه وصلت إليه بركات أنفاسهم لا انحرافاتهم أو لكونه من عبادهم وليس من فسّاقهم .

أقول : كما لا يذم دين الإسلام من خلال واقع أكثر المسلمين اليوم وما هم عليه من فسق وانحراف ، كذلك لا يذم التصوف الذي عبّر ويعبّر به عن الركن الثالث من أركان الدين من خلال ما عليه عوام الصوفية وجهلاؤهم والدخلاء عليهم ، فالدين ومنه التصوف شيء وما عليه أكثر المسلمين وأكثر الصوفية اليوم شيء آخر .

وقد أثبت الإمام النووي رحمه الله في ترجمة محمد بن الفضل الفراوي مقراً لما نقله عن عبد الغافر وليس بمنكر له ولا بمعترض عليه أنه نشأ بين الصوفية في حجورهم ووصل إليه بركات أنفاسهم .

وفي ترجمته أمور منها :

1* أنه فقيه بارع في الفقه والأصول وحافظ للقواعد ، وهكذا كان الأمر عند السلف الصالح يتفقه أحدهم ثم يتصوف ، وقد أشار إلى هذا الإمام الشافعي رحمه الله فيما نسب إليه في ديوانه :

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحدا فإني وحقُ الله إياك أنصح

فذلك قاسٍ لم يذق قلبه تقـــىً وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

–

وقالوا في معناه : كن محدثاً صوفياً ولا تكن صوفياً صاحب حديث ، أي : قدِّم علم الحديث على التصوف ولا تقدم التصوف على الحديث .

2* أنه نشأ بين الصوفية في حجورهم ووصل إليه بركات أنفاسهم : وهنيئاً له بتلك النشأة المباركة والأنفاس العطرة فإن أهل الذكر كما ورد في الحديث :

﴿ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم ﴾{مسلم برقم:4854} الذي ليس منهم ، فكيف يشقى من هو منهم ؟ أو محب لهم أو محبوب إليهم وعندهم ؟ وقد قال العارف الرواس رحمه الله تعالى في مدحهم :

هم القوم لا يشقى لحيظ عيونهم مجانين إلا أنّ سرّ جنونهم عزيز على أعتابه يسجد العقل

وما ذلك إلا لأنهم خواص الله تعالى من عباده ، وقد ورد في الحديث :

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُم ﴾

- {صحيح مسلم برقم:4651 عن أبي هريرة رضي الله عنه}

- وإن لله تعالى عباداً لا ينقطع نظر الحق تعالى إلى قلوبهم طرفة عين فعندما يجالسهم الإنسان أو يحبهم يسري إليه من نظره إليهم أو نظرهم إليه ومن حبه لهم وحبهم له سر نظر الله تعالى إلى قلوبهم ، من قلوبهم إلى قلبه فتمحى عنه بسبب ذلك شِقوته ويكتب من السعداء وإن لم يكن منهم .

ومن ذلك المعية الإلهية الخاصة التي أشار إليها الله تعالى بقوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِين ﴾{البقرة:194}

ومعلوم أن المتقين درجات وفي الحديث ﴿ لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ ﴾

- {الترمذي برقم:2375}

- فلله تعالى عباد اتقوا الله حق تقاته ظاهراً وباطناً فكان لهم من إكرام الله تعالى المعية الخاصة ،

- قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون ﴾{النحل:128}

فإذا أحبهم إنسان لم يبلغ مقامهم وجالسهم وتشبه بهم يسري إليه من ذلك كله نصيبه من معية الله تعالى التي لهم فيُلحق بهم في مقامٍ من مقاماتهم ، كما قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم :

- ﴿ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَب ﴾{البخاري برقم:5704 عن أبي موسى رضي الله عنه}

فمن فاتته المعية الإلهية الخاصة استقلالاً لعدم تحققه بكمال التقوى الظاهرة والباطنة فليحرص ألا تفوته آثار تلك المعية الإلهية وبركاتها اقتباساً من عباد الله تعالى المتقين الذين أخبرنا الله تعالى أنه معهم .

ثم إن هؤلاء القوم تشرف بهم الأمكنة والأزمنة الخاصة حتى الكعبة المشرفة وتسري بركاتهم إليها ودليل ذلك قوله تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْت ﴾{مريم:31}

- فالأنبياء بركة على الأزمنة والأمكنة ولوراثهم من العلماء الأولياء نصيب إرثي من ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عند دخوله إلى الكعبة المشرفة : ﴿ اللهم زد بيتك هذا تشريفا ، وتعظيما ، وتكريما ، وبرا ، ومهابة ، وزد من شرفه ، وعظمه ممن حجه أو اعتمره تعظيما ، وتشريفا ، وتكريما ، وبرا ، ومهابة ﴾

- {المعجم الأوسط للطبراني برقم: 6311 عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري رضي الله عنه}

- قال جمهور شراح الحديث : والهاء في قوله ﴿ شرفه ﴾ تعود إلى بعض الطائفين به فهو يشرف بهم كما يشرفون به فالأزمنة والأمكنة الشريفة تشرّف أقواما وتشرُف بآخرين .

فإذا كانوا بركة على الزمان والمكان ألا يكونون بركة لمن نشأ في حجورهم ووصلت إليه بركات أنفاسهم ؟ بلى بلى بلى .

ثم إنّا لما أمرنا في الشرع بأن نستعيذ بالله تعالى من شر الحاسد إذا حسد ومن النفاثات في العقد ومن شر العين اللامة التي يحصل عندها الضرر بإذن الله وما ذلك إلا لأنه يخرج من النفس الخبيثة قوة خفية عبر البصر إلى الشيء المنظور إليه أو عبر النفث عليه فيقع فيه الضرر بإذن الله .

ويقابل ذلك من باب مقابلة القدر للقدر ما يخرج من النفوس الطيبة النورانية التي لها المعية الإلهية الخاصة ونظر الحق تبارك وتعالى من قوة خفية تسري عبر البصر أو النفث إلى الشيء المنظور إليه أو المقروء عليه فتشفى من مرضٍ أوتُخرج من أسر شهوة أو معصية ، أو تترقى في علوِّ همة أو حال أو موهبة أو علم بإذن الله تعالى ، ومن هنا وقع التبرك للعلماء والمحدثين بلبس وإلباس خرقة الصوفية كما تقدم في الرد السابق ، قال تعالى :

- ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾{الأنبياء:18} .

ولذلك قال بعض العارفين : من نظر إلى وليٍّ معتقداً متأدباً سعد ، ومن نظر إليه وليٌّ سعد وأسعد ، لأنّ الولي إذا نظر إلى قلب خرب عمر بإذن الله وإذا نظر إلى باطن جامد روي وأنبت بإذن الله فنبع فيه نبع العلم بالله

- قال تعالى :

- ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾{البقرة:74}

فتبين بهذا أن من القلوب وفيها تتفجر الينابيع كما تتفجر من الحجارة الينابيع .

وجاء رجل إلى السلطان أبي يزيد رحمه الله فقال : أوصني فقال : إن لم تكن صالحاً فكن في قلب رجلٍ صالح .

وقالوا : إذا أحب الله عبداً ساقه إلى أولئك الصوفية الصالحين وفتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أبغض عبداً ساقه إلى المبتدعة وفتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل ، لأنّ المبتدعة وجد عندهم آلة النظر ولم يوجد عندهم الإبصار لانطفاء نور البصيرة

- قال تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾{الأعراف:198}

- لذلك لا يؤمنون بالحق ولا يتبعونه قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ{96} وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾{يونس:96/97} .

ثم إني أقول للمعترض ومن معه : إنَّ انحرافات بعض الصوفية التي أشرت إليها لا تُقاس بانحرافات الوهابية المبتدعة وذلك لأنّ انحرافات بعض الصوفية في ظاهر الإثم بينما انحرافات الوهابية في باطن الإثم ، وانحرافات الباطن أشد .

لقد ذكر علماء العقيدة : أنه لو يلقى الموحِّد ربه بملأ الأرض خطايا ولا يشرك به شيئاً ولا يتلبس باطنه ببدعة ضلالة في العقائد ولا بكبيرة من كبائر القلب خير من المبتدع الذي يلقى ربه بشرك أو بدعة ضلالة أو كبيرة من باطن الإثم فلا تصح المقايسة بين الفسق الظاهر وبين البدع الضالات وبالتالي : ففاسق الصوفية خير من عابد الوهابية ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى ذلك في حديثه عن الخوارج :

- ﴿ يَحْقِرِ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ من الدِّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّة ﴾{صحيح البخاري برقم:3341 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه}

- وقاتل سيدنا علي رضي الله عنه : عبد الرحمن بن ملجم الخارجي أمضى ليلة قتله ذاكراً مصلياً ، ولا يغنيه ذلك من عذاب الله من شيء . لأنّ التقوى المعتبرة تقوى القلوب ، وتقوى الظاهر دليل كمال تلك التقوى في قلب العبد

- وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره الشريف وقال :

- ﴿ التَّقْوَى هَاهُنَا ﴾{صحيح مسلم برق 4650 عن أبي هريرة رضي الله عنه}

7- ثم قال المعترض : حين كانت الصوفية تطلق على أهل الزهد والصلاح والتقوى في الغالب .

أقول : كانت ومازالت بحمد الله تطلق على أولئك إلى زمننا اليوم ، فصالحوا العلماء وزهادهم وأتقياءهم المصلحون في الأرض كلهم صوفية .

بينما فاسقوا العلماء وأبناء الدنيا عبيد الدرهم والدينار واليورو والدولار المفسدون في الأرض كلهم من المبتدعة المنكرين على الصوفية .

فنحمد الله أن خصنا بأن جعلنا أبناء الآخرة وجعل غيرنا من أبناء الدنيا .

قال تعالى : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُون عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

- {القصص:83} .

- **8-** ثم قال المعترض : والإمام النووي رحمه الله عندما يقول عن شخص معتبر عنده إنه من الصوفية فهو يقصد التصوف المحمود الذي وصفه ... الخ

أقول : وهكذا حكم كلام جميع الأئمة والعلماء موجه إلى التصوف المحمود الذي وصفه .

وأصول التصوف الخمسة التي ذكرها الإمام النووي رحمه الله تدل على أنّ له باعا في التصوف وأنه مشارك لأهله وعارف بقواعده وأصوله ، هذا إن كانت هذه الصياغة من كلامه ، وإن كان ناقلاً لها عن أهل التصوف ممن سبقه من علماءهم فذلك إقرار منه بصحتها وموافقتها للشرع الشريف وأنه قائل بها وداعٍ إلى التمسك بها .

9- ثم قال المعترض : إنما الاعتراض كان وما يزال على المخالفين لهذه الأصول من الصوفية .

أقول : هل الوهابية قائمون بهذه الأصول الشرعية حتى لا يوجه الاعتراض إليهم كما يوجه إلى بعض الصوفية ؟

هذه الأصول الخمسة دلت عليها الأدلة الشرعية ، والأمة الإسلامية بجميع فرقها مخاطبة بذلك ومطالبة به .

لَمَ يطالب الصوفية بالإخلاص في الدين واتباع السنة والإعراض عن الخلق والرضا عن الله والرجوع إليه ؟

ويبقى الوهابية على ما هم عليه من الرياء واتباع الأهواء والآراء وعدم تقوى الله في الألسنة الطاعنة والقلوب الحاقدة ، والإعراض عن الحق والسخط عليه وعدم الرجوع إليه ؟

قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾{البقرة:**44**} .

يا أيها الرجـــل المعلـــم غيـــره هلّا لنفســـك كان ذا التعليـــم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

إن الذي دعا علماء الصوفية إلى عدم مخاطبة الوهابية بأمثال هذه الأصول آية وحديث ،

- أما الآية فقوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾{المائدة:**105**}

- والحديث المبين لزمانها على قول الأكثرين ﴿ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَعْنِي بِنَفْسِك وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ ﴾

- {سنن أبي داود برقم:**3778** وسنن الترمذي برقم:**2984** عن أبي ثعلبة الخشني}

- وتقدم الحديث الصحيح : ﴿ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ﴾

- {صحيح البخاري برقم:**3338** عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه} ، وما ذلك إلا لعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا تنفعهم نصيحة الناصحين ولا إرشاد المرشدين .

-

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾{الكهف:17}

- فذكر سبحانه أن علامة الضال ليس له مرشد وإن وجد لا يسترشد به ولا يتبعه .

وقد قيل : المحروم من حُرم بركة أهل زمانه ، ومن حُرم بركة أهل الوقت فوقته كله مقت ، قال تعالى :

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّه أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَان فَتَكْفُرُونَ ﴾{غافر:10} والعياذ بالله تعالى .

10- ثم قال المعترض : والانتقاد الذي يوجّه للصوفية إنما هو لانحرافاتهم ومخالفتهم للشرع الحنيف ، وليس لأنهم زهاد أو عباد أو أهل ذكر وصلاح .

أقول : انظروا إلى هذا المعترض الجاهل الخبيث النفس : في أول هذه الصفحة قال : الثناء ليس على مطلق الصوفية ، فالثناء لا يعمّم وهنا عند الذمِّ والتنقيص يعمّم ، فما هذا التناقض ؟

كما لا يعمم الثناء كذلك لا يعمم النثاء وهذا عند أهل الإنصاف من العلماء

ثم انظروا إلى هذا المتناقض المخبول العقل كيف جمع للصوفية بين وصفين : انحرافاتهم ومخالفتهم للشرع الشريف وزهدهم وعبادتهم وذكرهم وصلاحهم .

فالصوفية عنده زهاد أو عباد أو أهل ذكر وصلاح منحرفون ومخالفون للشرع الشريف .

هل سمعتم مثل هذا الكلام من مجنون فضلاً عن سماعه من عاقل ؟ هل الذكر والعبادة والزهد والصلاح انحرافات ومخالفة للشرع الشريف ؟

إذاً مفهوم المخالفة عند المعترض : الرغبة في الدنيا وترك العبادة والذكر والفساد هو الموافقة للشرع الشريف ، هكذا فهم الشرع وهكذا يقرره في كتابه المنحرف والمخالف للشرع الشريف .

وإنني أنقل للمعترض ومن معه كلام عالمين جليلين وداعيين كبيرين رحمهما الله تعالى :

1* قال العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى :

إنني أجتهد في تقسيم التصوف إلى أربعة أقسام ، وأتكلم عن كل قسم منه بكلمات معدودة .

آ* التصوف المشترع ، ب* والتصوف المبتدع ، ج* والتصوف المحترف ، د* والتصوف المتبطن أي الباطن .

آ* فالتصوف المشترع : هو تربية علمية عملية للنفوس ، وعلاج لأمراض لقلوب ، وغرس للفضائل ، واقتلاع للرذائل ، وقمع للشهوات ، وتدريب على الصبر والطاعات ، مأخوذ من قول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّين رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾{الجمعة:2} .

فالتصوف تزكية وتربية ، قال الإمام الجنيد في هذا المقام : إني لترد النكتة على قلبي ، فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة ا.هـ

- والتصوف بهذا المعنى كان خلقاً ملازماً لكبار العلماء في كل عصر ومصر ، وأذكر منهم نماذج لإخوتي الطلبة : كالإمام النووي والعز بن عبد السلام وابن الصلاح وابن دقيق العيد وابن تيمية وابن القيم والشاطبي وسيدي أحمد زروق والقرافي والتقي السبكي والتاج السبكي وخلقٍ سواهم ، فهذا هو التصوف المشترع .

ب* والتصوف المبتدع : هو الذي يقوم على البدع والضلالات والشهوات المحرمة والانحرافات ، والاعتقادات الباطلة والخيالات ، مثل اعتقاد أن الشخص الفلاني يتصرف بالكون ، يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ، وما يتزل قضاء من قضاء الله وقدره إلا عن طريقه ، فيوزع على الناس أرزاقهم ومصائبهم وسلامتهم !!! وهذا من الخرافات المكروهة الباطلة .

ج* وأما التصوف المحترف : وهو أن يكون الشيخ الصوفي صادقاً صالحاً طيباً طاهرا زكياً فيموت فيخرج ولده صوفياً ولا صوف فيه فهذا أيضاً احتراف ، لأنه للمجادة وكسب الدريهمات .

د* والتصوف المتبطن – أي الباطني – الذي يكون باطنه الإلحاد والتحلل من التكاليف والأوامر والنواهي وارتكاب المُوبقات باسم أن ذلك الشيخ من أهل الصلاح والباطن ، فيفعل ما يفعل وهو من أهل الصلاح والباطن ، فلو رؤي على أشد الفسق والفجور والزنى ، هذه بركة على بركة !!! هذا ضلال مبين ، اسم للتصوف ، ولكنه هذا الضلال المبين هذا بلا ريب أنه حرام .

وعلى هذا التقسيم فلا بد من إحقاق الحق وإنصاف أهل الصدق ، ولا يجوز تحميل الصلحاء أوزار الفجرة الأدعياء ، ولا يجوز أن يطلق القول في ذم التصوف والصوفية ، بل يعطى كل فريق حقه من المدح أو الذم والترغيب والترهيب دون تعصب . انتهى كلام الشيخ عبد الفتاح رحمه الله تعالى .

– انظر كتاب الأصالة ملتقى السنة النبوية السادس عشر –

2* قال العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى : إن للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء : جناية على الحقائق ، ولهذه الجناية قصة طويلة في كل فن ولغة وفي كل أدب ودين ، فإنها تولد كائناً آخر تنشأ عنه الشبهات وتشتد حوله الخصومات ، وتتكون فيه المذاهب وتُستخدم لها الحجج والدلائل ويحمى فيها وطيس الكلام والخصام .

فلو عدلنا عن هذه المصطلحات المحدثة وعن هذه الأسماء الحرفية ورجعنا إلى الماضي وإلى الكلمات التي كان يعبر بها الناس عن هذه الحقائق في سهولة وبساطة ، وإلى ما كان ينطق به رجال العهد الأول والسلف الأقدمون انحلت العقدة وهان الخطب واصطلح الناس .

ومن هذه المصطلحات والأسماء العرفية التي شاعت بين الناس ﴿ التصوف ﴾ ثارت أسئلة وبحوث وتساؤل الناس وحميت المعركة بين أصدقائه وخصومه والموافقين والمعارضين حتى تكونت بذلك مكتبة كبيرة يصعب استعراضها .

وأما إذا عدلنا عن هذا المصطلح الذي نشأ وشاع في القرن الثاني ، ورجعنا إلى الكتاب والسنة وعصر الصحابة والتابعين ، وتأملنا في القرآن والحديث ، وجدنا القرآن ينوه بشعبة من شعب الدين ومهمة من مهمات النبوة ، يعبر عنها بلفظ ﴿ التزكية ﴾ ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لتحقيقها وتكميلها ﴿ هُو الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَاب وَالْحِكْمَة وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِين ﴾{الجمعة:2} .

وهي تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل ، التزكية التي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم وإخلاصهم وأخلاقهم ، والتي كانت نتيجتها هذا المجتمع الصالح الفاضل المثالي الذي ليس له نظير في التاريخ ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة التي لا مثيل لها في العالم .

ووجدنا لسان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان ، ويعبر عنها بلفظ : ﴿ الإحسان ﴾ ومعناه كيفية من اليقين والاستحضار يجب أن يعمل لها العاملون ، ويتنافس فيها المتنافسون ، فيُسألُ الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإحسان ؟ فيقول : ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك ﴾

- {صحيح البخاري برقم:48 عن أبي هريرة رضي الله عنه} .

ووجدنا الشريعة وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأحوال ودون في الكتب ينقسم بين قسمين : أفعال وهيئات وأمور محسوسة ، كقيام وقعود وسجود وتلاوة وتسبيح وأدعية وأذكار وأحكام ومناسك ، قد تكفل بها الحديث رواية وتدوينا .

والفقه استخراجاً واستنباطاً ، وقام بها المحدثون والفقهاء ـــ جزاهم الله عن الأمة خيراً ـــ فحفظوا للأمة دينها وسهلوا لها العمل به .

وقسم آخر هو : كيفيات باطنية كانت تصاحب هذه الأفعال والهيئات عند الأداء ، وتُلازم الرسول صلى الله عليه وسلم قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً وداعيا وذاكراً وآمراً وناهياً ، وفي خلوة البيت وساحة الجهاد ، وهو الإخلاص والاحتساب والصبر والتوكل والزهد ، وغنى القلب والإيثار والسخاء ، والأدب والحياء والخشوع في الصلاة ، والتضرع والابتهال في الدعاء ، والزهد في زخارف الحياة وإيثار الآخرة على العاجلة والشوق إلى لقاء الله ، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية وأخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد والباطن من الظاهر وتندرج تحت هذه العناوين تفاصيل وجزئيات وآداب وأحكام تجعل منها علماً مستقلاً ، وفقهاً منفرداً فإن سمي العلم الذي تكفل بشرح الأول وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله ﴿ فقه الظاهر ﴾ : سمي هذا العلم الذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات ويدل على طرق الوصول إليها ﴿ فقه الباطن ﴾ .

-

- فكان الأجدر بنا أن نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية وتخليتها عن الرذائل النفسية والخُلُقية ، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان والتخلق بالأخلاق النبوية واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في صفاته الباطنية وكيفياته الإيمانية كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسموه ﴿ التزكية ﴾ أو ﴿ الإحسان ﴾ أو ﴿ فقه الباطن ﴾

ولو فعلوا ذلك لانحسم الخلاف ، وزال الشقاق ، وتصالح الفريقان اللذان فرّق بينهما المصطلح ، وباعد بينهما الاستعمال الشائع .

فالتزكية والإحسان وفقه الباطن حقائق شرعية علمية ، ومفاهيم دينية ثابتة في الكتاب والسنة ، يُقرُ بها المسلمون جميعاً ، ولو ترك ﴿ المتصوفون ﴾ الإلحاح على منهاج عملي خاص للوصول إلى هذه الغاية التي تعبر عنها بالتزكية أو الإحسان أو فقه الباطن ، فالمناهج تتغير وتتطور بحسب الزمان والمكان وطبائع الأجيال والظروف المحيطة بها ، وألحوا على ﴿ الغاية ﴾ دون ﴿ الوسائل ﴾ لم يختلف في هذه القضية اثنان ، ولم ينتطح فيها عتزان ، وخضع الجميع وأقروا بوجود شعبة من الدين وركن من أركان الإسلام يحسن أن نعبر عنه بالتزكية أو الإحسان أو فقه الباطن ، وأقروا بأنه روح الشريعة ، ولُبُ لباب الدين وحاجة الحياة .

فلا كمال للدين ولا صلاح للحياة الاجتماعية ولا لذة ــ بالمعنى الحقيقي ــ في الحياة الفردية إلا بتحقيق هذه الشعبة في الحياة .

ومن هنا كانت جناية هذا المصطلح والعرف الشائع ﴿ التصوف ﴾ على هذه الحقيقة الدينية الناصعة : عظيمةً ، فقد حجبتها عن أنظار كثيرة ، وصدت فريقاً كبيراً من الناس عن سبيلها والحرص على تحصيلها ، ولكن كان ذلك لأسباب تاريخية يطول ذكرها ، والأمور تجري كثيراً على غير الأهواء والمصالح ، وليس لنا الآن أن نقرر الحقيقة ونتحرر من القيود والمصطلحات ،

- ومن النزعات والتعصبات ، ولا نفرّ من حقيقة دينية يقررها الشرع ، ويدعو إليها الكتاب والسنة ، وتشتد إليها حاجة المجتمع والفرد لأجل مصطلح محدث أو اسم طارئ دخيل .

ثم جنى على هذه الحقيقة الدينية شيء آخر وهو أنه دخل فيها دجالون ومحترفون ، وباطنيون وملحدون ، اتخذوها وسيلة لتحريف الدين ، وإضلال المسلمين ، وإفساد المجتمع ونشر الإباحية ، وتزعموا هذا الفن وحملوا لواءه ، فكان ذلك ضغثاً على إبّالة ، وزهّد فيه ونفّر منه أهل الغيرة الدينية والمحافظين على الشريعة الإسلامية ، وطائفة أخرى من غير المحققين لم يعرفوا روح هذه الشعبة وغايتها ، ولم يميزوا بين الغاية والوسائل فخلطوا بينها ، وألحوا على الوسائل أحياناً ، وضيعوا الغاية أو أدخلوا ما ليس من هذا الفن في صميم هذا الفن وصلبه ، وعدّوه من الكمالات ومن الغايات المطلوبة ، وعقّدوا المسألة وطوّلوها ، وجعلوا الشيء الذي يكلف به كل مسلم والذي هو لبّ الدين وحاجة الحياة : لُغزةً وفلسفةً ورهبانية لا يجرؤ عليها ،

- ولا يطمع فيها إلا من نفض يده من أسباب الحياة ورفض الدنيا وما إليها ، ولا شك أن أولئك قليل من قليل في كل عصر وجيل ، وليست هذه دعوةَ الدين ولا أسوة الرسول ولا حكمة الخلق .

ولكنّ الله قيض للمسلمين في كل عصر وجيل من ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ويدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمية والفلسفة وإلى ﴿ الإحسان ﴾ و﴿فقه الباطن ﴾

- من غير تحريف وانتحال وتأويل ، ويجددون هذا الطب النبوي لكل عصر .

وينفخون في الأمة روحاً جديدة من الإيمان والإحسان ، ويجددون صلة القلوب بالله ، والأجسام بالأرواح ، والمجتمع بالأخلاق ، والعلماء بالربانية ، ويوجدون في الجمهور قوة مقاومة الشهوات وفتنة المال والولد وزينة الحياة الدنيا .. ﴿ ثم ذكر الشيخ الندوي أنه ﴾ لولا أصحاب النفوس المزكاة الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن لانهار المجتمع الإسلامي إيماناً وروحانية ، وابتلعت موجة المادية الطاغية العاتية البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها ، وضعفت صلة القلوب بالله والحياة بالروح والمجتمع بالأخلاق ، وفُقد الإخلاص والاحتساب ، وانتشرت الأمراض الباطنية ، واعتلّت القلوب والنفوس وفُقد الطبيب ، وتكالب الناس على حطام الدنيا ، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب ، وغَلَبَ عليهم الطمع والطموح ،

- وتعطلت شعبة من أهم شعب النبوة ونيابتها وهي ﴿ تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن ﴾ .

– إقرأ كلام الشيخ أبي الحسن في مقدمة كتاب بين التصوف والحياة –

أين كلام المعترض من كلام هذين العلمين العالمين رحمهما الله تعالى ؟

لقد أنزلت من قدر هذين العالمين الجليلين عندما قارنت بهما وقرنت معهما كلام المعترض هذا ، كما قال الشاعر

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

كلام العالمين يرقي الإنسان ويحييه ويسمو به حتى يدخله ملكوت السموات

- قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه ﴾{فاطر:10}

- وكلام المعترض يترل بالقارئ الجاهل إلى الحضيض فيدسه في التراب ويميته وهو ما زال على قيد الحياة .

إن المعترض وعصابته الوهابية والذين أعلنوا حرباً لا هوادة فيها على التصوف وأهله يعلنون في كل مناسبة / الصوفيون أفيون الشعوب / وإنني أقول في مقابل ذلك / الصوفية نجوم الأمم وأقمار الشعوب ، والوهابية هيروئين العقول وكوكائين القلوب / .

11– ثم قال المعترض : وحاشا الإمام النووي أن يثني على رجل عرف عنه أنه يخالف الشرع في مسألةٍ ما .

أقول : العدل الذي عرّفه الإمام الشافعي رضي الله عنه وتبعه عليه الشافعية كلهم هو الذي غلبت حسناته سيئاته ومعنى ذلك أنه ربما يرتكب بعض المخالفات لعدم العصمة ولكن لا يجاهر بها ولا يصر عليها .

أما أهل البدع الاعتقادية كالوهابية فهم ساقطوا العدالة مردودوا الشهادة لا تصح إمامتهم ولا الاقتداء بهم فمن حق العبارة أن يقال : وحاشا الإمام النووي رحمه الله أن يثني على رجل عرف أنه يخالف أهل الحق في مسألةٍ ما أي أنه من المبتدعة الشاذين فكرياً والمنحرفين عقائديا .

12- ثم أورد المعترض قول الإمام النووي رحمه الله : أصول الدين أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتبران وما خالف هذه الأربعة فهو بدعة ومرتكبه مبتدع يتعين اجتنابه وزجره .

أقول : هذا الكلام من الإمام النووي رحمه الله على المعترض ومن معه وليس لهم وذلك لأنهم لا يقرون بالإجماع والقياس المعتبرين ، فيخرقون الإجماع عقيدة وفقهاً وينفون القياس في العبادات وقد قال به الأئمة الأربعة رضي الله عنهم .

الوهابية يعتقدون أن كل بدعة ضلالة فهي مكروهة أو محرمة فقط ، وليس عندهم بدع واجبة أو مندوبة أو مباحة والتي قال بها قياساً الأئمة كلهم .

إن الإمام النووي رحمه الله يعتبر أن ما خالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو قياسا بدعة ضلالة وإن مرتكب ذلك مبتدع يتعين اجتنابه وزجره ، والوهابية خالفوا الإجماع والقياس فمخالفتهم بدعة ضلالة ويجب اجتنابهم وزجرهم وهجرهم في الله تعالى ، عملاً بما قاله الإمام النووي وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى أجمعين .

ثم قال الإمام النووي رحمه الله : ومن المطلوب اعتقاد من علم وعمل ولازم أدب الشريعة وصحب الصالحين .

انظر أخي القارئ إلى كلمة ﴿ اعتقاد ﴾ في كلام الإمام النووي رحمه الله والتي تعني حسن الظن به أنه من أهل الولاية ، وقد نقل عن الإمامين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما : لو لم يكن العلماء هم الأولياء فلا ولي لله على وجه الأرض والمراد العلماء بالله والعلماء بأحكام شرعه من أهل الحق ، فخرج بذلك المبتدعة فلا يسمون علماء ولو ملؤوا الدنيا كتباً وكلاما .

وانظر إلى قوله ﴿ وصحب الصالحين ﴾ والصالحون في عرف السلف والخلف هم الزهاد والعباد من الصوفية ، ومعنى ذلك أن من لم يصحب الصوفية ولم تصل إليه بركات أنفاسهم لا يعبأ به ولا يلتفت إليه ، فعلمه علم اللسان وليس من علم القلوب وأهلها في شيء .

ثم قال الإمام النووي رحمه الله : وأما من كان مسلوباً عقله أو مغلوباً عليه كالمجاذيب فنسلم لهم ونفوض إلى الله شأنهم مع وجود إنكار ما يقع منهم مخالفاً لظاهر الأمر حفظاً لقوانين الشرع .

أقول : ما أجمل هذا الكلام وما أرقاه ، وكل العلماء والصوفية قائلون به ومجمعون عليه فهم يسلمون لأهل الحال حالهم ولأهل الوجد وجدهم ولأهل الجذب جذبهم ويفوضون إلى الله تعالى أمرهم مع الإنكار عليهم في ما ظاهره مخالف للشرع الشريف وقوانينه .

-

أما الوهابية أعداء الأولياء فتراهم ينكرون وجود أهل الحال والوجد والجذب ولا يسلمون لهم في ما يعتريهم ويطعنون بهم وبكل من ترجم لهم من العلماء الربانيين الذين ذكروهم في طبقات الأولياء .

13- ثم قال المعترض : فلماذا يخلط الجفري بين الأمرين ويقلب الحقائق .

أقول : لم أجد في كلام الحبيب الجفري أي خلط ولا قلباً للحقائق كما زعم المعترض بل هو مفترٍ كذاب وعليه أن يبين إن كان صادقاً المواضع من كلامه والتي خلط فيها وقلب الحقائق .

في أول الكلام يقول الحبيب الجفري عن الإمام النووي رحمه الله بأنه إذا أراد أن يثني على أحد يقول كان صوفيا وكان من الصوفية جعلها لفظة ثناء .

وقد تقدم صحة هذا القول وأن ما يقوله الإمام النووي رحمه الله وأمثاله من الأئمة يعتبر ثناءً ومدحاً لا ذما وقدحاً ، فأين في كلامه الخلط وقلب الحقائق .

هل أولئك الذين أثنى عليهم الإمام النووي رحمه الله وغيره من الأئمة أنهم صوفية كانوا مخالفين للإجماع والقياس المعتبرين ؟ وهل كانوا من أهل بدع العقائد ؟ وهل كانوا مسلوبي العقل أو مغلوباً عليهم حتى نسلم لهم ؟ وهل وقع منهم ما يخالف ظاهر الأمر حتى ننكر عليهم ؟

ما هي أجوبتكم أيها المعترض ومن معه ؟ لم هذا الخلط بين العلماء وأهل الجذب من الصوفية الصالحين والأدعياء والدخلاء ؟ ولم تقلبون أنتم الحقائق ولا توردونها على ما هي عليه ؟

14- ثم قال المعترض : أنتقد في هذا الكتاب على الشيخ الجفري عدم تورعه ... الخ .

أقول : تقدم بطلان ما انتقده المعترض على الحبيب الجفري في الردود السابقة .

ثم قال : وعلى كثرة غمزه وطعنه في إخوانه المسلمين والمتمسكين بالسنة المطهرة .

أقول : هؤلاء هم المبتدعة الوهابية ليسوا إخواناً للمسلمين الموحدين ، هم برآء منا ونحن برآء منهم ، فيهم وجه شبه باليهود فاليهود أعداء الأنبياء ، والوهابية أعداء الأولياء ، وليسوا متمسكين بالسنة المطهرة كما زعم المعترض وإنما بالبدع الضلالات المخالفة للسنة المطهرة ، فهم خوارج فاسقون ضالون مضلون ، مارقون عن الدين كما وصفهم بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقد تقدم .

فإذا اكتفى الحبيب الجفري بالغمز والطعن في حق هؤلاء فقد تأدب معهم وهم لا يستحقون مثل ذلك الأدب الرفيع لأنهم ليسوا من أهله ، بل الواجب الشرعي يقضي ببيان حالهم للعامة حتى لا يخدعوا بهم ثم بطردهم من المساجد وعدم التمكين لهم فيها بإمامة أو خطابة أو تدريس ، ومن سكت عنهم أو مكن لهم فعليه مثل آثامهم وآثام من يُضل بسببهم من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئا .

-

-

15– ثم قال المعترض : ولم أتعرض أبداً للكلام عن زهده وأذكاره وتأديبه لنفسه ... الخ .

أقول : لأن المعترض ومن معه لا يذكرون المحاسن التي للصوفية ولا يثنون بها عليهم ، وإنما نظرهم القاصر المحدود يحملهم على إظهار بعض محاسن الصوفية بمظهر المساوئ ثم يطعنون بهم من أجلها ، أو بتتبع هفوات بعضهم وزلاته وإذاعتها كما يفعل المنافق مع المؤمن : إذا رأى حسنة سترها وإذا رأى سيئة نشرها .

إن من قواعد الأخوة الإسلامية والتي يفقدها الوهابية في تعاملهم مع أهل الحق : أن يذكر بعضهم محاسن بعض وأن يكفوا عن مساوئهم أحياءً ومنتقلين ، والوهابية على خلاف ذلك يذكرون الهفوات والزلات التي تحتمل التأويل ويجعلون محاسن الصوفية مساوئ .

16– ثم قال المعترض : فهل سيفسر الجفري هذا النقد العلمي على أنه هجوم على الصوفية ..الخ .

أقول : هذا ليس بنقد علمي كما توهم المعترض فاعتراضاته ساقطة علمياً وأدبيا وأخلاقياً ، النقد العلمي إذا صدر من أهله يكون بنّاءً يؤلف بين القلوب ويوحد كلمة المسلمين ولا يورث العداوة والبغضاء ولا يزرع الأحقاد والإحن .

–

وأين هذا في كلام المعترض وأمثاله ؟ فإن نقدهم للعلماء والصوفية هدام لا بناء ، يناكر بين القلوب ويخالف بين كلمة المسلمين ويورث العداوة ويزرع الأحقاد ، فهو نقد جاهلي لا علمي .

–

ثم قال : أم أنه سيتعامل معه بتجرد وإنصاف وهذا هو المأمول منه .

–

أقول : لو تعامل المعترض في اعتراضاته على الحبيب الجفري بتجرد وإنصاف لذكرنا له ذلك منقبة وفضيلة ، ولكنه كما مر كان مفترياً كاذباً محرفاً للكلم يخلط بين الحق والباطل ويقلب الحقائق ، ومع ذلك جعلني التصوف وأدبه أن أتعامل معه بتجرد وإنصاف وحققت له المأمول والذي يرجوه وهكذا الأمر عند الحبيب الجفري لما عرف عنه من أخلاق كريمة

- وعند كل علماء الصوفية فاطمأن أيها المعترض فلن يقابلك الصوفية بمثل أخلاقك السيئة التي عاملتهم بها فهم أهل العفو والصفح ومكارم الأخلاق .فهم قوم لا ينتصرون لأنفسهم ولا يدافعون عنها ، بل اكتفوا بنصر الله لهم ودفاعه عنهم ولا يعني ذلك أنك ومن معك ستسلم من عقوبات الله تعالى وانتصاره لأوليائه

- فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾{الحج:38}

- وفي الحديث القدسي : ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب ﴾{صحيح البخاري برقم:6021}

- فربما يسلط الله تعالى عليك مرضاً مُفسداً أو هرما مفنداً أو فقراً منسياً أو غنىً مطغياً ، وربما يسلط عليك من الخلق إنسا أو جناً أو حيواناً أو حشرةً أو فيروساً من جنوده الذين ينتقم الله تعالى بهم من أعداء أوليائه ، والشواهد في التاريخ القديم والحديث كثيرة فاعتبر إن كنت من أهل الاعتبار .
فأنت آذيت العلماء والصالحين والأولياء بكتابك هذا فانتظر العقوبة من الله تعالى على أيدي جنوده

- ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض ﴾{الفتح:7}

- وقال تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون ﴾{الشعراء:227} .

ولولا أني خشيت أن يغتر طالب علم مبتدئ بكلام المعترض المزخرف المزور فيظنه حقاً وهو باطل ، لما رددت عليه ولما أعرته أي اهتمام لأنه لا يستحق ذلك ، بل سبيله أن يسجر في النار كما سجر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه صحيفة التوراة التي كانت في يده ، وقال قبل ذلك وبعده ونحن نقول معه ـــ رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ـــ ، والتصوف من الدين فنرضى بالصوفية إخوة وأحباباً نوالي من والاهم ونعادي من عاداهم من أجل الله تعالى رب العالمين وابتغاءً لمرضاته .

-



الدفاع عن الحبيب الجفري 23 (تبرك الإمام الشافعي بقميص الإمام أحمد)

أورد المعترض قصة الإمام الشافعي رحمه الله في رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وإرساله السلام إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وتبشيره بالجنة مع بلوى تصيبه ثم تبرك الإمام الشافعي بقميص الإمام أحمد رضي الله عنهما .

1- ثم قال المعترض : وردت هذه القصة في غير موضع ، وهي غير صحيحة وكل أسانيدها معلومة إما بوجود متروكين أو وضاعين أو مجهولين .. الخ .

أقول : مثل هذا الحكم على العموم مردود وعلى المعترض إذا كان من أهل العلم بالحديث ومن أهل الإنصاف أن يستعرض أسانيد هذه القصة من المصادر التي ذكرها ثم بعد ذلك يترجم لرجال كل إسناد ويبين أقوال علماء الجرح والتعديل فيه ، فمن هم الوضاعون ومن هم المتركون ، ومن هم المجهولون من رجال أسانيد هذه القصة ؟ بين لنا أسماءهم إن كنت من الصادقين .

والحكم بعدم الصحة على تقدير ثبوته لا يعني الوضع كما أوهم المعترض بكلامه لاحتمال كونها من الحسن أو الضعيف المنجبر لكثرة الطرق والأسانيد التي يقوي بعضها بعضا .

ثم إن الحكم على رجال أسانيد هذه القصة بكونهم وضاعين ومتهمين ومتروكين ومجهولين يعني إسقاط كل الروايات التي جاءت من طريق واحد منهم وهذا لا يقول به عالم عاقل .

وأما القصة فقد رواها الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخ دمشق من طرق وبأسانيد مختلفة ، ورواها الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى في مناقب الإمام أحمد رضي الله عنه من طرق وبأسانيد مختلفة وبمجموع هذه الطرق يكون للقصة أصل وليست بموضوعة ولا مكذوبة .



وإليك نصها :

1* قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وبإسناده : قال الربيع بن سليمان : إن الشافعي رحمه الله خرج إلى مصر فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبد الله ـــ أحمد بن حنبل ـــ وائتني بالجواب ، قال الربيع : فدخلت بغداد ومعي الكتاب ، فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له : هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فقال لي أحمد : نظرت فيه ؟ فقلت : لا ، فكسر الختم فقرأ وتغرغرت عيناه ، فقلت له : أيش فيه يا أبا عبد الله ؟ فقال : يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له : اكتب إلى أبا عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له : إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، قال الربيع : فقلت له : البشارة يا أبا عبد الله ، فخلع أحد قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه ، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر وسلمته إلى الشافعي فقال : أيش الذي أعطاك ؟ فقلت : قميصه ، فقال الشافعي : ليس نفجعك به ولكن بُلَّه وادفع إليَّ الماء لأتبرك به ا.هـــ

وفي رواية الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد رضي الله عنه وبإسناده قال : قال الربيع : وكان عليه ثوبان فنزع أحدهما فدفعه إلي وكان مما يلي جلده وأعطاني جواب الكتاب فخرجت حتى قدمت على الشافعي فأخبرته بما جرى قال : فأين الثوب ؟ قلت : هو ذا ، فقال : لا نبتاعه منك ولا نستهديه ولكن اغسله وجئنا بمائه ، قال : فغسلته فحملت ماءه إليه ، فتركه في قنينة ، وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه يمسح على وجهه تبركاً بأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ا.هـــ

أما قول الإمام الذهبي رحمه الله عن القصة وما فيها من التبرك ﴿ فغير صحيح ﴾ لا يعني نفي الصحة عدم الوقوع والثبوت لاحتمال التحسين أو التضعيف بحسب مصطلحات علماء الحديث .

وإذا كان المراد النفي مطلقاً فغيره من الحفاظ أثبتها والمثبت مقدم على النافي كما في القواعد الأصولية والحديثية .

2- ثم قال المعترض : والإمام الشافعي والإمام أحمد والربيع / رحمهم الله / بريئون منهم

أقول : كيف تحكم على قومٍ هم في عالم الغيب البرزخي بشيء لم يطلعك الله عليه وتقطع به ، إن هذا الحكم تقول على الغيب ورجم به وهو من كبائر الإثم ، لا نسلم لك صحة هذه الدعوة حتى نجتمع بالأئمة المذكورين ونسمع منهم الحكم عليها على جهة القطع .

مجال إثبات الرواية أو نفيها رجال الأسانيد ، وحكم الحفاظ عليها بالقبول أو الرد ، أما ما يتعلق بمن رويت عنهم تلك الرواية فلا نقطع عليهم بأمر لانقطاع الاتصال فيما بيننا وبينهم ، ولانقطاع طرق الأخذ والرواية عنهم .

3- ثم قال المعترض : والسياق الذي ساقه الجفري للبشارة إنما هو سياق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عثمان بن عفان ﴿ رضي الله عنه ﴾ ... الخ .

أقول : الحبيب الجفري هو ناقل للقصة وليس براوٍ لها وليست من عنده حتى يتهم بمثل ذلك ، إذا أراد المعترض الطعن في الرواية والرواة فليوجه اعتراضه وانتقاده للحفاظ الذين رووها بأسانيدهم كالحافظين ابن عساكر وابن الجوزي رحمهما الله تعالى ، وليأت بما يبطل روايتهم تلك إن كان من الصادقين .

ثم إن استبعاد المعترض تكرر البشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأفراد من علماء أمته وآحادٍ من عوامهم يعني : أن هذا الأمر عنده من قسم المستحيل ، ولا أدري من أي قسم يجعله من المستحيل عقلاً أم شرعاً أم عادةً ؟ وما دليله على ذلك الذي يدعيه ؟

إن تكرر البشارة أمر ممكن وهو كثير الوقوع في الماضي والحاضر ، فرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كما ثبت في الحديث ﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي ﴾

{صحيح البخاري برقم:6482 عن أبي سعيد رضي الله عنه}

وبشارته لأمته على جهة العموم والخصوص لا تحصى أفراده كما هو معلوم عند كل عاقل .

4- ثم قال المعترض : ويتقول على الشافعي رحمه الله إصراره على أن يكون القميص من على بدن الإمام أحمد رحمه الله

أقول : الحبيب الجفري ليس متقولاً وإنما الرواية التي ذكرها الحفاظ هي التي نصت على ذلك ، فهل أولئك الحفاظ عند المعترض متقولون على الإمام الشافعي رضي الله عنه ؟ إن اتهامك للحفاظ والأئمة بالتقول والافتراء والكذب يرفع ثقة المسلمين بهم وبرواياتهم وهم الموثوقون الأمناء ، إنك بهذا أيها المعترض تظهر نفسك على أنك بوق من أبواق أعداء الإسلام ومنفذ لمخططاتهم وهم الذين يهدمون الإسلام لبنةً لبنة ، إن أعداء الإسلام خططوا للقضاء على الإسلام من داخل التشريع الإسلامي ومن ذلك قطع صلة المسلمين بعلماءهم وأئمتهم في الماضي والحاضر ، ورفع الثقة بهم ، وترك تعظيمهم والتأدب معهم واتهامهم بكل التهم الأخلاقية ،

وعملاء أولئك من أدعياء العلم ينفذون تلك المخططات ، فهل تحب أن تكون واحداً منهم ؟

5- ثم قال المعترض : وقبول الجفري لهذه القصة إنما هو بسبب عدم معرفته بقدر الإمامة ..الخ

أقول : يريد المعترض بمثل هذا التشغيب الوصول إلى نفي التبرك بآثار الصالحين والعلماء لأن ذلك يتنافى عنده مع قدر الإمامة إذا حصل ذلك من إمامٍ كبير كالشافعي رضي الله عنه .

والتبرك بآثار النبيين والصالحين واقع في الأمة من عهد النبوة إلى زمننا وثابت بالأحاديث الصحيحة ، وتبرك العلماء والأئمة بعضهم ببعض واقع كذلك وثابت لا ينكره إلا مبتدع ضال ،

وقد تقدم حديث الصحيح عند مسلم رحمه الله قول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن جبة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا ﴾{صحيح مسلم برقم:3855 عن أسماء رضي الله عنها} .

وتقدم قول الإمام النووي رحمه الله : في هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم .

وعند الإمام البخاري رحمه الله في حديث وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قال : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ تَعْنِي إِزَارَه ﴾

{صحيح البخاري برقم:1175 عن أم عطية رضي الله عنها} .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : الحكمة في تأخير الإزار معه صلى الله عليه وسلم إلى أن يفرغن من الغسل ولم يناولهنّ إياه أولاً ليكون قريب العهد من جسده الكريم ، حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل ، وهو أصل في التبرك بآثار الصالحين .

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله عن جابر رضي الله عنه قال : ﴿ أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْن أُبَي بَعْدَ مَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ فَنَفَثَ فِيه مِنْ رِيقِه وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَه ﴾{صحيح البخاري برقم:1191} .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري وكأنه ـــ أي الإمام البخاري ـــ يقول : يؤخذ من هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين ، سواء علمنا أنه مؤثر في حال الميت أو لا .

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله قال : قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه : ﴿ فَوَاللَّه مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُم{ أي من أصحابه رضي الله عنهم}فَدَلَك بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَه وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَه وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه ﴾{صحيح البخاري برقم:2529} الحديث .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : وفيه طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة ا.هـــ

فماذا يقول المعترض ومن معه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل يتهمونهم بأنهم لم يعرفوا قدر النبوة لأنهم تبركوا بآثار النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كما اتهم الحبيب الجفري بأنه لم يعرف قدر إمامة الشافعي لأنه تبرك بقميص الإمام أحمد رضي الله عنهما .

وماذا يقول المعترض في كلام الإمامين النووي وابن حجر في استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم ؟ هل يتهمهما بأنهما لم يعرفا قدر الصالحين لأنهما قالا بالتبرك ؟

وتقدم تبرك العلماء والمحدثين بلبس وإلباس خرقة الصوفية فهل يتهمون بأنهم لم يعرفوا قدر الإمامة ؟ فإذا ثبت تبرك الإمام الشافعي رضي الله عنه ففعله حجة وهو دليل الجواز والاستحباب كما ذهب إليه فقهاء المذاهب كلها ولم ينكره إلا الوهابية المبتدعة ،

وليس فعله ذلك قادحاً في إمامته كما توهم المعترض وإلا كان فعل الصحابة قادحاً في صحبتهم وقادحا في النبوة ومن قال ذلك أو اعتقده يكفر ، والعياذ بالله تعالى .

وقد ذكر الثقات أن الإمام شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى لما زار دار الحديث بدمشق سأل عن مكان جلوس الإمام النووي رحمه الله فدل عليه فجعل يمرغ وجهه ولحيته عليه وينشد :

وفي دار الحديث لطيف معنى على بسطٍ بها أصبو وآوي

عسى أن أمس بحر وجهي مكاناً مسه قدم النواوي

اقرأ ذلك في كتاب المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للإمام السخاوي وفي طبقات الشافعية الكبرى وفي ذيل تذكرة الحفاظ .

فماذا يقول المعترض في فعل هذا الإمام الجليل ؟ وهل يتهمه بأنه لا يعرف قدر الإمامة ؟

هؤلاء الصحابة والأئمة والتابعون لهم بإحسان عرفوا قدر النبوة والصحبة والإمامة فتباركوا بآثار ذلك كله ، أما أمثال المعترض وعصابته لم يعرفوا قدر ذلك ولا يحبون أن يعرفوا لأنهم إذا عرّفوا لا يعرفون ، وإذا علّموا لا يعلمون ، وإذا فهّموا لا يفهمون ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُون ﴾{الأعراف:198} .

6- ثم قال المعترض : والجفري يستشهد بهذه القصة المكذوبة تحت عنوان / كيف نزكي أنفسنا / فعن أي تزكية يتكلم ؟

الجواب : المعترض لم يعرف عن أي تزكيةٍ يتكلم لأنه غير مزكى ، ولو تزكى لعرف عن أي شيءٍ يتكلم علماء التزكية والتربية ولكنه جاهل بهذه المعاني ومن جهل شيئا عاداه .

أليس التواضع والتذلل من صفات المؤمنين الكاملين واللذان يدلان على تزكية الإنسان لنفسه وتخليصها من الكبر والعجب ؟ ألم يقل الله تعالى في وصف عباده المحبوبين عنده

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِين ﴾{المائدة:54} ؟

أليس معنى ذلك أن يتذلل المؤمن لإخوانه والعالم لطلابه وأن يتواضع بعضهم لبعض حتى لا يتميز أحد عن أحد ولا يبغي أحد على أحد ؟

وإن من لوازم هذا التذلل والتواضع أن يعظم بعضهم بعضاً ويتأدب بعضهم مع بعض ويتبارك بعضهم بآثار بعض ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَد ﴾{سنن أبي داود برقم:4250 عن عياض بن حمار رضي الله عنه} ،

وكان سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه إذا صحب أنساً رضي الله عنه يخدمه فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَال : ﴿ صَحِبْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَكَانَ يَخْدُمُنِي وَهُو أَكْبَرُ مِنْ أَنَسٍ قَالَ جَرِيرٌ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَنْصَار يَصْنَعُونَ شَيْئًا لَا

أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَكْرَمْتُهُ ﴾{صحيح البخاري برقم:2674} ، وعند مسلم عنه قال : ﴿ خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ فَكَانَ يَخْدُمُنِي فَقُلْتُ لَهُ لَا تَفْعَلْ فَقَالَ إِنِّي قَد رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا آلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُم إِلَّا خَدَمْتُهُ ﴾{صحيح مسلم برقم:4570}

التواضع والتذلل والخدمة والتبرك هذه هي التزكية العملية التي كان عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، فإن كنت أيها المعترض منهم فتواضع وتذلل واخدم وتبارك وإلا فابق في أمراض كبرك وعجبك وغرورك لأنك عرفت من قدر الإمامة في وهمك ما لم يعرفه غيرك ، / ولا يعرف قدر أهل الفضل إلا ذووه / ومن لم يعرف قدر أهل الفضل فلا قدر له .

7- ثم قال المعترض : وما هذا الفكر والمنهج الذي يصدره الجفري للمرأة المسلمة ... الخ

أقول : هذا هو الفكر الصحيح والمنهج الكامل الذي كان عليه سلف الأئمة وخلفهم والذي قامت على صحته الأدلة والبراهين القولية والفعلية والمنسجم مع روح الدين الإسلامي وأخلاقه ، والمنهج الذي يتبعه المعترض ومن معه هو منهج الانحراف والشذوذ عن الأمة والأئمة فمن أولى بالاتباع الصحيح السوي أم المنحرف الشاذ ،

قال تعالى

: ﴿وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

{الأنعام:153}

وقال : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾{الملك:22} .



الفصل الرابع والعشرون

الدفاع عن الحبيب الجفري 24 (تواجد الصوفيّة في أسانيد العلوم الشرعية)

- قال المعترض : يقول الجفري : وتشكيك البعض في الصوفية لن نسكت عنه ، البعض يقول : لو تجنبتموه ... لا لن نتجنبه .. الخ

ثم قال المعترض : وما وجه التجني على جميع الأمة ، هل أصبح التصوف هو دين الأمة المأمورة به ؟

أقول : وجه التجني على جميع الأمة إذا لم يعتبر التصوف من الدين هو :

1* أن المسلمين خاصتهم وعامتهم منهم تركوا من غير تزكية لنفوسهم وبالتالي يصبح بعضهم عبيداً للدرهم والدينار وبعضهم عبيد الأهواء والآراء والمبادئ الهدامة والأفكار المنحرفة .

تقدم أن التصوف هو الركن الثالث من أركان الدين وأنه التزكية والأخلاق

~ وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن ما يعاني منه المسلمون اليوم في أنفسهم وجماعاتهم ومجتمعاتهم من الأمراض النفسية والفكرية والاجتماعية ، سبب كل ذلك إهمالهم للتصوف الشرعي ، ولن يعافوا من تلك الأمراض الخطيرة إلا إذا رجعوا إلى التصوف وأهله العلماء الشرعيين ، لقد أدخل الإمامان الجليلان الغزالي والسيوطي رحمهما الله علم التصوف في فرائض العين التي يأثم كل مكلف بتركها ، وبناءً على ذلك فالتصوف من الدين الذي أمرت به الأمة كلها والذي ربط الله به الفلاح بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى{14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾{الأعلى:14/15}

- وجعل التزكية قبل العلم ومعه وبعده ، قال تعالى :

- ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾{الجمعة:2} فجعل التزكية من مهام الرسول صلى الله عليه وسلم قبل العلم والتعليم ، وقال حكاية عن دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

- ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾{البقرة:129}

- فجعل التزكية بعد العلم والتعليم ، فتبين بهذا أن العلم سبب من أسباب التزكية محاط بها من قبل وبعد ،

-

- ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمن تعلم ليماري به السفهاء وليصرف به وجوه الناس إليه ومن شابهه أنه من أهل النار ولا يراح رائحة الجنة : ﴿ مَن طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِف بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَه اللَّهُ النَّار ﴾{سنن الترمذي برقم:2578 عن كعب ابن مالك رضي الله عنه}

- وما ذلك إلا لمنافات هذه الأشياء للإخلاص .

وأخبر عن أول من تسعر بهم النار فذكر منهم القارئ والمجاهد والجواد ونص الحديث : ﴿ فَقَال حَدَّثَني رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة يَنْزِل إِلَى الْعِبَاد لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّة جَاثِيَة فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُل يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّه وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَال فَيَقُول اللَّهُ لِلْقَارِئ أَلَم أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَال كُنْتُ أَقُومُ بِه آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاء النَّهَارِ فَيَقُول اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُول اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيل ذَاك وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَال فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَم أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَد قَال بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْت أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْت وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّه تَعَالَى بَل أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْت فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَاد فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْت حَتَّى قُتِلْتُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَه الْمَلَائِكَةُ كَذَبْت وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَال فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَة أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّار يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾

- {سنن الترمذي برقم:2304 عن أبي هريرة رضي الله عنه}

فمن أحب من القراء أن يكون من أهل الجنة وألا يكون من أول من تسعر بهم النار فليزك نفسه بتزكية التصوف الذي عليه السلف والخلف من العلماء الربانيين وأتباعهم ، قال تعالى :

- ﴿ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾{آل عمران:79}

- والربانية هي التصوف والربانيون هم علماء الصوفية السلفية الحقيقيون .

هذا فيما يتعلق بوجه الجناية على المسلمين ،

-



- 2* وأما الجناية على غير المسلمين فهو :

أنه إذا جرد الدين الإسلامي من ركن الإحسان المعبر عنه بالتصوف ، ولم يبق فيه ما يتعلق بالقلب والروح والوجدان من الرقائق ، وتم القضاء على الجوانب الإنسانية في تعامل الأفراد والجماعات ، وعلى أصول الآداب والأخلاق ، سيصبح دعاة الإسلام منفِّرين لا مبشرين ، وقد ﴿ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ﴾

- {صحيح مسلم برقم:3262 عن أبي موسى رضي الله عنه}

- ويقول : ﴿ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِين ﴾{صحيح البخاري برقم:661 عن أبي مسعود رضي الله عنه} ،

- وسيصبحون فظاظاً غلظاء ليس عندهم من وراثة تلك الرحمة الإلهية التي جعلها في حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم والتي لان بها لأمته ووصف بكونه الرؤوف الرحيم ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾{آل عمران:159} ،

- وقال تعالى:﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

- {التوبة:128}

- ، ألا يُرى في المجتمعات الإسلامية عبر تاريخ هذه الأمة أنّ العامة والخاصة التفتوا حول أهل اللين والرحمة من علماء التصوف وشيوخه ، ونفروا وابتعدوا عن كل عالمٍ فظٍّ غليظ ،

إن المخطط الذي رسمه أعداء الإسلام لهذه الأمة يتمثل في جانبين :

1* لما علموا أن التصوف هو رُوح الرُّوح وحياة الحياة يُكسب أتباعه الصدق والإخلاص ، ورأوا أن شيوخ التصوف كانوا وراء كل القادة الفاتحين المنتصرين ، عملوا جاهدين على إبعاد الناس عن التصوف وعلمائه وذلك بالطعن في الصوفية وتنفير الناس عنهم ، وإيجاد قوم أدخلوهم في الطرق الصوفية حتى رأسوا فيها وكانوا من الإباحية والحلولية ليستغلهم الطاعنون في التصوف وعملاء ومستأجري أولئك الأعداء من أجل ترويج دعاياتهم وإيجاد قبول لها في المجتمعات من خلال جعل أولئك الدخلاء والأدعياء شواهد على صحة ما يدَّعونه ، وأن جميعهم على شاكلةٍ واحدة في الفساد والانحلال والشذوذ .

-

2* أوجد أعداء الإسلام حركات إسلامية متطرفة في العقائد والأفكار ، حملت الفكر التكفيري للمسلمين وتبنت المنهج الإرهابي في الدول الإسلامية والغربية على السَّواء ، وجعلوا من عقائدها وأفكارها مهاجمة التصوف وأهله من السلف والخَلف .

وأرادوا من خلال ذلك المخطط الرَّهيب : أن يضعوا عقبات أمام الراغبين في الدخول في الإسلام في العالم الغربي بأن يقولوا لهم من خلال شواهد اجتماعية مرئية ومعلومة : الإسلام الذي تريد الدخول فيه من أجل الرُّوح مجرد عن القيم الروحية والأخلاقية ، وما فيه من تلك القيم المزعومة أصلها هندي أو بوذي أو فارسي ،

فمن أراد الدخول من أجل إشباع رُوحه بالمعاني فليتجنب الدخول في الإسلام وليصبح هندياً أو بوذياً أو فارسياً ، ثم استغلوا الأعمال التخريبية التي تقوم بها الحركات الإسلامية الجهادية المتطرفة ليؤكدوا للراغبين في الدخول في الإسلام من الغربيين أن الإسلام الذي يريدون الدخول فيه مع كونه مجردا عن القيم الروحية والأخلاقية لأنّ التصوف ليس منه ، هو دين إجرام وقتل وتدمير والشاهد مرئي ومعلوم لدى المخاطبين في المجتمعات كلها .

فتوصل أعداء الإسلام إلى ما يريدون من إبعاد انتشار الإسلام في دول العالم من خلال عملاءهم الذين نفَّذوا مخططات أولئك بالطعن في التصوف وتجريد الدين الإسلامي منه ، وإظهار الإسلام أنه عدو الإنسانية والحياة .

هذا بعض ما يجنيه أعداء الإسلام وعملاؤهم على الأمة كلها في الداخل وفي الخارج ، وأظن أنّ المعترض وأمثاله لم يبلغوا سنّ الرشد ولم يتمتعوا بدرجات الوعي الإسلامي العالمي الصحيح لذلك انجّروا إلى ذلك المخطط وكانوا ويا للأسف أدواتٍ لتنفيذه وأبواقاً لترويجه في عالمنا الإسلامي .

2- ثم قال المعترض : هل كل متصوف متلبس بتلك الانحرافات التي تنكر على الصوفية .. الخ

أقول : تقدم بيان التصوف وأقسام أهله ، وبيان الدخلاء عليه والأدعياء له ، ولا نحكم على الجميع بحكم واحدٍ ، ففيهم العلماء الربانيون وفيهم الصادقون الصالحون وفيهم الكاذبون والمنحرفون والمستغلون .

وعندما يبيِّن الحبيب الجفري هذه الحقيقة المعلومة على وجه الإنصاف دون إفراط ولا تفريط يكون قد أحقَّ الحق وأبطل الباطل ،

- وهذا لا يعتبر جناية على الأمة كما توهم المعترض بل هو تصحيح لمنهجها وتقويم لاعوجاجها أما عندما يطغى كاتب كالمعترض أو باحث أو خطيب فيشمل في حكمه الجائر مشرب التصوف وجميع أبنائه ويرميهم بالزندقة والمروق من الدين نقول حينئذٍ هذه جناية على الأمة كلها وخروج عن منهج الله تعالى القائل :

- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾{الزمر:7} .

-

3- ثم قال المعترض : وأمّا زعمه بأن مسألة تضليل الصوفية يلزم منها التشكيك بالقرآن والسنة .. الخ

أقول : إذا حكم أعداء الإسلام على التصوف أنه باطل وضلال وشرك وكفر وما إلى ذلك من اتهامات فإن هذه الاتهامات الموجهة إلى التصوف موجهة إلى أهله باللزوم ، ومن هم أهله ؟ إنهم علماء الأمة وصالحوها فمنهم القراء ومنهم المحدثون ومنهم الفقهاء ومنهم القادة الفاتحون .

سلاسل القراء في القديم والحديث والماضي والحاضر ملأى بأئمة التصوف ورجاله وكأن المعترض لا يعلم ذلك أو تجاهله عن قصد وتعمد ، فليس في تلك السلاسل ولله الحمد مبتدع من أهل الضلال كالمجسمة والمشبهة والخوارج والكرامية والحشوية والوهابية ، وإنما جميعهم أشعرية صوفية ، وأنا أتحداه أن يظهر جميع السلاسل وتراجم رجالها وما وُصفوا به من شريعة وطريقة ، وأتحداه أن يوجد لي مبتدعاً في رجالات تلك الأسانيد النورانية فإذا لم يكن فيهم مبتدع فهذا يعني أنهم من أهل الحق أهل السنة والجماعة الصوفيين ،

ويكفي في بيان ذلك شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه الذي هو واسطة عقد سلاسل القراء والمحدثين والصوفية ، وليقرأ المعترض ومن معه شرحه على الرسالة القشيرية ليظهر لهم صدق ما أدعيه عن تصوفه وتحققه الذي يكذبون به ويجحدونه وكذلك بقية السلاسل عند المحدثين والفقهاء وغيرهم فهي مسلسلة بهؤلاء وكانوا من أئمة التصوف وأعلامه وليرجع أي باحث إلى كتاب الأعلام ليجد المئات من تراجم علماء المسلمين قد وصف أصحابها بأنهم صوفية ، ولهم تصانيف في التصوف الكثير منها ما زال مخطوطاً وهو أضعاف ما طبع ونُشر .

4- ثم قال المعترض : فهل عنده سند فيه الحلاج أو ابن عربي أو ابن سبعين أو ابن الفارض .. الخ

أقول : هذه سفاهة من المعترض وجهالة ، فهل هؤلاء المذكورون هم أئمة التصوف فحسب ؟

- **هم من أئمة التصوف وليسوا جميع أئمته فإذا خلا سند القراء من هؤلاء لا يعني خلوه من غيرهم ممن هو في رتبتهم ومنزلتهم من التصوف وحقائقه .**

إن كثيراً من علماء الشريعة المطهرة خلت سلاسل القراء من ذكرهم لأنهم لم يكونوا من أهل القراءة والإقراء وإنما كانوا فقهاء ومحدثين فهل يعني خلو أسانيد القراء منهم عند المعترض أنهم ليسوا فقهاء ولا محدثين ؟

التخصص العلمي في مادة ما يجعل الإنسان يذكر في سند ذلك العلم ولا يذكر في غيره ، وعدم ذكره في غير ما اختص فيه لا يعني قدحاً في إمامته وعلمه الذي اختص فيه .

رجال أسانيد القراءة والحديث من لم يكن منهم صوفياً سالكاً ومسلكاً فهو ممن لبس ويلبس خرقة الصوفية تبركا ويثني عليهم ويترضى عنهم ، وإذا لم يوافقني المعترض على هذه الحقيقة الناصعة وجرّد القراء عن صفة الصوفية فهذا يعني أنهم ليسوا من أهل السنة وأنهم مبتدعة مخالفون فهل يرضى أن توصف سلاسل القراء بهذا الوصف ؟

- الحقيقة التي يجب أن يفهمها المعترض وأمثاله أن الصوفية هم خلّص أهل السنة والجماعة وأصفياؤهم والربانيون فيهم ، ومن ادّعى خلاف ذلك فكلامه هُراء ، وتكذبه الأدلة والبراهين والواقع الصادق .

5- ثم قال المعترض : إن مشيخة القراء منذ القرن الأول الهجري لم يكن فيهم من ينسب إلى التصوف ... الخ

أقول : هذا كذب وافتراء بل نُسب إلى التصوف منهم كثير ويكفي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى دليلاً على ذلك .

6- ثم قال المعترض : بل إن جميعهم كانوا على قدم السلف في اتباع السنة ونبذ البدع ... الخ

أقول : إذاً هؤلاء صوفية لأن التصوف من أصوله الخمسة التي ذكرها المعترض نقلا عن الإمام النووي رحمه الله تعالى اتباع السنة في الأقوال والأفعال ، ويلزم من اتباع السنة نبذ البدع المخالفة لها ، فلما وصف المعترض هؤلاء القراء أنهم على قدم السلف في اتباع السنة ونبذ البدع دلّ على أنهم صوفية لأن الصوفية على قدم السلف الصالح في اتباع السنة ونبذ البدع .

7- ثم قال المعترض : فكيف يظن الجفري أن يكون فيهم من يتلبس بأمور مفضية إلى الشرك والكفر والعياذ بالله

- أقول : يفهم من هذا أنَ التصوف عند المعترض وأمثاله شرك وكفر أو أنه يفضي إلى الشرك والكفر ، فإن كان هذا مفهوم التصوف عند هؤلاء فأدعو الله تعالى أن يعمي أبصارهم كما أعمى بصائرهم ، وأن يقطع ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ، ويجعلهم عبرة لمن يعتبر .

التصوف كما تقدم ركن الإحسان وهو من أركان الدين ، فهل يشتمل الدين على أمور تفضي إلى الشرك والكفر ؟ نعوذ بالله تعالى من هذا الفهم والاعتقاد المفضيان إلى الكفر .

8- ثم قال المعترض : ولم يزل الأمر فيهم كذلك .

أقول : أي لم يزل الأمر في مشيخة القراء على قدم السلف ولم يكن فيهم من ينسب إلى التصوف ، وهذا أيضا كذب وافتراء فشيخ القراء الشيخ حسين خطاب رحمة الله تعالى عليه كان صوفياً وكان يقيم مجالس الذكر ويحضرها ، وهذا الأمر عنه أشهر من نارٍ على علم يعلمه الخاصة والعامة ، وشيخ قراء حمص الشيخ عبد العزيز عيون السود رحمه الله تعالى كان صوفياً ويحضر المجالس التي يقيمها الصوفية ، وكذلك مشايخ الإقراء الحاليين في مجلس الإقراء كلهم صوفية ، فالشيخ أبو الحسن الكردي والشيخ عبد الرزاق الحلبي والشيخ شكري لحفي والشيخ محمد سكر ، فهؤلاء شيوخ في العلم وهم من رجال الطرق الصوفية ولهم أسانيد فيها .

فهل هؤلاء عند المعترض وأمثاله ليسوا على قدم السلف لأنهم ينسبون إلى التصوف ؟ وهل هؤلاء متلبسون بأمور مفضية إلى الشرك والكفر لكونهم مقرين بالتصوف ومثنين على أهله ولهم شيوخ فيه ؟

-

9- ثم قال المعترض عن الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى : ولم ينسبه التصوف بل عُرف منه شدة إنكاره لانحرافات الصوفية ...الخ .

أقول : ما دام هذا الإمام سنياً فاضلاً أثنى عليه كل من ترجم له كما قال المعترض فهو مقر بالتصوف الشرعي الصحيح ومثنٍ على أئمته ولا يتوقف ذلك على نسبته للتصوف ، فكل الأئمة ممن نسب إلى التصوف أو لم ينسب إليه مجمعون على توقير وتعظيم التصوف وأهله .

وقول المعترض : بل عُرف عنه شدة إنكاره لانحرافات الصوفية .

أقول : علماء الصوفية وعلماء الشريعة المطهرة جميعاً مجتمعون ومجمعون على إنكاره انحرافات الصوفية بشدة ، ونحن معهم في ذلك ولا يلزم من إنكار انحرافات الصوفية ألا يكون المنكر صوفياً أو مقراً بالتصوف ومحترماً لأهله ، فليس بين الأمرين تلازم كما توهم المعترض .

فالإمام أبو القاسم الجنيد شيخ المذهب رضي الله عنه أنكر انحرافات الصوفية فهل يعني إنكاره أن الإمام الجنيد ليس صوفياً ؟

ثم قال المعترض : ومن ذلك أنه كان ينكر ما في كتب إمام الصوفية الشيخ ابن عربي ﴿ رضي الله عنه وقدس سره ﴾ ويرى أن كلامه كفر ... الخ

أقول : للشيخ ابن عربي رضي الله عنه أربعة آلاف كتاب ورسالة كما قال الشيخ الشعراني رحمه الله في أول كتابه / اليواقيت والجواهر / فهل قرأ واطلع أحد من المنكرين عليه عالماً كان أو جاهلاً على مؤلفات الشيخ كلها حتى يحكم عليه من خلالها بعدما يطرح منها الكلام المتعارض ويرجّح بعضه على بعض باعتبار تاريخ التأليف ، وهل يقطع أحد بأن كل كلمة في المؤلفات المنسوبة إلى الشيخ قد قالها على جهة القطع واليقين فيكون جميع ما في مؤلفاته قطعي الثبوت وقطعي الدلالة على الكفر بحيث لا يقبل التأويل الصحيح بوجه ؟ على المعترض وأمثاله أن يقرؤا مؤلفات الشيخ إن اتسعت أعمارهم لقراءتها وأظنها لا تتسع ، وبعد قراءتها عليهم أن يظهروا لنا ما في كلامه من الكفر الصريح وفي أي مؤلّف هو ؟

إن اتهام الشيخ الأكبر قدس الله سره الأنور زلة وقع فيها بعض العلماء ثم استغلها أهل الباطل والضلال والإضلال وقلدهم فيها الجاهلون فما هو إلا تقليد نشأ عليه هؤلاء الأدعياء والدخلاء على العلم وأهله وتلقنوه عن شياطينهم ثم قلدوهم فيه بدون دليل ولا برهان ، قال الله تعالى :

- ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾{الإسراء:36}

وقال تعالى : ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾{الزخرف:19}

وقد أشار المعترض أنه نقل ذلك من كلام / البرهان البقاعي / غفر الله له ، والذي ردَّ عليه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى بكتاب سمّاه / تنبيه الغبي إلى تبرئة الشيخ ابن عربي / ونقض أقواله وأوهامه .



- والإمام السيوطي رحمه الله تعالى مقدّم علماً وإمامةً على البرهان البقاعي كما يعلمه علماء المسلمين في المشارق والمغارب .

10- ثم قال المعترض : إذاً فليعلم الجفري ومن معه أن أسانيد جميع القراء تنتهي إلى من يفتي بأن كلام شيخهم .. الخ

أقول : إن صح ذلك القول المنقول عن الإمام ابن الجزري رحمه الله فلا بدَّ من بيان أمرين :

1* الكلام الذي هو كفر وفي أيِّ مؤلف

2* الحكم على الكلام الذي هو كفر شيء والحكم على المتكلم شيء آخر ، وإنني أظن أن رتبة الشيخ ابن الجزري رحمه الله العلمية تحول بينه وبين تكفير معيَّن سواء كان الشيخ ابن عربي أو غيره .

وقد نص العلماء في أبواب الردة على قاعدة مفادها : من اعتقد كلاماً هو صريح الكفر فإنه يُكْفَر ، وبناءً عليه ربما يكون الكلام محتملاً للكفر أو صريحاً فيه ومن اعتقد ومات على ذلك يكفر ، ولا يحكم على قاتله بالكفر لعدم القطع أنه قاله ومات عليه ، وقد تقدم كلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك وهذا نصه :

يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : إنّ القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال : من قال هذا فهو كافر لكنّ الشخص المعيّن الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد فلا يشهد على معيّن من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد يتوب من فعل المحرّم وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة المحرّم وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه وقد يشفع فيه شفيع مطاع .

ثم هل كلام الشيخ ابن الجزري رحمه الله في الشيخ الأكبر ابن عربي رحمه الله تعالى إن صح عنه ، نص قطعي بقوة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يؤخذ به أم أنه معارض بكلام غيره من كبار علماء الأمة وأولياءها القائلين بأنّ الشيخ الأكبر إمام في العلوم كلها حتى القراءات والحديث ، فقد حفظ القرآن والقراءات وهو ابن سبع سنين في الأندلس كما جاء في ترجمته في المصادر المعتمدة ، وتلقى علوم الحديث وأسنده حتى أدخله العلماء في قائمة المحدثين وأثبتوا له تلك الرتبة العلمية الراقية ،

- وأسانيد المغاربة والأندلسيين في القراءة والحديث لا يخلو سند منها عن الشيخ الأكبر – قدس الله سره الأنور – . وليرجع من أحب الزيادة إلى مطلب في حال الشيخ الأكبر في حاشية رد المحتار لخاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين رحمه الله .

–

–



11- ثم قال المعترض : وهو ـــ أي الشيخ محمد كريم راجح ـــ ليس صوفيا .

أقول : ما ضر التصوف والصوفية ألا يكون الشيخ منهم ، وهو بذلك مخطئ ومخالف لمشايخه ولمن معه من شيوخ الإقراء في بلاد الشام ، فما يصدر عنه يعبّر فيه عن رأيه فقط ولا يعبّر عن آراء إخوانه مشايخ القراء الآخرين بل هم منكرون لما يصدر عنه من إساءة للتصوف وأهله ، ويعلم إنكارهم لذلك جميع إخوانهم وطلابهم والآخذين عنهم .

إن الشيخ حسن حبنكة الميداني رحمه الله تعالى هو شيخ الشيخ كريم وبه تخرج ، والشيخ حسن كان عالماً صوفيا فهو سالك للطريقتين البدوية عن الشيخ عمر الحمصي رحمه الله تعالى ، والتيجانية عن الشيخ علي الدقر رحمه الله تعالى .

وأمر الكثير من طلابه بأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخين محمد الهاشمي ومحمد سعيد البرهاني رحمهما الله تعالى ، وكان يحضر مجالس الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم العامة ، يعلم هذا أهل الشام من الخاصة والعامة .

وخليفة الشيخ حسن رحمه الله تعالى هو شيخ القراء حسين خطاب رحمه الله تعالى وكان على طريقة شيخه في إقامة حلقات الذكر وحضورها وكان مجازاً بعدد من الطرق الصوفية وأخذها عن كبار الشيوخ في بلاد الشام تبركاً كما أخبرني بذلك رحمة الله تعالى عليه .

فأي الفريقين أحق بالصواب ؟ الشيخان العالمان الصوفيان حسن حبنكة وحسين خطاب رحمهما الله تعالى أم الشيخ كريم ؟

لا أشك أن الشيخين كانا على صواب وكونهما من الصوفية صفة مدحٍ في حقهما ، وأن الشيخ كريم مخطئ في مخالفة مشايخه ، وكونه ليس صوفياً كما وصفه المعترض صفة نقص ، على الشيخ أن يستدرك ذلك النقص فيكمل ما نقص فيه بسلوك طريقة من طرق التصوف .

ـ 12- ثم قال المعترض : وأكبر دليل على ذلك أنه أصدر فتوى ينكر فيها على الجفري وعلى شيوخه

أقول : ما أصدره الشيخ لا يعتبر فتوى دينية وإنما هو رأيه الخاص في بعض المسائل ، ولو عُرضت تلك المسائل على علماء الفتوى المعتبرين في العالم الإسلامي لخالفه فيما ذهب إليه الكثيرون .

ولا نعلم أن للحبيب الجفري ومشايخه انحرافات تُنكر ، ومن ادّعى ذلك فعليه أن يقدّم الأدلة والبراهين الدالة على صدق دعواه بشرط أن يكون الإنكار لأمور مجمع على إنكارها عند علماء الأمة سلفاً وخلفاً لا أموراً مختلفا فيها .

ـ

13- ثم قال المعترض : وكذلك شيخه شيخ القراء أحمد الحلواني الحفيد ﴿ رحمه الله تعالى ﴾ لم يكن صوفيا .
أقول : عجباً لهذا المعترض كيف يجعل من الأشخاص حجة قطعية في المسألة كالحجج الشرعية المجمع عليها ، هل أن عالماً من علماء الأمة لم يكن صوفياً يكون دليلاً على بطلان التصوف وضلال الصوفية ؟ وهؤلاء وأمثالهم معارضون بالأكثرية من مشايخهم وسلاسلهم السالكين لطرق الصوفية والمثنين عليهم والمتأدبين معهم .
والمعروف أن آل الحلواني رفاعية النسب والطريقة من عهد أسلافهم كما قال ذلك علماء التحقيق والأنساب .
14- ثم قال المعترض : في التعليق رقم / 1 / أن الشيخ كريم حضر نقاشاً حادّا بين شيخ القراء أحمد الحلواني وبعض الشيوخ المنتسبين للطريقة التيجانية والمقرين لما فيها من انحرافات ... الخ
أقول : الطريقة التيجانية من الطرق الصوفية الشرعية التي لا يعرف فيها ولا عن مشايخها أي انحراف ، وادّعاء ذلك محض توهم وافتراء ، وكان من خلفائها في بلاد الشام الشيخ / علي الدقر / صاحب النهضات العلمية المباركة رحمه الله تعالى ، وحسده بعض معاصريه من العلماء وأساؤوا إليه بسبب تصوفه كما جرت سنة الله تعالى في عباده .
وكان من خلفائها في مصر العالم العامل الشيخ محمد الحافظ التيجاني رحمه الله تعالى ، وهو من كبار علماء ومحدثي مصر وله آثار مباركة في العلم والتصوف فإنكار الشيخ الحلواني لهذه الطريقة ليس حجة شرعية حتى يقلد فيه ويتبع عليه ، بل شيوخها وسالكوها الملتزمون بالشرع المطهر حجة على كل من أنكر .
15- ثم قال المعترض : ومن قبله والده شيخ القراء محمد سليم الحلواني رحمه الله فهو أيضاً لم يكن من الصوفية ... الخ
أقول : من عرف الحق بالرجال تاه في متاهات الضلال ، وهل كل عالم تؤخذ جميع أقواله وأفعاله وتقريراته على أنها حجة ويتبع عليها ؟ أم يؤخذ منه ويُرد عليه ؟
16- ثم قال المعترض : في التعليق رقم / 2 / وكان أتباع هذه الطريقة متحلقين حول القبر يقومون بطقوسهم الخاصة .
أقول : ليس في الطرق الصوفية طقوس خاصة تقام في الحياة أو بعد الممات ، وإنما هي أمور شرعية من نحو قراءة القرآن والذكر ، وهذا قال به علماء أهل السنة سلفاً وخلفاً ، ومن أجمع من كتب في هذا الشيخ الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتاب / الروح / ، وجمع أقوال المذاهب في رسالة خاصة العلامة الشيخ المحدث محمد التباني المغربي رحمه الله تعالى في رسالة سماها / إسعاف المسلمين والمسلمات في جواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات / وهي مطبوعة .

-

- ثم أورد المعترض كلام الشيخ الحلواني في عدم وقوفه على قبر الدرنداوي رحمه الله قائلاً : بأنه مشكوك في أمره أمات على الإسلام أم مات على الكفر ؟

أقول : إذا أردنا أن نعامل أموات المسلمين على الشك فإن ذلك يعني تسويتهم بالكافرين لأنهم على الشك أيضا ، والله تعالى يقول ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون ﴾ {القلم:35/36} .
ثم إن إحسان الظن بالله تعالى مطلوب في الشرع ففي الحديث القدسي :

- ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ﴾{صحيح البخاري برقم:6856 عن أبي هريرة رضي الله عنه} وأخرجه الإمام أحمد ولفظه : ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ ﴾

ونحسن الظن بالمسلمين أنهم ماتوا على ذلك لأن الله تعالى الذي وهب الإيمان لعباده دون استحقاق منهم أكرم من أن يسلبه عنهم فالكريم لا يسترد ما وهب ، وقد أخبر الشرع الشريف أن الله يقبل شهادة العباد بعضهم في بعض ففي الحديث : ﴿ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّة فَقُلْنَا وَثَلَاثَةٌ قَالَ وَثَلَاثَةٌ فَقُلْنَا وَاثْنَانِ قَال وَاثْنَانِ ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنْ الْوَاحِدِ ﴾{صحيح البخاري برقم:1279 عن عمر رضي الله عنه}

- ولا شك أن كل مسلم يشهد له اثنان فأكثر بالخير وهي بشرى له ، وأخبر الشرع كذلك أن : ﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيْه ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَب ﴾{سنن الترمذي برقم:949 عن مالك بن هبيرة رضي الله عنه} وفي الحديث أيضا : ﴿ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِه أَرْبَعُون رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّه فِيه ﴾{صحيح مسلم برقم:1577 عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما} ،

- وأخبر الشرع أن من مات في أحد الحرمين مكة والمدينة بعث آمناً ، فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من مات في أحد الحرمين بعث آمنا يوم القيامة ﴾

- {رواه الطبراني في الصغير والأوسط} وفي الحديث أيضا : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَة فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا ﴾{سنن الترمذي برقم:3852 عن ابن عمر رضي الله عنهما}

وينتفع أموات المسلمين بمجاورة الصالحين ففي حديث دفن سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه ﴿ كَأَنِّي أَنْظُر إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِه وَقَالَ أَتَعَلَّم بِهَا قَبْرَ أَخِي وَأَدْفِن إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي ﴾{سنن أبي داود برقم:2791 عن المطلب رضي الله عنه}.

-

-

وقال السخاوي رحمه الله في المقاصد الحسنة عند حديث : ﴿ ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء ﴾{أبو نعيم في الحلية والخليلي من حديث سليمان بن عيسى حدثنا مالك عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا وسليمان متروك بل اتهم بالكذب والوضع، ولكن لم يزل عمل السلف والخلف على هذان وما يروى في كون الأرض المقدسة لا تقدس أحداً إنما يقدس المرء عمله قد لا ينافيه}

- ، قال في كشف الخفا : ومما يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

وعلمنا الشرع إذا دخلنا المقابر أن نسلم على أهلها قائلين ما ورد في الحديث:

- ﴿ أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُم لَاحِقُونَ ﴾{صحيح مسلم برقم:367 عن أبي هريرة رضي الله عنه}

- فانظر إلى قوله :﴿ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين ﴾ وصفهم بالإيمان .

وعلى مذهب الشيخ الحلواني لا نزور أحداً من الصحابة رضي الله عنهم غير المبشرين بالجنة لأنهم مشكوك في أمرهم عنده ، هل نترك تعاليم الشرع هذه وإحسان الظن بالصحابة والتابعين وتابعيهم من المسلمين من أجل رأي الشيخ الحلواني القائل بالشك ؟ إن رأي الشيخ الحلواني هذا المخالف للشرع وقواعده وأصوله يعني ألا نصلي على أحدٍ من المسلمين لأننا لا ندري هل مات على الإسلام أم على الكفر فهو مشكوك في أمره ؟ وألا ندفنه في مقابر المسلمين ؟ وألا يزور الإنسان المقابر ولا يسلم على أهلها ؟ وألا يقف الإنسان عند قبور والديه ومشايخه . وعلماء المسلمين لأنهم مشكوك في أمورهم على مذهب الشيخ الحلواني غفر الله له ؟

وهذا لا يقول به أحد من علماء المسلمين وعوامهم ، ولم يزل العمل متوارثاً من السلف والخلف على حسن الظن بالمسلمين والصلاة عليهم والسلام عليهم في قبورهم وزيارتهم والقراءة لهم ، وكل ذلك موافق لأصول الشرع الشريف وقواعده .

وعلى المعترض ألا يزور قبري والديه ولا مشايخه ولا شيخ القراء الحلواني ولا من قبله ولا من بعده من مشايخ القراء لأنهم على مذهبه مشكوك في أمورهم ولا ندري هل ماتوا على الإسلام أم على الكفر ؟

وكفى بذلك جهلاً وضلالا .

-

-



17– ثم قال المعترض : وعدم كون هؤلاء العلماء من الصوفية لا يعني أنهم غير متخلقين بأخلاق الإسلام وفضائله .

أقول : ما داموا متخلقين بأخلاق الإسلام وفضائله فهم من الصوفية وإن لم يتسموا بذلك الاسم المصطلح ، وهل التصوف إلا أخلاق الإسلام وفضائله ؟

18– ثم قال المعترض : أسانيد القرآن غير منحصرة وغير مدونة والمدون منها والمسلسل إنما هو خاص ببعض قراءة القراءات .

أقول : ما دامت أسانيد القرآن غير منحصرة وغير مدونة بإقرار علماء هذا الفن فكيف يتجرأ المعترض ويقول بأن أسانيد القراءات خالية عن علماء التصوف وأئمته ، فالحكم على جميع السلاسل بخلوها عن أئمة التصوف باطل ، وقد تقدم عدم التسليم للمعترض فيما ادعاه من خلو أسانيد القراء المدونة من علماء التصوف وأئمته . ثم إن في كلام الإمام ابن الجزري رحمه الله أنّ تعيين بعض القراء لكونهم تصدَّوا للإقراء أكثر من غيرهم أو لأنهم شيوخ المعين بيان أن بعض القراء لم يعيّن لكونهم لم يتصدوا للإقراء أو لأنهم غير شيوخ المعيَّن ، وهذا يعني أن سلاسل الإقراء المعينة لم تستوف ذكر جميع القراء ، فلا يصح للمعترض ولا لغيره أن يتقول على الغيب ويفتري بأنّ سلاسل القراء ليس فيهم من ينسب إلى الصوفية فإذا لم يسلّم له فيما هو مدون من تلك السلاسل ، فمن باب أولى عدم التسليم له فيما ليس بمدون ، وإن أراد المعترض إثبات صحة ما ادعاه فعليه أولاً أن يترجم رجال سلاسل الإقراء غير المدونة لنتعرف على رجالها ولنعلم من ينسب إلى التصوف من هؤلاء وأولئك ومن لم ينسب ، وهل كان هؤلاء وهؤلاء متخلقين بأخلاق الإسلام وفضائله التي تعني في الاصطلاح التصوف أم غير متخلقين ؟ إذا كانوا ليسوا صوفية فهم غير متخلقين بتلك الأخلاق على رأي المعترض وأمثاله .

19– ثم قال المعترض : ما قاله الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المنجد من جواب شيخه إمام الأئمة أبي المعالي رحمه الله .

أقول : في كلام إمام الأئمة أبي المعالي رحمه الله ردٌّ على المعترض وأمثاله فيما اعترضوا به على قراءة الحبيب الجفري ومشايخه أهل تريم وحضر موت ، فبما أن انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم وبما أن أهل كل بلد قرؤا بقراءة إمامهم بحسب كلام إمام الأئمة أبي المعالي ، فهذا يعني أن القراءة جاءت عن غير من انحصرت الأسانيد بهم وأن أهل تلك البلاد قرؤوا بقراءة إمامهم بالتلقي فلا اعتراض عليهم خصوصاً فيما تقاربت مخارجه من الحروف على مذهب المتأخرين من الفقهاء رحمهم الله .



الدفاع عن الحبيب الجفري 25 (الاعتراض على رواية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)

- قال المعترض : في الصفحة /237/ يروي الجفري قصة باطلة عن السيدة فاطمة رضي الله عنها ...الخ أقول : لا يلزم من نفي الصحة بطلان الثبوت كما توهم المعترض ففرق بين قول المحدث لا يصح وبين قوله لا يثبت ، وقد ذكر عدد من الأئمة البيتين وبعضهم نسبهما إلى السيدة فاطمة وبعضهم إلى سيدنا علي رضي الله عنهما .

فقد جاء في كتاب إتحاف السائل فيما لفاطمة رضي الله عنها من المناقب للمحدث المناوي رحمه الله تعالى قوله : وروى طاهر بن يحيى العلوي وابن الجوزي في الوفاء عن علي رضي الله عنه قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر وأنشأت تقول : وقيل : بل هو لعلي رضي الله عنه :

ما على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

وفي كتاب تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام لابن الضياء مثله ، وفي كتاب تاريخ المدينة لابن النجار الملحق بشفاء الغرام .

وقد استشهد بالبيت الأول العلامة الزركشي رحمه الله تعالى في كتابه إعلام الساجد بأحكام المساجد فقال : ذكر صاحب المباهج أن العطر والبخور يوجد لهما من التضوع والرائحة الطيبة بطيبة أضعاف ما يوجد في سائر البلاد وهي في نفسها طيبة وإن لم يكن فيها شيء من الطيب ، ولله در القائل : ~ ماذا على من شم تربة أحمدٍ ألا يشم مدى الزمان غواليا

وقد ذكر العلامة الزركشي رحمه الله تعالى في أسمائها :

طابة ، وطيبة سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما إما من الطيب وهي الرائحة الحسنة ، والطاب والطيب لغتان بمعنىً ،

- قال ابن بطال رحمه الله : من سكنها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة والعجونات من الطيب منها أحدٌ رائحة من غيرها ...الخ

-

-

وطيّبة بتشديد الياء ، والمطيّبة ، على أن الاستشفاء بتربتها أبلغ من الشم المذكور في البيت ، وأصل الاستشفاء بالتربة مطلقاً وارد في الصحيح : عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيض ﴿ بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا ﴾

- { رواه البخاري برقم:**5304** ومسلم برقم:**4069**}

- فإذا ثبت ذلك في كل تربة يثبت لتربة المدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام من باب أولى ، على أن بعض العلماء خصصوا الحديث بأرض المدينة فقد قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم : قال جمهور العلماء : المراد بأرضنا هنا جملة الأرض ، وقيل : أرض المدينة خاصة لبركتها .

وأما تخصيص البعض الوارد في الحديث برسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فقد قال الإمام ابن حجر رحمه الله : فيه نظر .

2- ثم قال المعترض : ليت الجفري شعر بالتحطيم الشعري الموجود في البيت الأول ...الخ

-

أقول : متى كانت أخطاء النساخ وأغلاط الطباعة يحاسب عليها المؤلفون ويؤاخذون بها ، إن الأخطاء الطباعية لا يخلو منها كتاب مطبوع قديماً وحديثاً ، والملامة على لجان التدقيق التي يسلّم لها الكتاب قبل طبعه .

ثم متى كان الشعر وضبطه واجباً شرعياً ، هل ضبط الشعر عند نقله مثل نصوص القرآن والحديث ؟ وهل يسوّي المعترض بين الشعر وبين تلك النصوص ويجعل ما هو خاص بكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عاماً لكلام البشر ؟ على أن حفظ الشعر والإكثار منه ليس منقبة ولا فضيلة يتمدح بها ،

- ورحم الله الإمام الشافعي القائل :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد



الدفاع عن الحبيب الجفري 26 (الاعتراض على كلامه عن تذوق النفس للعبادة والمتابعة)

- قال المعترض : قال الجفري في ص/57/ : في أن تجعلي عباداتك على قدم المتابعة للحبيب ...الخ ما هذه القاعدة العجيبة في التعبد ؟ ...الخ

أقول : كلام الحبيب الجفري حول أمرين اثنين :

1* أن تكون العبادات على قدم المتابعة للحبيب صلى الله عليه وسلم .

2* أن تتذوق رضا نفسها بهذه المتابعة ، فأي عجب في هذين الأمرين ؟

الحبيب الجفري يأمر أولاً أن تكون العبادات على قدم المتابعة ، وثانياً الرضا النفسي بهذه المتابعة أي : أن تؤدى العبادات بعد شرط المتابعة برضا نفس وانشراح صدر وذوق قلب ، وهذا يعني التحقق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ﴾

- {صحيح مسلم برقم:49 عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه} .

2- ثم قال المعترض : أرأيت لو أن أحدهم قال لك إنّ ذوق نفسي في متابعة الحبيب وحبه مع آل بيته تدفعني إلى الخروج في مسيرات عاشوراء وضرب نفسي بالسلاسل والآلات الحادّة ...الخ

أقول : اختل في هذا المثل الذي أورده المعترض شرط الاتباع للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والذي ذكره الحبيب الجفري أولاً ، فأين قدم المتابعة فيما ذكر ، وبالتالي إذا اختل شرط المتابعة لا يلتفت إلى رضا النفس والتذوق لأن الحبيب الجفري جعل الأمرين متلازمين فلا يصح فك أحدهما عن الآخر لمن أراد تحصيل الكمال والقبول .

3- ثم قال المعترض : ألا يعلم الجفري أن وسوسات الشيطان وهوى الإنسان يؤثران في تذوق النفس ...الخ

أقول : إن الحبيب الجفري يعلم ذلك والدليل على ذلك أنه لم يشترط تذوق النفس دون اتباع للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بل جعل رضا النفس وتذوقها مقيّداً بشرط الاتّباع .



الفصل السابع والعشرون

الدفاع عن الحبيب الجفري 27 (الاعتراض على قصة عارف تصدّق وهو في الخلاء)

- قال المعترض : في الصفحة / 130 / يذكر قصة سخيفة ...الخ أقول : العقول والأذواق مختلفة في درجات التحسين والتقبيح فما يحسّنه رجل بعقله يقبّحه آخر ، وما يراه سخيفاً بذوقه يعظّمه آخر ، ولاختلاف ذلك اتفق العلماء على أن التحسين والتقبيح للشرع وحده فالحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه الشرع ، فإذا احتكمنا إلى الشرع الشريف في القصة التي أوردها الحبيب الجفري لم نجد دليلاً شرعياً يدل على قبحها وسخافتها كما زعم المعترض .

فالكلام في بيت الخلاء إن كان قرآناً أو ذكراً فهو محرّم لنجاسة المكان ، وإن كان كلاماً خالياً عن القرآن والذكر وفي حالة ستر العورة فليس بمحرّم ولا مكروه ، فلو قدّر أن الرجل قال لولده / تصدّق بكذا / هل كلامه هذا قرآن أو ذكر عند المعترض ؟ فإذا لم يكن قرآناً ولا ذكراً فليس بمحرّم ولا مكروه ، ثم أليس في قوله هذا مبادرة ومسارعة إلى الخير فإنه لا يدري إذا أخّر هذا الوارد على قلبه من الخير هل يبقى على عزمه أم تتغير نيته فيكسل أو يبخل ؟

خصوصاً أن النفوس مجبولة على الشحّ قال تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾{النساء:128} ،

- وفي الحديث : ﴿ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتْ الْمَلَائِكَةُ من شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَد مِنْ الْجِبَالِ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ من خَلْقِك شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيد قَالَ نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ قَال نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا يَا رَب فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَد مِنْ الْمَاءِ قَالَ نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِن خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ قَالَ نَعَمْ ابْن آدَم تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِه ﴾

- {أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال غريب وأبو يعلى والضياء والبيهقي عن أنس رضي الله عنه} .

وفي الحديث الصحيح أن سيدنا أيوب عليه السلام تكلم مع الله تعالى وهو يغتسل : ﴿ بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَب فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ ﴾{صحيح البخاري برقم:270 عن أبي هريرة رضي الله عنه}.

-

- فهل يقول المعترض بأن الذوق الذي هو عليه يجعل النبي في كلامه غير ذائق ويجعل عدم تأخيره ذلك يتنافى مع الذوق ، إن كان يزعم ذلك فقد كفر ، فالأنبياء عليهم السلام مصدر الأذواق العالية والسليمة وهم أشد ذوقا وأكثر أدباً من أمةٍ من الناس من أمثال المعترض ، وهكذا الصالحون من وراثهم .

2- ثم قال المعترض : وكأن الشيطان يكون في بيت الخلاء بعيداً ...الخ

أقول : هذه الجملة ركيكة في التركيب ، والأفصح أن يقال : وكأن الشيطان يكون بعيداً عن الإنسان وهو في بيت الخلاء ، لأن الجملة الأولى جعلت الشيطان في بيت الخلاء بعيداً عن الإنسان ، وهو غير صحيح ومخالف للحديث الصحيح .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُم الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الْخُبُثِ وَالْخَبَائِث ﴾{سنن أبي داود برقم:5 عن زيد بن أرقم رضي الله عنه} ،

- أي مجمع الشياطين ولذا أمرنا بالاستعاذة بالله تعالى قبل الدخول من الخُبُث والخبائث وهم ذكران الشياطين وإناثهم .

ثم لقد جاء في الحديث الصحيح : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ﴾

- {صحيح البخاري برقم:1897 عن علي بن الحسين رضي الله عنهما}

- فليست الوسوسة والأمر بالبخل منه مخصوصاً بمكان دون آخر وقد قال ربنا سبحانه وتعالى :

- ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء ﴾{البقرة:268}

- وجاء في التفسير على أحد الأقوال أنه البخل .

فاغتنام الخير الذي فيه ردٌّ للوسوسة وانتصار على النفس والشيطان مأمورون به في الشرع .

-

-

-

-

-



3– ثم قال المعترض : ثم ما هذه القصص المتدنية التي يأتي بها الجفري ...الخ ؟

أقول : القرآن الكريم أليس كتاب تزكية ؟ فإذا كان المعترض يرى أن الآيات المتعلقة بالمجيء من الغائط وآيات الوقاع متدنية لأنه تتنافى مع ذوقه السقيم فهو بذلك كافر ، ثم كتب الأحاديث النبوية أليست كتب تزكية ؟ ألا يوجد فيها ما يعلم المسلمين أحكام قضاء الحاجة وآدابها ؟ فإذا كانت عند المعترض متدنية لأنها تتنافى مع ذوقه فليحذفها من كتب الصحيح والسنن ، لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّم أصحابه كل شيء حتى الخِراءة : أي أحكام وآداب قضاء الحاجة فهذا من الدين ومن الشرع وهو فوق الأذواق السقيمة التي ترى منافاة ذلك التشريع لها .

- وهذه كتب الفقه الإسلامي وشروحه وحواشيه ملأى بتلك الأحكام والآداب فهل يعتبرها المعترض منافية للذوق ؟ ألم يقل المعترض في الاعتراض / 26 / إن وسوسات الشيطان وهوى الإنسان يؤثران في تذوق النفس ، وأن فيصل التفرقة بين المطلوبات والمنهيات هو نصوص الشريعة لا غير .

-

فما هذا التناقض في أقواله ؟ يعترض هنا على ما ورد في نصوص الشريعة ويراه مخالفاً للذوق ، ويعترض على الحبيب الجفري هناك في أمره باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتذوق الرضا في ذلك الاتباع .



الفصل الثامن والعشرون

الدفاع عن الحبيب الجفري 28 (الاعتراض على تشبيه النفس الأمّارة بالدابة الحرون)

قال المعترض : وفي ص /116/ يخاطب المرأة ويعلمها كيف تتغلب على نفسها الأمارة بالسوء ...الخ

أقول : متى كان ضرب الأمثلة يتنافى مع الذوق الرفيع ؟

ألم يضرب الله تعالى في كتابه الكريم الأمثلة ؟ ألم يقل سبحانه : ﴿ إن اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحق مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَاد اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾{البقرة:26}

ألم يضرب الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها بالحمار يحمل أسفاراً ؟ ألم يضرب الله تعالى مثل بلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها واتّبع هواه بالكلب ؟

قال تعالى : ﴿ مَثَل الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَل الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذين كَذَّبُوا بِآَيَات اللَّه وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالمين ﴾ {الجمعة:5}

وقال : ﴿ وَاتْل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتنَا فَانْسَلَخَ منْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ منَ الْغَاوينَ (175) وَلَوْ شئْنَا لَرَفَعْنَاه بهَا وَلَكنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَع هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْملْ عَلَيْه يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلك مَثَلُ الْقَوْم الَّذين كَذَّبُوا بِآَيَاتنَا فَاقْصُص الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتنَا وَأَنْفُسَهُم كَانُوا يَظْلمُونَ (177) مَنْ يَهْد اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدي وَمَنْ يُضْللْ فَأُولَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ (178) ﴾{الأعراف:175/178}

فهل يتنافى هذا مع الذوق الرفيع ؟ يا صاحب الذوق الوضيع .

ألم يضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يرجع في هبته كالكلب يرجع في قيئه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِه ﴾{صحيح البخاري برقم:2429 عن ابن عباس رضي الله عنهما}

وجعل الذي يرفع رأسه قبل الإمام معرّضاً أن يكون كالحمار فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَه قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَو يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَار ﴾

{ صحيح البخاري برقم:650 عن أبي هريرة رضي الله عنه} فهل يتنافى هذا مع الذوق الرفيع ؟

إن الأمثلة والتشبيهات مشحونة بها الكتب والمؤلفات عند الأوائل والأواخر نظماً ونثراً ، ومن ذلك قول الإمام البوصيري رحمه الله :

من لي بردّ جِماح من غوايتها كما يردُّ جِماح الخيل باللجم

ومن ذلك قول العارف الرواس رضي الله عنه :

واقلل طعامك لا تكن متبيطنا فالأكل ثم النوم من دَأب البقر



الفصل التاسع والعشرون

لدفاع عن الحبيب الجفري 29 (رواية "كل مصيبة بعدك جلل" وتوقّف الجمل)

الاعتراض 29 : 1- قال المعترض : روى قصة عن الصحابي الجليل عمرو بن الجموح فحرّف فيها وغيّر وبدّل وأتى بالعجائب ...الخ

أقول : الحبيب الجفري لم يحرّف ولم يبدّل وإنما ساق القصة بالمعنى وهذا ذكر القصة كما وردت في الحديث وكتب السير :

1* أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف برقم:7712 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ﴿ لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة ، قالوا : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة ، فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة ، فاستقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها ، لا أدري أيهم استقبلت به أول ، فلما مرت على آخرهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك ، أخوك ، زوجك ، ابنك ، تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ يقولون : أمامك حتى دفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت بناحية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذا سلمت من عطب ﴾

قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

فليس في الحديث أنه قُتل أولادها الأربعة وإنما أبوها وأخوها وزوجها وابنها رضي الله عنهم .

ولم أعثر فيما لديّ من المصادر الحديثية في ترجمة الصحابية السميراء بنت قيس الدينارية رضي الله عنها أنها قتل أولادها الأربعة في معركة أحد .

فتبين أن قصة عمرو بن الجموح رضي الله عنه التي رواها الحبيب الجفري غير قصة السميراء رضي الله عنها .

2* جاء في كتاب الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في ترجمة سيدنا عمرو بن الجموح رضي الله عنه قوله : ﴿ وكان عمرو بن الجموح أعرج فقيل له يوم أحد: والله ما عليك من حرج لأنك أعرج فأخذ سلاحه وولى وقال: والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة فلما ولى أقبل على القبلة وقال: اللهم ارزقني الشهادة، ولا تردني إلى أهلي خائباً، فلما قتل يوم أحد جاءت زوجته هند بنت عمرو بن حرام فحملته، وحملت أخاها عبد الله ابن عمرو بن حرام على بعير، ودفنا جميعاً في قبرٍ واحدٍ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إن منكم لمن لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح. ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته ﴾

ففي هذه الرواية أن سيدنا عمراً دعا الله أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى أهله خائباً ثم ورد فيه الحديث وهذه هي التي أوردها الحبيب الجفري بالمعنى .

وفي هذه الرواية أيضاً أن زوجة عمروٍ حملته وأخاها على بعير ودفنا جميعاً في قبر واحد ، وهي مخالفة لرواية الطبراني السابقة والتي قتل فيها أبوها وأخوها وزوجها وابنها ، فالمرأة الأنصارية تلك ليست هي زوجة عمرو رضي الله عنهما ، وهل هي السميراء أو غيرها احتمال والله أعلم .

3* عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : ﴿ أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه أَرَأَيْتَ إن قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّه حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذه صَحِيحَةً فِي الْجَنَّة وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ فَقُتلُوا يَوْم أُحُد هُوَ وَابْنُ أَخِيه وَمَوْلًى لَهُمْ فَمَرَّ عَلَيْه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ كَأَنِّي أَنْظُر إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِه صَحِيحَةً فِي الْجَنَّة فَأَمَر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ ﴾

{رواه أحمد برقم:21511 ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة} .

في هذه الرواية أنهم ثلاثة عمرو بن الجموح وابن أخيه ومولىً لهم دفنوا جميعا في قبر واحد ، وهي مخالفة لرواية ابن عبد البر رحمه الله أنهما اثنان فليتأمل .

4* قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الإصابة : وذكر الواقدي أن هند بنت عمرو بن حرام عمة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حملت ابنها وزوجها وأخاها بعد قتلهم على بعير ثم أمرت بهم فردوا إلى أُحد فدفنوا هناك .

في رواية الواقدي هذه بيان أنهما ثلاثة ابنها وزوجها وأخوها فإذا أضيف لهم المولى المذكور في الرواية السابقة صاروا أربعة ولكن ليسوا أولادها كما توهم ، وفيها أيضاً أنها حملتهم بعد قتلهم ثم أمرت بهم فردوا إلى أحد ، ومعنى هذا أنها ذهبت بهم لتدفنهم في المدينة ثم ردوا إلى أحد ، لأن الرد إلى أحد لا بد أن يتقدمه ذهاب منها .

وهذه هي الرواية التي اعتمدها الحبيب الجفري وذكرها في كتابه ، وتقدم دعاء عمرو رضي الله عنه : ﴿ اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً ﴾ وتقدم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كما جاء في الاستيعاب وهذا الذي أورده الحبيب الجفري بمعناه .

ويمكن الجمع حينئذٍ بين ما ذكره الواقدي وبين رواية الطبراني الأولى بإبدال الأب فيها بالمولى إن كانت المرأة الأنصارية هي هند بنت عمرو وإن كانت غيرها تبقى كل رواية على حِدة ، والله تعالى أعلم .

2- ثم قال المعترض : فلا أدري من أين يأتي الجفري بهذه القصص ...الخ

أقول : إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

لقد أتى الحبيب الجفري بهذه القصة لا القصص من المصادر المذكورة آنفا – الاستيعاب ، الإصابة ، ومن رواية الإمام أحمد والطبراني ، ومما ذكره الواقدي .



3- ثم قال المعترض : الجمل تحدث له ظاهرة فيل أبرهة الحبشي !

أقول : حدوث ذلك ليس مستحيلاً عقلياً ولا شرعياً ولا عادياً ، ولو ثبتت به الرواية ولو بوجهٍ ضعيف لقلنا به ولكن فيما ذكره الواقدي أنها حملتهم على بعير ثم أمرت بهم فردوا إلى أُحد ، وربما يكون لهذه القصة تفصيل عند غير الواقدي يطالب الحبيب الجفري ببيان مصدره .

ومما يدل على جواز حدوث ظاهرة فيل أبرهة لكل حيوان : أن الحيوانات كلها مسيرة ومسخرة ، ومن ذلك الحديث الصحيح : ﴿ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ﴾

{صحيح البخاري برقم:2529 عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه} ،

ومن ذلك : ﴿ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ﴾{المعجم الكبير للطبراني برقم:3679 عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما}

فليس هناك وجه لاستحالة ذلك واستغرابه كما توهم المعترض .



الفصل الثلاثون

لدفاع عن الحبيب الجفري 30 (صلاة إمام السّادة آل باعلوي ألف ركعة في اليوم والليلة)

- قال المعترض : يقول الجفري : إن شيخ طريقتهم الصوفية محمد بن علي باعلوي

- ﴿ رحمه الله تعالى ورضي عنه ﴾ يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة :

- أقول : تقدم في رد الاعتراض /14/ بيان من ذكر من التابعين أنهم صلوا ألف ركعة ، وأن ذلك من الخوارق للعادات ومن البركة لهم في الزمان فليراجع .

فلا عبرة بكلام المعترض وحسابه الزمن بالدقائق والساعات ، فمواهب الله تعالى وعطاياته فوق الزمن .

2- ثم قال المعترض : ثم ما هذه الصلاة ينقرها نقراً أم ماذا ؟

أقول : الصلاة التي ينقرها صاحبها نقراً هي صلاة المنافقين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ تِلْكَ صَلَاة الْمُنَافِقِين ﴾{سنن أبي داود برقم:350 عن أنس بن مالك رضي الله عنه}

- وحاشا أن يكون شيخ الطريقة محمد بن علي باعلوي ﴿ رحمه الله تعالى ورضي عنه ﴾ من أولئك المنافقين ، لأنه مشهود له على ألسنة شهداء الله في الأرض بالولاية والإيمان ، وشهادتهم معتبرة عند الله تعالى كما تقدم .

ومن اتهمه بالنفاق فهو المتَهم ، ومن انتقصه فهو المنتقَص ، ومن ذمه فهو المذموم ، فصلاة الشيخ وأمثاله مستوفية الشروط الظاهرة الفقهية والباطنة القلبية الشهودية ، وهذا الذي يقتضيه منا حسن الظن بعباد الله وسلامة القلوب والصدور .

3- ثم قال المعترض : ثم هل عدّها الجفري بنفسه أو أحد شيوخه ؟

أقول : لا يشترط في مثل هذا الإخبار مع الإشهار العدُّ ، وحال المسلم يحمل على الصدق والتصديق ولا يساء به الظن ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْم ﴾{الحجرات:12} .

4- ثم قال المعترض : أم أن شيخ طريقتهم هو الذي أخبرهم ؟ ولا أظنه كان مرائيا .

أقول : لا يلزم من الإخبار والتحديث بالنعمة الرياء ولا تلازم بينهما كما توهم المعترض ، وقد قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في أول كتابه / لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق / بأن الشيخ المرشد إذا أكرمه الله تعالى بخاصية أو كرامة أو فتح له باب عمل يتوهم الناس في زمانه انقطاعه أو عدم وجود أحدٍ من أهل العصر يقوم به له أن يخبر بذلك أصحابه وأن يحدثهم به من باب التحديث بنعمة الله المأمور بها في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾{الضحى:11} ولينوِ بذلك ترقيتهم وإعلاء هممهم لتحصيل ذلك بالاقتداء والتشبه ، وهو كلام نفيس في بابه فليرجع إليه .

- 5- ثم قال المعترض : لماذا يحب الجفري هذه المجازفات والمبالغات ؟

أقول : كرامات الأولياء لا ينكرها إلا المعتزلة والوهابية وهم مخالفون لأهل الحق ، والحديث عنها ليس مجازفة ولا مبالغة بل يتعين على أهل الحق ذكر كرامات الأولياء من مشايخهم وغيرهم لأن ذلك من العقائد المجمع عليها والتي تميزهم عن أهل الباطل أمثال المعترض وزمرته .

-

6- ثم قال المعترض : ألا يكفيه أن يقول : إن صلاة التطوع لا حدّ لها ...الخ

-

أقول : نعم صلاة التطوع لا حدّ لها فجائزة أن تكون ألفاً وزيادة ، وعليه أن يوجه اعتراضه هذا للإمام النووي وللإمام الذهبي رحمهما الله تعالى اللذين ذكرا مثل ذلك عن السلف في تهذيب الأسماء وسير أعلام النبلاء كما تقدم في رد الاعتراض /14/ .



الفصل الحادي والثلاثون

الدفاع عن الحبيب الجفري 31 (محاولات للمعترض للطّعن في التّصوّف)

1- قال المعترض : ويقول الجفري : الإمام الشافعي الإمام مالك الإمام أبو حنيفة هم أئمة هذا الطريق .

وأقول : هذه مغالطة كبيرة واستخفاف بالقراء ، من أين لك أن هؤلاء الأئمة كانوا أئمة طريق التصوف ؟

أقول : كلام الحبيب الجفري ليس مغالطة كبيرة ولا صغيرة وليس استخفافاً بالقراء وبيان ذلك من وجوه :

1* تقدم في كلام المعترض ص/59/ ناقلاً عن كتاب المقاصد للإمام النووي رحمه الله تعالى أنّ أصول طريق التصوف خمسة :

1* تقوى الله في السرِّ والعلانية

2* اتباع السنة في الأقوال والأفعال

3* الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار

4* الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير

5* الرجوع إلى الله في السراء والضراء .

فهل هذه الشروط والأصول والصفات كانت موجودة في أولئك الأئمة المجتهدين المذكورين وغيرهم أم لا ؟

فإن كانت موجودة فيهم فقد صدق الحبيب الجفري أنهم أئمة هذا الطريق وكذب المعترض في تكذيبه ، وإن كانت هذه الأصول غير موجودة فيهم فإنهم حينئذ ليسوا أئمةً ولا يصح الاقتداء بهم ، وهذا غير صحيح ولا مسلَّم لأن الأمة أجمعت على إمامتهم والإمام في المصطلح هو الذي يُقتدى به ظاهراً وباطناً ، علماً وعملاً وحالاً ، وتحققا وتخلقاً ، أدباً وتزكية واستقامةً ،

وكل هذه الصفات والكمالات كانت موجودة بهم وفيهم بلا شكٍّ فهم أئمة هذا الطريق .

وقد قال فيهم الإمام أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه في كتابه / البرهان المؤيد /

لا تقولوا قال الحلاج قال أبو يزيد فإنه لا ينفع ولا يزيد ، ولكن قولوا قال النعمان قال الشافعي قال أحمد قال مالك فإنه أنجح الطرق وأقرب المسالك .

وقال الإمام الشعراني رحمه الله في كتابه لطائف المنن والأخلاق ما نصه : كان معظم هِمة المجتهدين جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التي هي مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الأحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون بها في حكم الأصل ، ولا يقول عاقل قط : إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجباً أو كبراً أو حسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبداً ، ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم .

2* تقدم في لبس المحدث ابن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله الخرقة إلى الإمام معروف الكرخي رحمه الله تعالى وبعد ذلك ذكر لفظ (تأدب) والتصوف ظهر وشُهر أواخر القرن الثاني الهجري ، والإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه توفي سنة 150 هجرية وكان يطلق على التصوف – التأدب بالصحبة – كما سبق ، وبقية الأئمة تأخر موتهم إلى حين شهر التصوف وظهر ولهم أقوال في مدحه والثناء على أهله كما سيأتي .

وهذا المعنى الذي قصده الحبيب الجفري بوصفهم أئمة الطريق ، ولم يقصد ما اصطلح عليه أهل الطرق بعد القرون الثلاثة من الأوراد والأذكار والخلوات وما إلى ذلك مما أجمع العلماء المعتبرون على إقراره وعدم إنكاره ، لأن ظهور هذه المراسم كان بعد موت هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم أجمعين .

3* أقوال هؤلاء الأئمة في مدح التصوف والثناء على أهله :

آ– الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه :

ذكر صاحب كتاب ـــ النُصرة النبوية ـــ وصاحب كتاب أهل الفتوحات والأذواق أن الإمام رحمه الله كان محبا للصوفية محترماً لمكانتهم .

ثم قال : كان في بلدنا طائفة يرقصون للذكر حتى يسقطوا على الأرض ولم ينكر عليهم الإمام وكانوا يزورونه ويكرمهم ويسألونه ويجيبهم ، وما أُشيع عن الإمام من كونه أفتى بحفر البقعة التي يتحلق فيها للذكر ويرمى بترابها مفترىً عليه ، وقد ردت هذه الفتوى من رجال المذهب وممن بالغ في ردها صاحب تحفة الفتاوي والشيخ أبو الحسن بن منصور والشيخ عبد الكريم وقالوا : إن من أفتى بها يعتبر من أهل الاعتزال .

أقول : في رسالة خاتمة المحققين ابن عابدين رحمه الله ﴿ شفاء العليل ﴾ لما سئل عن حكم الوجد والتواجد في الذكر أجاب بما قاله ابن كمال باشا رحمه الله :

ما في التواجد إن حققت من حَرَج ولا التمايل إن أخلصت من باس

فقمت تسعى على رِجل وحُقّ لمن دعاه مولاه أن يسعى على الراس

وقال قبل ذلك : سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد رحمه الله تعالى : إن أقواما يتواجدون ويتمايلون فقال : دعوهم مع الله تعالى يفرحوا ساعة .

وقد نقل الفقيه الحنفي الحصكفي رحمه الله تعالى في متنه / الدر المختار/ أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال : أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصرا باذي وقال أبو القاسم أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله ثم قال صاحب الدر معلقاً : فيا عجباً لك يا أخي ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار ؟ أكانوا متّهمين في هذا الإقرار والافتخار وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة ، ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع ، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع .

قال الشيخ الإمام ابن عابدين رحمه الله في حاشيته تعليقاً على الكلام السابق متحدثاً عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه : ﴿ هو فارس هذا الميدان فإنّ مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس وقد وصفه بذلك عامة السلف ﴾ ... الخ فراجعه فإنه نفيس .

أقول : ومن كلام الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه الدال على تصوفه قوله : وسئل أيما أفضل علقمة أم الأسود ؟ فقال : والله ما نحن بأهلٍ أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم ؟

وقال : الملح مع الخبز شهوة .

وقال : بلغني أنه ليس في الدنيا أعز من فقيه ورع .

ب- الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه :

نقل الإمام الشعراني رحمه الله في غالب كتبه ، وذكره الإمام النووي رحمه الله في شرح المهذّب أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان يداوم مجالسة الصوفية حتى قيل له في ذلك فقال : استفدت من مجالستهم أمرين لم أستفدهما من مشايخ العلم :

الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك ، اشغل نفسك بالخير فإن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده .

ونقله عنه الإمام السيوطي رحمه الله في تأييد الحقيقة العلية .

وقال المحدث العجلوني رحمه الله في كشف الخفا عنه : حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث : ترك التكلف ، وعِشرة الخلق بالتلطف ، والاقتداء بطريق أهل التصوف .

ومن أقواله : وددت أنّ الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليّ حرف منه ، من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص في العلم ، أبين ما في الإنسان ضعفُه فمن شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى ، لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه ، المِراء في العلم يقسّي القلب ويورث الضغائن ، لا بد للعالم من ورد من أعماله يكون بينه وبين الله تعالى .



ج- الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه :

نقل عنه التتائي في شرحه على مقدمة ابن رشد ، والشيخ زرّوق رحمه الله في القاعدة الرابعة من قواعده والعلامة العدوي على شرح الزرقاني على متن العزية والإمام ملا علي القاري في شرح عين العلم وزين الحلم ما نصه :

من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .

وقد ثبت مشاركته أهل التصوف في مشربهم وأخذ علومهم ، فقد قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : وبلغ شيوخ الإمام مالك تسعمائة شيخ : ثلاثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعيهم ممن اختاره لدينه وفقهه وتيقظه ،

ولزم ابن هرمز رحمه الله كما في المدارك ثلاثة عشر عاماً من الصباح إلى الزوال في علم ، قال مالك رحمه الله : لم أبثه لأحدٍ من الناس .

نقله عنه الشيخ كنون بالجيم المصرية في تعليقه على الموطأ .

وقال الإمام أبو اسحق الشاطبي رحمه الله في الموافقات : وأخبر مالك رحمه الله عن نفسه أنّ عنده أحاديث وعلوماً ما تكلم فيها ولا حدّث بها ، فلو كانت هذه العلوم من الأحكام الفقهية لما ساغ له كتمانها للزوم معرفتها من قبل جميع المكلفين ووجوب تبليغها لهم .

ومن أقواله : ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب ، وقيل له : ما تقول في طلب العلم ؟ فقال : حسن جميل ، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه .

د- الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

ذكر الإمام الشعراني رحمه الله في طبقاته عن العلامة قطب الدين بن أيمن رحمه الله قال : كان الإمام أحمد يحثُّ ولده على الاجتماع بالصوفية ويقول : إنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه ، وكان يبعث لأبي حمزة البغدادي رحمه الله يسأله في المسائل الدقيقة ويقول له : ما تقول في هذا يا صوفي ؟ فيجيبه أبو حمزة بما فتح الله عليه .

وجاء في كتاب / جذوة الأنوار / للشيخ المختار الكنتي رحمه الله قال : قال يحيى بن معين رحمه الله تلاقى الإمام أحمد مع أحمد بن أبي الحواري رحمه الله فقال له : يا ابن أبي الحواري حدثنا بحكاية سمعتها من شيخك أبي سليمان رحمه الله فقال : سمعته مرةً يقول : إذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت في ملكوت السموات والأرض ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤديَ إليها عالم علماً ، قال : فقام الإمام وقعد وقال : إني لأجد ذلك في كتاب الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾{البقرة:282} .

وفي كتاب / الحدائق / للإمام النيسابوري رحمه الله ، وفي ﴿ طبقات الأولياء ﴾ للمناوي رحمه الله : أنه قيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى : إنّ هؤلاء الصوفية جلسوا في المساجد على التوكل بغير علم فقال : العلم أقعدهم ، فقيل : إن همتهم كبيرة قال : لا أعلم قوماً على وجه الأرض أحسن من قوم همتهم كبيرة ، فقيل له : إنهم يقومون فيرقصون ، فقال : دعهم يفرحوا بربهم ساعة .

ومن أقواله : طوبى لمن أخمل الله تعالى ذكره ، ومن أحواله : كان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبتل ثم يأكلها بالملح ويقول : إنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار .

أقول : فما رأي المعترض وأمثاله في هذه النقول عن هؤلاء الأئمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ؟

2- ثم قال المعترض : أما الإمامان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله فكانا من أشدِّ الناس في قمع البدع والانحرافات وتأديب أصحابها وكان منهجهما منع الناس من الغلوِّ في الدين .

أقول : هذا صحيح ولكنه في أهل البدع الضلالات في العقائد وأهل الغلوِّ من دعاتهم كالمرجئة والمجسمة والمعتزلة والخوارج وأمثالهم ، ولو كانا في زمننا لقمعوا الوهابية أشد القَمع وأدبوهم حتى يدخلوهم في القِمع ، لأنهم على شاكلة هؤلاء المبتدعة بل أشد ، كفانا الله والمسلمين شرورهم آمين .

ولو كان المراد الصوفية كما توهم المعترض لما مدحوهم ولما أثنوا عليهم ولما كانوا على طريقتهم ومن أئمتهم كما تقدم .

ولوجب حينئذٍ قمع أولئك الأئمة وتأديبهم ورفع صفة الإمامة عنهم لتصوفهم ولكن لا ندري على يد من ؟ بأيديهم هم أم بأيدي المعترض وعصابته ؟

3- ثم قال المعترض : الصوفية أول ما ظهروا كان شعارهم لبس الصوف وبه اشتهروا ... الخ.

أقول :

1* الصوفية ليسوا أول من لبس الصوف وأظهروه بل لبسه الأنبياء عليهم السلام ففي الحديث :

1* عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَة حَمْرَاءَ عَلَيْه جُبَّةُ صُوف خطَامُ نَاقَته ليفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بهَذَا الْوَادي مُلَبِّيًا ﴾{صحيح مسلم برقم:242}

2* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بوَادي عُسْفَانَ حينَ حَجَّ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَيُّ وَادٍ هَذَا قَال وَادي عُسْفَانَ قَالَ لَقَدْ مَرَّ به هُودٌ وَصَالحٌ عَلَى بَكَرَات حُمْرٍ خُطُمُهَا اللِّيفُ أُزُرُهُمْ الْعَبَاء وَأَرْديَتُهُمْ النِّمَارُ يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتيقَ ﴾{أخرجه أحمد في المسند برقم:1963}

3* عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَال : ﴿ كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ وَجُبَّة صُوفٍ وَكُمَّةُ صُوفٍ وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ ﴾

{أخرجه الترمذي في السنن برقم:1656 وقال غريب وأخرجه الحاكم في المستدرك وابن مردويه}

4* ولبسه الصحابة رضي الله عنهم وقد أمروا بغسل الجمعة على الوجوب لأنهم كانوا يلبسونه فتخرج منهم ريح فعن عَائشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَت : ﴿ كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ منْ مَنَازِلهمْ من الْعَوَالي فَيَأْتُونَ في الْعَبَاء وَيُصيبُهُمْ الْغُبَار فَتَخْرُجُ منْهُمْ الرِّيحُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنْسَانٌ منْهُمْ وَهُوَ عنْدي فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُم لِيَوْمِكُمْ هَذَا ﴾{صحيح مسلم برقم:1398} .

وهو من نعم الله تعالى التي قال فيها : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ ﴾{النحل:80}

2* الأكثرون على أن الصوفية نسبوا إلى الصفاء والتصفية بمعنى التزكية ، وقد قال أبو الفتح البستي :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقاً من الصوف

ولســـت أمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصُوفي حتى سُمي الصوفي

فصُوفيَ : فعل ماضٍ مبني للمفعول مثل عُوفي ، ثم دخلت عليه الألف واللام فصار / الصوفي /

ومثله : قال وقيل فعلان دخلت عليهما الألف واللام فصارا اسمين القال والقيل .

4– ثم أورد المعترض قول الإمام مالك رحمه الله تعالى لما سئل عن اللباس الخشن من الصوف : لا خير في الشُّهرة ، وينبغي أن يخفي الإنسان من عمله ، وفي لفظ : لا أحبه لما فيه من الشهرة .

أقول : هذا جواب صوفي وليس بحكم فقهي لعدم توقفه على علة شرعية منهيٍّ عنها في حق العامة ، وإنما لم يحبه لما فيه من الشهرة وهي حالة خاصة متوقفة على وجود القصد والنية .

وقد نهى عن ذلك علماء التصوف كما جاء في كتاب / المباحث الأصلية / وكتاب / عوارف المعارف / في باب كراهة لباس الشهرتين لباس الغنى ولباس الفقر ولو أردنا تطبيق قول الإمام مالك وعلماء التصوف في كراهة ذلك أو تحريمه في حق العامة لتناول الحكم ما عليه المعترض وغيره من الألبسة الفاخرة التي تلفت نظر الناس إلى لابسها لما فيها من الشهرة ، وشهرة الأغنياء أشد من شهرة الفقراء حتى إن بعضهم يقوِّم بعضاً من خلال حذائه وبنطاله وقميصه ، وفي ذلك حرج وشدة وتضييق ، والأمور بمقاصدها ،

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجر إزاره تكبراً وخيلاء أن الله لا ينظر إليه ، فقيده بالتكبر والخيلاء فعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

﴿ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ ﴾{صحيح البخاري برقم:5337}

وفي الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ﴿ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾{صحيح مسلم برقم:3895}

وفي الحديث : عَن سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : ﴿ مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِ حُلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا ﴾{رواه الترمذي برقم:2405 وحسنه}

وقد لبس الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد الخلافة ثوبا خشناً بأربعة دراهم تواضعاً لله تعالى ، فهل يصنفه المعترض مع الصوفية الذين قصدوا الاشتهار في زعمه بلبسهم الصوف الخشن ، ويقول بكراهة فعله ذلك

أما الحديث الذي أورده المعترض نقلاً : ﴿ البسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم فإنه من أفضل لباسكم ﴾ ففيه مسألتان

1- بيان تخريجه وقد قصر في ذلك المعترض الذي أثني عليه بأنه من أهل الحديث فأقول :

1* هو ضعيف بهذا اللفظ ويقال في مثله روي ولا يؤتى فيه بصيغةٍ دالة على جزم

وليس في لفظ ﴿ فيه ﴾ وإنما ﴿ فيها ﴾ وليس في لفظ ﴿ فإنه من أفضل لباسكم ﴾ وإنما عند بعضهم بضعف أيضا ﴿ فَإِنَّهَا خَيْرُ ثِيَابِكُمْ ﴾ وقد خرجه الترمذي عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

﴿ الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ﴾{برقم:2734 وقال حسن صحيح}

2* هو معارَض بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباسه وعمامته : فقد لبس جبة حمراء وتعمَّم بعمامة سوداء كما ثبت في الصحيح فهل يقول المعترض بأن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الأفضل ؟ وهل ينكر عليه ذلك لفتوى المازري التي استشهد بها في غير موضعها وعلى غير أهلها ؟

5- ثم أورد المعترض قول الإمامين مالك والشافعي رضي الله عنهما في الصوفية ، ثم قال : أليست هذه النصوص واضحة ودالة على أن مراد الشافعي هو ذم طائفة الصوفية ؟

أقول : الأقوال التي أوردها المعترض عن هذين الإمامين في ذم الصوفية معارض بالأقوال السابقة والتي أوردها العلماء الأثبات عنهما في مدح الصوفية والقاعدة في الأقوال المتعارضة إذا لم يمكن الجمع بينهما – إذا تعارضت تساقطت – فالمعترض وأمثاله مخيرون بين أمرين :

1* إسقاط الأقوال المتعارضة فلا يقبل منها قول في مدح ولا ذم .

2* الجمع بينهما فيحمل مدح الصوفية في كلامهم على قوم وذم الصوفية على آخرين ، فلا يكون مدحاً بإطلاق ولا ذماً بإطلاق وهذا المتعين والراجح خلافاً لما صرَّح به المعترض من فهمه لكلام الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه ذمهم مطلقا .

ثم إن المعترض وقع في غلط نحوي شنيع فيما نقله عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ثانياً بقوله : / ما رأيت صوفيا عاقلاً قطُّ إلا مسلم الخواص / وحق العبارة أن يقول : / إلا مسلماً / بالنصب على الاستثناء أو الاتباع لما قبلها وهو منصوب .

فعليه أن يرجع إلى طلب العلم وألا يغتر بنفسه .

وما رواه الإمام الشافعي رضي الله عنه أولاً وثالثاً ورابعاً يكذبه الواقع المشاهد ، فكم من إنسان تصوف من أول النهار وأتى عليه الظهر فلم نجده أحمق ، وكم صحبنا من الصوفية وعلماءهم فلم نر فيهم الكسل والأكل والنوم والفضول بل رأينا فيهم النشاط والهمة واليقظة وقلة الأكل وقلة النوم وترك الفضول ، ولزمنا الصوفية وصحبناهم أربعين يوماً وأكثر ولم نفقد عقولنا بل ازددنا عقلاً وفهماً وفطنة وذكاء من عقولهم النيرة ، وأعقل الناس من ضم عقول الناس إلى عقله ، وأعلم الناس من ضمَّ علوم الناس إلى علمه ، وهكذا الصوفية رضي الله عنهم .

ولتكذيب الواقع المشاهد لما رواه عن الإمام الشافعي رضي الله عنه يتعين حمل أقواله على فئة من الصوفية دون غيرهم ، ولا يعمم الحكم عند المنصفين على الجميع ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾{الزمر:7}

وقال : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾{الإسراء:36}

6- ثم قال المعترض : وهناك أمر مهم أحب أن أنبه عليه وهو أن الأسماء التي يوردها الجفري من حين لآخر... الخ

أقول : تقدم فيما سبق أنّ التصوف شهر في القرن الثاني الهجري ، ولذلك عُد الزهاد والعباد والنساك صوفية وتُرجم لهم في كتب الطبقات والرسالة القشيرية بذلك الوصف .

أما رجال التصوف الحقيقيين بحسب تعبير المعترض فإن الجفري وغيره لا يخفي أسماءهم بل نأخذ منهم ما وافق الحق ونردُّ عليهم ما خالفه ونفوض أمرهم إلى الله تعالى ونقول قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾{البقرة:134}

وقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾{القلم:7} .

أما كون الحبيب الجفري يعظمهم كل التعظيم ويرفض أي انتقاد وجِّه إليهم ويستشهد بكتبهم فما هو المانع الشرعي من ذلك إذا ثبت موافقتهم للشرع الشريف فيما قالوه ودونوه ، ويكون منتقدهم مبطلاً حينئذٍ لأنه انتقدهم بغير بوجهٍ شرعي .

وإنكار المنكرين عليهم معارض بإقرار المقرين ، وذم الذامين معارض بمدح المادحين ، وإذا تعارض أمران تساقطا فلا يقبل إنكار ولا إقرار ولا مدح ولا ذم بإطلاق ويرجع إلى تحكيم قواعد القبول والرد لكل مسألة على حدة مع تفويض أمر القائل إلى الله تعالى .

7- ثم أورد المعترض ما قاله القاضي عياض رحمه الله في الشفا بشأن الحلّاج ﴿ الحسين بن منصور ﴾

أقول : قال العلامة الشيخ ملا علي القاري رحمه الله في شرحه عند هذا الموضع راداً القول بالحلول : وهذا كله في حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وما للتراب وربِّ الأرباب وإنما هو انعكاس نور من أنواره وسر من أسراره يلمح في قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم أنه حلّ فيه كما يتوهم الطفل أنه يرى الشمس في الماء وقوله : - أنا الحق مع تمسكه في الظاهر - من حاله - بالشريعة -

في سائر أقواله وأفعاله حتى قيل إنه كعادته كل ليلة يصلي ألف ركعة في الحبس - ولم يقبلوا توبته - بمقتضى مذهب المالكية مع أن قوله أنا الحق ليس بظاهر في دعوى الألوهية لأن الحق يأتي بمعنى الثابت وضد الباطل ، هذا وقد اعتذر الغزالي رحمه الله في مشكاة الأنوار عن الألفاظ التي كانت تصدر منه ثم قال : قيل إنه لما صُلب جرى دمه في الأرض وينتقش الله الله ، إلى أن قال : فإن صحت توبته فلا شك أنه عاش سعيداً ومات شهيدا .

وقال العلامة الخفاجي رحمه الله في حاشيته : وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ وقالوا إنه عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، ثم قال : والاعتقاد خير من الانتقاد والكفُّ أسلم .

أقول : جاء في آخر كتاب / الحلاج شهيد التصوف الإسلامي / للأستاذ المحقق طه عبد الباقي سرور جزاه الله تعالى خير الجزاء ما نصه :

تقول دائرة المعارف الإسلامية ج 8 ص 17 :/ قلَّ بين المسلمين من ثار حوله الجدل مثل الحلاج وذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية رغم ما أثار خصومه حوله / ثم تضع دائرة المعارف سجلاً شاملاً لمن كفره ولمن اعتقد بولايته ولمن توقف في أمره فتقول : / فممن عده من الأولياء من الفقهاء الششتري والعاملي والعبدري والدلنجاوي والنابلسي والمقدسي واليافعي والشعراني والهيتمي وابن عقيلة وسيد مرتضى الزبيدي ، ومن المتكلمين : ابن خفيف والغزالي وفخر الدين الرازي والمدرستين السالمية والماتردية ، ومن الحكماء ابن طفيل والسهروردي ومن الصوفية : الشبلي وفارس والكلاباذي والنصراباذي والسلمي والدقاق والقشيري والصيدلاني والهجويري وأبو سعيد الهروي والفارمذي والجيلاني والبقلي والعطار وابن عربي وجلال الدين الرومي ،

وأما الذين تنادوا بتكفيره فابن داود وابن حزم وابن تيمية والطوسي والحلي وابن خلدون والجبائي والباقلاني / انتهى فتبين من هذا أن الحلاج مختلف فيه وليس مجمعاً على تكفيره كما أجمع مالكية بغداد في عصره ، فيتعين الإمساك عنه وتفويض أمره إلى الله تعالى وقد نقل القشيري رحمه الله في رسالته كثيراً من كلامه في التوحيد فليراجع فإنه من أرقى ما قيل في التنزيه .

أما بالنسبة إلى ما أورده القاضي عياض رحمه الله تعالى عن ابن أبي الغراقيد واسمه محمد بن علي السمعاني فلا علاقة له بالتصوف لا من قريب ولا من بعيد ،

ولم يترجم له أحد ممن ترجم للصوفية ولم يذكر منهم ، قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله : أحدث مذهباً في الرفض ببغداد ثم قال بالتناسخ وحلول الإلهية فيه ، وهذه العقائد لا يقول بها الصوفية وليست من مذهبهم .

وقال العلامة الخفاجي رحمه الله عند قوله /كان على مذهب الحلاج/ فيما ادعاه مما نسب إليه وقد علمت ما فيه .

فكلامه يشير إلى أن ما اتُّهم به الحلاج نُسب إليه وأنه غير مسلَّم لمتهميه خلافاً لابن أبي الغراقيد فليتنبه .

8- ثم قال المعترض : على أنّ الإنكار اليوم على المتصوفة ليس موجهاً لخصوص هؤلاء وإنما هو موجه لأمثال الجفري وشيوخه ومن سلك مسلكهم من رموز التصوف في هذا الزمن ... الخ

أقول :

1* إذا كان الإنكار على المتصوفة ليس موجهاً لخصوص هؤلاء فلم ذكرهم المعترض في كتابه وفسَّقهم وكفرهم ونقل فتاوى مشايخه وبعض العلماء ممن زلّ في تكفيرهم وترك أقوال العلماء والأئمة المنصفين القائلين بتبرئتهم مما نسب إليهم .

2* ما يدعي المعترض إنكاره على الحبيب الجفري ورموز التصوف في هذا الزمن فهل هو من قسم المجمع على إنكاره أم المختلف فيه ؟ ومن الذي أنكر ذلك عليهم ؟ هل هو من العلماء المعتبرين أم هو من الوهابية المبتدعة أمثال المعترض وزمرته ؟

وما عُرف عن الحبيب الجفري وشيوخه ورموز التصوف في هذا الزمن ما ينكره عليهم عالم معتبر ، بل جميع ما هم عليه من السنن الحسنة والأحوال السنية الشريفة والفضائل والكمالات المنيفة ، وما ادعاه المعترض وأمثاله كذبا وزورا إنما هو من آثار الحسد والحقد والغل والتعصب المقيت الذي يملأ قلوب هؤلاء المبتدعة وعقولهم على التصوف وأهله .

فكانوا بسبب ذلك كله ممن يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً ونعوذ بالله ومن عمى البصائر .

9- ثم قال المعترض : وهذا الرد الذي أكتبه أحد الأمثلة على ذلك ... الخ

أقول : تبين من خلال مناقشة هذا الرد أنه مردود على المعترض وغير مسلّم له خلا موضعاً أو موضعين ، ولم أجد فيما قاله الحبيب الجفري أخطاءً وبدعا وانحرافات وأحاديث مكذوبة يصرّ الحبيب الجفري على نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم كما اتّهمه بذلك المعترض

بل وجدت الأخطاء والبدع الضلالات والانحرافات في كلام المعترض الساقط علمياً وأدبياً كما يظهر لكل ذي نباهة وفطنة .

أما قوله : ولم أتّعرض لرجال التصوف في العصور السالفة فهو كذب صريح فقد تعرّض في سبعة مواضع من كتابه لرجال التصوف ومن ذلك على سبيل المثال في الصفحة السابقة قبل أسطرٍ فقط ، وإذا كان الكذب على الأموات قبيحاً فالكذب على الأحياء أقبح ، وإذا استباح المعترض لنفسه الكذب على الأحياء فمن باب أولى أن يكذب على الأموات وهو بهذا ينادي على نفسه أنه من المبتدعة الذين يستحلون الكذب وكفى به إثماً مبينا .

10- ثم قال المعترض : وبالرغم من كل الانتقادات التي وُجّهت للجفري من الشيوخ والعلماء ...الخ

أقول : لا أعلم أحداً من شيوخ أهل السنة والجماعة وعلماءهم وجّه انتقاداً إلى الحبيب الجفري وطالبه بالرجوع عن خطأٍ وقع فيه ، وإنما الانتقادات التي وُجّهت إليه من الخوارج المعاصرين الوهابية التكفيريين والمعتزلة ومن زل من طلاب العلم فقلّدهم في ذلك لقلة علمه وقلة نورانية بصيرته فلُبسّت عليه الأمور فرأى بعض الحق باطلاً ورأى الباطل حقا .

ثم كيف يدعو المعترض الحبيب الجفري لإعلان التوبة عن الحق ؟ وهل رأيت أو سمعت محقاً يتوب عن الحق ؟ ولا أجد مثلاً لهذا المعترض إلا اليهود والنصارى الذين قال الله فيهم :

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم ﴾ {البقرة:120}

أي لن ترضى عنك اليهود حتى تتوب عن الحق فترجع إلى يهوديتهم ، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتوب عن الحق فترجع إلى نصرانيتهم ، ومثل ذلك كلام المعترض ومعناه : لن ترضى عنك الوهابية أيها الحبيب الجفري حتى تتوب عن الحق فترجع إلى وهابيتهم .

ثم لقد ظهر من خلال مناقشتي لكلام المعترض وعرضي لأدلة وبراهين أهل الحق أن الحق مع الصوفية فيما ذهبوا إليه فهل بوسع المعترض أن يتراجع عن أخطائه ويعلن توبته ويرجع للحق الذي ظهر عِياناً ؟

إن فعل ذلك فهو رجل ناصح لنفسه ولمن حوله من المخدوعين به وإلا فليناد على نفسه وعلى من حوله بالهلاك والخسران والويل والثبور .

11- ثم قال المعترض : بل يعود للحديث عن العباد والزهاد من التابعين وتابعيهم ...الخ

أقول : أولئك العباد والزهاد من التابعين وتابعيهم هم شيوخ الصوفية وأئمتهم ، وهذه كتب الطبقات والتراجم مملوءة بذكرهم ووصفهم بالتصوف على رغم أنوف المعترض وزمرته .

أولئك أشياخي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا خُليد المجامع

12- ثم قال المعترض : وكأني به في فعله هذا يحوّل الذمّ الذي يتعرض له هو إلى هؤلاء الكبار .

أقول : الحبيب الجفري لا يلحقه ذمّ لأنه بريء من الاتهام ، ومن ذمّه فهو المذموم ، قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

13- ثم قال المعترض : وأما العلماء الذين يستقوي بهم ...الخ

أقول : أولئك العلماء الأعلام من أئمة أهل السنة والجماعة أشعرية صوفية وهذه كتبهم ملأى بمدح التصوف والثناء على أهله ، وإن ثبت عنهم كلام في ذم المتصوفة فهو موجّه إلى الأدعياء أو الدخلاء أو الغلاة لأنه ليس من المعقول أن يكون كلام عالم منهم متعارضاً مدحاً وذماً ، وإلا تساقطا للتعارض كما تقدم .

والحبيب الجفري ليس داعية فتنة يكسب قلوب البسطاء من الناس كما صوره المعترض بل كل من رأى وجهه المنوّر من العامة أو الخاصة يعلم أنّ وجهه ليس بوجه كذاب ولا فاتن ولا مفتون ، إلا من طبع الله على قلبه فإنه لو رأى رسول الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم لقال عنه ما حكاه الله عن الكافرين من قولهم ساحر أو كاهن أو مجنون ، وحاشاه من ذلك فهو الطاهر المبرّأ وكذلك أبناؤه وذريته ووراثه رضوان الله عليهم أجمعين .

14- ثم قال المعترض : أسفل الصفحة / 75 / تنبيه : إنّ مصطلح الصوفية طيفه واسع ...الخ

أقول : عجباً لهذا المعترض المتناقض ففي الصفحة / 73 / قال : إنّ الإمام الشافعي ذمّ التصوف والصوفية في عصره بإطلاق ، وهنا في هذا الموضع قسّم الصوفية إلى قسمٍ يمدح وقسمٍ يذم حتماً وقد وافق ما عليه المحققون وأنصف ولكن أوقع نفسه في ورطة لأنّ كلامه يتناقض مع ما نسبه إلى الإمام الشافعي فإما أن الإمام الشافعي لم يعلم ما علمه المعترض من انقسام الصوفية إلى قسمين فذمّ بإطلاق فيكون المعترض أعلم من الشافعي ، أو أن الإمام الشافعي علم ذلك فذمّ قوماً من الصوفية ومدح آخرين منهم

ولكن المعترض كذب عليه ونسب إليه أنه ذمّ بإطلاق وذكر كلامه في الذم ولم يذكر كلامه في المدح إخفاء للحقيقة وتلبيساً على الناس .

15- ثم أورد المعترض ما قاله الإمام السبكي رحمه الله تعالى في باب الوصية من شرح المنهاج عن الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره الأنور :

أقول : كان هذا في أول أمر الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى ثم رجع عنه واستغفر الله منه ، وإليك البيان :

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في الصفحة / 10 / من كتابه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ما نصه :

وقال الشيخ سراج الدين المخزومي رحمه الله تعالى كان شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البُلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية ، فمن جملة ما ترجمه به الإمام السبكي :

كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وإنّ الفضل في زمانه رمى بمقاليده إليه .

ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله تعالى فيه حين سئل عنه : إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين ـــ إلى أن قال ـــ ولقد كذب والله وافترى من نسبه إلى القول بالحلول والاتحاد ، ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في أسرار كلامه ورابطه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ، ووافقت الجمّ الغفير المعتقدين له من الخلق وحمدت الله عزّ وجلّ إذا لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله ا.هـــ

وقال في الصفحة / 11 / ما نصه : قال المخزومي رحمه الله : ولقد بلغنا أنّ الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه للمنهاج في حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فمن وجدها في بعض النسخ فليضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف ، قال : مع أنّ السبكي قد صنف كتاباً في الردّ على المجسّمة والرافضة وكتب الأجوبة العلمية في الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيئا في الرد على الشيخ محي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الأموي وغيره بل كان يقول : ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم ،

وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح ثم قال : فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على إنكارهما على الشيخ محيي الدين إلى أن ماتا فهو مخطئ ا.هـ

أقول : العبارة التي نقلها المعترض هي التي ضرب عليها قائلها وأمر بالضرب عليها تلميذه المخزومي كما هو في نسخة المؤلف وقد أخطأ المعترض في نقلها على حد تعبير الشيخ المخزومي رحمه الله تعالى .

ولكني أقول : الوهابية أعداء الأولياء كالذباب يقفون على الطّيب والخبيث والصحيح والخطأ ولكن لا ينقلون إلا الخبيث والخطأ لتجاري الأهواء والبدع فيهم وبهم كما يتجارى الكَلَب بصاحبه كما ورد في الحديث والكلام الذي نقله المعترض عن الإمام السبكي رحمه الله تعالى نسبه إلى كتاب / تنبيه الغبي / لبرهان الدين البقاعي غفر الله له إن مات على التوحيد مسلماً ، قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى : وقد صنف شيخنا الجلال السيوطي رحمه الله كتابا في الرد عن الشيخ محي الدين سماه / تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي / وكتاباً آخر سماه / قمع المعارض في نصرة ابن الفارض / لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما .

أقول : فكتب البقاعي وأمثاله فتنة في حياتهم وبعد مماتهم وعليهم مثل آثام من ضلّ بسببها كالمعترض وأمثاله من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئا .

وإنني لأعجب من أولئك الوهابية نريد لهم سلامة الصدر والقلب على أولياء الله ونريد لهم دخول الجنة وندعوهم إلى ذلك وهم يريدون تكفير الأولياء وملأ القلوب والصدور حقداً عليهم وبغضاً فيهم ويدعوننا إلى النار وأقول لهم ما قاله مؤمن آل فرعون لقومه : ﴿ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار ﴾{غافر:41} .

نسأل الله لنا ولهم السلامة والعافية آمين .

16– ثم نقل المعترض كلام الشيخ أبي العباس القرطبي رحمه الله تعالى في الكلام على الغناء عند الصوفية ...الخ

أقول : المسألة مختلف فيها بين فقهاء المذاهب الأربعة ولم ينعقد الإجماع على التحريم لما ذكره من الغناء والرقص ، والمسائل المختلف فيها بين الفقهاء لا ينكر على فاعلها كما لا يؤمر بها منكرها ، ومن ادّعى الإجماع على التحريم يطالب ببيان من ذكر انعقاد الإجماع على ذلك من الأئمة ،

وقد عقد الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء باباً في بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه مع الأدلة فليراجع وقد تقدم حديث سيدنا عليٍ رضي الله عنه في وصف الصحابة رضي الله عنهم وفيه : ﴿ فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح ﴾ { أخرجه أبو نعيم في الحلية ، وذكره الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ، وتقدمت فتوى خاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين في إباحة ذلك }

وأما الإنشاد الصوفي فهو ملحق بالحِداء وقد أجمع العلماء على إباحته : فقد قال حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء : ﴿ لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تؤدّى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ﴾ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري : نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ، ومن منعه محجوج بالأحاديث الصحيحة ، ويلتحق بالحداء هنا الحداء للحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ونظيره ما يحرّض أهل الجهاد على القتال .

وأخرج الطبري من طريق ابن جريج قال : سألت عطاءً عن الحداء والشعر والغناء فقال : لا بأس به ما لم يكن فحشا ، إلى أن قال : ومحصّله أنّ الحداء بالرجز والشعر لم يزل يُفعل في الحضرة النبوية ، وربما التمس ذلك ، وليس هو إلا أشعاراً توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة . فتح الباري ج 10 ص 442 .

قال الفقيه خليل النحلاوي رحمه الله في كتابه الحظر والإباحة / الباب السبعون / الغناء وهو السماع / قال في الفتاوي الخيرية 2/ 167 بعد نقل أقوال العلماء واختلافهم في مسألة السماع : وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم فبمعزل عن هذا الخلاف بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب كما صرّح به غير واحد من المحققين . فالكلام المتعارض في الفتاوى الفقهية دليل على عدم الإجماع ، وتحمل كل فتوى على قوم بخصوصهم ، فالإباحة لقوم والكراهة لقوم والحرمة لقوم ، كل باعتبار ما هو عليه في نفسه من غلبة التقوى أو الغفلة أو الشهوة .

17- ثم أورد المعترض قول الإمام السخاوي رحمه الله في إنكاره الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورؤيته يقظة ...الخ

أقول : ألّف الإمام السيوطي رحمه الله رسالةً في إثبات الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورؤيته يقظة وأورد فيها الأدلة على ذلك سماها / تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك / واستدل على جواز ذلك ووقوعه برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام يقظة ليلة الإسراء والمعراج ، وبقوله في الحديث الصحيح : عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : ﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَام فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي ﴾{أخرجه البخاري برقم:6478} فلتراجع فإنها مهمة .

فماذا سيفعل المعترض وأمثاله بإقرار السيوطي لها وقد أتى بالأدلة الصحيحة على ذلك ؟

وأما ما ذكره المعترض من تكفير الإمام السيوطي رحمه الله للإمام السخاوي رحمه الله لإنكاره ذلك ، وما ذكره في التعليق رقم /1/ من نسبة شتائم وسباب إلى الإمام السيوطي ، فكل ذلك يتنافى مع أدب العلم الذي كان عليه أولئك الأئمة وأظنه مدسوساً عليهم ، ولا يصدر مثله في حق الأئمة إلا عن أمثال المعترض الذين يحرصون كل الحرص على نشر هذه الخبائث والقاذورات الكلامية ونسبتها إلى الأئمة ليستتروا من ورائها من خلال نشرها وإذاعتها في الطعن بالأئمة والعلماء وليستبيحوا لأنفسهم ذلك .

الإمام السيوطي رحمه الله الذي ملأ الدنيا علماً بكتبه ورسائله لم يجد المعترض في كلامه إلا الشتائم والسباب والتكفير الذي نقله وسوّد به صحائف كتابه هذا ، وهكذا عين السخط دائماً تُبدي المساويا .

18– ثم أورد المعترض كلام الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي رحمه الله في عدم حل دفع الزكاة إلى الأرذال من المتصوفة ...الخ

أقول : هذا الحكم على الأرذال من المتصوفة لا على الأفاضل ، فمن تبعيضية وليست بيانية فمن تستر بالطرق الصوفية وكذب في الانتماء فهو من الأرذال الذين لا يستحقون دفع الزكاة إليهم ، وأما الصادق في الانتماء الملتزم بالشرع وأحكامه وآدابه فهو من الأفاضل وهم أولى من غيرهم وأحق في دفعها إليهم .

19– ثم أورد المعترض كلام الشيخ الحصني رحمه الله فيمن لا تقبل شهادهم وعد منهم الصوفية الذين يسعون إلى ولائم الظلمة والمكسة ...الخ

أقول : هذا الحكم خاص بالذين يسعون إلى ولائم الظلمة والمكسة ، ويظهرون التواجد كذباً ، ولا يصح تعميم هذا الحكم على عامة أهل التصوف ففيهم الصادقون والصالحون .

وقد تقدم في تعليق المعترض ص **75** أن مصطلح الصوفية طيفه واسع ويشمل العديد من الشخصيات المرموقة في التاريخ الإسلامي وفيهم عباد وزهاد وأهل ذكر وورع ، فلم يجعل أمثال هذه الفتاوى الصادرة عن كبار الأئمة والعلماء في حق قوم مخصوصين عامّةً ويعمم حكمها على الجميع دون تفصيل وبيان ؟ أليس هذا تحاملاً يتنافى مع التحقيق العلمي والإنصاف الذي ينبغي به الاتصاف ؟

20– ثم أورد المعترض ما قاله شارح الكنز وصاحب اليتيمة في حكم الرقص ...الخ

أقول : تقدم بيان أنّ المسألة خلافية وتعارضت فيها فتاوى العلماء في المذاهب فمن قائل بالإباحة إلى قائل بالتحريم ، فتحمل كل فتوى على قوم بخصوصهم وبالشروط والآداب .

21– ثم أورد المعترض فتوى الإمام الطرطوشي رحمه الله تعالى في مذهب الصوفية ...الخ

أقول : قوله : مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة إن أراد به العموم فهو مردود وباطل وتقدم في كلام العلماء والمنكرين على الصوفية حتى المعترض تقسيم الصوفية إلى صادقين صالحين ودخلاء أدعياء ، فلا بد من حمل فتوى الإمام الطرطوشي على قوم بخصوصهم .

وأما قوله عن الرقص والتواجد بأنه دين الكفار وعباد العجل ففيه تشبيه المسلمين بالكافرين وذلك لا يجوز في الشرع إجماعاً قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾{القلم :**35/36**}

، وهذه زلة كبيرة من مثل هذا الإمام لا يتابع عليها ونرجو له مغفرة الله ورحمته .



وأما قوله : عن القضيب أول من اتخذه الزنادقة ...الخ

فلا شك أن الآلات الموسيقية القديمة منها والحديثة كلها لا يصح الضرب بها لا في الأذكار ولا في غيرها عند جمهور العلماء في المذاهب الأربعة خلافا للظاهرية وبعض فقهاء المذاهب كالشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى فقد ألّف في إباحتها رسالةً سماها / إيضاح الدلالات في حل سماع الآلات / أما نسبة فاعل ذلك إلى الزندقة أو التشبه بهم فبعيد لأن الزندقة حكم عقائدي أي متعلق بالعقائد ، فلو نسب أولئك إلى المعصية والفسق لكان أولى .

22- ثم أورد المعترض كلام القاضي عياض رحمه الله في كتابه / الشفا / ...الخ

أقول : علماء الصوفية كلهم مع ما أشار إليه القاضي عياض من تكفير من قال من الصوفية بإسقاط الفرائض واستحلال المحرمات ، فلا اعتراض ولا إنكار لما قاله القاضي عياض رحمه الله لأن علماء الصوفية قائلون بهذا في كتبهم ومنكرون على جهلة الصوفية وأدعيائهم ما أنكره علماء الشريعة سواء بسواء .

23- ثم أورد المعترض كلام الإمام القرطبي رحمه الله في التفكر والسجود ...الخ

أقول : ما عليه بعض أهل الطرق الصوفية من التفكر أياماً ينقسم إلى قسمين : تفكر في ذات الله تعالى وهو منهي عنه وعليه يحمل كلام الإمام القرطبي ، وتفكر في آيات الله القرآنية والكونية فهو مأمور به في أكثر من نص في القرآن الكريم ولكن بشروط الأهلية والضوابط العلمية الصحيحة لذلك ، وهذا لا ينكر .

وأما السجود على هيئة العبادة المشروعة لغير الله تعالى فقد انعقد الإجماع على تحريمه ، وهو غير موجود عند علماء الصوفية وأتباعهم الشرعيين ، فالكلام غير وارد عليهم لأنه ليس من شأنهم .

24- ثم أورد المعترض كلام الشيخ الفقيه الحفار المالكي رحمه الله تعالى :

أقول : لا اعتراض على هذا الكلام لأنه في قومٍ حللوا ما حرّم الله وافتروا على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم والصوفية برآء من ذلك ، فالكلام ليس وارداً عليهم وليسوا بمخاطبين به .

25- ثم أورد المعترض قول الإمام أبي حيان الأندلسي رحمه الله وغفر له في القائلين بالحلول من الصوفية...الخ

أقول : لو ردّ القول بالوحدة المطلقة والحلول الذي يردّه العارفون والأولياء وعلماء التصوف أنفسهم لكان أولى من ذكر أسماء قوم درجوا إلى الدار الآخرة والله أعلم بما كانوا عاملين ، لأن التكفير لمعيّن ليس من مذهب أهل السنة والجماعة وخصوصاً فيما احتمل التأويل من الكلام وفيما احتمل الثبوت وعدمه ، وكان بوسع هؤلاء العلماء أن يذهبوا إلى ما ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله في هذه المسألة فقد ذكر الإمام الشعراني رحمه الله في أول كتابه اليواقيت والجواهر ما نصه :

وسئل الإمام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال : ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾

ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله تعالى ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ، ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق ، قال في شرح المهذب : ثم إذا أول كلامهم فليؤول إلى سبعين وجها ولا تقبل عنه تأويلاً واحداً ما ذاك إلا تعنت ا.هـ

ثم إن الذين أورد أسمائهم غير مسلم أنهم قائلون بالحلول والاتحاد ولم يجمع علماء الجرح والتعديل والتراجم على اتهام واحدٍ منهم بذلك بل اختلفوا فيهم ما بين معتقد الولاية ومعتقد الكفر ، والسلامة في تفويض الأمر إلى الله تعالى ، وقد ترجم الإمام الشعراني في كتابه / الطبقات الكبرى / لكثير منهم وعدهم من الأولياء الأخيار ، وتقدم دفاع الإمام السيوطي رحمه الله تعالى عن الشيخ الأكبر ابن عربي والشيخ ابن الفارض وتأليفه رسائل خاصة في نصرتهما .

26- ثم قال المعترض : أرأيتم كيف انقلبت القضية على الجفري...الخ

أقول : لم تنقلب القضية على الحبيب الجفري ولن تنقلب ، وإنما انقلبت على المعترض وأمثاله وذلك لأن الكلام الذي ذكره عن هؤلاء العلماء معارض بكلام نقل عنهم أو عن غيرهم ، وتقدم الحكم في الكلام المتعارض وفي المسائل الخلافية التي لم يجمع العلماء والأئمة على حكم قطعي فيها أنه يحمل كلام الذامين على قوم وكلام المادحين على قومٍ آخرين .

أما قول المعترض : ولو رحت أسرد كلام وفتاوى علماء الإسلام من جميع المذاهب في الصوفية وبدعهم ... الخ

أقول : وكذلك الأمر عندنا فلو رحنا نسرد كلام وفتاوى علماء الإسلام من جميع المذاهب في الثناء على الصوفية ومدحهم والإقرار لهم لطال بنا الأمر جداً ، ومن أراد الاستزادة فليطلع على شهادات علماء الإسلام في التصوف ورجاله في كتابي / علماء الصوفية هم السلفية الحقيقيون / فقد سطرت فيه عشرات الشهادات للأئمة والعلماء .

وانظر إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى في علمه وإنصافه فقد ذكر في الإحياء باب بيان الفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظّار ، وباب بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة ، ثم ذكر في كتاب ذمّ الغرور المتصوفة وقال : ما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة .

وهذه هي ثمرات العلم النفع التحقيق في المسائل ومعرفة ما لها وما عليها ، والإنصاف في نقل أقوال العلماء المادحين والذامين على السواء ، أما الانحياز إلى أحد الطرفين وترجيح أقوال على أقوال أخرى دون مرجح فليس من شأن العلماء المحققين المنصفين .

وأما قول المعترض : وليس غرضي الآن الكلام على الصوفية وما لهم وما عليهم .. الخ

أقول : هذا صحيح لأنه تبين من خلال كلام المعترض أن غرضه الكلام على ذم الصوفية وما عليهم دون مدحهم وذكر ما لهم ، وذلك لأنه ينظر بعين واحدة لا بعينين ، ولأنه لم يتأدب بآداب العلم والعلماء في البحث والمناظرة ، والعرض للمسائل والاستدلال لها ، وإن ادَّعى ذلك فقد كذبته شواهد الامتحان والبيان ، ونادت بالفضيحة له على رؤوس الأقران .

وأما قول المعترض : وإنما غرضي هو أن أبين أن الجفري يقلب الحقائق .. الخ

أقول : تقدم بطلان هذا الادعاء وأنّ الحبيب الجفري لم يقلب الحقائق ، وأما أنه يوهم الناس بأنّ مخالفيه على الباطل وليس لهم سلف في الأمة فأقول : ليست القضية قضية إيهام للناس بذلك بل لابد أن يعلم الناس علماً قطعياً لاشك فيه أنّ مخالفي الصوفية والطاعنين بهم من الوهابية وغيرهم على الباطل لا وهماً بل حقيقة وعلماً ، وليس لهم إسناد علمي أو أخلاقي يصلهم بسلفنا الصالح من العلماء والأئمة بل لهم سلف غير سلفنا ، ويتمثل سلفهم بالكرَّامية والمشبهة والحشوية والخوارج وإن تستروا بالقرآن والقراءات والحديث والروايات ، فبئس السلف سلفهم وبئس الخلف هم ، بل هم شر خلفٍ لشر سلف .

وأما قول المعترض : والمصيبة أنّ ما يدعيه ويروجه ليس له ثمرة إلا زرع الشحناء وبذر الشقاق بين المسلمين .. الخ

أقول : عجباً لهذا المعترض كأنه يوهم بكلامه هذا أن كتابه هذا الذي ألفه في الطعن بالتصوف وذم المتصوفة ألف بين المسلمين وجمع كلمتهم على التقوى وجعلهم إخوةً متحابين ، فأية مصيبة هذه في كلام رجلٍ يزرع العداوات ويثير الأحقاد ويفرق كلمة المسلمين ثم يظهر نفسه بمظهر الناصح للأمة الجامع لها تحت رايةٍ واحدة ، والواقع والشاهد يكذبه ، ثم إن الحبيب الجفري لم يأت من عنده بجديد حتى نبحث عن ثمرة كلامه وإنما نقل كلام أهل الحق في المسائل وكلام أهل الحق المؤيد بالأدلة والبراهين لا يزرع الشحناء ولا بذور الشقاق بين المسلمين ، كما توهم المعترض ، بل كان سبباً في جمع كلمة المسلمين عبر ثلاثة عشر قرناً إلى أن ظهرت طائفة المعترض الوهابية ففرقت كلمة المسلمين وزرعت الشحناء والبغضاء فيما بينهم ، إلى حدِّ الضرب بالأيدي والنعال في المساجد والمراكز الإسلامية في أمريكا وأوربا لتشويه صورة الإسلام الناصعة في نظرِ أولئك الماديين ليصدوهم عن الإيمان والإسلام .

ووزعت تلك الطائفة الضالة صكوك الإيمان والكفر وأدخلت قوماً الجنة وآخرين النار افتراءً وكذباً على الله ، وجهلت وضللت جماهير علماء المسلمين من السلف والخلف أشعرية وصوفية ، فهل كل هذا عند المعترض لا يزرع الشحناء ولا يبذر بذر الشقاق بين المسلمين ؟ وهل أدى كل هذا إلى جمع كلمة المسلمين وتوحيدهم ؟

ثم لو كان المعترض هذا حريصاً على وحدة المسلمين والألفة فيما بينهم لما كتب كتابه هذا ولما أعانه عليه قوم آخرون ، ونحن نحرص على وحدة المسلمين التي لا يحرص عليها المعترض وزمرته ، ولكن لا يحملنا ذلك على ترك الحق والتخلي عن بيانه والتنازل عنه والرضا بالباطل وأهله ، بل نرد الباطل على قائله كائناً من كان حفظاً على وحدة المسلمين القائمة منذ ثلاثة عشر قرناً بما انعقد إجماع الأئمة والعلماء عليه ، وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ألا تسكت عن المبتدعة فقال : لو سكتوا سكتنا ، أما أن يظهروا باطلهم ويعلنوا به ويظهروه على أنه الحق ثم نسكت بعد هذا عن بيان الحق فهو خيانة لدين الله يأثم بسببه علماء الأمة كلهم القادرون على الردِّ ، وجريمة كبرى في حق الإنسانية التي يتآمر عليها أعداؤها وعملاؤهم المأجورون وكتّابهم المهوسون .

وأما قوله : بصرف النظر عن التحريف العلمي والتاريخي الذي يفعله .

أقول : لم يصرف الله تعالى نظره فحسب بل صرف قلبه عن معرفة الحق لأنه من القوم الذين قال الله فيهم :

﴿ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴾{التوبة:127} ،

فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً ، والمستقيم محرفاً ومنحرفاً والمحرف المنحرف مستقيما ، أين التحريف العلمي والتاريخي في كلام الحبيب الجفري ؟؟؟

ما وجدت لهذا الادعاء الكاذب شاهداً واحداً مسلماً في كلام المعترض .

27– ثم قال المعترض : وفوق ذلك يقول الجفري ص/70/ : نعم أقول إنّ بعض من نُسب إلى التصوف ...الخ

إنه يعترف أنّ من الصوفية أناساً قد ضلوا وحادوا عن الطريق .

أقول : هذا الذي يقوله علماء المسلمين منذ زمن بعيد ، ويفرقون بين علماء الصوفية الشرعيين ويثنون عليهم وبين الدخلاء والأدعياء والغلاة ويذمونهم ويحذرون منهم ، وفي كلام الإمام الجنيد رضي الله عنه كما في الرسالة القشيرية لما قيل له : إنّ أقواماً يزعمون أنهم وصلوا ويتركون الفرائض ويستحلون المحرمات قال : نعم وصلوا ولكن إلى سقر ثم قال : المسلم الذي يزني ويرتكب الفواحش أحسن حالاً من هؤلاء .

وقد شرحها الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله بقوله : لأنّ كلاً من الزاني والسارق يعرف عصيانه ويرجو توبته منه بخلاف هذا لأنه يعتقد أنه في أرفع المقامات وأحسن الأحوال فلا يرجع عنه .

ثم قال الإمام الجنيد رحمه الله : فإنّ العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال من الله تعالى وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها .

* ثم قال المعترض : ولكنّ مشكلة الجفري أنه لا يريد وضع النقاط على الحروف ...الخ

أقول : ما دام شيوخ التصوف وأئمته من عهد الإمام الجنيد رحمه الله وضعوا النقاط على الحروف فما حاجة أن يذكر كل عالم صوفي في خطبةٍ أو كتاب ذلك وهو يريد تسليك المخاطبين إلى الله تعالى من خلال شرعه الشريف ، أليس ما هو عليه من التمسك بالشرع والدعوة إليه دليلاً على بطلان من ادّعى التصوف وخرج عن الشرع وأحكامه ؟ أليس لسان الحال أبلغ من لسان المقال ؟

* ثم قال المعترض : وإلا فلماذا لا يسمي لنا أولئك الضالين والمتنكبين عن الطريق ؟

أقول : أجمع العلماء على أنه بذكر الصالحين تتنزل الرحمات ، ومفهومه أنّ بذكر الطالحين تتنزل اللعنات ، فلم يريد المعترض أن نترك ذكر الصالحين ونذكر الطالحين والمارقين والفاسقين ؟

ألا يكفي قراءة كلام الأئمة والعلماء فيهم والتحذير منهم بذكر أوصافهم من العقائد الباطلة والانحرافات السلوكية دون ذكر أسماءهم ؟ لأنّ أهل الحق لا يذكرون اسم معيّن لاحتمال رجوعه ، وإنما يحذرون من الاتصاف بتلك الأوصاف ومجانبة من اتصف بها كائناً من كان في كل زمانٍ أو مكان .

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء كثيراً من المغترين من المتصوفة ، وكذلك ابن الحاج رحمه الله في المدخل وكذلك الشيخ أحمد زروق رحمه الله في كتابه / عدة المريد الصادق / وغيرهم كثير فمن أراد التعرف على الانحرافات والأخطاء التي عليها الدخلاء والأدعياء فليقرأ ما كتبه شيوخ التصوف وأئمته في ذلك وفيه غنية وكفاية .

28- ثم قال المعترض : أفكلما انتقد أحد بدع الصوفية أو فلسفاتهم المنحرفة ...الخ

أقول : علماء الصوفية أنفسهم ينتقدون البدع والفلسفات المنحرفة التي أدخلها على التصوف الأدعياء والغلاة ولكن الذي ننكره على المعترض وأمثاله هو عدم الإنصاف والتحقيق العلمي في المسائل ، ننكر أن يعتدى على التصوف جملة وتفصيلا ، وننكر إخراج الصوفية من الإسلام إلى الزندقة والكفر ، وننكر أن يؤخذ أقوام بريئون بجريرة أقوام آخرين متهمين .

* وقول المعترض : ماذا سيقول عن مواقف علماء المسلمين في إنكار بدع الصوفية...الخ

أقول : ماذا سيقول المعترض وأمثاله عن مواقف علماء المسلمين في تعظيم الصوفية والثناء عليهم وقد تقدم الكثير من شهاداتهم وعندنا المزيد .

* وقول المعترض : والعجيب من الجفري أننا لم نسمعه أبداً ينكر على الذين ذكرهم...الخ

أقول : والعجيب أيضاً من المعترض وأمثاله لم نسمعهم أبداً يذكرون ثناء العلماء على الصوفية وشهاداتهم في تعظيمهم ، على أنّ الحبيب الجفري وأمثاله من العلماء الورعين يذكرون المحاسن ويكفّون عن المساوئ وذلك لأن أوقاتهم أثمن من أن يصرفوها في الترهات والضلالات المقسية للقلوب الرقيقة ، وقد قال الإمام الجنيد رحمه الله : ذكر الجفاء وقت الصفاء من الجفاء ، ويتركون ذكر المساوئ لمن تخصص بالبحث عنها ونشرها كالمعترض وزمرته من القاسية قلوبهم .

* وقول المعترض : في حين أننا نجده دائم الإنكار على الذين ينادون بالتمسك بالسنة ...الخ

أقول : كل علماء أهل السنة والجماعة ينكرون على الوهابية الذين وصفهم المعترض بأنهم ينادون بالتمسك بالسنة وذلك لأنهم يدعون إلى الكتاب والسنة لا بفهم الأئمة المجمع على إمامتهم بل بفهمهم هم وهم ليسوا أئمةً وإنما هم أتباع الأهواء والآراء الفردية التي يخرقون بها الإجماع وينكرون القياس فالإنكار على هؤلاء متعين وواجب شرعي من قبل الحبيب الجفري وعلماء الأمة ويأثم من لم ينكر على الوهابية خروجهم عن أهل السنة والجماعة فهؤلاء الذين يدعون للتمسك بالسنة الذين يغار عليهم المعترض ويدافع عنهم هم الوهابية الخوارج .



29– ثم أورد المعترض تحت عنوان موقف علماء المسلمين من الصوفية قول الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله وغيره ...الخ

أقول : هل قول الإمام ابن رجب نص قطعي يعمم على الجميع ويلزم به علماء الأمة الإسلامية من قبل ومن بعد ، وقد تقدم قول سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله في استحباب تدوين أعمال القلوب على أنّ قول الإمام ابن رجب محمول على من يتكلم في علوم الباطن بمجرد الرأي والذوق أو الكشف غير الخاضع لقواعد أصول الاستنباط المأخوذة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة .

بدليل أنّ الإمام ابن رجب أتى بعد ذلك بقول الإمام أبي سليمان الداراني رحمه الله : ﴿ إنه لتمرُّ بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة ﴾ وأتى أيضاً بكلام الإمام الجنيد رضي الله عنه الدال على ذلك فما شهد له الكتاب والسنة وكلام الأئمة المستنبط فهو مقبول وإلا فهو رد .

انظر إلى قلة أدب المعترض مع أئمة الصوفية والمدافعين عنهم من العلماء والأئمة ، فإنه عندما ذكر الإمام ابن رجب وصفه بقوله : الإمام الرباني الزاهد العابد الحافظ ، وعندما يذكر إماماً من أئمة الصوفية أو عالماً من علماء المسلمين دافع عن الصوفية كالإمام السيوطي رحمه الله ، يذكرهم بلا وصف الإمام ولا العلم وبلا ترضٍ ولا ترحم ، وما ذلك إلا لأنه من أئمة التصوف ، وليس للتصوف ولا لأئمته قدر عند المعترض وأمثاله ، فأين الأدب والإنصاف يا جامع القراءات العشر ؟

30– ثم أورد المعترض ما جاء في رسالة الإمام السيوطي رحمه الله تعالى ...الخ

وهو يعتمد هنا ما جاء في رسالة الإمام السيوطي / تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد / فلِمَ لا يعتمد على ما قاله الإمام السيوطي رحمه الله في رسالته / تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي / فيقول بتبرئة الشيخ الأكبر ابن العربي ، ولم لا يعتمد على رسالة الإمام السيوطي رحمه الله في تبرئة الإمام ابن الفارض فيقول ببراءته ، ولم لا يلتمس العذر للصوفية كما التمسه لهم الإمام السيوطي في رسالته / السيف القاطع اللامع لأهل الاعتراض الشوايع / ولم لا يقول بجواز رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة كما قال بذلك الإمام السيوطي رحمه الله في رسالته / تنوير الحلك / وغير ذلك من رسائل الإمام السيوطي التي دافع فيها عن الصوفية وأتى بالأدلة والبراهين على ذلك ، ولكن المعترض من الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ومن الذين يحكّمون آراءهم وأهواءهم في ترجيح كلام العلماء والأئمة

ووضعه في غير موضعه وحمله على قوم غير من قيل فيهم ، وهذه هي مصيبة المصائب مع هؤلاء الأدعياء وكلام القاضي عياض رحمه الله كقول بعض المتصوفة يفيد أنّ البعض الآخر من المتصوفة لا يقولون بذلك .

إلا أن يكون المعترض قد فهم من كلمة / بعض / مدلول كلمة / كل / فعمم الحكم ولم يخصصه .

31- ثم أورد المعترض كلام الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء حول الشطح وقسميه ...الخ

أقول : هنا يستدل بكلام الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء وفي غير هذه المسألة يطعن بالإمام الغزالي وبالإحياء ويغضّ من اجتهاداته في المسائل التي نَصَر فيها الصوفية وأثنى عليهم فيها وتقدم بعضها .

وانظر إلى دقة كلام الإمام الغزالي رحمه الله فهو يقول : أحدثه بعض الصوفية ، أي والبعض الآخر لا يقول به وقد أورد المعترض كلام الإمام الغزالي رحمه الله في الصنف الأول من الشطح ، وحذف منه تبرئة الإمام الغزالي رحمه الله للسلطان أبي يزيد رضي الله عنه وإليك تتمة النص الذي ذكره المعترض نقلا من الإحياء :

قال : وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى ، وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾{طه:14} ، فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

والسؤال الموجّه للمعترض : لم حذف هذه العبارة من كلام الإمام الغزالي والدالة على تبرئة الإمام أبي يزيد رحمه الله مما نسب إليه ؟ وهل هذه هي الأمانة العلمية التي يدعيها وأثني عليه بها ؟

وقد قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى الجزء العاشر ص/337/ وفي هذا الفناء قد يقول أنا الحق أو سبحاني أو ما في الجبة إلا الله إذا فني بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه ...الخ

فهو بهذا يلتمس لهؤلاء العذر فما رأي المعترض ومن معه بمثل هذا الكلام الصادر عن الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى .



الدفاع عن الحبيب الجفري 32 (حول الوضوء من لحم الجمل ، والصلاة في مبارك الإبل)

1- قال المعترض : طريقة مشوشة ومتناقضة .

أقول : الطرق الصوفية الشرعية التي تخضع لإشراف علمي من قبل الشيوخ القائمين عليها ليست مشوشة ولا متناقضة ، بل هي منضبطة بضوابط الأحكام والآداب ، ومبنية على أصولٍ نقلية صحيحة وعقلية مسلَّمة .

ومن ادعى أنها مشوشة ومتناقضة كالمعترض فادعاؤه دليل جهله لأنه خلاف الواقع المشاهد عند العلماء السالكين .

2- قال المعترض : الجفري يهاجم أناساً لأنهم يتطاولون على الأئمة الكبار ... الخ

أقول : الوهابية أعداء الأولياء والأئمة من سلف الأمة وخلفها وهاهم يبدعون ويفسقون ويكفرون أهل السنة والجماعة الأشعرية والصوفية ، وكتبهم ملأى بذلك ، وقواميس شتائمهم مطبوعة معلومة لدى الباحثين الوهابية ينقضون الأحكام الفقهية الاجتهادية التي قالها استنباطاً الأئمة الأربعة ومن جاء بعدهم من العلماء ويقولون هم رجال ونحن رجال ، وقد صدقوا في الأولى وكذبوا في الثانية فهم ليسوا برجال ولا أشباه الرجال .

أولئك الأئمة المجتهدون انعقد الإجماع في عصرهم والعصور بعدهم على إمامتهم والأخذ باجتهادهم واعتبر العلماء الخروج عنهم بدعة ضلالة وفسقاً ، أما الوهابية فمن الذي يقول بإمامتهم ومن الذي يسلم لهم اجتهادهم من العلماء المعتبرين ؟ إنّ الذي يقول بإمامتهم ويزاحم بذلك إمامة الأئمة إنما هم البسطاء والسُّذج من أتباعهم العوام والجهلة المأجورين والمستغلين .

وتقدم أنّ الأئمة المجتهدين همُ الأنف وأن الأذناب غيرهم في قول الشاعر :

قوم همُ الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذَّنبا

- وقول المعترض : فما الداعي لذكر هؤلاء في معرِض الكلام عن العلماء الذين ينكرون على الجفري وأضرابه مذهبهم ؟

أقول : الذين ينكرون على الحبيب الجفري وأضرابه هم الوهابية الخوارج المعاصرون ، وأسلافهم من المشبهة والحشوية والكرامية والخوارج هم الذين أنكروا على الأئمة والعلماء الأشعرية والصوفية عبر ثلاثة عشر قرنا وجهَّلوهم وضللوهم ،

فالصورة الزمانية بين الماضي والحاضر واحدة ، فأعداء أهل السنة والجماعة في الماضي على شاكلتهم أعداء اليوم ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

أما قول المعترض عن الحبيب الجفري أنّ الداعي له هو تهييج العوام على أهل العلم .. الخ

فهو قول باطل وادعاء كاذب فإن العامة من طلاب العلم وبسطاء المسلمين من أهل السنة والجماعة يعلمون بطلان ما عليه الوهابية التكفيريون ولا يحتاجون إلى من يهيجهم عليهم بل لو تيسرت للعامة والخاصة فرصة من زمن لرفعوا عليهم دعاوئ في محاكم القضاء الشرعي وصدرت في حقهم الأحكام الخاصة بتهم الخيانة الدينية والعلمية وتهم العمالة للاستعمار وأنهم أدواته في تفريق كلمة المسلمين وبث بذور الشقاق فيما بينهم .

3- ثم عرض المعترض لمسألة الوضوء من لحم الجمل من جديد ، وما إعادة ذلك إلا كما قال الشيخ الرواس رضي الله عنه :

دع الجهول على أسقام باطنه قد يستلذ حكاك الجلد من جربا

أقول : تقدم الرد عليه مستوفىً في رد الاعتراض /15/ فليرجع إليه ، وهو محفوظ مع بقية الردود السابقة في ملف / المؤلفات ، قسم العقيدة / .

وادعاء المعترض أن مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه الأخذ بظاهر النصوص يوهم أنه ظاهري أو كالظاهرية في نفي القياس والعلة والتخصيص والنسخ ، وهو غير صحيح لأن مذهب الإمام أحمد كمذهب غيره من الأئمة في القول بالقياس والعلة والتخصيص والنسخ ، وليس ظاهرياً كما أوهم المعترض .

وهذا شيخ الوهابية في عصره ابن باز عندما سئل هل أنت حنبلي المذهب ؟ أجاب بقوله : لا ، أنا على الكتاب والسنة ، وما ذلك إلا لمخالفة الوهابية للأئمة الأربعة في الإجماع والقياس .

فلو كان الإمام أحمد ظاهرياً كما أوهم المعترض لما وسع ابن باز إلا اتباعه وعدم الخروج عنه .

فادعاء المعترض أن الذين يهجم عليهم الحبيب الجفري إنما هم متّبعون لمذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى ادعاء باطل لأن هؤلاء خارجون عن الأئمة الأربعة وفقههم ومتبعون لآرائهم ومقلّدون لابن عبد الوهاب وللألباني وابن باز وابن عثيمين وأضرابهم .

فقول المعترض : فمن الذي يتطاول على الأئمة ؟ جوابه : الوهابية وأتباعهم .

4- ثم أورد المعترض قول الإمام الشافعي رضي الله عنه في أن الإبل خلقت من جن وفي عدم نجاسة موضعها .

أقول :

آ* أما المسألة الأولى ففيها بحث هل كونها خلقت من الجن علة النهي أم لا ؟ وما معنى خلقت من جن ؟

قال الإمام العيني رحمه الله تعالى في شرحه لصحيح البخاري رحمه الله – باب الصلاة في معاطن الإبل –

- قال ابن حزم (رحمه الله) تكره الصلاة في مبارك الإبل ومواضعها سواء كانت عطناً أو مناخاً أو مباءة أو مرابدا وعلة النهي كونها خلقت من الشياطين ، قال يحيى بن آدم : جاء النهي من قبل أن الإبل يخاف وثوبها فتعطب من تلاقي حينئذٍ ،



وذكروا أيضا في علة النهي ثلاثة وجوه :

1* لأن أصحابها من عادتهم التغوط بقرب إبلهم والبول فينجسون بذلك أعطان الإبل

2* كون أبوالها وأرواثها في معاطنها

3* الخوف من قِبلها بخلاف الغنم لأنه لا يخاف منها ما يخاف من الإبل .

قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في شرحه وتعليقه على سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى : النهي عن الصلاة في أعطان الإبل للتحريم فلا تصح الصلاة المحرمة وهو مذهب أحمد والظاهرية وغيرهم وهو نهي تعبدي – أي غير معلل بعلة – والأمر بالصلاة في مرابض الغنم أمر للإباحة لا نعلم في ذلك خلافا .

وقال خاتمة المحققين العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته : والظاهر أن معنى كون الإبل من الشياطين أنها خلقت على صفةٍ تشبههم من النفور والإيذاء فلا يأمن المصلي من أن تنفر وتقطع عليه صلاته كما قاله بعض الشافعية أي : فيبقى باله مشغولاً خصوصاً حال سجوده ، وبهذا فارقت الغنم ، ويظهر من التعليل أنه لا كراهة في معاطن الإبل الطاهرة حال غيبتها .

ب* أما المسألة الثانية : فقد اختلف الفقهاء في طهارة بول وبعر مأكول اللحم ونجاسته :

1* قال الأئمة مالك وأحمد ومحمد بن الحسن والاصطخري والروياني الشافعيان والشعبي وعطاء والنخعي والزهري والثوري بطهارة بوله وبعره .

2* قال الأئمة أبو حنيفة والشافعي وأبو يوسف وأبو ثور وآخرون : الأبوال ونحوها كلها نجسة إلا ما عفي عنه .

قال ابن المنذر : أجمع كل من يحفظ عنه العلم على إباحة الصلاة في مرابض الغنم إلا الشافعي فإنه قال : لا أكره الصلاة في مرابض الغنم إذا كان سليماً من أبعارها وأبوالها .

أقول : إيراد المعترض قول الإمام الشافعي رضي الله عنه في تعليل النهي عن الصلاة في معاطن الإبل أنها خلقت من الجن لا لنجاسة الموضع لا يعني القول بطهارة بول وبعر مأكول اللحم عنده لأنه قائل بنجاسة ذلك ولكن النجاسة مع القول بها عنده ليست علة النهي

خلافاً لما أوهمه كلام المعترض فليتنبه .



الفصل الثالث والثلاثون

الدفاع عن الحبيب الجفري 33 (حول زيارة القبور للمرأة)

- قال المعترض وفي ص/235/ وجِّه إليه سؤال هل زيارة القبور للمرأة محرمة ؟
ثم أورد جواب الحبيب الجفري :

أقول : في جواب الحبيب الجفري قوله : إن هؤلاء الإخوان هدانا الله وإياهم يقفزون إلى الأحاديث دون أن يرجعوا إلى كلام أهل العلم في فهم الأحاديث ...الخ

أراد بالإخوان الوهابية ، وأنا أستغرب من الحبيب الجفري كيف سماهم إخواناً ، وهم الذين يصدق عليهم قول الشيخ حسن البنا رحمه الله في آخر كلماته : لستم إخواناً ولستم مسلمين .

وكونهم يقفزون إلى الأحاديث دون رجوع إلى قواعد الأئمة وفهمهم كلام صحيح لا غبار عليه ، فهم كذلك يفهمون نصوص الكتاب والسنة لا بفهم الأئمة بل بالآراء والأهواء .

وقول الحبيب الجفري بعد ذلك : لا يكفي أن يكون الحديث صحيحاً حتى يأخذ الإنسان به فقد يكون منسوخا ...الخ

أقول : هذا الكلام صحيح وموافق للقواعد الأصولية التي عليها الأئمة الأربعة وأتباعهم من العلماء ، فلو وجد إنسان حديثاً صحيحاً في أحد الصحيحين مثلا لم يقل به إمام مجتهد من الأئمة الأربعة لا يصح العمل به لأنّ ترك الأئمة جميعاً العمل به دليل على وجود ناسخ له أو مخصّص ، وذلك كحديث إرضاع الكبير وحديث قتل شارب الخمر في الرابعة ، خلافاً للمبتدعة الوهابية ولا عبرة بخلافهم ولا يلتفت إليه لأنه ليس قادحاً في إجماع أهل الحق ، وقد قرر العلماء مثل هذا في الظاهرية نفاة القياس مع إقرارهم بالإجماع ، فكيف بالوهابية نفاة الإجماع والقياس .

ومثل هذه المسألة إذا اختلف الأئمة المجتهدون في حديث فقال بعضهم بنسخه وبعضهم بعدم نسخه لا يصح للقائل بعدم النسخ أن يحتج بالحديث على القائل بنسخه ، وخالف في ذلك الوهابية أيضاً ويلزمون الفقهاء بالحديث مع أنهم قائلون بنسخه .

-

-

-



- فإن قال وهابي إن هذا الحديث الصحيح لم يبلغ الأئمة المجتهدين وجميعهم قالوا : إذا صح الحديث فهو مذهبي

فالجواب :

الأئمة الأربعة من أهل الحديث تحملاً وأداءً وكل واحد استدل على مذهبه بأحاديث وأجاب عن الأحاديث الأخرى التي استدل بها الآخرون في مسائل الاختلاف ، وعلى تقدير أنّ أحدهم أو مجموعهم لم يبلغهم حديث صحيح فقد بلغ أتباعهم من العلماء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد في المذهب فتعين علينا الرجوع إلى أجوبتهم عن ذلك الحديث قبولاً أو رداً ، ولا بدّ من معرفة قواعد تصحيح الحديث عند كل إمام مجتهد وشروط القبول والاحتجاج ، ولا يلزم الإمام المجتهد بقواعد تصحيح الحديث عند غيره وبشروط قبوله ، ولذلك قرر الأصوليون أن الحديث الذي يحتج به الإمام المجتهد يكون احتجاجه تقوية له إن كان ضعيفاً عند المحدثين ، وخالف في ذلك الوهابية أيضاً ، فهذه ثلاث مسائل أصولية خالف فيها الوهابية الأئمة المجتهدين وأتباعهم من الأئمة والعلماء ، فليتنبه لذلك .

2- ثم أورد المعترض فتاوى القائلين بحرمة زيارة القبور للنساء من فقهاء المذاهب الأربعة .

أقول : كان على المعترض ألا يذكر قول من قال بالتحريم ويُغفل قول من قال بالإباحة وبيان شروط من اشترط منهم لها ، بل من حق كل مسألة فقهية أن تُعرض مذاهب الفقهاء فيها مع أدلتهم وما هو مذهب الجمهور في تلك المسألة ؟

وإلى الإخوة القراء بيان ذلك :

أ – أخرج الإمام البخاري رحمه الله برقم:/1199/ عن أم عطية رضي الله عنها قالت : (نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا)قال الإمام البدر العيني رحمه الله تعالى : قولها : (لَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا)على صيغة المجهول أي لم يوجب ولم يفرض ، أو لم يشدّد ولم يؤكّد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات فكان المعنى أنها قالت : كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم ، وقال القرطبي رحمه الله : ظاهر الحديث يقتضي أن النهي للتنزيه وبه قال جمهور أهل العلم .

ب- وأخرج أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأةٍ تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري قالت : إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

-

-

- وقال البدر العيني رحمه الله : وفيه جواز زيارة القبور مطلقاً سواء كان الزائر رجلاً أو امرأة وسواء كان المزور مسلماً أو كافراً لعدم الفصل في ذلك ، وقال الإمام النووي رحمه الله : وبالجواز قطع الجمهور .

ثم قال : واعلم أن الناس اختلفوا في زيارة القبور فقال الحازمي : أهل العلم قاطبة على الإذن في ذلك للرجال ، وقال ابن عبد البر : الإباحة في زيارة القبور إباحة عموم كما كان النهي عن زيارتها نهي عموم ثم ورد النسخ في الإباحة على العموم فجائز للرجال والنساء زيارة القبور ، وروي في الإباحة أحاديث كثيرة .

قال الحافظ في الفتح : واختلف في النساء فقيل : دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا أمنت الفتنة ، وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة رضي الله عنها ، وقيل : الإذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبور ا.هـ

وذكر الإمام الترمذي رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

- [لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ]وقال : حديث حسن صحيح .

ثم قال الإمام الترمذي رحمه الله : وَقَد رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يُرَخِّص النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي زِيَارَةِ الْقُبُور فَلَمَّا رَخَّصَ دَخَلَ فِي رُخْصَتِه الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ و قَال بَعْضُهُمْ إِنَّمَا كُرِهَ زِيَارَةُ الْقُبُورِ لِلنِّسَاء لِقِلَّة صَبْرِهِنَّ وَكَثْرَةِ جَزَعِهِن .

وقال البدر العيني رحمه الله : قال ابن عبد البر : وتوقي ذلك للنساء المتجملات أحبُّ إليّ ، وأما الشوابّ فلا يؤمن من الفتنة عليهن وبهن حيث خرجن ولا شيء للمرأة أحسن من لزوم قعر بيتها، ولقد كره أكثر العلماء خروجهن إلى الصلوات فكيف إلى المقابر وما أظن سقوط فرض الجمعة عليهن إلا دليلاً على إمساكهن عن الخروج فيما عداها ،

قال : واحتج من أباح زيارة القبور للنساء بحديث عائشة رضي الله تعالى عنها رواه في التمهيد عن عبد الله ابن أبي مليكة أن [عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه فقلت لها : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن زيارة القبور قالت نعم كان ينهى عن زيارتها ثم أمر بزيارتها] .

وفرّق قوم بين قواعد النساء وبين شبابهنّ وبين أن ينفردن بالزيارة أو يخالطن الرجال

فقال القرطبي رحمه الله : أما الشواب فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح لهنّ ذلك ،

قال : وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال

قال : ولا يختلف في هذا إن شاء الله تعالى ،

-

- وقال القرطبي أيضاً : حمل بعضهم حديث الترمذي في المنع على من يكثر الزيارة لأن زوّارات للمبالغة ، ويمكن أن يقال : إن النساء إنما يمنعن من إكثار الزيارة لما يؤدى إليه الإكثار من تضييع حقوق الزوج والتبرج والشهرة والتشبه بمن يلازم القبور لتعظيمها ولما يخاف عليها من الصراخ وغير ذلك من المفاسد وعلى هذا يفرّق بين الزائرات والزوّارات ،

وفي التوضيح : وحديث بريدة صريح في نسخ نهي زيارة القبور .

ثم قال العيني رحمه الله : وذكر ابن أبي شيبة عن علي وابن مسعود وأنس رضي الله عنهم إجازة الزيارة ، وكانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر حمزة رضي الله عنه كل جمعة .

ثم قال : ومعنى النهي عن زيارة القبور إنما كان في أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد فلما استحكم الإسلام وقوي في قلوب الناس وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها نسخ النهي عن زيارتها لأنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا ،

وعن طاووس رحمه الله كانوا يستحبون أن لا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام لأنهم يفتنون ويحاسبون في قبورهم سبعة أيام .

ثم قال البدر العيني رحمه الله مبيّناً رأيه واجتهاده في المسألة : وحاصل الكلام من هذا كله أن زيارة القبور مكروهة للنساء بل حرام في هذا الزمان ولا سيما نساء مصر لأن خروجهن على وجهٍ فيه الفساد والفتنة وإنما رخصت الزيارة لتذكر أمر الآخرة وللاعتبار بمن مضى وللتزهد في الدنيا .

أقول : وهو الأولى خروجاً من الخلاف واحتياطاً ، ومن رجّح قول الإباحة بالشروط المتقدمة فلا إثم عليه إن شاء الله لأن المسألة خلافية كما تقدم .

وقد قال خاتمة المحققين العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته المشهورة ما نصه :

/ مطلب في زيارة القبور / لا بأس بها بل تندب ، وتزار في كل أسبوع ـــ إلى قوله ـــ استفيد منه ندب الزيارة وإن بعُد محلها ،

- وهل تندب الرحلة لها كما اعتيد من الرحلة إلى زيارة خليل الرحمن وأهله وأولاده ، وزيارة السيد البدوي وغيره من الأكابر الكرام ؟

لم أر من صرّح به من أئمتنا ، ومنع منه بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته صلى الله عليه وسلم قياساً على منع الرحلة لغير المساجد الثلاث ، وردّه الغزالي رحمه الله بوضوح الفرق فإن ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة إليها ، وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ،

-

قال ابن حجر رحمه الله في فتاويه : ولا تترك لما يحصل عندها من منكراتٍ ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع ، بل وإزالتها إن أمكن .

قلت : ويؤيده ما مرّ من عدم ترك اتباع الجنازة وإن كان معها نساء ونائحات ، تأمل .

قوله : [ولو للنساء] وقيل : تحرم عليهنّ والأصح أنّ الرخصة ثابتة لهنّ ، وجزم في شرح المنية بالكراهة لما مر في اتباعهنّ الجنازة ،

وقال الخير الرملي : إن كان ذلك لتجديد الحزن والبكاء والنّدب على ما جرت به عادتهنّ فلا تجوز ، وعليه حمل حديث ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَال :

- (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ){سنن أبي داود برقم:2817} ،

- وإن كان للاعتبار والترحم من غير بكاء والتبرك بزيارة قبور الصالحين فلا بأس به إذا كنّ عجائز ، ويكره إذا كنّ شواب كحضور الجماعة في المساجد ا.هـ وهو توفيق حسن .

انتهى كلام الشيخ العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى .

3- ثم قال المعترض : وكلنا يعلم أن مذهب الإمام أحمد هو كراهة زيارة القبور للمرأة وهذا هو الذي يفتي به هؤلاء الإخوة الذين يتحدث عنهم الجفري ؟

أقول : لو كان إخوة المعترض هؤلاء يفتون بالراجح من مذهب الإمام أحمد رحمه الله في كل المسائل الفقهية ولم يخرجوا عن شيء منها لاعتبرناهم إخوة ولما أنكرنا عليهم .

ولكن السؤال الموجّه إلى المعترض وأمثاله : لو أنّ هؤلاء وجدوا حديثاً صحيحا لم يقل به الإمام أحمد ولا غيره من الأئمة المجتهدين هل يعملون بالحديث أم يأخذون بما أجمع عليه الأئمة من تركهم العمل به ؟

فإن قالوا نعمل بالحديث قلنا لهم : إذاً لا تحتجوا بالإمام أحمد ولا بغيره من الأئمة فيما تذهبون إليه لأنكم لستم من أتباعهم بل أنتم حينئذٍ من أتباع الخوارج .

وإن قالوا : نعمل بما ترجح عند الأئمة المجتهدين من ترك العمل به قلنا لهم : مرحباً بكم إخوة فيما تذهبون إليه للأئمة وأتباعهم من العلماء والسواد الأعظم من الأمة .

4- ثم قال المعترض : فهل الإمام أحمد يقفز إلى الحديث دون فهمه كما يزعم الجفري ...الخ

أقول : الحبيب الجفري ما ذكر الإمام أحمد رحمه الله في كلامه لا من قريب ولا من بعيد بل المعروف عنه أنه متأدب مع جميع الأئمة المجتهدين ولا يذكرهم إلا بخير.

- بخلاف الوهابية فإنهم لا يذكرون الأئمة إلا بالتنقيص والتجهيل وقاموس شتائم الألباني أكبر دليل على ذلك . وعند اطلاع القراء عليه سيظهر للجميع من الذي يتطاول على الأئمة



لدفاع عن الحبيب الجفري 34 (القراءة على الميت ووصول الثواب وعن القبور والمشاهد)

- قال المعترض : ثم سئل في ص/239/ هل يصل ثواب قراءة القرآن للأموات ...الخ ؟ أقول : ذكر هذه المسألة بأدلتها الإمام ابن القيم الحنبلي رحمه الله في كتابه / الرُّوح / ، وقد أغفل المعترض مذهب الحنابلة في المسألة ولم يُشر إليه ألبتة .

وفي المسألة السابقة قال المعترض بأن إخوانه يفتون بمذهب الإمام أحمد رحمه الله ، أما في هذه المسألة فلم يذكر نهائياً مذهب الإمام أحمد رحمه الله وكأنه لا اعتبار له ولا يلتفت إليه ،

والسؤال الموجّه إلى المعترض وزمرته : ما الذي جعلهم يدعون الآخذ بمذهب الإمام أحمد رحمه الله في تلك المسألة ، ويتجاهلون مذهبه في هذه المسألة ؟ إنه اتباع الهوى والخروج عن الأئمة وتحكيم آرائهم الفاسدة في الأدلة التي قال بها كل إمام مجتهد .

وإنني سأعرض أولاً أقوال علماء المذاهب الأربعة في هذه المسألة ردّاً على المعترض وما أتى به من أقوال بعض علماء تلك المذاهب لأبيّن للقراء أن المسألة خلافية بين علماء كل مذهب وأنّ مذهب الجمهور القول بالجواز وبالوصول .

ثم سأعرض ثانياً ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه / الرُّوح /

1* جاء في رسالة / إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات / للعلامة الكبير المحدث محمد العربي التّباني المغربي المكي رحمه الله تعالى ، وقد طبعت مرات بإشراف العلامة الشيخ محمد سعيد البرهاني رحمه الله تعالى .

قال : إنّ قراءة القرآن على الأموات جائزة يصل ثوابها لهم عند جمهور فقهاء الإسلام أهل السنة وإن كانت بأجرة على التحقيق ، ثم عرض أقوال علماء المذاهب الأربعة فقال :

آ* مذهب الشافعية : قال في شرح الروض في كتاب الإجارة – فرع – الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة للانتفاع بنزول الرحمة حين يقرأ القرآن كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن ، ويكون الميت كالحي الحاضر سواء أعقب القرآن بالدعاء أو جعل أجر قراءته له

- أم لا فتعود منفعة القرآن إلى الميت في ذلك ، ولأنّ الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ولأنه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر له فينتفع به ، فقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : إنّ القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك ،

-

وفي الرملي على المنهاج في باب الوصايا : إنّ الدعاء بوصول ثواب القراءة للميت مقبول قطعاً فإنه إذا كان مقبولاً بما لا حقّ فيه للداعي فكيف بما له حق فيه وعمل ؟ أي : فهو مقبول من باب أولى .

وقال العلامة ابن الصَّلاح رحمه الله تعالى : وينبغي الجزم بنفع قوله : اللهم أوصل ثواب ما قرأناه لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فماله أولى ، ويجري هذا في سائر الأعمال .

وقال الشبراملسي رحمه الله على الرملي : إنه إن نوى ثواب قراءته أو دعا عقبها بحصول ثوابها للميت أو قرأ عند قبره حصل له ثواب القراءة وحصل للقارئ أيضاً الثواب ، فإذا سقط ثواب القارئ لمسقط كأن غلب الباعث الدنيوي فينبغي أن لا يسقط مثله بالنسبة إلى الميت فيما إذا كانت القراءة بأجرة ، وينبغي أن تكفي نية القارئ الثواب للميت ولو لم يدعُ ، واختار السبكي وابن حجر والرملي وغيرهم رحمهم الله تعالى جواز إهداء القراءة للنبي صلى الله عليه وسلم قياساً على الصلاة عليه .

وفي باب الإجارة من فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى : الإجارة تصح لقراءة ختمة من غير تقدير بزمن ، وتصح بقراءة قرآن بتقدير ذلك سواء عيّن مكاناً أم لا ، وقد أفتى القاضي حسين رحمه الله بصحتها بقراءة القرآن على رأس القبر مدة كالإجارة للأذان وتعليم القرآن ، قال الرافعي رحمه الله : والوجه تنزيله على ما ينفع المستأجر له إما بالدعاء عقب القراءة وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ، وإما بجعل ما حصل من الأجر له، والمختار كما قاله الإمام النووي رحمه الله صحة الإجارة مطلقاً كما هو ظاهر كلام القاضي ، لأن محل القراءة محل بركة وتنزل الرحمة ، وهذا مقصود بنفع المستأجر له ، وبذلك علم أنه لا فرق بين القراءة على القبر وغيره وصورة ما يدعو به : اللهم اجعل مثل ثواب ذلك ، أو اللهم اجعل ثواب ذلك ...الخ ، وله أن يهدي ثواب ذلك للأنبياء والصالحين ثم للمستأجر له بل هو أولى لما فيه من التبرك بتقديم من يطلب بركته ، وهو أحب للمستأجر غالبا فالأجرة المأخوذة في مقابلة ذلك حلال كما قلناه ،

- ولعموم خبر البخاري : (نَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّه)

- {أخرجه البخاري برقم:5296 عن ابن عباس رضي الله عنهما}والله أعلم .

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله في شرح الصدور ما نصه : باب في قراءة القرآن للميت أو على القبر : اختلف في وصول ثواب القراءة للميت فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف ذلك إمامنا الشافعي مستدلاً بقوله تعالى : (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)النجم:39}

- وأجاب الأولون عن الآية بأوجه ثم قال : واستدلوا على الوصول بالقياس على ما تقدم من الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حجٍّ أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة ،

-

- وبالأحاديث الآتي ذكرها فهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلاً ، وبأن المسلمين مازالوا في كل عصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير فكان ذلك إجماعا ، ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين المقدسي الحنبلي رحمه الله تعالى في جزء ألفه في المسألة ، ثم قال : وأما القراءة على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم ،

قال الزعفراني : سألت الشافعي رضي الله عنه عن القراءة عند القبر ؟ فقال : لا بأس بها ، وقال النووي رحمه الله في شرح المهذّب : يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها ، نصَّ عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب ، وزاد في موضع آخر : وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل .

أقول : قال الإمام النووي مثل ذلك في كتابه الأذكار باب ما يقوله بعد الدفن : ويستحب أن يقعد عنده بعد الفراغ ساعة قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن والدعاء للميت والوعظ وحكايات أهل الخير وأحوال الصالحين ثم قال : قال الشافعي والأصحاب : يستحب أن يقرؤوا عنده شيئاً من القرآن ، قالوا : فإن ختموا القرآن كله كان حسناً ، وروينا في سنن البيهقي بإسناد حسن : أن ابن عمر رضي الله عنهما استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها ،

وقال في باب وصية الميت : ولو أوصى بأن يقرأ عند قبره أو يتصدق عنه أو غير ذلك من أنواع القُرب نفذت إلا أن يقترن بها ما يمنع الشرع منها بسببه ا.هـ

فقول المعترض عن الحبيب الجفري : إنه زعم أن جمهور السلف قالوا بوصول ثواب القراءة للميت لكنه لم يذكر من هؤلاء الجمهور ولا من أين أتى بهذا الكلام ،

جوابه : بأن الحبيب الجفري قال ذلك ونسبه إلى جمهور السلف تبعاً للحافظ السيوطي رحمه الله في شرح الصدور فإنه القائل : فجمهور السلف والأئمة الثلاثة على الوصول وخالف في ذلك إمامنا الشافعي ..الخ وقد تقدم ،

وما ذكره المعترض عن الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم عند حديث : رواه أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا من ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه){أخرجه مسلم برقم:**3084**}

(ذا مات ابن آدم)الخ نقلاً عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فإن المعترض اجتزأ الكلام ولم يذكره بتمامه ونصه : فالمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يصل ثوابها إلى الميت وقال بعض أصحابه : يصل ثوابها إلى الميت ، وذهب جماعات من العلماء إلى أنه يصل إلى الميت ثواب جميع العبادات من الصلاة والصوم والقراءة وغير ذلك ا.هـ

وقال في الموضع الآخر : وفيها خلاف وسبق إيضاحه في أول هذا الشرح في شرح مقدمة صحيح مسلم .



- وقال في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه :

والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابنا يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور ، وقال أحمد : يصله ثواب الجميع كالحج ا.هـــ

فالمعترض لم يشر إلى الخلاف عند الشافعية ولم يشر إلى مذهب الإمام أحمد كما أشار إلى ذلك الإمام النووي رحمه الله وهذه خيانة علمية في النقل وتضم إلى خياناته السابقة .

ثم هو معارض بكلام الإمام النووي رحمه الله في شرح المهذّب والأذكار نقلاً عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أيضاً ، وإذا تعارض كلامه في كتب الفقه مع كلامه في شرح الصحيح قدِّم كلامه في كتب الفقه كما هو معلوم عند أهل المذهب ،

- ثم إن ذكره لمذهب الشافعي والجمهور مخالف لما اختاره هو فقد تقدم في فتوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله قوله : والمختار كما قاله النووي رحمه الله صحة الإجابة مطلقاً كما هو ظاهر كلام القاضي .

وقال الحافظ رحمه الله في الجواب الكافي عن السؤال الخافي ما نصه : وأما الحادي عشر وهو : هل يصل ثواب القراءة للميت فهي مسألة مشهورة وقد كتبت فيها كراسة : والحاصل أن أكثر المتقدمين من العلماء على الوصول ، وأن المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والإكثار منه ا.هـــ

وتقدم في كلام فقهاء المذهب حمل كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على إذا لم يعقب القراءة بالدعاء وجعل أجر قراءته له وقد قال في شرح الروض : فقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى إن القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك .

أي – على غير ما إذا أعقب القراءة بالدعاء وجعل أجر قراءته له –

وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح عن الاستدلال بالحديث[إذا مات الإنسان أو العبد]

- بما نصه : وأما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وسلم : [إذا مات العبد انقطع عمله] فاستدلال ساقط فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل : انقطع انتفاعه وإنما أخبر عن انقطاع عمله وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له وصل ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء والواصل إليه شيء آخر ، وكذلك الحديث الآخر وهو قوله :[إن مما يلحق الميت من حسناته وعمله] فلا ينفي أن يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته .

-

-

-

ب* مذهب المالكية : قال الإمام القاضي عياض رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم في حديث الجريدتين عند قوله صلى الله عليه وسلم : [لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا]

- { أخرجه البخاري برقم:209 عن ابن عباس رضي الله عنهما}

- ما نصه : أخذ العلماء من هذا استحباب قراءة القرآن على الميت لأنه إذا خفف عنه بتسبيح الجريدتين وهما جماد فقراءة القرآن أولى ، نقله عنه الأبي في شرح مسلم .

وقال العلامة الشهاب القرافي في الفرق الثاني والسبعين والمائة ما ملخصه : مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى أن القراءة يحصل ثوابها للميت ، وإذا قرئ عند القبر حصل للميت أجر المستمع ، والذي يتجه أن يقال : لا يقع فيه خلاف أنه يحصل لهم بركة القرآن لا ثوابه كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده ، والذي ينبغي للإنسان ألا يهمل هذه المسألة فلعل الحق هو الوصول إلى الموتى ، فإنّ هذه أمور مغيبة عنا وليس فيها اختلاف في حكم شرعي وإنما هو في أمر واقع هل هو كذلك أم لا ؟ وكذلك التهليل الذي جرت عادة الناس بعمله اليوم ينبغي أن يعمل ويعتمد في ذلك على فضل الله ، ويلتمس فضل الله بكل سبب ممكن ، ومن الله الجود والإحسان هذا هو اللائق بالعبد ا.هـــ

أقول : هذا الكلام الذي قاله الإمام الأصولي الشهاب القرافي رحمه الله حذفه المعترض لأنه لا يوافق بدعته واجتزأ منه الكلام المذكور في كتابه ، فهل هي هذه الأمانة العلمية التي أُثني عليه بها .

ثم قال العلامة التّباني رحمه الله : وقال الشيخ ابن الحاج في الجزء الأول من المدخل ما نصه : لو قرأ في بيته وأهدى إليه لوصلت ، وكيفية وصولها أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له أو قال : اللهم اجعل ثوابها له فإن ذلك دعاء بالثواب لأن يصل إلى أخيه ، والدعاء يصل بلا خلاف.

ونقل الشيخ أبو زيد الفاسي رحمه الله في باب الحج عن الغير : الميت ينتفع بقراءة القرآن وهذا هو الصحيح والخلاف فيه مشهور والأجرة عليه جائزة والله أعلم ، نقله عنه الفقيه كنّون الفاسي محشيّ عبد الباقي .

وفي الحطاب والخرشي : أجازها ابن حبيب لخبر : [اقْرَءُوا يس عَلَى مَوْتَاكُمْ]

- {سنن أبو داود برقم:2714 عن معقل بن يسار رضي الله عنه} ،

- وهذا مقابل لقول مالك رحمه الله بعدم الوصول ولعل ذلك لم يصح عن مالك ، ولو سلمنا صحته فتحمل الكراهة على فعله استنانا .

وفي آخر نوازل ابن رشد في السؤال عن قوله تعالى :[وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى]{النجم:39}

- قال : وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره .

-

أقول : تبين بهذا أن من علماء المالكية من يقول بعدم صحة القول بعدم الوصول عن الإمام مالك رحمه الله ولو سلم ذلك فإنه محمول على من فعله على أنه سنة .

وقال ابن هلال في نوازله : الذي أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا بالأندلس أن الميت ينتفع بقراءة القرآن ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا وهب القارئ ثوابه له ، وبه جرى عمل المسلمين شرقاً وغربا ووقفوا على ذلك أوقافاً ، واستمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة .

ج* مذهب الحنفية :

* قال الإمام العلامة المرغيناني رحمه الله في أول باب الحج عن الغير من هدايته ما نصه : الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقةً أو غيرها عند أهل السنة والجماعة لما روي : [أَن رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَاد أَنْ يُضَحِّيَ اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْن أَمْلَحَيْن مَوْجُوءَيْنِ فَذَبَحَ أَحَدَهُمَا عَنْ أُمَّتِه لِمَن شَهِدَ لِلَّه بِالتَّوْحِيدِ وَشَهِدَ لَهُ بِالْبَلَاغِ وَذَبَح الْآخَرَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَنْ آل مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ]{أخرجه ابن ماجه في سننه برقم:3113 وأحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه} وقد كتب عليه المحقق الكمال ابن الهمام في فتح القدير كتابة مطنبة جيدة ملخصها : أن المعتزلة خالفوا في كل العبادات أي : منعوا وصول ثوابها للغير وذكر شبهتهم وأجاب عنها وساق آثاراً كثيرة دالة على الجواز ثم قال : فهذه الآثار وما قبلها وما في السنة أيضاً من نحوها عن كثير قد تركناه لحال الطول يبلغ القدر المشترك بين الكل ــ وهو أن من جعل شيئاً من الصالحات لغيره نفعه الله به ــ مبلغ التواتر ا.هــ

1* وقال العلامة الزيلعي في شرحه على كنز الدقائق في باب الحج عن الغير ما نصه : الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أهل السنة والجماعة صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن أو الأذكار إلى غير ذلك من جميع أنواع البر ويصل ذلك إلى الميت وينفعه ولا يلتفت لما قالته المعتزلة : ليس له ذلك ولا يصل إليه ولا ينفعه لقوله تعالى

- ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾{النجم:39/40}

- ــ إلى أن قال ــ وأما الآية فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَان ﴾{الطور:21} ، وقيل : هي خاصة بقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام لأنه وقع حكاية عما في صحفهما بقوله تعالى

- :﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾{النجم:36/37} ،

- وقيل : أريد بالإنسان الكافر وأما المؤمن فله ما سعى له أخوه ، وقيل : ليس من طريق العدل وله من طريق الفضل ، وقيل : اللام في الإنسان بمعنى على كقوله تعالى : [وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا]{الإسراء:7} أي : فعليها وكقوله تعالى :(هُمُ اللَّعْنَة){الرعد:25} أي عليهم ، وقيل : ليس له إلا سعيه وقد يكون سعيه بمباشرة أسبابه بتكثير الإخوان وتحصيل الإيمان حتى صار ممن تنفعه شفاعة الشافعين .

2* وجزم البدر العيني رحم الله في باب الحج عن الغير من شرح الزيلعي على الكتر : بأن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو قراءة قرآن أو ذكر إلى غير ذلك من جميع أنواع البر ، وكل ذلك يصل إلى الميت عند أهل السنة والجماعة وللعلامة سعد الدين الديري المتوفى سنة /867/ رحمه الله تعالى رسالة(الكواكب النيرات في وصول ثواب الطاعات إلى الأموات)وللعلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى رسالة سماها (رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة)

- د* مذهب الحنابلة :

قال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى في آخر كتاب الجنائز من مغنيه ما نصه : ولا بأس بالقراءة عند القبر وقد روي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قل : اللهم إن فضله لأهل المقابر .

وقال الخلال : حدثني أبو علي الحسن بن الهيثم البزار شيخنا الثقة المأمون قال : رأيت أحمد بن حنبل يصلي خلف ضرير يقرأ على القبور .

ثم قال : فصل : وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله تعالى .

ثم أورد الأدلة من الحديث ثم قال : والدليل لنا ما ذكرناه وأنه إجماع المسلمين فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير ولأن الحديث صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم :

- (إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ){ صحيح مسلم:1536} والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ويحجب عنه الثواب ا.هـــ

وقال الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب / الروح / ما نصه : وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن ، وكان الإمام أحمد رحمه الله ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع ثم أورد آثاراً ذكرها الخلال في كتاب الجامع ـــ القراءة عند القبور ـــ

وفي الصفحة /117/ : عزا وصول ثواب العبادات البدنية للميت كالصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر للإمام أحمد وجمهور السلف .

-

أقول : هذا الشيخ الإمام ابن القيم نسب وصول ثواب العبادات البدنية ومنها القراءة إلى جمهور السلف ، فهل يعترض المعترض عليه كما فعل مع الحبيب الجفري .

وقال في الصفحة /128/ منه في الجواب عن قوله تعالى : [وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى]{النجم:39} بعد أن ضعف وجوهاً من أجوبة غيره عن الآية ، وقالت طائفة أخرى : القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملك الغير سعيه وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى ، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى ، وكان شيخنا ــ يعني ابن تيمية رحمه الله تعالى ــ يختار هذه الطريقة ويرجحها ا.هــ

وقد أسهب فيه رحمه الله وأجاد في دحض شبه المانعين .

وقال في الصفحة /142/ وما بعدها : وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج ــ إلى أن قال ــ والقائل إن أحداً من السلف لم يفعل ذلك قائل ما لا علم له به فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه ، وما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفي اطلاع علام الغيوب على نياهم ومقاصدهم ، لا سيما والتلفظ بنية الإهداء لا يشترط كما تقدم وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل فإذا تبرع به وأهداه لأخيه المسلم أوصله الله إليه ، فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه ، وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء ا.هــ

2- ثم أورد المعترض فتوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى في التلقين وأنه لم يصح فيه شيء وهو بدعة في حمله الحديث (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

- {أخرجه مسلم برقم:1523 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه}على من دنا موته ويئس من حياته .

أقول : حمل الحديث على المجاز معارض بقول غيره من فقهاء الشافعية وغيرهم : فقد قال محب الدين الطبري رحمه الله : المراد الميت الذي فارقته روحه وحمله على المحتضر قول بلا دليل .

وقال المحقق الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى : ولا مانع من حمل موتاكم في الحديث على حقيقته فيشمل التلقين على القبر .

وأما التلقين قبل الدفن وبعده معاً فقد قال الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه شرح الصدور : ولا خلاف بين العلماء في مشروعية تلقين من حضره الموت [لا إله إلا الله] للحديث وأما تلقينه بعد الدفن على القبر فاستحبه الشافعية والأكثر من الحنابلة والمحققون من الحنفية والمالكية لحديث أبي أمامة رضي الله عنه وهو ضعيف لكن قد عمل به أهل الشام قديما .

-

أقول : ومثل هذا في جواز التلقين بعد الدفن في كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى فقد قال : وأما تلقين الميت بعد الدفن فقد قال جماعة كثيرون من أصحابنا باستحبابه ـــ إلى أن قال ـــ وسئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن هذا التلقين فقال في فتاويه : التلقين هو الذي نختاره ونعمل به ، وذكره جماعة من أصحابنا الخراسانيين ، قال : وقد روينا فيه حديثاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ليس بالقائم إسناده ولكن اعتضد بشواهد وبعمل أهل الشام به قديماً ا.هـــ

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير عن حديث أبي أمامة في التلقين : إسناده صالح وقال : وقد قواه الضياء في أحكامه .

وقال الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح ص/13/ : وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ، ثم ذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه ثم قال : فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كافٍ في العمل به ، وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها وهي أكمل الأمم عقولاً وأوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك ، لا ينكره منها منكر ، بل سنه الأول للآخر ويقتدي فيه الآخر بالأول ، فلولا أن المخاطب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه .

3- ثم قال المعترض معلقاً على قول سلطان العلماء : / ولا يجوز إهداء شيء من القرآن / وهذا يبطل ما زعمه الجفري من أنه لا خلاف في جواز الإهداء .

أقول : الحبيب الجفري لم يقل لا خلاف في جواز الإهداء بل هذا من كذب المعترض وافترائه بل قال الحبيب الجفري كما نقله المعترض عنه : لا خلاف في أنها ـــ أي القراءة ـــ جائزة ولا أحد يقول بعدم جواز القراءة من حيث هي قراءة بقطع النظر عن المقاصد والنوايا ، لكن الخلاف هل يصل ثوابها أو لا والجمهور على أنه يصل . فالحبيب الجفري يشير إلى خلاف العلماء في وصول ثواب القراءة وهل يشترط لفظ الإهداء فيه أو تكفي النية ولو كان مراد الحبيب الجفري أنه لا خلاف في جواز الإهداء لقال : لا خلاف في أنه جائز ، لأن الإهداء مذكر وكذلك الجواز ، فتعين أن المراد بقوله / لا خلاف في أنها / جائزة القراءة لأن ضمير ـــ ها ـــ وجائزة دالة على مؤنث لفظي .

ولكن المعترض التبس عليه الأمر فلم يفرّق بين ضمائر المذكر وضمائر المؤنث ، وربما يكون الحامل على ذلك كونه جزائرياً ولعله من البرابرة الذين هم كبعض القبائل الأعجمية يجعلون ضمير المذكر للمؤنث وضمير المؤنث للمذكر .



4- ثم قال المعترض : إذاً الإمام مالك والمالكية والإمام الشافعي والشافعية يقولون بعدم وصول ثواب القراءة للميت .

أقول : أما قول الإمام مالك فقد تقدم من كلام بعض علماء مذهبه أن ذلك لا يصح عنه وإن سلم فهو محمول على من فعله استناناً وأما المالكية فليسوا مجمعين على عدم الوصول بل المسألة خلافية عندهم وتقدم قول بعض من قال بالوصول ، فنسبة المعترض عدم الوصول إلى المالكية بإطلاق غير صحيح .

وأما الإمام الشافعي رضي الله عنه فقد تقدم قول من حمل كلامه على غير حالة الإهداء والدعاء ، وأما الشافعية فليسوا مجمعين أيضاً على عدم الوصول بل المسألة خلافية عندهم وتقدم قول بعض من قال بالوصول .

فنسبة المعترض عدم الوصول إلى الشافعية بإطلاق غير صحيح .

فسؤال المعترض : فمن هؤلاء السلف ومن هؤلاء الجمهور الذين يتكلم عنهم الجفري ؟ جوابه : هم الحنفية والحنابلة وبعض المالكية ومتأخروا الشافعية وهؤلاء يعتبرون جمهوراً أمام المخالفين لأنهم أقلة .

5- ثم قال المعترض : نحن نعلم أن هذه المسألة خلافية وأن الحنفية وبعض المالكية ومتأخري الشافعية قالوا باحتمال وصول ثواب القراءة للميت ...الخ

أقول : ما دام المعترض ومن معه يعلمون أن المسألة خلافية فكيف نسب قبل ثلاثة أسطر إلى المالكية والشافعية بإطلاقٍ القول بعدم الوصول ؟ فما هذا التناقض في عرض المسائل ؟

ثم لم أغفل المعترض مذهب الحنابلة وكلام الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ؟ فلم يتعرض لمذهبهم حتى ولا بعبارةٍ واحدة ؟

6- ثم قال المعترض : ولكن هذا لا يسمح أبداً لمن يأخذ بهذه الفتوى أن يجعل أصحابها هم جمهور السلف ويلغي أقوال السلف وأئمة المذاهب المتقدمين المخالفين لهذه الفتوى ...الخ

أقول : تقدم كلام الإمام السيوطي والإمام ابن القيم رحمهما الله وأنهما نسبا القول بوصول ثواب القراءة إلى جمهور السلف وهو مذهب الحنفية والحنابلة وبعض المالكية ومتأخري الشافعية بحسب اعتراف المعترض وهؤلاء هم الجمهور بالنسبة لمخالفيهم .

ويجب التنبيه إلى أن قول من قال من أهل السنة والجماعة بعدم الوصول موافق لمذهب المبتدعة المعتزلة والوهابية ، والقائلون بالوصول مخالفون لمذهب المبتدعة المعتزلة والوهابية ، ولَأن نكون مع أهل السنة والجماعة المخالفين للمعتزلة والوهابية في هذه المسألة وفي غيرها أحب إلينا من أن نكون من الموافقين لهم وذلك لوجوب التبرؤ مما صار شعاراً للمبتدعة المخالفين وعدم التشبه بهم في شيءٍ من عقائدهم أو هيئآتهم .

ولهذا لم يسلم بعض علماء الشافعية والمالكية قول الإمامين الشافعي ومالك رحمهما الله في عدم الوصول وأولوه لهما وما ذلك إلا للخروج من موافقة المعتزلة في عصرهم ، ولو كانوا في عصرنا لأجمعوا على الوصول لأنه صار شعاراً لأهل السنة والجماعة وما ذلك إلا للخروج من موافقة الوهابية الخوارج .

وقد تقدم جواب العلماء القائلين بالوصول عن قوله تعالى :(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى){ النجم:39}

- وفيها احتمالات ووجوه وقد أجاب عنها الشيخ ابن القيم رحمه الله في كتاب / الروح / بما تقدم ، والدليل إذا تطرق له الاحتمال بطل به الاستدلال .

وقال الشيخ ابن القيم في الصفحة /142/ من كتاب الروح في الجواب عن قول من قال : ــ لو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه النبي صلى الله عليه وسلم ــ إن كان مورد هذا معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار قيل له : ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال ؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات ، وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع .

أقول : نظراً إلى أن المبتدعة الوهابية الخوارج وافقوا الظاهرية في نفي القياس وزادوا عليهم بنفي الإجماع أيضا فرّقوا بين المتماثلات فقالوا بوصول ما ورد به النص ووقفوا عنده جموداً منهم وجحوداً وطعنوا بمذاهب الأئمة الأربعة وأتباعهم القائلين بالإجماع والقياس .

7- ثم أورد المعترض كلام الإمام ابن كثير رحمه الله المتعلق بالمسألة

أقول : مادامت المسألة خلافية فإنه لا يحتج بكلام العلماء بعضهم على بعض لوجود التعارض فيما بينهم 0 وقد تقدم من نسب إلى الجمهور القول بالجواز .

8- ثم قال المعترض : إذا استدل الإمام الشافعي بالآية فهذا لأنه إمام في اللغة

أقول : هل يقبل المعترض ومن معه من الوهابية جميع استدلالات الإمام الشافعي رضي الله عنه ويقولون بها ويعللون ذلك بقولهم لأنه إمام في اللغة ؟

أم يقبلون منها ما يوافق أهواءهم ويدعون ما سوى ذلك ؟

-

-

-

-

-

9- ثم قال المعترض : وليس كالذي لا يحسن إنشاء جملة معربة كما هو ظاهر في كتابة هذا

أقول : هذا الطعن والقدح بالحبيب الجفري لا مبرر له ، إلا التعصب والحقد والعداوة الباطنة ، وما ذلك إلا لأنه خلاف الواقع ، فهذه مئات محاضرات وخطب الحبيب الجفري التي أحسن فيها إنشاء الكثير من الجمل المعربة والكلام البلاغي والتي لا يستطيع المعترض ومن معه أن يأتوا بعُشر مِعشار ما جاء به ،

وقد شهد له شيخ القراء محمد كريم راجح شفاه الله وعافاه عندما سمع كلمته في معهد الفتح الإسلامي بدمشق بأنه كلام العلماء الربانيين وقال ما معناه عندما عقَّب على كلامه : كلنا يتكلم من الأرض إلى السماء إلا الحبيب الجفري فإنه يتكلم من السماء إلى الأرض ، وشهد له بأنه عبد مُلْهم ، وكلامه مسجل ولِمَ لم يكتب المعترض شهادة شيخ القراء هذه ليكون منصفاً في حق الرجل وذكر ماله وما عليه ؟

10- ثم علَّق المعترض على قراءة الحضارمة والتي كما قال أخذوها بالتلقي عن شيوخهم وكانوا يقرؤون بها في تريم .

أقول : تقدم في كلام المعترض ص/67/ ما رواه الإمام ابن الجزري رحمه الله في كتابه (المنجد)من جواب شيخه إمام الأئمة أبي المعالي رحمه الله وفيه قوله : انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم ، فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم ...الخ

وما دام الحضارمة كما قال المعترض أخذوا قراءهم تلك بالتلقي عن شيوخهم فالأمر فيه سعة إن شاء الله تعالى والمعوَّل على القبول عند الله تعالى ، على أن المتأخرين من الفقهاء قالوا بجواز الصلاة والقراءة فيما تقارب مخرجه من الحروف وخصَّ بعضهم هذا الحكم بالعوام دون العلماء ، على أن الحضارمة فيهم علماء وفقهاء وقراء وهم أحرص على صحة عبادهم على حسب القواعد التي تلقوها وعلى قبولها عند الله تعالى من حرصنا عليها .

ولا يعقل أن يكون المعترض وأمثاله أحرص على صحة عبادات الحضارمة من القائمين بها أنفسهم .

ثم أورد المعترض النقد اللطيف الذي وجهه شيخ القراء للحبيب الجعفري في مدرج جامعة دمشق !

أقول : لم يكن النقد لطيفاً بل كان إهانة للحبيب الجفري ولمن حضر من شيوخ القراء المكرمين ولمن حضر تكريمهم وهو خطأ غير مبرر ،

- ويتنافى مع إكرام الضيف الذي أمرنا به في الشرع ويتنافى مع الآداب الإسلامية العامة .

أين هذا التصرف من شيخ القراء من خلق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان لا يواجه أحداً بما يكرهه وكان يقول / ما بال أقوام يقولون كذا وكذا / ولم يصرح ولم يعين أحداً ، ولم يُوقع أحداً في خَجل أو حياء أمام عامة الناس ؟

-

- الحبيب الجفري جاء من بلاد أخرى لتكريم شيخ القراء ومن معه ، وشيخ القراء يهنيه ويخجله على الملأ !!!
وربما يقول :(هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَان){الرحمن:60}

- والدليل على خطأ الشيخ في هذا النقد أنه في اليوم الثاني اعتذر من الحبيب الجفري على الملأ في مسجد الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله ويأتي بعد ذلك المعترض في تعليقه هذا ليذكر نقد الشيخ دون أن يذكر اعتذاره ، فأي فائدة من ذكر النقد بعد الاعتذار ؟ الفائدة أن المعترض اعتبر من الشيخ نقده فنقله ودونه ولم يعتبر منه اعتذاره فألغاه وليطعن بالحضارمة كلهم ويتدخل في عباداتهم وقراءاتهم ويحكم عليها بعدم الصحة والقبول ، ويسمي ذلك كله وفي نظره النقد اللطيف .

لا إنه النقد الهدام و اللا أدبي الصادر عن الوهابية وهم قوم لم تتزك نفوسهم بتزكية الإسلام ولم تتخلق بأخلاقه وآدابه الخاصة والعامة .

11- ثم قال المعترض : ثم إن الشافعي استدل بالآية لأنه يعلم أنها أتت لتبين الحق ولتثبت الفهم الصحيح ... الخ
أقول : استدل بالآية أيضاً المبتدعة المعتزلة كما تقدم ، وردَّ فقهاء المذاهب استدلال الإمام الشافعي رضي الله عنه بها وأولوها كما تقدم على ستة وجوه ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

12- ثم قال المعترض : فمعنى ذلك أنّ استدلال القرآن خطأ – والعياذ بالله –

أقول : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا نسخه أو تخصيصه وعلى القول بأنّ الآية شرع من قبلنا تكون شرعاً لنا ولكنها في الإنسان وهو الكافر وذلك من باب العدل وهو قول من الأقوال الستة المتقدمة ، فخُصَّ من عمومها المؤمن فله ما سعى وما سعي له من باب الفضل ، وذلك بسبب الإيمان . وقد تقدم في كلام العلماء رحمهم الله تعالى ما يشير إلى ذلك فليراجع .

13- ثم قال المعترض : والعجيب من الجفري أنه يطالب الآخرين بعدم الإنكار عليه ... الخ

أقول : إذا كان الحبيب الجفري يأتي بالرأي من عنده ولم يسبقه إلى القول به أحد من أئمة السلف والخلف فرأيه حينئذٍ قابل للقبول والرد

/ وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم /

أما إذا كان الحبيب الجفري يقول قولاً قيل قبله وسبقه إليه الأئمة والعلماء فلا سبيل للإنكار عليه بل على المنكر أن ينكر القول على قائله من الأئمة والعلماء لا على ناقله .

أما قول المعترض : مع أنهم يستندون إلى أدلة شرعية ظاهرة ويتابعون السلف والأئمة .

أقول : إذا كان الآخرون وهو الوهابية يستندون إلى أدلة شرعية ظاهرة ويقولون بظاهرها ولم يقل بها إمام مجتهد فالإنكار متعين عليهم فيما خرجوا به عن الأئمة لخرقهم الإجماع .

-

وما قاله الإمام المجتهد هل هو المعمول به في مذهبه لدى المتقدمين والمتأخرين أم رُجِّح غيره عند المتأخرين ؟ وهل هو الراجح المفتى به أم لا ؟

ثم هل الوهابية يتابعون سلفنا من الأئمة المجتهدين أم لهم سلف آخر من الكرامية والمشبهة والظاهرية والحشوية ؟ فلا بدّ من تحديد المراد بالسلف والأئمة عند هؤلاء ، ولِمَ يريدون من السواد الأعظم من الأمة أن يتركوا اتباع الأئمة المجتهدين المجمع على إمامتهم ويتبعوا مشايخهم ممن لم يبلغ رتبة الإمامة والاجتهاد ؟

14– ثم قال المعترض : في حين يسمح لنفسه أن ينكر عليهم بكل وسيلة مع افتقاره إلى الدليل والحجة ...الخ

أقول : ما دام إنكاره على المبتدعة الوهابية الخوارج مستنداً إلى أقوال العلماء والأئمة المستنبطة من النصوص والإجماع فإن الشرع سمح له ولأمثاله بذلك الإنكار .

أما قول المعترض : بل ومع مخالفته للمذهب الشافعي الذي يدّعي أنه ينتسب إليه .

أقول : هو لم يخالف المذهب الشافعي لأن القول الذي قاله عليه المتأخرون من الشافعية باعتراف المعترض نفسه فيما سبق وهو الراجح المعمول به والذي اختاره عدد من كبار أئمة المذهب .

أما أن الحبيب الجفري يدعي الانتساب إلى المذهب فهو افتراء من المعترض لأن الحبيب الجفري لا يدعي مجرد الانتساب إلى المذهب ويتعمد مخالفته كما توهم المعترض

- وإنما هو فقيه شافعي متمكن من فقه مذهبه ولا يتعمد مخالفة حكم راجح ومفتى به فيه .

15– ثم قال المعترض : لقد سئل عن مسألة فبدل أن يجيب عنها ويبين مذهبه فيها ...الخ

أقول : الحبيب الجفري أجاب عنها وتبين المختار من مذهبه فيها ، وأنكر على الوهابية والمعتزلة إنكارهم للراجح المفتى به من أقوال علماء المذاهب الفقهية ، وأنكر عليهم اتباعهم للقول المرجوح غير المفتى به في هذه المسألة .

وقول المعترض : وليته بين أدلته ...الخ

أقول : ها أنا قد بينت بعض الأدلة وناقشت الأمر علمياً نقلاً من كلام العلماء القائلين بالوصول والحبيب الجفري لم يدع أموراً غير صحيحة لأن ما قاله مذكور في كلام العلماء والأئمة من قبل وإنما هو ناقل لها فقط ، ولم يقلب الحقائق رأساً على عقب كما افترى المعترض عليه وكذب وإنما أظهر الحقائق كما هي .

والحبيب الجفري لا يبيح لنفسه ولا لغيره أن ينكر شيئاً بغير حق ، ولا يباح للآخرين من الوهابية أن ينكروا عليه في مسألة خلافية لم ينعقد الإجماع على قول فيها دون قول ولا أن يدَّعوا أنَّ الحق معهم فيها ، بل الحق مع الجمهور القائلين بالوصول كما تقدم من كلام الشيخ ابن تيمية والشيخ ابن القيم وغيرهما رحمهم الله تعالى .

16– ثم قال المعترض : وأعجب من ذلك أنه يرفض أن يصف المخالفون له فعله هذا بالبدعة .. الخ

أقول : تقدم في رد الاعتراضين **18–19** بيان البدعة وأقسامها فلتراجع

–

وعلماء المذاهب الأربعة القائلون بالقياس قسَّموا البدعة إلى خمسة أقسام ، والوهابية الخوارج نفاة القياس جعلوا البدعة منحصرة في الحرام والمكروه فقط ، فإذا كان المعترض يقول بما عليه علماء المذاهب من القياس فليذكر لنا من أيِ قسم من أقسام البدعة الخمسة هذه المسألة ومن قال بذلك من العلماء والأئمة ؟

وإن كان على مذهب الوهابية فلا يلتفت إلى قولهم إنها بدعة لخروجهم عن قواعد الأصول المجمع عليها في استنباط أحكام الوقائع والنوازل .

17– ثم قال المعترض : ثم عرّف هذه البدعة فقال : هي معصية في الاعتقاد .

أقول : لقد صدق الحبيب الجفري في تعريفه للبدعة الضلالة بأنها معصية في الاعتقاد ولم يرد أن القراءة على الموتى معصية في الاعتقاد كما توهم المعترض عندما قال : ثم عرّف هذه البدعة ، بل أراد الحبيب الجفري بيان المراد من البدعة الضلالة عند الإطلاق ، على أنه لا ينكر هو ولا غيره من علماء أهل السنة البدعة العملية ولكنهم قائلون بتقسيمها إلى خمسة أقسام قياساً الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام ، كما تقدم .

ثم ما يقول المعترض وأمثاله في مبتدعة العقائد الضالة كالمجسمة والمشبهة والكرامية والخوارج والوهابية وأمثالهم هل ما قالوه في العقائد يسميه المعترض وأمثاله سنة ، ويسمونهم أيضاً أهل السنة ؟

أم أنّ ما قالوه من البدع الضلالات وأنّ بدعهم تلك في العقائد ؟ فقد صحّ قول الحبيب الجفري حينئذٍ وبطل قول المعترض بعدم وجود بدعة في الاعتقاد .

18– ثم قال المعترض : وأظن أن غرضه أصبح واضحاً للجميع ...الخ

أقول : الحبيب الجفري وأمثاله من علماء أهل السنة لا يرون ما ثبت بالقياس وجوبه أو ندبه أو إباحته بدعة محرمة أو مكروهة في العبادات كما يقول بذلك الوهابية الخوارج ، بل يرون أنّ الثابت بالقياس وجوبه أو ندبه أو إباحته من اعتقده محرماً أو مكروهاً فقد ابتدع بدعة ضلالة عقيدة وعملاً فمن اعتقد المباح أو المندوب أو الواجب حراماً أو مكروهاً لا يقل في الإثم عمن اعتقد الحرام أو المكروه مباحاً ، وهذا الذي وقع به الوهابية نفاة القياس .

وقول المعترض : وهذا أمر مخالف لكل أقوال العلماء ولا سلف له فيه .

أقول : من هؤلاء العلماء ومن السلف الذين عناهم المعترض ؟

إن كانوا القائلين بالقياس في الأحكام الشرعية فكلام الحبيب الجفري موافق لهم غير مخالف ، وإن كانوا الوهابية نفاة الإجماع والقياس فلا يلتفت إلى قول علمائهم وسلفهم من قبل عالم سني كالحبيب الجفري لأنهم مبتدعة مخالفون لأهل الحق وتبين بهذا أن المعترض له سلف غير سلفنا وله علماء يعتبرهم غير علمائنا ، وغرضه من ذلك التشويش على العامة وإظهار الحق بمظهر الباطل والباطل بمظهر الحق .

وهذه هي طريقة الوهابية في كتبهم وخطبهم (قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون){التوبة:**30**} .

19- ثم قال المعترض معلقاً : عندما انتقد العلماء على الجفري مسألة تعظيمه للقبور ...الخ

أقول : ليت المعترض بين لنا من العلماء المنتقدون وهل هم من علماء أهل السنة أم من المبتدعة الوهابية ؟ وهنا مسائل لا بد من بيانها :

1* مسألة تعظيم القبور : ألف العالم المحدث الشيخ أبو الفيض أحمد الغُماري رحمه الله رسالة سماها / إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور / وفيها :

وأما الأولياء والصالحون فنص جماعة على جوازه بل استحبابه – أي البناء على القبر – في حقهم تعظيماً لحرمتهم وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعد معه الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم .

وقد أفتى الحافظ السيوطي باستثناء قبور الأولياء والصالحين ولو كانت في الأرض المحبسة – أي الموقوفة – ووافقه جماعة ممن جاء بعده من فقهاء الشافعية وقد ذكر هو ذلك في جزء سماه – بذل المجهود في خزانة محمود – فقال :

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه أن بعض السنين ببغداد مُنع معلموا الأطفال من تعليمهم في المساجد إلا رجلاً واحداً كان موصوفاً بالخير فاستثنوه من المنع وأنهم استفتوا الماوردي صاحب الحاوي من أئمتنا والقدوري من أئمة الحنفية فأفتوا باستثنائه واستدلوا بأنه صلى الله عليه وسلم قال :(سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ){أخرجه البخاري برقم:447 عن ابن عباس رضي الله عنهما}

- فقاسوا استثناءهم لهذا الرجل على استثناء خوخة أبي بكر رضي الله عنه ، وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلا الأئمة المجتهدون كالماوردي والقدوري ونحوهما وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة فأفتيت بهدمها كما هو المنقول إلا مشاهد الصالحين فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنعه الماوردي والقدوري ا.هـــ

وهذا إنما هو لأجل كونها واقعة في الأرض الموقوفة ، وأما ما لم يكن فيها فقوله فيه الجواز مطلقا .

وفي حواشي البجيرمي على شرح الخطيب : نعم استثنى بعضهم قبور الأنبياء والشهداء والصالحين ونحوهم ، وعبارة الرحماني : نعم قبور الصالحين يجوز بناؤها ولو بقبة لإحياء الزيارة والتبرك ، قال الحلبي : ولو في مسبلة وأفتى به ا.هـــ

وفي شرح العميري على العمل الفاسي : والعمل بالبناء على القبور جاز أيضاً وقد كتب شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي في ذلك : ولم يزل الناس يبنون على مقابر الصالحين وأئمة الإسلام شرقاً وغرباً كما هو معلوم وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها ، ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدمة على قبور الأنبياء لم تندرس وتجهل ا.هـــ

وفي نوادر الأصول عن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كل عام فترمه وتصلحه لئلا يندرس أثره فيخفى على زائره ، وفي شرح التوربشتي على المصابيح : وقد أباح السلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم الناس وليستريحوا بالجلوس فيها ا.هـ

أقول : وذكر المحدث الغماري في رسالته المذكورة كثيراً من فتاوى في استحباب ذلك فلتراجع .

2* إتيانه لبعض الأضرحة في مواسم خاصة :

فقد ثبت كما تقدم أن السيدة فاطمة رضي الله عنها كانت تزور قبر عمها سيدنا الحمزة رضي الله عنه وترمه وتصلحه ، وقد تقدم في رد الاعتراض العشرين كلام العلماء في حديث :(وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا)

- {أخرجه أبو داود برقم:1746 عن أبي هريرة رضي الله عنه} فليراجع .

3* سجود بعضهم على القبور وطوافهم بها : تقدم في فتاوى العلماء حرمة ذلك الفعل .

ثم قال المعترض : قال / أي الحبيب الجفري / إنها مسألة فقهية لا دخل لها بالعقائد .

أقول : ذكر العلماء أحكام القبور وإتيان الأضرحة وسجود بعضهم عليها وطوافهم بها في كتب الفقه ، ولم تذكر في كتب العقائد وذلك أن المؤمن لا يعتقد أن صاحب القبر الذي يسجد له أو يطوف به ينفعه أو يضره بنفع أو ضرٍ ذاتي حتى يكون سجوده أو طوافه عبادة له فلما تجرد السجود والطواف عن هذا الاعتقاد اكتفى العلماء ببيان حرمة ذلك الفعل ومن اعتقد ذلك فهو مشرك مرتد عن الدين الحق دون الحكم على فاعله بالردة أو الكفر أو الشرك .

20- ثم قال المعترض : في حين نجده هنا وصف بدعة القراءة للموتى : إنها معصية في الاعتقاد .

أقول : الحبيب الجفري لم يجعل وصف القراءة للموتى بدعةً ضلالةً ولم يجعلها من قبيل المعصية في الاعتقاد فلا دخل للاعتقاد في هذه المسألة ، فهذا الكلام من المعترض اتهام للحبيب الجفري بما هو بريء منه أليس هذا عجيبا ولا يمت للعلم بصلة ؟

21- ثم قال المعترض : ألم يكن بوسعه أن يجيب السائل فيقول ...الخ

أقول : كان بوسعه ذلك قبل ظهور الوهابية وبدعهم وشبههم ، أما بعد الظهور فلا يسعه السكوت بل يتعين عليه وعلى أمثاله من العلماء رد بدعهم والجواب عن شبههم .

22- ثم قال المعترض : والذي أحب أن أقوله في هذا المقام ...الخ

أقول : والذي أحب أن أقوله في هذا المقام أنّ أهل العلم القائلين بوصول ثواب القراءة للميت يقولون للناس : اقرؤوا القرآن تقرباً إلى الله تعالى ثم قولوا : اللهم اجعل ثواب ما قرأناه في صحيفة فلان أو فلانة ، وقد تقدم اشتراط المتأخرين الشافعية وغيرهم ذلك .

-

وهذا لا خلاف فيه بين أهل الحق ولا ينكره أحد منهم خلافاً للوهابية ولا عبرة بخلافهم .

ثم كيف يقول المعترض عن القراءة والدعاء – فائدته قطعية – ؟ معنى ذلك أنه واجب على الله تعالى قبوله والثواب عليه ، وهذا هو مذهب المعتزلة القائلين بالوجوب على الله سبحانه ، وخالفوا في ذلك أهل الحق القائلين بعدم الوجوب عليه سبحانه .

فالمعترض على مذهب المعتزلة في هذه المسألة من وجهين :

1* بموافقتهم على القول بعدم وصول الثواب إلى الميت

2* بقولهم بالوجوب القطعي على الله في القبول والإثابة للقراءة والدعاء .

وقوله – إن شاء الله – يناقض القول بالقطع لأنّ القطعي لا يتخلف لوجود الوعد أو الوعيد أو الأمر أو النهي ، فمثله كمثل رجل يقول : محمد رسول الله إن شاء الله ، وهذا الاستثناء يعني الشك وهو مخالف للقطعي فيحكم على قائله بالكفر ، أو كرجل يقول : الصلاة فرض إن شاء الله ، وهو شك في فرضيها والعياذ بالله فالمعترض قال بقطعية القراءة والدعاء ثم نقض ذلك بقوله : إن شاء الله أي جعله بالاستثناء غير قطعي .

وقول المعترض : بخلاف الأمر الأول – إهداء الثواب – الذي لا تشهد له نصوص الكتاب والسنة ... الخ

أقول : إذا كان الأمر مسكوتاً عن بيان حكمه نصاً في الكتاب والسنة فلا أمر ولا نهي ، تعيَّن البحث عن بيان حكمه قياساً وذلك لصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ولشموله احكام الوقائع والنوازل فيرجع فيه إلى أئمة الاجتهاد وأتباعهم من العلماء ، فإذا اختلفوا فيه عملنا بالراجح المفتى به ولا ينكر حينئذٍ لوجود الخلاف فيه وعدم الإجماع على إنكاره .

وقول المعترض – وفائدته ظنية – مشكل لأنه قال عند القول بالقطع على الله إن شاء الله ، ولم يقل في مسألة تحتمل الوصول وعدمه إن شاء الله ، ولو قال ذلك لم يُعترض عليه لأن هذه المسألة مرجعها إلى حسن الظن بالله تعالى وإلى فضل الله وكرمه كما قال المعترض في الصفحة /93/ ، والله تعالى عند حسن ظن عباده المؤمنين كما صح في الحديث وقد وعدهم بذلك وكتبه على نفسه تفضلا منه على عباده لا وجوباً منهم عليه .

ثم أين في نصوص الكتاب أو السنة : لا تقولوا بعد القراءة اللهمّ اجعل ثواب ما قرأناه في صحيفة فلان ؟

أليس هذا النهي بالهوى والرأي مضاهاة للشرع الشريف الآمر الناهي ؟

كيف جاز للمعترض أن يجعل من نفسه مشرِّعاً للأمة فينهاها عن شيء نهياً شرعياً لم ترد فيه النصوص ؟

ثم ما الفرق بين أن تدعو الله تعالى بقولك : اللهمّ اجعل ثواب ما قرأناه ...الخ وقولك : اللهم اغفر لهذا الميت وتجاوز عن سيئاته وبارك في حسناته ؟

–

–

ألست تدعوا الله القائل :] ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم [{غافر:60} ؟ ولم يفرق بين دعاءٍ ودعاء .

أليس حسن الظن بالله تعالى أن يستجيب دعاء / اللهم اغفر لهذا الميت / الخ ؟ هو حسن الظن به سبحانه أن يستجيب دعاء / اللهم اجعل ثواب ما قرأناه / الخ فالمؤمن يحسِّن ظنه بالله تعالى عند كل دعاء دون تفريق بين المتماثلات من الأدعية ودون وجوب على الله تعالى ولا حجر عليه سبحانه .

وإذا كان المعترض يلزمنا بالدعاء المأثور دون غيره من أدعية الاضطرار وحسن الظن بالله تعالى فهو رأي منه مخالف لكل أقوال العلماء ولا سلف له فيه ، ولا تشهد له نصوص الكتاب والسنة المطلقة والتي لا حَجَر فيها ولا تضييق ،

- فيضرب برأيه هذا عُرض الحائط بل يُضرب به رأسه ويصفع به على قفاه حتى يخرج الشيطان الذي يجري منه مجرى الدم ، فيعلق توبته و ليرجع إلى الحق وأهله ويتبرأ من الباطل وأهله .

23- ثم قال المعترض : إنّ الأمر الذي ينكره العلماء هو أن يصبح القرآن ...الخ .

أقول : نحن ننكر أن يصبح القرآن وشريعة الإسلام شعاراً للموت والمقابر ولكن لا يعني هذا الإنكار أن نهدي ثواب القراءة لأمواتنا والمسلمين فالشعار شيء والإهداء شيء آخر ، الشعار يعني تعطيل شرائع القرآن وأحكامه في الأفراد والأُسر والجماعات والدول وتخصيصه بالقراءة على الأموات وهذا لا يقول به مسلم ، القرآن الكريم نظام حياة ومصدر دساتير الأمة الإسلامية وقوانينها وشريعتها ولكن كل هذه الكليات لا تنفي جزئية القراءة وإهداء ثوابها فالله تعالى يقول :] وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِين [{الإسراء:82}ومن بيانية وليست تبعيضية والشفاء الذي في القرآن عامّ للأمراض القلبية والنفسية والجسدية والرحمة تعم المؤمنين أحياء وأمواتاً وقد ذكر بعضهم بأنه شفاء للأحياء ورحمة للأموات إلا أني أميل إلى القول بالعموم .

24- ثم قال المعترض : ورحم الله إمامنا الإمام مالك] رحمه الله [كم كان ملتزماً بالهدي النبوي ...الخ

أقول : 1* العبارة فيها لحن وتصحيحها أن تقول : الإمام مالكاً بالنصب لا بالإضافة وربما توهم المعترض أنه ممنوع من الصرف وليس كذلك .

2* ما بين القوسين] رحمه الله [زيادة مني على كلام المعترض .

3* ما ذكره المعترض عن الإمام مالك رحمه الله تعالى من التزامه بالهدي النبوي وهو وصف عام لجميع الأئمة المجتهدين وأتباعهم من العلماء رحمهم الله تعالى أجمعين ، فليس لكلامه مفهوم مخالف لأنه لم ينفرد بذلك الوصف دون غيره .وكذلك القول في وصفه ببعد النظر .

4* ما نقله عن الإمامين القيرواني والحطاب رحمهما الله تعالى : تقدم جواب بعض أئمة الفقه المالكي أنه محمول على من فعله استناناً أي : على أنه سنة .

وتقدم قول الإمام النووي رحمه الله نقلاً عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنهم إذا قرؤوا القرآن كله على القبر فحسن .



الدفاع عن الحبيب الجفري 35 (العطف في "الله والرسول" واعتراضات متفرقة)

1- قال المعترض : من الذي منع عطف الرسول على الله وقد جاء هذا العطف في القرآن الكريم عشرات المرات ؟

أقول : الذي منع عطف الرسول على الله تعالى هم الوهابية ويلزم على مذهبهم الفاسد تغيير آيات القرآن الكريم التي فيها العطف بالواو فتجعل بالعطف بثم ويلزم تغيير كلمات الأحاديث النبوية وكلمات الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة وبعدها كذلك خشية الشرك في زعمهم .

وسأعرض بعض النصوص القرآنية الكريمة ثم الأحاديث النبوية

ثم أقوال الصحابة التي فيها العطف بالواو :

آ* بعض نصوص القرآن الكريم : يقول الله تعالى :

*** ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ﴾{آل عمران:32} وقد جعل الله تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له فقال سبحانه : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾{النساء:80}**

*** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ﴾{الأنفال:27}**

*** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾{الأنفال:24}**

وانظر إلى قوله : ﴿ دَعَاكُم ﴾ لأن دعوة الرسول دعوة الله ، والاستجابة للرسول استجابة لله .

*** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ﴾{المائدة:55}**

ولا معارضة بين هذا النص وبين قوله سبحانه : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾{البقرة:275}

فبين الرسول وبين المؤمنين ولاية النصرة في الغيب والشهادة بإذن الله ، فلو قال مسلم يا رسول الله أنت وليي أو تولني فليس بمشرك لأن الله جعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بإذنه وهذا كولاية الملائكة عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾{فصلت:31} .

*** ﴿ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾{التوبة:29} فتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه تعالى فهو كتحريم الله تعالى سواء .**

*** ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾**

{التوبة:59} فالآية أثبتت للرسول صلى الله عليه وسلم إيتاءً وفضلاً يؤتيه الله تعالى لعباده على يديه .

- **﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾{التوبة:62} فجعل الله تعالى إرضاء رسوله صلى الله عليه**



وسلم إرضاء له .

* ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾{التوبة:74} ففي النص بيان أن للنبي صلى الله عليه وسلم إغناءً بإذن الله .

* ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾{الأحزاب:22} فوعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو وعد الله على لسانه ، وتصديق الرسول تصديق لله .

* ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾{الأحزاب:36} فقضاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر هو قضاء الله تعالى على لسانه .

* ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ﴾{المائدة:56} أي يتخذ الله ورسوله والذين آمنوا أولياء ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾{التحريم:4} فكان يكفي على المذهب الوهابي أن يقول : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ فقط .

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾{البقرة:279} وحرب الرسول صلى الله عليه وسلم لآكلي الربا باقية مستمرة في حياته البرزخية كحياته الدنيوية ، وإلا لكان المحاربون من أكلة الربا قليلاً ومحصورين في عهد النبوة ، مع أن الكثرة جاءت من بعد ذلك إلى قيام الساعة وتخصيص العام دون مخصِّص مردود .

* ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾{الأحزاب:31} وأصل القنوت القيام في الطاعة ، فجعل قيام أمهات المؤمنين في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم المسمى بالقنوت طاعة لله تعالى

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾{الحجرات:1} فكما نهي المؤمنون عن التقديم لأمر بين يدي الله نهوا كذلك عن التقديم بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم .

وغير ذلك من النصوص كثيرٌ ، فعلى مذهب الغلاة من المبتدعة الوهابية كان الواجب على الله أن يعطف بثم لا بالواو حتى لا يوقع الأمة في الشرك ، ومعنى ذلك أنه لما عطف بالواو أوقعهم في الشرك ، ونعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد .

ب – بعض الأحاديث النبوية الصحيحة والتي فيها العطف بالواو :

من موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى :

* عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : ﴿ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ﴾الحديث

* فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَا هَاءَ اللَّهِ إِذًا لَا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِه

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَه

* قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ قَالَتْ فَقُلْنَ اللَّه وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴾

من صحيح البخاري ومسلم :

* ﴿ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ﴾

* قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : ﴿ عَامَ الْفَتْحِ وَهُو بِمَكَّةَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّم بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ﴾

* وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

* فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُل يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَال يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْه ﴾

- ﴿ فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِن اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ فَأُكْفِئَت الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا ﴾

* ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى الْحَوْضِ ﴾

* ﴿ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ﴾

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم : ﴿ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَم وَأَشْجَع وَغِفَارُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّه وَرَسُولِه ﴾

* ﴿ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُم اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ قَالَ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلَّمَا قَال شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ﴾

* ﴿ قَالَ كَلَّا إِنِّي عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّه وَإِلَيْكُمْ وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُم فَأَقْبَلُوا إِلَيْه يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ وَاللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِاللَّه وَبِرَسُولِه فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّه وَرَسُولَه يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ ﴾

* عَنْ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ﴿ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّه نَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَن يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْن يَدَيْ السَّاعَة مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَد وَمَن يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾{سنن أبي داود:**925/1809**}

* عَنْ عَبْد اللَّه رضي الله عنه قَال : ﴿ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الْحَاجَة أَنْ الْحَمْدُ لِلَّه نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

{ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِه وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون }{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } ﴾

- * عَنْ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ ذَكَرَ نَحْوَهُ وَقَالَ بَعْدَ قَوْلِه وَرَسُولُه أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَة مَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّه لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾

* أَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّه وَرَسُولِه

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَال : ﴿ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ كَيْف أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيه بِالْوَصِيف يَعْنِي الْقَبْرَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم أَو مَا خَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ أَوْ قَال تَصْبِرُ ﴾

* كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَال : ﴿ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ ﴾ {سنن الترمذي}

* ﴿ وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِه نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّه وَرَسُولِه لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة إِلَّا النَّارُ ﴾

* ﴿ فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِه ﴾

سنن النسائي

* ﴿ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لِتَتُبْ هَذِه الْمَرْأَةُ إِلَى اللَّه وَرَسُولِه ﴾

ج – أقوال بعض الصحابة رضي الله عنهم والتي فيها العطف بالواو :

من صحيح البخاري ومسلم :

* وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

*قالت عائشة رضي الله عنها : قُلْتُ أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ

* إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْك بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ﴾

* عَنْ نَافِعٍ قَالَ : لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَة يَزِيدَ بْن مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : ﴿ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَة وَإِنَّا قَد بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّه وَرَسُوله وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّه وَرَسُوله ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُم خَلَعَهُ وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْر إِلَّا كَانَتْ الْفَيْصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ﴾

* عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ﴿ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِير فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَام عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِه الْكَرَاهِيَة فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَتُوبُ إِلَى اللَّه وَإِلَى رَسُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا أَذْنَبْتُ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا بَالُ هَذه النُّمْرُقَة قُلْت اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنَّ أَصْحَابَ هَذه الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَة يُعَذَّبُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَقَالَ إِن الْبَيْتَ الَّذِي فِيه الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال : ﴿ لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنْ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ قَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَد رَجُلٍ فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَدْ سَأَلَنِي اثْنَان وَهَذَا الثَّالِثُ أَوْ قَالَ سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي ﴾{صحيح مسلم}

سنن النسائي

* عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رضي الله عنه : ﴿ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَاعِيًا فَأَتَى رَجُلًا فَآتَاهُ فَصِيلًا مَخْلُولًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثْنَا مُصَدِّقَ اللَّه وَرَسُوله وَإِنَّ فُلَانًا أَعْطَاهُ فَصِيلًا مَخْلُولًا اللَّهُمَّ لَا تُبَارِك فِيه وَلَا فِي إِبِلِه فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَجَاءَ بِنَاقَة حَسْنَاءَ فَقَالَ أَتُوبُ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيه وَفِي إِبِلِه ﴾



* ﴿ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْت لِأَهْلِكَ قَال أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

* حديث أبي ذر رضي الله عنه : ﴿ أنه تبع النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فجلس قال فجلست عنده فقال يا أبا ذر ما جاء بك قال قلت الله ورسوله قال فجاء أبو بكر فسلم وجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما جاء بك يا أبا بكر قال الله ورسوله قال فجاء عمر فجلس عن يمين أبي بكر فقال يا عمر ما جاء بك قال الله ورسوله ثم جاء عثمان فجلس عن يمين عمر فقال يا عثمان ما جاء بك قال الله ورسوله قال فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات أو تسع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً

كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ﴾. قال في مجمع الزوائد : رواه البزار باسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف .

2- ثم قال المعترض : المسألة هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أمامه رجل ...الخ

أقول : المسألة ليست كذلك ولكن المصنف لشدة تعصبه للوهابية التي نشأ عليها ولا يعرف شيئاً غيرها صار يخلط بين الأمور ويلبّس على الناس فوقع في المحذور .

وإليك أخي القارئ البيان :

1* ألفاظ الحديث المذكور :

أخرجه الإمام مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ولفظه : ﴿ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْس الْخَطِيبُ أَنْتَ قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ فَقَدْ غَوِيَ ، وأخرجه الإمام أحمد بلفظه .

وأخرجه أبو داود عنه ولفظه : ﴿ أَنَّ خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ رَشَدَ وَمَن يَعْصِهِمَا فَقَالَ قُمْ أَوْ اذْهَبْ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ ،

وأخرجه الإمام أحمد بلفظه وفيه : ﴿ جَاءَ رَجُلَان إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم فَتَشَهَّدَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ مَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ قُمْ ﴾ .

وأخرجه النسائي عنه ولفظه : ﴿ تَشَهَّدَ رَجُلَان عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم فَقَالَ أَحَدُهُمَا مَنْ يُطِعْ اللَّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِد وَمَنْ يَعْصِهِمَا فقدْ غَوَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ .

وفي مسند الشافعي والسنن والآثار للبيهقي زيادة ﴿ ولا تقل من يعصهما ﴾ ،



أقوال الأئمة والعلماء في معنى هذا الحديث :

* قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح الإمام مسلم رحمه الله ما نصه :

قال القاضي وجماعة من العلماء : إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : ﴿ لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِن قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ ﴾{سنن أبي داود برقم:4328 عن حذيفة رضي الله عنه}.

والصواب أن سبب النهي أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ﴾{أخرجه البخاري برقم:5775 عن أنس رضي الله عنه}

وأما قول الأولين فيضعف بأشياء منها أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ﴾

- {أخرجه البخاري برقم:15 عن أنس رضي الله عنه} وغيره من الأحاديث وإنما ثنى الضمير ههنا لأنه ليس خطبة وعظ وإنما هو تعليم حكم فكلما قلّ لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف خطبة الوعظ فإنه ليس المراد حفظه وإنما يراد الاتعاظ بها ومما يؤيد هذا ما ثبت في سنن أبي داود بإسناد صحيح برقم:1809 عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ﴿ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا { اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون }{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } ﴾ .

* عَنْ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ ذَكَرَ نَحْوَهُ وَقَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ وَرَسُولُه أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّه لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾

* عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ﴿ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا من يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْن يَدَيْ السَّاعَةِ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَد وَمَن يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّه شَيْئًا ﴾{سنن أبي داود:925/1809}

أقول : قول الإمام النووي رحمه الله معارض بما في حديث خطبة الحاجة ﴿ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ ﴾ كما ذكر ذلك هو في آخر كلامه وهي خطبة وشأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز إلا أن يريد خطبة الوعظ فقط كما أشار إليه في أول كلامه .

والذي أراه أن خطبة الحاجة تقال في النكاح وغيره كما ذهب إليه الأكثرون وتقال كما وردت في النص دون تغيير ولا تبديل ، وأن النهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الخطيب لا لجمعهما في ضمير واحد وإنما لأمرٍ آخر من الوجوه المحتملة التي ذكرها العلماء أو لأمر غيبي الله ورسوله أعلم به فيكون النهي في واقعة عين مختصة بذلك الخطيب لا يقاس عليها ولا عليه فيها غيره والله أعلم .

* قال الإمام الحافظ أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في كتابه / مشكل الآثار / ما نصه :

﴿ باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على أنه لا ينبغي للرجل في كلامه أن يقطعه إلا على ما يحسن قطعه عليه ولا يحوِّل به معناه عما تكلم به من أجله ﴾

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ : ثنا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرَفَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَال : ﴿ جَاءَ رَجُلَانِ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَتَشَهَّدَ أَحَدُهُمَا فَقَالَ مَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ قُمْ ﴾

قَال : وَكَانَ الْمَعْنَى عِنْدَنَا – وَاَللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّ ذَلك يَرْجِعُ إلَى مَعْنَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فَيَكُونُ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَه وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ رَشَدَ وَذَلِكَ كُفْر وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ : وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى ،

- أَوْ يَقِفَ عِنْدَ قَوْله فَقَدْ رَشَدَ ثُم يَبْتَدِئُ بِقَوْله وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى وَإِلَّا عَاد وَجْهُهُ إلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ الَّذِي ذَكَرْنَا كَمِثْلِ مَا عَادَ إلَيْهِ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَل – ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْت وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ إلَى مَعْنَى قَوْلِه – عَزَّ وَجَل – ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْت ﴾ وَكَمِثْلِ مَا عَادَ إلَيْه قَوْلُهُ – عَز وَجَل – ﴿ وَاَللَّائِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إنْ ارْتَبْتُم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاَللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ إلَى مَعْنَى قَوْله : ﴿ وَاَللَّائِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ وَاَللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ إنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ وَإِذَا كَان ذَلِكَ مَكْرُوهًا فِي الْخُطَبِ وَفِي الْكَلَامِ الَّذِي يُكَلِّمُ بِه بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ – أَشَد كَرَاهَةً ، وَكَانَ الْمَنْعُ مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْكَلَامِ بِذَلِك أَوْكَدَ ، وَاَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيق

* قال العالم العلامة ابن علان الصديقي رحمه الله تعالى في شرحه على الأذكار ما نصه :

قوله : / بئس الخطيب أنت / قال القرطبي : ظاهره أنه أنكر عليه جمع اسم الله تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم في ضمير واحد ويعارضه ما تقدم في حديث ابن مسعود في خطبة النكاح ﴿ ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ﴾ رواه أبو داود وفي حديث أنس : ﴿ ومن يعصهما فقد غوى ﴾ وهما صحيحان ويعارضه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي ﴾ فجمع بين ضمير الله وملائكته ، ولهذه المعارضة صرف بعض القراء هذا الذم إلى أن ذلك الخطيب وقف على ﴿ ومن يعصهما ﴾

وهذا تأويل لم تساعده الرواية – إلى أن قال – فظهر أن ذمه من حيث الجمع بين الاسمين في ضمير واحد وحينئذ توجه الإشكال ويتلخص عنه من أوجه :

أحدها : أن المتكلم لا يدخل تحت عموم خطاب نفسه إذا وجهه لغيره فقوله / بئس الخطيب أنت / منصرف لغيره صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى ،

ثانيها : أن إنكاره على ذلك الخطيب يحتمل أن يكون كان هناك من يتوهم التسوية من جمعهما في الضمير الواحد فمنع ذلك من أجله وحيث عدم ذلك جاز الإطلاق ،

ثالثها : أن ذلك الجمع تشريف ولله تعالى أن يشرف من شاء بما شاء ويمنع من مثل ذلك الغير كما أقسم بكثير من المخلوقات ومنعنا من القسم بها فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي ﴾ وكذا أذن لنبيه صلى الله عليه وسلم في إطلاق مثل ذلك ومنع منه الغير على لسان نبيه ،

رابعها : أن العمل بخبر المنع أولى لأنه تقعيد قاعدة والخبر الآخر يحتمل الخصوص كما قررناه ، ولأن هذا الخبر ناقل والآخر مبقى على الأصل فكان الأول أولى ولأنه قول والثاني فعل فكان أولى ا.هـ

وسبق عن المصنف في أذكار النكاح أن الصواب أن سبب النهي ، ثم ساق كلام الإمام النووي رحمه الله بتمامه ثم قال : وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يجوز له الجمع في الضمير بينه وبين ربه تعالى وذلك ممتنع على غيره ، قال : وإنما امتنع على غيره دونه لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك ا.هـ

أقول : ما ذهب إليه الإمام الطحاوي رحمه الله في مشكل الآثار معناه : أن الخطيب وقف على ﴿ ومن يعصهما ﴾ ، وقول الإمام القرطبي رحمه : وهذا تأويل لم تساعده الرواية مردود بما عند أحمد وأبي داود ولفظهما : ﴿ أَن خَطِيبًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَن يَعْصِهِمَا – فَقَالَ قُمْ أَو اذْهَبْ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ وفيه أنه وقف على قوله : ﴿ يعصهما ﴾ وفي حالة العطف مع الوقف يفيد معنى باطلاً وهو أن من أطاع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما / كذلك فقد رشد ، ولذلك نهاه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بقوله : ﴿ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ .

والحديث كما تبين مؤول على وجوه والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال ، ولا يجوز إنكار ما ذهب إليه قوم من العلماء وترجيح قول غيرهم من دون مرجح .

وتبين مما تقدم من النصوص القرآنية والنبوية وأقوال الصحابة جواز العطف بالواو عند ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجواز ذكرهما في ضمير واحد وبأفعل التفضيل كأعلم وأمنّ لورود ذلك في الأدلة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ويستثنى بحث المشيئة كما سيأتي ، أما عند ذكر الله وذكر غير الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يؤتى بثم في المشيئة وغيرها أدبا .

والمعترض لم يعجبه كلام الإمام النووي رحمه الله في شرحه للصحيح ، ولا كلام الإمام الطحاوي رحمه الله في مشكل الآثار ولا كلام العلامة ابن علان الصديقي رحمه الله فلهذا لم ينقل شيئاً من ذلك

واكتفى بإيراد الحديث وترجيح وجه من الوجوه وإنكار غيرها وليس هذا من شأن العلماء المحققين المنصفين .

فقول المعترض : ولكنّ المشكلة في قوله : ﴿ ومن يعصهما ﴾ وهي التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود لأنه كما قال الإمام القرطبي رحمه معارض بآيات في القرآن وأحاديث في الصحيح ومن ذلك حديث ابن مسعود في خطبة النكاح .

وهو يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمهم خطبة الحاجة وفيها : ﴿ ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ﴾ ولم يقل أحد بنسخه فمعنى ذلك أن الصحابة عملوا به وقالوا ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

والحديث معارض أيضاً بقوله في الحديث الصحيح : ﴿ أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ﴾

وبقوله : ﴿ إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ﴾ .

وقد قال العلامة البدر العيني رحمه الله في عمدة القاري ما نصه : كيف قال : ﴿ سواهما ﴾ بإشراك الضمير بينه وبين الله عزّ وجل والحال أنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من فعل ذلك وهو الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى فقال بئس الخطيب أنت فأجيب بأن هذا ليس من هذا لأن المراد في الخطب الإيضاح وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ ومما يدل عليه ما جاء في سنن أبي داود : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ﴾

وقال القاضي عياض : أما تثنية الضمير ههنا فللإيماء على أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعاراً بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزامه الغواية إذ العطف في تقرير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ، وقال الأصوليون : أمر بالإفراد لأنه أشد تعظيماً والمقام يقتضي ذلك .

ثم أورد مضمون ما قاله الإمام القرطبي رحمه الله ثم قال : ويقال إن كلامه صلى الله عليه وسلم هنا جملة واحدة فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر وكلام الذي خطب جملتان لا يكره إقامة الظاهر فيها مقام المضمر ا.هـــ

أقول : الحديث الذي قصده الحبيب الجفري بقوله : / الحديث الذي يُتشبث به في ذلك إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب به حديث عهد بشرك وجاهلية / ليس الحديث الذي أورده المعترض لأنه ليس فيه العطف بثم وإنما الذي قصده والله أعلم هو حديث ﴿ ما شاء الله ثم شئت ﴾ وإليكم رواية الحديث أولا وألفاظه ثم أقوال العلماء فيه :

عَنْ قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ : ﴿ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُون تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَن يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاء اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ ﴾{النسائي}

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ ﴾{سنن ابن ماجه}

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : ﴿ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ ﴾{أحمد}

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَال : ﴿ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْت فَقَالَ بَلْ مَا شَاءَ اللَّه وَحْدَهُ ﴾ {أحمد}

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَال : ﴿ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ فَقَالَ مَا شَاء اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾{ أحمد }

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه ببعض الكلام فقال : ما شاء الله وشئت ، فقال : جعلتني لله عديلا ، لا بل ما شاء الله وحده﴾. مصنف ابن أبي شيبة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم في بعض الامر فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلتني والله عدلا بل ما شاء الله وحده ﴾ السنن الكبرى للبيهقي

قول الرجل : ما شاء الله وشئت **19809** – أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أيوب عن غيلان بن جرير عن أبي الحلال العتكي قال : انطلقت إلى عثمان فكلمته في حاجة ، فقال لي حين كلمته : ما شئت ، ثم قال : بل الله أملك ، بل الله أملك {مصنف عبد الرزاق}

عن قتيلة امرأة من جهينة : ﴿ أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقول أحدهم ما شاء الله ثم شئت ﴾{السنن الكبرى للنسائي}

عن قتيلة بنت صيفي الجهنية ، قالت : جاء حبر (1) إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : نعم القوم أنتم يا محمد لولا أنكم تشركون قال : وما ذاك ؟ قال : تقولون والكعبة إذا حلفتم قال : فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال : إذا حلفتم فقولوا ورب الكعبة فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندا قال : وما ذاك ؟ قال : تقولون : ما شاء الله وشئت قال : فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من قال : ما شاء الله فليقل ثم شئت الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم

وروى الطحاوي بإسناده عن حذيفة رضي لله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان ﴾ وفي رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه : ﴿ أسمعها منكم فتؤذيني فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد ﴾ .

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه الأذكار :

فصل في بيان أن العطف على مشيئة الله تعالى مشيئة غيره بثم لا بالواو :

روينا في سنن أبي داود بالاسناد الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان ﴾ .

قال الخطابي وغيره : هذا إرشاد إلى الأدب ، وذلك أن الواو للجمع والتشريك ، و " ثم " للعطف مع الترتيب والتراخي ، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه.

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : أعوذ بالله ثم بك ، قالوا : ويقول : لولا الله ثم فلان لفعلت كذا ، ولا تقل : لولا الله وفلان.

قال العلامة ابن علان في شرحه على الأذكار : قوله لأن الواو للجمع والتشريك أي فربما توهم مقارنة مشيئة العبد بمشيئة الله سبحانه لو أتى بالواو وليس الأمر كذلك إذ مشيته تعالى هي السابقة فأتى بثم الدالة على هذا المعنى وفقاً لذلك الإيهام .

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في كتابه مشكل الآثار بَاب بَيَانُ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّه عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ نَهْيِهِ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاء مُحَمَّدٌ وَأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَكَانُ ذَلِكَ مَا شَاء اللَّهُ ، ثُم مَا شَاءَ مُحَمَّد .

ذكر الأحاديث الدالة على النهي وقد تقدم بعضها ثم قال : فَكَانَ فِيمَا رَوَيْنَا فِي هَذَا الْبَاب عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ نَهْيَهُ أُمَّتَهُ أَنْ يَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْت وَأَمْرُهُ إِيَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَكَان ذَلكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ شئْت قَال قَائلٌ فَإِنَّ فِي كِتَاب اللَّه تَعَالَى مَا قَدْ دَلَّ عَلَى إِبَاحَة هَذَا الْمَحْظُور فِي هَذه الْأَحَاديث ، ثُمَّ ذَكَر قَوْله تَعَالَى : ﴿ أَنْ اُشْكُرْ لِي وَلوَالدَيْكَ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ ، ثُمَّ لوَالدَيْك فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلك بِتَوْفِيقِ اللَّه أَنَّ هَذَا ممَّا كَانَ مُبَاحًا قَبْلَ نَهْي رَسُولِ اللَّه عَلَيْه السَّلَامُ عَنْ مثْله فِي هَذه الْأَحَاديث ثُمَّ نَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ فِي هَذه الْأَحَاديث فَكَانَ ذَلك نَسْخًا لمَا قَدْ كَانَ مُبَاحًا ممَّا قَدْ تَلَوْته قَبْلَ ذَلكَ وَمَذْهَبُنَا أَنَّ السُّنَّةَ قَدْ تَنْسَخُ الْقُرْآنَ ؛ لأَنَّ كُلَّ وَاحد منْهُمَا من عنْد اللَّه يَنْسَخُ مَا شَاء منْهُمَا بِمَا شَاءَ منْهُمَا وَلأَنَّا قَدْ وَجَدْنَا كِتَاب اللَّه قَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلكَ ...الخ ما قال ا.هـ

أقول : فتلخص من كلام العلماء إبقاء النصوص العامة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمومها وهي دالة على جواز العطف بالواو عند ذكر الله تعالى وذكر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجواز ذكرهما في ضمير واحد وبأفعل التفضيل كأعلم وأمنّ وأرحم ، وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته على السواء ، ويُخص من هذا العموم لفظ المشيئة فلا يقال ما شاء الله وشاء محمد بالواو بل بثمَّ لثبوت النهي عن هذا اللفظ بخصوصه في الأحاديث الصحيحة .

وأما في حق غيره صلى الله عليه وسلم فالنهي يعم الألفاظ كلها من المشيئة وغيرها فلا يصح العطف بالواو بل بثمَّ ، ولا يجوز ذكر مخلوق مع الله تعالى في ضمير واحد ولا بأفعل التفضيل وما ورد من النصوص الدال على الإباحة فهو منسوخ في مذهبنا والله تعالى أعلم .

3- ثم قال المعترض : ثم ما هذا الكلام الخطير / مقارنة الرسول بالرب / الذي ينادي به الجفري ويعترض على المنكرين عليه ...الخ

أقول : تقدم في المقدمة رد هذا الاعتراض وسأنقله أيضاً في هذا الموضع مع زيادة لأن المعترض لا يعرف من كلمة المقارنة إلا المماثلة والتسوية بين الله والرسول من كل وجه والاشتراك بينهما في كل حقيقة فالرسول عنده هو الله والله هو الرسول في كل كلمة فيها العطف بالواو أو الجمع في ضمير واحد أو بأفعل التفضيل ، وذلك غاية الجهل المركب ، قاتل الله الجهل وأبا جهل ومن تجاهل مثل جهله وهو يعلم .

معنى المقارنة : قرن الرجل بين الشيء والشيء إذا ربط بينهما برابط ،

قال في القاموس المحيط : والقرن شد الشيء إلى الشيء ووصله إليه ، وجمع البعيرين في حبل ، والقِرن : حبل يجمع به البعيران وقرن بين الحج والعمرة قِراناً جمع كأقرن في لُغَية ، والقرينان أبو بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما لأن عثمان أخا طلحة قرنهما بحبل .

فتبين بهذا أن القِران هو الربط والجمع ولا تلزم المساواة والمماثلة ، فالقران بين العمرة والحج لا يلزم منه المماثلة بينهما ، والفقه المقارن الذي يقرن فيه أي يجمع بين أقوال علماء المذاهب ولا يشترط تساويهما وتماثلها كما هو معلوم .

فالرابط بين الشيئين إما أن يكون محسوساً كالحبل وإما أن يكون حرفاً كالواو العاطفة بين الأسماء والجمل وهي لمطلق الجمع عند علماء الأصول من غير أن تفيد مماثلة أو مساواة أو ترتيباً أو تعقيباً وما إلى ذلك .

فأراد الحبيب الجفري بقوله هذا مطلق الجمع بالواو العاطفة بين ذكر اسم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أو جمعهما بضمير واحد أو بأفعل التفضيل وقد تقدم أدلة جواز ذلك .

وإليك أخي القارئ ما قلته في المقدمة في رد اعتراض المعترض على ما ذكرته في شرحي للوظيفة الشاذلية :

1 – الحبيب علي الجفري لم يُرد بقوله : / مقارنة الرسول بالرب / معاني التشبيه والتمثيل والحلول والاتحاد ولم يرد أن نعطي الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم شيئاً من صفات الربوبية والألوهية وذلك لا يقول به مسلم ، وإنما أراد بالمقارنة هنا ﴿ العطف اللفظي بالواو مثلاً ﴾ كأن نقول : ﴿ الله ورسوله ﴾ ، وذلك لأنَّ الواو لمطلق الجمع وهو يعني الاقتران اللفظي بين المعطوف والمعطوف عليه ، ويعلم هذا طلاب العربية المبتدئون .

ويصح أن يريد بقوله : ﴿ الاقتران ﴾ جمعهما في ضميرٍ واحد كالحديث الذي أورده : ﴿ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما ﴾[أخرجه البخاري بكتاب الإيمان] ، وما ورد من ذلك في النصوص كثير سأعرض له في حينه .

ثم الحبيب الجفري ما زال على قيد الحياة ويرجع إليه في فهم المراد من كلامه في العقائد وغيرها وهو رجل شريف قد وضع له القبول في الأرض بين الخاصة والعامة وله مكانة في القلوب لا نجدها لغيره من أولئك الذين ينالون منه ، وإنَّ أمثال المؤلف المعترض من الذبابيين الذين يمرون على الطيب والخبيث ولا ينقلون إلا الخبيث ، وإنَّ الذين يتتبعون الهفوات والنقائص ويتصيدون في الماء العكِر ويثيرون الفتن على علماء أهل السنة ودعاتهم في وقت تكالب الأمم على المسلمين ما هم إلا عملاء لهؤلاء الذين يفتُّون في عضد الأمة الإسلامية ويفككون وحدتها ويذهبون المودة التي فيما بينهم من قلوب أبنائها ثم إنَّ للحبيب الجفري من الحسنات ما توهب إليه الهفوات خلافاً للمؤلف وأمثاله ، ورحم الله الإمام سعيد بن المسيَّب القائل : إنه ما من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب لكنّ من الناس من لا تذكر عيوبهم ، من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله .

والشاعر يقول : وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وكأن المؤلّف المعترض ليس من أهل السنة والجماعة الذين يدرؤون الحدود بأدنى شبهة فضلاً عن درء التكفير والتضليل والتفسيق لأدنى احتمال عن مؤمن ، ونسي أو تناسى أنّ أهل السنة والجماعة إذا ورد عليهم قول مسلم له تسعة وتسعون محملاً في الكفر ، وله محمل في الإيمان ، يحملون قوله على الإيمان لا على الكفر ، ولأن تخطئ في إيمان رجل هو عند الله تعالى غير مؤمن خير من أن تخطئ في تضليل وتكفير رجل هو عند الله مؤمن.

ورحم الله من قال : من اتّسع علمه قلّ اعتراضه ، ومن تتجر في العلوم لم يخطئ أحداً ، والمؤلف المعترض قل علمه فكثُر اعتراضه .

لم أَلْقَ عصفوراً يزاحم باشقا إلا لخفتـــه وقلـــة عقلـــه

كم سيّـــد متفضـــل قد سبّـــه من لا يساوي غرزةً في ....

وكنت أتمنى على المؤلِّف أن يكون رأساً في الحق بدلاً من أن يكون ذَنباً في الباطل .

2 – سؤال :

عن أية حضرةٍ أتكلم في النص الذي ساقه ؟ ولِمَ لم ينقل أول كلامي في التتريه واجتزأه وأخذ منه ما يناسب هواه وبدعته ؟ وهل كلامي هذا قطعي الدلالة فلا يحتمل إلا المعنى الذي فهمه المؤلف بعقله القاصر وحمَّلني إياه ؟ أو إنه ظني الدلالة ويقبل التأويل بوجه من وجوه الحق إذا نقل مع الكلام الذي قبله ؟

ثم هل قلت : لأنَّ الحضرتين حضرة الله وحضرة رسوله حضرة واحدة أو الذاتين ذات واحدة ، حتى أهم بالضلال كما صرَّح بذلك في فهرسه بقوله : –

عبد الهادي الخرسه يقول : إنّ الله تعالى ورسوله حضرة واحدة !!!!! ، ففي أي موضع من الكتاب المذكور قلت ذلك أيها المفتري الكذاب ؟

3 – ختمت كلامي بقولي : ﴿ والله سبحانه وتعالى أعلم ﴾ ففوضت علم ذلك إلى الله تعالى ، ورأى المؤلف ذلك ضلالاً استعاذ بالله تعالى منه ، فإذا كان التفويض إلى علم الله تعالى ضلالاً يستعاذ منه فما هو الهدى عنده ؟

4– قال في تعليقه : إن الضمائر في النصوص القرآنية المذكورة عادت إلى مفرد والمراد اثنان ، وهو قول ذكره المفسرون كما سيأتي في بعض تلك النصوص مع أقوالٍ أخرى في كل آية ولا يصح القطع بأن قولًا منها هو مراد الله تعالى ، وكلها في الاحتمال سواء وأنا أقول بالقاعدة التي ذكرها المفسرون والنحاة والتي ذهب إليها المؤلف ولها شواهد ولكن لا يلزمني ترجيحها على غيرها عند هذه النصوص دون مرجح .

ثم إنني لست ممن يدعي أن ذات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هي ذات الله تعالى ، ولا صفاته هي صفاته كما نسب إلي المؤلف ذلك كذباً وزوراً ، ولكني أقول :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق لا استقلال لهم في الوجود ولا قيام لهم بذواقم ، ولا تأثير لهم في فعل من الأفعال .

وإنما الخالق والموجد والمؤثر هو الله تعالى .

وهل إيتاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطاؤه وإغناؤه بذاته ومن ذاته ودون إذنٍ من الله ؟

أو إن ذلك كله خلق الله تعالى على يديه ؟

ثم لنترك آيات الضمائر هذه ولنأت إلى الآيات التي صرح فيها بالاسم الشريف كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾[الفتح:10] ، أليست صريحة في أن مبايعة الرسول مبايعة لله ؟

وقوله تعالى : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾[النساء:80] ، أليست طاعة الرسول طاعة لله ؟

فمرجع المبايعة والطاعة إلى حضرة واحدة وهي حضرة الله تعالى

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾[الأنفال:17] ، وغير ذلك من النصوص القرآنية الكريمة الدالة على وحدانية الأفعال لله عز وجل وأنه خلقها وأجراها على نبييه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دون تأثير ذاتي له فيها .

وسأعرض للمؤلف بعض ما قاله المفسرون في الآيات القرآنية التي ذكرها استشهادا وليرجع هو وأتباعه إلى التفاسير المعتمدة الكبيرة ليجد معنى ما قلته وذكرته .

1- قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[التوبة:62] الآية ﴿ توحيد الضمير لتلازم الرضائين ﴾

وهذا الذي أقول به فإرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم إرضاء لله تعالى ، فالحضرة واحدة في الإرضاء لا في الذات والصفات .

وكذلك في قوله ﴿ مِن فَضْلِهِ ﴾ فالحضرة واحدة في الإفضال لا في الذات والصفات .

لأن الفضل الذي آتاه الله تعالى على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو بيده تعالى وبإذنه .

وكذلك الأمر في الإيتاء والإعطاء وما شاكل ذلك مما وردت به النصوص لأنه لا معطي ولا مانع إلا الله تعالى .

وكلنا يناجي الله تعالى بالدعاء النبوي عقب كل صلاة فيقول : ﴿ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ﴾[أخرجه البخاري بكتاب الأذان] الحديث .

2- قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[التوبة:62] الآية .
وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك : / إحسان زيد وإجماله رفعني / انتهى .

وانظر إلى قوله / فكانا في حكم شيء واحد / أليس معناه ما قلته مما استعاذ به المؤلف بقوله " أعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد "

3- قال الإمام الخازن رحمه الله تعالى في تفسيره عند الآية المذكورة اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود ؟
فقيل : الضمير عائد على الله تعالى لأن في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : يجوز أن يكون المراد يرضوهما ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، انتهى

4- قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصارم المسلول :

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين وإن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة فمن آذى الرسول فقد آذى الله ومن أطاعه فقد أطاع الله لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور .

أقول : فإذا اختلف علماء التفسير والعربية في معنى الضمير ، وجعله بعضهم عائداً على الله تعالى ، وهذا الذي أقول به .

فلماذا يلزمني المؤلف المفتري أن أجعل الآية من المواضع التي ذكر فيها المفرد وأريد به المثنى ولم يجمع العلماء على هذا في هذا الموضع ؟

فإذا قلت بقولٍ قاله بعض العلماء ويتوافق مع أصول العقيدة الصحيحة في وحدانية الله تعالى وأنه لا مؤثر إلا الله عز وجل ، ثم أقول والله تعالى أعلم فالإنكار حينئذٍ يقصد فيه المؤلف المخالفة لأهل الحق والمعاداة لهم ولا يقصد بيان الحقيقة العلمية بتجردٍ وإنصاف .

ملاحظة :

بيت قيس بن الخطيم ونسب لغيره أيضاً لا شاهد فيه على مسألة أن يذكر ضمير المفرد ويراد به اثنان كما توهم ذلك المؤلف المنتقص وإنما محل الشاهد فيه حذف الخبر جوازاً لدلالة ما بعده عليه والتقدير – نحن بما عندنا راضون – وأنت بما عندك راض .

وفيه شذوذ لأنه حذف من الأول لدلالة الثاني ، والقياس بالعكس .

والآن سأذكر الأصل من كتابي – شرح الوظيفة الشاذلية – ط 1

والذي اجتزأه المؤلف المفتري واختصره دون أن يربط بين أول الكلام وآخره ، وسأشرحه للمؤلف وغيره من القاصرين ، ثم أذكر كلامي الدال على التتريه عن الحلول والاتحاد والوحدة المطلقة من مواضع أخرى من الكتاب المذكور:

﴿ والله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالإيجاد والإمداد ، فهو الممد لكل ذرة من الكائنات ~ ما في العوالم ذرة في

جنب أرضك أو سماءك

إلا ووجهتها إليك بالافتقار إلى غناءك

ويخلق ذلك الإمداد على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه .

وإعطاؤه سبحانه الخلق من باب الحكمة أحب إليه من إعطائه من باب القدرة

فالكون مستمد من حضرته صلى الله عليه وسلم ولكن لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإنما أنا قاسم والله يعطي ﴾[أخرجه البخاري بكتاب العلم] ، ويقول الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾[التوبة:59] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62] ، ويقول : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[التوبة:74] .

فالضمائر في قوله ﴿ من فضله ﴾ و ﴿ أن يرضوه ﴾ مفردة لأن الحضرة واحدة ولكن لها إطلاق وتقييد والله سبحانه وتعالى أعلم ﴾ 1– هـــ بحروفه

1– وفي معناه يقول النبهاني رحمه الله :

يقسم الجود بينهم ومن اللـــــه أتاهم على يديه العطاء

لقد عمي أو تعامى المنكر عن قولي الصريح : – والله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالإيجاد والإمداد ، فهو الممد لكل ذرة من الكائنات –

وعمي أو تعامى أيضاً عن قولي الصريح : – ويخلق ذلك الإمداد على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه –

وعمي أو تعامى عن قولي : – ولكن لا حول له صلى الله عليه وسلم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

واجتزأ من الكلام ما يناسب هواه السيء ومقصده الخبيث ليتوصل من خلال هذه الخيانة العلمية إلى اتهامي بالضلال الكبير .

ألا يفهم بعد القواعد السابقة المذكورة في أول الكلام أن المراد بقولي : ﴿ لأن الحضرة واحدة ﴾ أن الحضرة المنفردة بالإيجاد والإمداد واحدة ، وأن الحضرة الخالقة الموجدة الممدة واحدة وأن مفهوم الآيات الكريمة التي استشهدت بها أن الحضرة المتفضلة واحدة وأن الحضرة المغنية واحدة وأن الحضرة المرضية واحدة .

ولم أقل قط بأن حضرة الألوهية والحضرة المحمدية واحدة من حيث الذات أو الصفات بل هذا ما أداه إليه فهمه السقيم ، نعوذ بالله من هذا الفهم والاعتقاد .

ثم المراد بقولي : ﴿ ولكن لها إطلاق وتقييد ﴾ ما تقدمت الإشارة إليه قبل أسطر في الصفحة ذاتها !!!!، أن إعطاءه تعالى لخلقه من باب الحكمة أي من طريق الأسباب أحب إليه من إعطائه لهم من باب القدرة أي بلا أسباب وذلك جرياً مع حكمة الله تعالى في وضع الأسباب مع نفي التأثير عنها .

فالمراد بالإطلاق الخلق الإلهي من غير طريق الأسباب ، والمراد بالتقييد الخلق الإلهي من طريق الأسباب ومنه ما يجريه على يد نبيه صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذا أترك الحكم للقارىء الكريم على هذا المؤلف ومن وراءه والذين يمتهنون حرفة التدليس والكذب وتحريف الكلم عن مواضعه لتوجيه الاتهامات بالضلال إلى من يخالف عقيدتهم وأهواءهم من أهل السنة والجماعة وعلماء التصوف منهم على الخصوص .

وسأنقل النص السابق من الطبعة الثانية لكتابي – شرح الوظيفة الشاذلية – وانظر أخي القارىء المنصف إلى المؤلف المفتري المدلس كيف نقل النص من الطبعة الأولى للكتاب وترك الرجوع إلى النص ذاته من الطبعة الثانية لأنه خالٍ عما يمكنه التلاعب فيه مع أن الطبعة الثانية كانت في متناول يده لأنها طبعت قبل كتابه بأشهر وهذا دليل آخر على خبث النية والطوية عند هؤلاء المنحرفين المحرفين :

وإليك النص ص 77–78 :

فنعتقد أن الله تعالى هو الوهاب عند الأسباب وهو الوهاب بلا أسباب ، وجعل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم هو السبب الأعظم في الوجود ، فالكون مستمد من حضرته صلى الله عليه وسلم ولكن لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإنما أنا قاسم والله يعطي ﴾[أخرجه البخاري بكتاب العلم] .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[التوبة:59] الآية ، فنص على أن الإيتاء والفضل من الله على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول سبحانه : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62] ، فنص على أن إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم مطلوب كإرضاء الله تعالى ، ويقول عز وجل : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[التوبة:74] ، فنص على أن للنبي صلى الله عليه وسلم إغناء حتى لأولئك المنافقين الذين لم يقروا له بهذا الفضل .

فالضمائر في قوله : " من فضله " و " أن يرضوه " مفردة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا تأثير له فيما ذكر من الإيتاء والإغناء والفضل وإنما هو سبب أجرى الله تعالى ذلك على يديه 1.هـــ بحروفه

وفي الصحيحين مرفوعا : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾

قال الحافظ في فتح الباري : وَأَمَّا الْآيَة فَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّه تَعَالَى أَنَّهُ أَغْنَاهُمْ وَأَن رَسُوله أَغْنَاهُمْ وَهُوَ مِنْ اللَّه حَقِيقَة ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي قَدَّرَ ذَلِكَ ، وَمِنْ الرَّسُول حَقِيقَة بِاعْتِبَارِ تَعَاطِي الْفِعْل ، وَكَذَا الْإِنْعَام أَنْعَمَ اللَّه عَلَى زَيْد بِالْإِسْلَامِ وَأَنْعَم عَلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالْعِتْق .

فأية أمانة علمية لهؤلاء الذين يتركون النص الصريح الدال على التنزيه والتوحيد ثم ينقلون بعض كلام يجتزؤنه عن أصله ويؤولونه على فهمهم السقيم وأهوائهم المضلة ، وأخيراً وليس آخراً قال الشاعر في المؤلف وأمثاله :

وإن أخا علمٍ به الزيغ كامن أضر على الإسلام من ألف فاجر

وإن طابع كتاب هذا المعترض وناشره والمروِّج له كلهم شركاء في إثم الكذب والزور من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئا .

نعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن ومن الهوى المتبع ومن إعجاب كل امرىء بنفسه

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه .

4- ثم قال المعترض : وأما قوله بل قال / من سواهما / فجعلهما على ضمير مثنى واحد فهو أكبر دليل على عدم فهمه للمسألة .

أقول :

أولاً : الرواية / مما سواهما / وما وقع في كتاب الحبيب الجفري فهو خطأ طباعي فليصحح .

وثانيا : قول الحبيب الجفري فجعلهما على ضمير مثنى واحد معناه في كلمة واحدة وهو صحيح لأن ما في قوله / سواهما / دالة على التثنية وهي كلمة واحدة ، ولكن المشكلة في أن المعترض حذف من كلام الحبيب الجفري ما يبين مراده فقد قال : فجعلهما على ضمير مثنى واحد ليعلمنا أن لا انفصال بين حب الله وحب رسوله ... بين تعظيم الله وتعظيم رسوله ...الخ كلامه

وقد تقدم من كلام الشيخ ابن تيمية ما يدل على هذا المعنى

وكأن المعترض يجيز أن يكون المؤمن محباً لله تعالى ومبغضاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أو معظماً لله تعالى وغير معظم لرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عن عالم ؛ ثم انظر في كلام الحبيب الذي كرر كلمة الحب وكلمة التعظيم عند ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يتوهم الاتحاد العيني بين الذاتين وصفاقما كما توهم ذلك المعترض ونسبه كذباً وزوراً إلي وإلى الحبيب الجفري وأنا وهو بريئان من ذلك الافتراء



فمن الذي لم يفهم المسألة على وجهها : الحبيب الجفري الذي يقول بأن حب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه واجبان موصلان إلى حب الله تعالى وتعظيمه وأن من أحب الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمه فقد برهن بذلك على أنه محب لله تعالى ومعظم له .

أم المعترض الذي فصل بين الحبين والتعظيمين فأجاز وجود أحدهما دون الآخر .

وأين هذا المعترض وأمثاله من قول الله تعالى : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾{النساء: 80} وقوله : ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾{التوبة: 62} وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾{الفتح :10} وقد تقدم بعض كلام أئمة التفسير في هذه النصوص الكريمة فلتراجع

ومن ذلك كلام القاضي البيضاوي رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾{البقرة:9} وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا تُخْفَى عليه خافية ، ولأنهم لم يقصدوا خديعته . بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف ، أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال تعالى :

{ مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله } { إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله } إلى آخر كلامه .

قال الكازروني في حاشيته على البيضاوي : قوله : ﴿ أو على أن معاملة الرسول معاملة الله ..الخ ﴾ أي في حكم معاملته وليس المراد إطلاق لفظة الله وإرادة الرسول عليه الصلاة والسلام للاطباق على أن لفظ الله لا يطلق على الرسول بل المراد أن الفعل أعني المخادعة علق به تعالى وأوقع عليه بطريق المجاز العقلي – إلى أن قال – والحاصل أن المراد خداع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن علق على الله باعتبار قوة العلاقة بينهما .

5– ثم نقل المعترض ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتابه الأم تحت عنوان / ما يكره من الكلام في الخطبة وغيرها /

أقول : هذا الكلام من الإمام الشافعي رضي الله عنه معارض بحديث ابن مسعود رضي الله عنه في خطبة الحاجة وقد تقدم ، وإذا تعارض كلام الإمام المجتهد مع الحديث تعين تأويل كلام المجتهد بما يتوافق مع الحديث عند أهل السنة خلافاً للوهابية الذين يردون كلام الأئمة المجتهدين فيما يظهر لهم مخالفته للحديث الصحيح ، ولا أدري ما الذي حمل المعترض على عدم ذكر حديث ابن مسعود والاحتجاج بكلام الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذه المسألة ؟ مع أنهم أي الوهابية في جميع مسائل الخلاف يقولون قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون قال أبو حنيفة أو الشافعي أو مالك أو أحمد رضي الله عنهم أجمعين ، وإذا احتج واحد من غيرهم بكلام إمام مجتهد من هؤلاء أنكروا عليه ، فما هذا التلاعب في الدين ؟ وما هذا التضليل للعامة من المؤمنين ؟

أما تأويل كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه فإنه محمول على الكراهة التنزيهية لا التحريمية ، وعلى أنه من الأدب البيان والتفصيل في كل موضع يشتبه على عامي ٍ فهمه المسألة إذا ذكرت عنده ،

وقد تقدم قول سيدنا علي رضي الله عنه / حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله / وقول ابن مسعود رضي الله عنه : / ما حدث رجل قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة /
/ وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه رضي الله عنهم بأحاديث لم يبلغوها للعامة خشية أن يسيئوا فهمها على غير وجهها وأخبروا بها عند موهم تأثماً كحديث معاذ وأبي هريرة رضي الله عنهما فيمن يقول الشهادتين مع قوله لمعاذٍ رضي الله عنه عندما قال له أفلا أخبر الناس ؟ قال لا إذاً يتكلوا /
وقد تقدم كلام الإمام النووي رحمه الله في أن ذلك محمول على الخطب لأنها مبنية على البسط والإيضاح وما ذلك إلا لحضور العامة فيها وتقدم شرح الحديث وأقوال العلماء فيه فلتراجع .
6- ثم قال المعترض : أرأيتم هذا كلام الإمام الشافعي / رضي الله عنه / الذي يصف الجفري القائلين به بضعاف الفهم قساة القلوب أسراء الجهل والعصبية .
أقول : كلام الحبيب الجفري لا يتناول الإمام الشافعي رضي الله عنه لا من قريب ولا من بعيد وحاشاه من ذلك فهو الذي عرف بأدبه مع العلماء والأئمة بخلاف المعترض وأمثاله .
وإنما الموصوف بقوله / ضعاف الفهم قساة القلوب أسراء الجهل والعصبية / قوم غير معينين ولا يصح لنا في الشرع أن نتقول على الغيب فنقول مراده فلان أو فلان لأن هذا فيه ادعاء الاطلاع على الغيب والتحكم بنوايا المتكلمين ومقاصدهم وهو باب من أبواب الشرك بالله تعالى والعياذ بالله .
ثم إن الحبيب الجفري يقول : حتى لا يأتي بعض ضعاف الفهم قساة القلوب أسراء الجهل والعصبية فيقولون لنا في يوم من الأيام : لا تكثروا من الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم ...الخ كلامه
وانظر إلى قوله / حتى لا يأتي / وهي صيغة تفيد الدلالة على المستقبل لا على الماضي فهو لم يقل ولقد أتى بعض ضعاف الفهم وإنما يقول / حتى لا يأتي / والإمام الشافعي رضي الله عنه أتى ولن يأتي فكيف جعل المعترض كلام الحبيب الجفري متناولاً له ؟ كأنه لا يعرف الماضي والمستقبل والصيغ الدالة على كل منهما .
وهذا الذي ذكره الحبيب الجفري قد دلت الأحاديث النبوية عليه فإنه في آخر الزمان يقل العلم ويكثر الجهل حتى تجهل القبيلة بأسرها ويتخذ الناس رؤساء جهالا فيسئلون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون .
وكأني بهذا المعترض واحد من هؤلاء ضعاف الفهم قساة القلوب أسراء الجهل والعصبية وأكبر دليل على ذلك سوء فهمه لعبارات أهل العلم والدعاة إلى الله وتفسيرها على غير وجهها وعدم الإحاطة بالمسائل التي أوردها بذكر جميع ما قاله العلماء فيها بل يتعصب لرأيه وهواه فيذكر ما يوافق ذلك ويدع ما سواه ، وهذه كرامة للحبيب الجفري دالة على ولايته إن شاء الله تعالى

فإنه تفرس بظهور هؤلاء القوم فصدقه الله تعالى وحقق له فراسته وجعل هذا المعترض واحداً من هؤلاء شاهدا على صدق هذه الفراسة وتحققها في الوجود .

ثم إن القائلين بكلام الإمام الشافعي رضي الله عنه إن كانوا من علماء أهل السنة والجماعة ومن علماء مذهبه فقد سبق كلامهم في ذلك واختلافهم فيه ، وإن كانوا من الوهابية فقولهم بقول الإمام الشافعي دون الرجوع إلى كلام علماء مذهبه وبقية علماء أهل السنة اتباع للهوى في هذه المسألة وإلا فليقولوا بما قاله الإمام الشافعي في جميع المسائل الأصولية والفرعية ولا يخرجوا عن شيءٍ منها حتى يثبت الصدق في اتباعه ونسلم لهم ما ذهبوا إليه واعتمدوه .

7- ثم قال المعترض : فبالله عليكم من الذي يتطاول على العلماء والأئمة ؟

أقول : هذا سؤال بالله تعالى وبما أنك أيها المعترض تسأل بالله تعالى وقد أمرنا في الحديث أن نجيب من سألنا بالله فأقول : الذي يتطاول على العلماء والأئمة هو أنت أيها المعترض وأمثالك من الوهابية .

8- ثم قال المعترض : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا وسيد ولد آدم هو الذي أمر أمته أن لا يكثروا من إطرائه فقال : ﴿ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه ﴾{البخاري:3189}

وليس أولئك الذين وصفهم الجفري بأبشع الأوصاف ! فلماذا اللف والدوران ؟

أقول : هل النهي عن الشيء أمر بضده ؟ وهل الأمر بالشيء نهي عن ضده ؟ هذه مسألة من مسائل الأصول وفيها خلاف بين الأئمة .

والحديث فيه النهي عن الإطراء فكيف فهم منه المعترض الأمر بعدم الإكثار من الإطراء ؟ هل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثروا من إطرائي ؟ أم قال / لا تطروني / ؟

فلا بد من الرجوع إلى أقوال المحدثين والعلماء والفقهاء أهل الرواية والدراية للتعرف على معنى الإطراء المنهي عنه فأقول :

1* قال الإمام البدر العيني رحمه الله تعالى : قوله : لا تطروني بضم التاء من الإطراء وهو المديح بالباطل تقول : أطريت فلاناً مدحته فأفرطت في مدحه ، وقيل : الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه ، قوله : / كما أطرت النصارى / أي في دعواهم في عيسى بالإلهية وغير ذلك .

2* قال الإمام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : وقال ابن التين : معنى قوله / لا تطروني / لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في عيسى فجعله إلها مع الله وبعضهم ادعى أنه هو الله وبعضهم ابن الله .

فتبين بهذا أن الإطراء المنهي عنه ما فيه إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من عبوديته لله تعالى إلى الربوبية والألوهية ووصفه بوصف من أوصافها وليس المراد بالإطراء المديح له والثناء عليه كما توهم الوهابية المبتدعة .



ورحم الله الإمام البوصيري الذي قال في بردته :

د ع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

أما قول المعترض : وليس أولئك الذين وصفهم الجفري بأبشع الأوصاف .

أقول : الجميع يستشهدون بالحديث النبوي ويقولون به ولكن المشكلة أن أولئك الوهابية يفهمون الأحاديث بفهم مخالف لفهم العلماء والأئمة ثم يريدون من المسلمين أن يتابعوهم ويقلدوهم في ذلك الفهم المخالف فمفهوم الإطراء المنهي عنه في الحديث عند العلماء والأئمة مخالف لفهم الوهابية له ،

فلم يريد منا المعترض ومن معه أن نترك اتباع الأئمة في فهمهم للنصوص ونتبعهم هم في فهمها ؟ وهل بلغ أولئك الوهابية رتبة الإمامة ومنزلة الأئمة حتى يقلدوا في ذلك ؟ فلماذا التلبيس والتضليل ؟



الرد العلمي العلني على مدعي النسب الحسني 36 /الرد الأخير

1- قال المعترض : وفي الصفحة /106/ يروي الجفري قصة فيقول : ...الخ

ثم قال : وروى مثلها أو قريباً منها عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وهي غير صحيحة بالطبع .

أقول : متى كان الطبع حكماً يحتكم إليه في معرفة الصحيح من الروايات وغير الصحيح ، وهل المعترض من الفلاسفة الطبائعيين أو المعتزلة العقلانيين الذين يحكمون طبائعهم وعقولهم فيما يصل إليهم من الأخبار ؟

ولَم لا يخرج المعترض وأمثاله عن ظلمات الطبع إلى نور الشرع ؟

إن هذه القصص من قسم الجائز العقلي وهو ما يجوز في العقل وجوده وعدمه ، ومما دلت الأخبار والآثار الشرعية على وقوعه ووقوع أمثاله ، فلمَ التضييق لما وسعه العلماء بقواعدهم في القبول والرد ؟ وصدق من قال : من تبحّر في العلوم كلها لم يخطئ أحداً ، ومن اتّسع علمه قلّ اعتراضه .

2- ثم قال المعترض : من الذي أخبر الجفري بالحادثة ؟ الميت أم إبليس ؟

أقول :

آ : الحبيب الجفري ناقل للرواية وليس معاصراً لمن رُويت عنه وبالتالي فسؤاله عمن أخبره بها الميت أم إبليس ؟ سؤال جاهل لا يستحق عليه جواباً ، بل الواجب المتعين أن يقول السائل من أين مصدر هذه القصة وعمن رُويت وكيف ؟

والجواب : لا يمتنع عقلاً وشرعاً أن المحتضر يصحو أثناء سكرات الموت فيخبر بما رأى وسمع أثناء صحوة من صحواته ، وبعض المحتضرين في الزمن الماضي والحاضر يصحو صحوة الموت ويكلم أهله ويكلمونه ثم يقبض .

وقد ورد عن كثير من الصحابة والسلف رؤيتهم لملائكة الموت وسماعهم لتسليمهم وردهم السلام عليهم ،

ومنهم سيدنا عمران بن الحصين الصحابي الجليل رضي الله عنه وكان له ذلك أي سماعه لتسليم الملائكة في حياته ثلاثين سنة وكان ذلك كرامة له كما هو مذكور في ترجمته .

فتكون القصة المذكورة على جهة الاختصار قد حذف منها إطلاق لسان الميت بعد إمساكه وذلك عند صحوه فأخبر بما رأى وسمع وهذا ممكن لدى كل عاقل بديهة .

ب : حضور إبليس عند المحتضر من أجل فتنته جائز عقلاً وشرعاً وبيان ذلك :

أن إبليس خلق وجعل فتنته للمؤمنين في حياتهم وعند مماتهم وعلى قولٍ في قبورهم والعياذ بالله تعالى ، وقد فسر بذلك فتنة الممات الواردة في حديث الصحيحين :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَر مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِم حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ ﴾{أخرجه البخاري برقم:789}

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّال ﴾{صحيح مسلم برقم:926}

قال العلامة ابن علان الصديقي رحمه الله تعالى في شرحه على الأذكار ما نصه : قوله : ﴿ ومن فتنة المحيا والممات ﴾ أي الحياة والموت ويحتمل أنه زمن ذلك ، والمراد الاستعاذة من جميع فتن الدارين في الحياة من كل ما يضر ببدن أو دين أو دنيا للداعي ولمن له به تعلق مع عدم الصبر ، وفي الموت قبيله عند الاحتضار من تسويل الشيطان الكفر حينئذ بطرائق جاءت في الأخبار ومن شدائد سكراته ، وأضيفت إلى الممات لقربها منه ...اهـ

قَال الْقُرْطُبِيّ : أَيْ الْحَيَاة وَالْمَوْت ، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرِيد زَمَان ذَلِكَ ، وَيُرِيد بِذَلِكَ مِحْنَة الدُّنْيَا وَمَا بَعْدهَا ، وَيَحْتَمِل أَن يُرِيد بِذَلِكَ حَالَة الِاحْتِضَار وَحَالَة الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر ، وَكَأَنَّهُ اِسْتَعَاذَ مِنْ فِتْنَة هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ ، وَسَأَلَ التَّثْبِيت فِيهِمَا شرح سنن النسائي

أقول : وإلى ذلك الإشارة على أحد القولين بقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾{إبراهيم:27} وبقوله عز وجل : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾{الحشر:16} وقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند الآية الأولى : فيصيح عند ذلك إبليس صيحة تتصدع منها عظام جسده". قال: "ويقول لجنوده: الويل لكم. كيف خَلَص هذا العبد منكم، فيقولون إن هذا كان عبدا معصوما". ذكره ابن كثير ونسبه إلى أبي يعلى الموصلي وقال غريب .

وقال العلامة الإمام ابن حجر في فتح الباري عند شرحه للحديث : وَأَخْرَجَ الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ فِي نَوَادِر الْأُصُول عَن سُفْيَان الثَّوْرِيّ أَنَّ الْمَيِّت إِذَا سُئِلَ " مَنْ رَبّك " تَرَاءَى لَه الشَّيْطَان فَيُشِير إِلَى نَفْسه إِنِّي أَنَا رَبّك ، فَلِهَذَا وَرَد سُؤَال التَّثَبُّت لَهُ حِين يُسْأَل . ثُمَّ أَخْرَجَ بِسَنَدٍ جَيِّد إِلَى عَمْرو بْن مُرَّة " كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا وُضِعَ الْمَيِّت فِي الْقَبْر أَنْ يَقُولُوا : اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ الشَّيْطَان " وهذا يدل على تواجد الشيطان في القبر فمن باب أولى تواجده عند النزع ، وهنا تظهر لنا حكمة تلقين الميت كلمة / لا إله إلا الله / وذكرها عنده ليكون الذكر حصناً له من الشيطان وتسويله الكفر للمحتضر حينئذ .

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾ قال مجاهد رحمه الله المراد بالإنسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم .

وذكره غيره من المفسرين نقلاً عنه أيضاً وهذا يدل على أن تسويل الشيطان بالكفر إن نجا منه مؤمن في ساعات حياته فهو عند موته في خطر أن يسوّل له ذلك فليسأل المؤمن التثبيت عند النزع وحسن الخاتمة وليسأل له أهله وإخوانه ذلك وليتسببوا له في ذلك تبليغه كلمة التوحيد وهو محتضر ، كما يفعلون ذلك بعد الدفن وقد تقدم ما يدل عليه .

فإذا كان الشيطان يسوّل بالكفر والشرك في حياة الناس وعند موتهم فلا يبعد تسويله بأدنى منه في حق العلماء والأولياء من إدخاله العجب أو الرياء عليهم في آخر أنفاس حياتهم ليموتوا على كبيرة من كبائر الإثم الباطن .

وقد ذكر العلامة ابن الجوزي رحمه الله في كتابه تلبيس إبليس باباً في التحذير من فتن إبليس ومكايده ذكر فيه كثيرا من الأحاديث والحكايات ومن ذلك :

آ – عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه : ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُه عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِم وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَن يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِل بِهِ سُلْطَانًا ﴾{الحديث أخرجه مسلم برقم:5109}

ب– عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُم يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ﴾{الحديث رواه مسلم برقم:5032}

وليس هناك فتنة أعظم من أن يفتن مؤمناً عن دينه أو يورثه العجب أو الكبر أو الرياء .

ثم أورد الشيخ حكايات بأسانيدها عن لقاء بعض الأنبياء عليهم السلام بإبليس وحديثهم معه إخبار إبليس لهم بأنواع من تسويلاته ، وهذا يدل على جواز لقاء إبليس والسماع منه فلم استبعد المعترض إخبار إبليس للحبيب الجفري بهذه القصة ولم جعله من قسم المستحيل ؟ مع إمكانه وإذا وقع ذلك يكون على جهة الكرامة للحبيب الجفري كما وقع للأنبياء على جهة المعجزة فيما أورده الإمام ابن الجوزي من الحكايات عنهم .

ثم قال الشيخ أبو الفرج : وفتن الشيطان ومكايده كثيرة في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزّت السلامة ، إلى أن قال : فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته ، ثم أورد بإسناده على عبد العزيز بن رفيع قال : إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة : سبحان الله الذي نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا ؟

فهل يعترض المعترض على الحافظ ابن الجوزي فيما أورده من حكايات لا يقبلها طبعه بالطبع كما اعترض على الحبيب الجفري في إيراده للقصتين ؟ ثم نسي المعترض أو تناسى أن جميع كتب الرقائق مشتملة على مثل ذلك فإذا اعترض فليكن اعتراضه على جميع المؤلفين ومؤلفاتهم ولا يأتي إلى ناقلٍ وراوٍ فيعترض عليه وحده دون غيره فليس ذلك من الإنصاف .

3- ثم قال المعترض : ثم إذا كان الرجل يتحدث في خاطره كما يزعم الجفري فكيف سمعه إبليس ؟

أقول : ما دامت القضية خطاباً بين روح وروح وجسم لطيف وجسم لطيف آخر فإن السماع في كل منهما ممكن وواقع وإذا كان إبليس قد وصف في القرآن الكريم بأنه الوسواس الخناس وتصل وسوسته إلى قلب الإنسان من قُرب ومن بُعد ويسمعها الإنسان ويدركها ويعلمها من داخله فالأمر كذلك في الطرف المقابل .

ونحن بدورنا نسأل المعترض : كيف سمع الإنسان ويسمع كلام الشيطان ووسوسته في قلبه ؟ فكما سمعه الإنسان في باطنه فكذلك الشيطان يسمع أجوبة الإنسان وما يردّ به وسوسته ، ولننظر إلى أدلة أصحاب العقول وما يورده الشيطان عليهم من شبه في بواطنهم كيف ينقضونها له ويضيقون عليه طرقه فيدخل عليهم شبها أخرى في أجوبتهم ويأتيهم بغيرها ، فنقول للمعترض كيف علم الشيطان بأجوبة هؤلاء عن تلك الشبه وكيف نَقَضها لهم ثم ينقضونها له وهكذا ؟ فهذا مما أقدره الله تعالى عليه ومكّنه منه لأنه تعهّد بإضلالهم وإغوائهم وأقسم بين يدي الله تعالى على ذلك وأنه سيأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم .

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عنه أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم وأنه يسأل الإنسان في باطنه بأسئلة فإذا أجابه عليها سأله غيرها حتى يوقعه في الشك والكفر ، وهل يتصور المعترض أن أجوبة الشيطان عن أسئلته تلك متوقفة على نطق الإنسان باللسان ؟ هذا لا يقول به عاقل أو عالم .

وفي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُول مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَق كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَه فَلْيَسْتَعذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه ﴾{الحديث أخرجه البخاري برقم:3034 وسلم برقم:191} .

فإذا كان أحدنا يتحدث بأجوبة الشبهات في قلبه وعقله كيف يسمعها إبليس وينقضها ويوسوس بغيرها ؟ فكما نسمعه يسمعنا ، وهكذا سمع إبليس قول ذلك العابد في خاطره : اخسأ يا لعين تريدني أن أختم عمري بالرياء .

فإبليس لا يعلم السر وأخفى كما توهم المعترض وكما اتهم الحبيب الجفري بتوهم ذلك ، والحبيب الجفري وكل مؤمن يعلم استحالة ذلك ولكن الشيطان بإقدار الله تعالى له وتمكينه من الوسوسة في باطن الإنسان يُلقي ويتلقى ، يَرد ويُرد عليه ، يحدث ويحدَث ، فهناك بين عالم اللطائف من الأرواح وبين الملائكة والشياطين تجاذب وتجادل لا يتوقف على الحواس الظاهرة ، ومثل ذلك علم الملك الكريم وما يهم به العبد في باطنه ومن حسنة وسيئة فهل يقول المعترض بأن الملك يعلم السر وأخفى لإطلاع الله تعالى له على ذلك وكتابته له ؟ وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهُمَا : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَال : ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّن ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّه لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّه لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍإِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَم بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَه سَيِّئَةً وَاحِدَةً ﴾{أخرجه البخاري برقم:6010} وربنا قال في وصفهم : ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾{الانفطار:17} والنية فعل القلب ، ومثلها الهم والعزم والخواطر والهواجس والأحاديث الباطنة .

فعلم الله تعالى السر وأخفى وصف خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد ، وإعلام الله تعالى لمخلوق من ملك أو شيطان أو غيرهما ببعض ذلك السر وإدراكهم له بإقدار الله تعالى وتمكينه لهم شيئ آخر لا يعني انتقال وصف الله إليهم ولا مشاركته تعالى فيه بالاطلاع عليه من ذواتهم ، فلا تعارض بين علم الله بالشيئ والإعلام به ولا استحالة بين الأمرين .

ومثل ذلك في الخمس التي لا يعلمها إلا الله في آخر سورة لقمان هل يستحيل إعلام الله تعالى بجزئياتٍ منها وهل يقول المعترض لمن أطلعه الله على بعض ذلك بسبب وبغير سبب أنه شريك لله تعالى في علمه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾{لقمان:34} ، وأعلم الله العباد عن طريق الأرصاد الجوية أنه سيتزل يوم كذا وكذا مطراً ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ وأعلم العباد بواسطة التصوير عبر الأجهزة أن هذا المولود ذكر والآخر أنثى ، وهذا مشوه وذاك سليم ، فماذا يقول المعترض في إعلام عباده بمثل هذا ؟ وهل هم عنده شركاء لله في علم الغيب لأن الله أعلمهم بذلك وأطلعهم عليه ؟ اللهم ثبت علينا عقلنا وديننا وبك يا رب ثبّت يقيننا وعاف المعترض ومن معه من الجهل البسيط والمركب يا رب العالمين .



4- ثم قال المعترض : ومن أخبر الجفري أن إبليس يبكي ؟

أقول : بكاء إبليس على تخلص عبدٍ مؤمن من حيله ووسوسته ونجاته من أضاليله ليس بمستحيل عقلاً ولا شرعاً وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة بكاؤه عند سجود المؤمن فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَان يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُبِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ ﴾{أخرجه مسلم برقم:115} فكيف لا يبكي لفوات مؤمن من كيده ومكره فهو حريص على إضلال كل المؤمنين وعلى أن يموتوا كافرين أو عصاة مذنبين ويسوؤه أن يموت واحد منهم معافى على الإيمان ، وتقدم ما ذكره الإمام ابن كثير من رواية أبي يعلى ، ولا أدري لم انزعج المعترض من بكاء إبليس ؟ ولم أزعجه ذلك ؟ كأنه يحب أن يبقى إبليس ضاحكاً لإغوائه المؤمنين وإضلالهم ، ولا يحب أن يبكي ، لأن الرحمة التي يتمتع بها المعترض في قلبه تشمل حتى إبليس أثناء بكاءه ، فليهنأ إبليس بهذا القلب الرحيم .

5- ثم قال المعترض : وتبقى المصيبة في نوع المصادر التي يعتمد عليها الجفري في الدعوة للإسلام .

أقول : المصادر التي يعتمد عليها الحبيب الجفري وغيره من الدعاة هي : القرآن الكريم وكتب السنة الشريفة وما استنبطه العلماء الثقات منهما وكتب الرقائق والمواعظ التي ألفها كبار الحفاظ في التاريخ الإسلامي والتي هي من علوم السلف الصالح .

فهل هذه المصادر يعتبرها المعترض مصيبة ؟ فإذا كان كذلك فليجدد إسلامه لأن اعتقاد هذه المصادر مصيبة ردة عن الدين ومروق عن الملة .

6- ثم قال المعترض : وهل نسي الشيخ الجفري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل : ﴿ لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ﴾ الحديث ...الخ ؟

أقول : الشيخ الحبيب الجفري لم ينس ذلك ولم يتناساه لأنه قائل بتلقين المحتضر كلمة التوحيد وليس بمنكر ، ويعلم أن النطق بالشهادة علامة على حسن الخاتمة وعلى تكفيرها لما سلف من الذنوب ولكن ليس الأمر مقتصراً على ذلك ولا يعني أن الذي لم ينطق بالشهادة عند موته يموت كافراً كما أوهم كلام المعترض عندما قال : لا ينطق بالشهادة عند الموت إلا من وفق لها وكان مرضياً عند ربه ، فرب إنسان لا يقول الشهادة ويكون مرضياً عند ربه ومن أهل الجنة لأنه يكفي موته على الإيمان العلمي

ففي الحديث الصحيح : عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ مَنْ مَاتَ وَهُو يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾{صحيح مسلم برقم:38} ،

وقد قال العلامة البدر العيني رحمه الله : ومراد البخاري رحمه الله من هذه الترجمة أن من قال لا إله إلا الله من أهل الشرك ومات لا يشرك بالله شيئا فإنه يدخل الجنة والدليل على ذلك حديث الباب وقيل : يحتمل أن يكون مراد البخاري الإشارة إلى أن من قال لا إله إلا الله عند الموت مخلصاً كان ذلك مسقطاً لما تقدم له والإخلاص يستلزم التوبة والندم ويكون النطق علماً على ذلك ، قال : قلت : يلزم مما قاله أن من قال لا إله إلا الله واستمر عليه ولكنه عند الموت لم يذكره لم يدخل تحت هذا الوعد الصادق والشرط أن يقول لا إله إلا الله واستمر عليه فإنه يدخل الجنة وإن لم يذكره عند الموت لأنه لا فرق بين الإسلام النطقي وبين الحكمي المستصحب وأما أنه إذا عمل أعمالا سيئة فهو في سعة رحمة الله تعالى مع مشيئته .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : قَال الزَّيْن بْن الْمُنير : هَذَا الْخَبَر يَتَنَاوَل بلَفْظه مَن قَالَهَا فَبَغَتَهُ الْمَوْت ، أَو طَالَتْ حَيَاته لَكنْ لَم يَتَكَلَّم بشَيْءٍ غَيْرهَا ، وَيَخْرُج بمَفْهُومه مَنْ تَكَلَّم لَكنْ اسْتَصْحَبَ حُكْمهَا منْ غَيْر تَجْديد نُطْق بهَا ، فَإِن عَملَ أَعْمَالًا سَيِّئَة كَانَ في الْمَشيئَة ، وَإِنْ عَمل أَعْمَالًا صَالحَة فَقَضيَّة سعَة رَحْمَة اللَّه أَنْ لَا فَرْق بَيْن الْإسْلَام النُّطْقيّ وَالْحُكْميّ الْمُسْتَصْحَب وَاللَّه أَعْلَم .

وقال أيضاً عند حديث : ﴿ فَإِنْ مُتّ مُتّ عَلَى الْفطْرَة ﴾

في روَايَة أَبي الْأَحْوَص عَنْ أَبي إسْحَاق الْآتيَة في التَّوْحيد " منْ لَيْلَتك " وَفي روَايَة الْمُسَيِّب بْن رَافع " مَن قَالَهُنَّ ثُم مَاتَ تَحْت لَيْلَته " قَالَ الطِّيبيُّ : فيه إشَارَة إلَى وُقُوع ذَلكَ قَبْل أَنْ يَنْسَلخ النَّهَار من اللَّيْل وَهُوَ تَحْته ، أَوْ الْمَعْنَى بالتَّحْت أَيْ مُتّ تَحْت نَازل يَنْزل عَلَيْك في لَيْلَتك ، وَكَذَا مَعْنَى " منْ " في الرِّوَايَة الْأُخْرَى أَيْ منْ أَجْل مَا يَحْدُث في لَيْلَتك ، وَقَوْله " عَلَى الْفطْرَة " أَيْ عَلَى الدِّين الْقَويم ملَّة إبْرَاهيم ، فَإِنَّهُ عَلَيْه السَّلَام أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ ، قَالَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ ﴿ جَاءَ رَبّه بقَلْب سَليم ﴾ وَقَال عَنْهُ ﴿ أَسْلَمْت لرَبِّ الْعَالَمينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ وَقَالَ ابْن بَطَّال وَجَمَاعَة : الْمُرَاد بالْفطْرَة هُنَا دين الْإسْلَام ، وَهُوَ بمَعْنَى الْحَديث الْآخَر " مَنْ كَانَ آخر كَلَامه لَا إلَه إلَّا اللَّه دَخَل الْجَنَّة " قَالَ الْقُرْطُبيّ في " الْمُفْهم " : كَذَا قَالَ الشُّيُوخ وَفيه نَظَر ؛ لأَنَّهُ إذَا كَانَ قَائل هَذه الْكَلمَات الْمُقْتَضيَة للْمَعَاني الَّتي ذُكرَتْ من التَّوْحيد وَالتَّسْليم وَالرِّضَا إلَى أَنْ يَمُوت كَمَنْ يَقُول لَا إلَه إلَّا اللَّه ممَّنْ لَمْ يَخْطُر لَهُ شَيْء منْ هَذه الْأُمُور فَأَيْنَ فَائدَة هَذه الْكَلمَات الْعَظيمَة وَتلْك الْمَقَامَات الشَّريفَة ؟ وَيُمْكن أَنْ يَكُون الْجَوَاب أَنَّ كُلًّا منْهُمَا وَإنْ مَاتَ عَلَى الْفطْرَة فَبَيْن الْفطْرَتَيْنِ مَا بَيْن الْحَالَتَيْنِ ، فَفطْرَة الْأَوَّل فطْرَة الْمُقَرَّبين وَفطْرَة الثَّاني فطْرَة أَصْحَاب الْيَمين .

وقال العلامة ابن بطال في شرحه : ذكر البخارى حديث أبى ذر هذا في كتاب اللباس، وقال فيه: إن النبى، – صلى الله عليه وسلم – ، قال: « ما من عبد، قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » . إلى قوله: « وإن زنا وإن سرق.... » الحديث.

وفسره بأن قال بأثره: قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله، غفر له، فدل قوله هذا على أن من قال: لا إله إلا الله، وإن بَعُد قوله لها عن وقت موته، ثم مات على اعتقادها أنه ممن آخر كلامه لا إله إلا الله، وداخل فى معنى التبويب إذا لم يقل بعدها خلافها حتى مات.

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم : فَنُقَرِّر أَوَّلًا أَنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ السَّلَف الصَّالِح وَأَهْل الْحَدِيث وَالْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى مَذْهَبهمْ مِن الْأَشْعَرِيِّينَ أَنَّ أَهْل الذُّنُوب فِي مَشِيئَة اللَّه تَعَالَى . وَأَنَّ كُلّ مَن مَاتَ عَلَى الْإِيمَان وَتَشَهَّدَ مُخْلِصًا مِن قَلْبه بِالشَّهَادَتَيْنِ فَإِنَّهُ يَدْخُل الْجَنَّة . فَإِنْ كَان تَائِبًا أَوْ سَلِيمًا مِنْ الْمَعَاصِي دَخَل الْجَنَّة بِرَحْمَة رَبِّه وَحَرُمَ عَلَى النَّار بِالْجُمْلَة وَإِنْ كَانَ هَذَا مِن الْمُخَلِّطِينَ بِتَضْيِيع مَا أَوْجَبَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْه ، أَوْ بِفِعْل مَا حُرِّمَ عَلَيْه . فَهُوَ فِي الْمَشِيئَة لَا يُقْطَع فِي أَمْره بِتَحْرِيمِه عَلَى النَّار وَلَا بِاسْتِحْقَاقِه الْجَنَّة لِأَوَّل وَهْلَة . بَلْ يُقْطَع بِأَنَّهُ لَا بُدّ مِن دُخُوله الْجَنَّة آخِرًا . وَحَاله قَبْل ذَلِكَ فِي خَطَر الْمُشِيئَة . إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى عَذَّبَهُ بِذَنْبِه ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْه بِفَضْلِه وَيَجُوز فِي حَدِيث : " مَنْ كَانَ آخِر كَلَامه لَا إِلَه إِلَّا اللَّه دَخَلَ الْجَنَّة " أَنْ يَكُون خُصُوصًا لِمَنْ كَانَ هَذَا آخِر نُطْقه وَخَاتِمَة لَفْظه ، وَإِنْ كَانَ قَبْل مُخَلِّطًا فَيَكُون سَبَبًا لِرَحْمَة اللَّه تَعَالَى إِيَّاهُ وَنَجَاته رَأْسًا مِنْ النَّار ، وَتَحْرِيمه عَلَيْهَا بِخِلَاف مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ آخِر كَلَامه مِنْ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَلِّطِينَ . انتهى مختصرا

وقال العلامة المناوي في فيض القدير : وظاهر الخبر الاكتفاء بقولها مرة واحدة في أي وقت كان من العمر لكن بشرط الاستمرار على اعتقاد مدلولها إلى الموت المشار إليه بخبر من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وأما الحديث الذي رواه ابن حبان قال المعترض وأصله في الصحيحين أما في صحيح مسلم فنعم وأما في صحيح البخاري فلا لأن البخاري ذكره تعليقاً في ترجمة فقال : باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . ومعنى ذلك أنه ليس على شرط الصحيح وقد فرق العلماء بين معلقات الصحيح ومتون الحديث فيه وأنهما ليسا سواء .

وقد نبه على ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح فقال : تنبيه : كأن المصنف لم يثبت عنده في التلقين شيء على شرطه فاكتفى بما دل عليه .

7- ثم قال المعترض : فلماذا لا يريد الجفري أن يعلم الناس أن موتاهم ماتوا على قول لا إله إلا الله ويجعلها إن أظهرت علامة على الرياء ؟ الخ

أقول : الجفري لم ينه الناس عن تلقين مرضاهم ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وليس في كلامه ما يدل على ذلك ، بل يتعين على من لم يعقل لسانه ولم يثقل بعد أن يذكره حاضروه بكلمة التوحيد رجاء لما عُلّق عليها من الخبر الوارد في الحديث ، وأما من عُقل لسانه أو لم يتيسر له النطق بها إذا ذكر فإن علمه بالله تعالى وإيمانه به كافٍ في نجاته وسعادته إن شاء الله تعالى كما دل عليه حديث : ﴿ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾{صحيح مسلم برقم:38} .

وفي القصة التي أوردها الحبيب الجفري أن إبليس قال لذلك العابد ارفع أصبعك حتى يعرف من حولك أنك نطقت بالشهادتين وهل جعل الشرع رفع الأصبع عند الموت علامة دالة على النطق بالتوحيد وهل أمر بذلك ؟

إن هذا المعترض يريد منا أن نُحدث في دين الله ونشرّع فيه ما لم يأذن به الله ، فهو يقول : من لم يستطع قول الشهادتين بلسانه لثقله فليرفع أصبعه دلالة على التوحيد ، وأين الدليل على هذا في الشرع المطهر .

إن المحتضر يكفيه إذا ثقل لسانه علمه بالله تعالى وإيمانه ولا يكلف برفع أصبع ولا بالإشارة به ، وربما علم ذلك العابد عدم مشروعية هذا الأمر مع ما يدخله من امتثال أمر إبليس وقصد المراءاة للحاضرين فامتنع عن ذلك كله وبين لإبليس أنه يقول لا إله إلا الله من أجل مقابلة الله بها لا من أجل أن يعرفه الناس بذلك ،

فالعابد يقول لا إله إلا الله ولا يرضى برفع الأصبع بدلاً عن ذلك قطعاً لطمع إبليس فيه وابتعاداً عن الرياء والمحمدة والثناء والإطراء الذي تدخله المبالغة من الناس عادة فيرفعون أمثال ذلك العابد إذا رأوا منه ذلك فوق مرتبته وينزلونه عند الله تعالى في منزلة لم يطلعهم الله عليها ، فأغلق ذلك العابد جميع تلك المفاسد وقطع طمع إبليس فيه بامتناعه عن رفع أصبعه والإشارة بها .

أما لو جاء إبليس إلى عبدٍ حي أو محتضر فقال له : قل / لا إله إلا الله / فعليه أن يفعل ما فعله سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام عندما قال له إبليس ذلك أجابه بقوله : أقولها لا لك أي لا من أجلك ولا استجابة لطلبك فأغاظه بذلك .

ذكر هذه القصة الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في كتابه الأذكياء .

وعليه أن يقول ذلك ما دام قادراً عليه غير عاجز عنه وإلا يكتفي بتكرار كلمة التوحيد في سره ولينوِ بذلك إغاظة الشيطان وإن حدثته نفسه بالرياء ، وما ذلك إلا لأن الشرع أمر بذلك واستحب أن تكون آخر كلام العبد من الدنيا ، ولا يستعيض عن ذلك بإشارة الأصبع ولو أمره إبليس بذلك لا يمتثل أمره ، وكان الأولى بأولئك السبعين من العلماء كما وصفوا ألا يطيعوا أمر إبليس بالإشارة بأصابعهم حتى لا يحدثوا في دين الله ما ليس منه ، وأن يكتفوا بكلمة التوحيد يكررونها في قلوبهم إذا عجزوا عنها بألسنتهم حتى لا يُقبضوا على شيءٍ من الرياء إن حدثتهم نفوسهم به .

8- ثم قال المعترض : إننا لو عكسنا الأمر وقلنا للناس إذا وسوس لكم الشيطان عند الموت أن تخفوا الشهادة ...الخ

أقول : هذا هو مذهب الحبيب الجفري وكل العلماء ، إلا قوله : فإن لم تستطيعوا فارفعوا السبابة فإنا لا نوافقه عليه حتى يأتينا بالدليل الشرعي على ذلك وإلا فهو محدَث ، وأخطأ في تسمية الأصبع بالسبابة لأنه اسم جاهلي واسمها الإسلامي المسبحة ، وهو أولى ، وما ورد في الأحاديث والآثار من ذكر السبابة فهو جارٍ على العُرف آنذاك وقبل تسميتها بالاسم الإسلامي .

9- ثم قال المعترض : فأي منهج هذا الذي يدعو إليه الجفري ؟ ولماذا يكون دائماً مخالفاً للمنهج النبوي الشريف ؟

أقول : أما المنهج الذي يدعو إليه الحبيب الجفري فهو الاستقامة الشرعية الظاهرة والباطنة على أحكام وآداب الكتاب والسنة بفهم الأئمة وما استنبطوه منهما من قواعد أصولية وفرعية ، فليس في منهجه ولله الحمد دعوة إلى الشرك الظاهر أو الباطن ولا دعوة إلى ترك فريضة من فرائض الله أو ارتكاب محرّم من المحرمات التي نهى عنها الله ، وليس في منهجه طعن بالعلماء ولا بالصالحين ولا خرق لقواعد الإجماع ، ولا إقرار لمحدث من المحدثات التي لا تقبلها قواعد الشرع ، ومن ادعى عليه شيئاً من ذلك فليأت بالدليل الصحيح المسلّم لدى العلماء والعقلاء كافة ولا يأتي بالشبهات القابلة للتأويل وإلا فهو مفتر كذاب .

وأما أنه يكون دائماً مخالفاً للمنهج النبوي الشريف فهو افتراء وكذب ، وما عرف عنه أنه مخالف للمنهج النبوي الشريف في مسألةٍ ما فضلاً عن أن يوصف بالديمومة على ذلك .

وأذكر المعترض وأمثاله بقول الله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ﴾ الآية وبقول النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ ﴾{رواه الإمام أحمد وغيره} وقال الحسن البصري رحمه الله لرجل افترى عليه : الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

10- ثم قال المعترض : أكتفي بهذا القدر من الملاحظات ...الخ

أقول : تبين من خلال ردود أضاليل المعترض وأباطيله أنه لا يوجد في كلام الحبيب الجفري أخطاء عقيدية أو فقهية أو حديثية أو تاريخية أو سلوكية ، وإنما هي شبهات الباعث عليها قِصر النظر وقلة العلم ، ولها وجوه من التأويلات العلمية الصحيحة المؤيدة بالأدلة والبراهين .

وبما أن المعترض اكتفى بهذا الذي ذكره فإني أكتفي كذلك بما ذكرت من الردود العلمية المسماة / الرد العلني على مدعي النسب الحسني / ولو زاد على ذلك لزدت عليه ، وأنا له ولأمثاله من أهل الباطل والضلال والتضليل بالمرصاد ما دمت على قيد الحياة ، فإذا مت عند انتهاء الأجل وأسأل الله حسن الخاتمة والموت على عقيدة أهل السنة والجماعة ومحبة الصوفية فإن الله سيبعث لأمثال هؤلاء مثلي أو خيراً مني ممن يحق الله بهم الحق ويبطل بهم الباطل ، وصدق الله القائل : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾{الأنبياء:18}

وقال تعالى : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾{الأنفال:8} .

11– ثم قال المعترض : إذا كان بعض من كتب في التصوف من الأقدمين قد روى أحاديث لا تصح أو لا أصل لها ...الخ

أقول : حبذا لو ذكر لنا المعترض تلك الكتب والتي صنفها الأقدمون وفيها ما لا يصح لأني لا أعلم كتاباً ألف في التصوف على يد الأقدمين من العلماء والأئمة إلا واعتنى علماء الحديث بتخريج ما أورده مؤلفه فيه من الأحاديث ، وعلى سبيل المثال إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى خرج أحاديثه الحافظ زين الدين العراقي والسيد مرتضى الزبيدي شارح الإحياء ، وغيرهما وبمجموع التخريجين المذكورين تبين كثرة الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة المنجبرة المقبولة في فضائل الأعمال بالشروط المعتبرة ، وقلة الموضوع فيه بحيث أنه فيه على جهة الندرة ، وسبب وجود ذلك أنه نقل تلك الأحاديث من كتب ذكرتها بالأسانيد / ومن أسند فقد برئ من العهدة / ، ثم تبين بدراسة رجال تلك الأسانيد بحسب قواعد علم الجرح والتعديل أن فيها كذاباً أو متهماً فحكم العلماء على الحديث بالوضع وذكروا ذلك في تخريجهم له .

فحبذا لو ذكر لنا المعترض من هم العلماء الذين عناهم بقوله قد أنكروا على هؤلاء وأفتوا بعدم جواز تصديهم للكتابة ...الخ

لأني لا أعلم عالماً من أهل السنة والجماعة أنكر على حجة الإسلام الغزالي وأمثاله أو أفتى بعدم جواز تصديهم للكتابة والتعليم والمعترض مطالب بذكر أسماء أولئك العلماء المعترضين على الصوفية وبذكر فتاويهم في ذلك ، فإذا كانوا من أعداء التصوف والصوفية سلفاً وخلفاً فلا مبالاة باعتراضهم ولا التفات إلى فتاويهم لخروجهم عن أهل السنة والجماعة بعداوتهم للتصوف وأهله .

ثم ذكر المعترض الصفة الغالية على كتب التصوف والسلوك إلا أنه قال بقطع النظر عن مضمونها الشرعي ، ولا أدري ما الذي حمله على قطع نظره عن مضمونها الشرعي بعد إقراره الضمني بوجوده ، فإذا كان مضمونها شرعياً لم قطع النظر عنه ؟ أليس هذا إعراض عن الشريعة وأخذ أحكامها وآدابها من مظانها ؟ أليس المعترض يعلم العوام الطغام بمثل هذا الكلام أن يقطعوا نظرهم عما في تلك الكتب من مضمونها الشرعي ؟

أليست هذه دعوة مبطنة لنبذ الشريعة والإعراض عنها ؟ فهل هذا ما يريده المعترض بقطع نظره عن المضمون الشرعي ؟ لا أظنه يريده ، فقد أورد في مقدمة كتابه كلمة لسيدنا عمر رضي الله عنه يقول فيها : / لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا / وهذا الذي يحملني على حسن الظن بأولئك وإن لم يكونوا أهلاً له .

12- ثم قال المعترض : ولكن كتاب معالم السلوك للشيخ الجفري مخالف لكتب الصوفية التي عرفناها ...الخ

أقول : كتب الصوفية التي عرفها المعترض خلت من التجريح والغمز والطعن ومن ذكر الشبه والرد عليها بسبب أن الفقهاء والمتكلمين من علماء أهل السنة والجماعة كفوا الصوفية الاشتغال برد شبه المبتدعة والجواب عنها بما ألفوه من كتب الفقه والعقائد التي ذكرت الشبه وردت عليها بأبلغ حجة وأنصع دليل ، حتى لم يبق لأولئك المبتدعة ظهور بل استخفوا وكبتوا وكان الظهور والغلبة لأهل الحق عبر الأزمنة كلها ولله الحمد ، ولكن في زماننا المعاصر لما قصّر فقهاء ومتكلموا علماء أهل السنة والجماعة في رد شبه المبتدعة الوهابية القديمة الحديثية بالأدلة والبراهين نشطت المبتدعة الوهابية من جديد وبدأت بإعلان عقائدها الباطلة وأفكارها المنحرفة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة كما تنشط جراثيم الأوبئة إذا لم تكافح باستمرارية الدواء والعلاج ، استدرك علماء التصوف وهم خلص أهل السنة والجماعة تقصير الفقهاء والمتكلمين من العلماء وتصدوا للرد على أولئك المبتدعة الوهابية الخوارج بما يتيسر لهم من جُهد المقل لعدم وجود جماعات أو جمعيات ترعى ذلك التصدي المحمود في عالمية الدعوة الإسلامية الصحيحة خلافاً لما عليه أولئك المبتدعة من دعمٍ مالي رصيده مفتوح وبغير حساب من جماعات وجمعيات مالية وسفارات أجنبية تقوم بتمويل وتوجيه ذلك الفكر المنحرف ورجاله القائمين عليه .

إن ما فعله الحبيب الجفري من بناء كتابه على الخصومة والتصادم والشحناء والخلافيات كما صوره المعترض ما هو إلا حلقة من حلقات التصدي العلمي الصحيح لذلك الفكر المنحرف ، وهو متعين على الحبيب الجفري وأمثاله من أهل الحق لأن السكوت عن بيان الحق وإبطال الباطل يعني المشاركة في إثم القائمين به ويعني تشويه دين الإسلام وحقائقه بإظهاره على خلاف ما هو عليه يوم جاء به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله وبلغنا وأمته إياه ، وأجمع المسلمون من بعده عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تشويه فجزى الله الحبيب الجفري وأمثاله خير الجزاء على نصرهم للحق وبيانهم له ونحن نأمل منهم المزيد والكثير من هذه المؤلفات الطيبة التي يحق الله بها الحق ويبطل بها الباطل .

13– ثم قال المعترض : وهذه الأمور كما هو معلوم متعارضة مع طريق التزكية وتقويم السلوك ...الخ

أقول : لقد أخطأ المعترض عندما فهم أن طريق التزكية وتقويم السلوك يعني السكوت عن بيان الحق والدعوة إليه ، وإقرار الباطل و إظهاره بمظهر الحق ، التزكية فرض عين على كل مسلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الحق وإبطال الباطل فرائض أخرى لا يكمل الدين إلا بها ولا يحصل كمال الإيمان إلا بمجموعها ، لم يريد المعترض من الصوفية أن يقوموا بفرض التزكية وأن يتركوا الفرائض الأخرى المتعينة عليهم وعلى غيرهم على حدٍ سواء ؟

فإن قال قائل : إن مثل هذا الأسلوب من الأخذ والرد يفرق كلمة المسلمين ويذهب وحدهم .

أقول : هل تعني وحدة المسلمين عند هذا القائل أن يسكت أهل الحق عن بيانه وأن يتمادى أهل الباطل في نشره وإعلانه ؟ إن وحدة المسلمين لا تتحقق إلا برجوع أهل الباطل عن باطلهم إلى ما عليه أهل الحق وهم السواد الأعظم من الأمة سلفاً وخلفاً ، فإذا رجع أهل الباطل عن باطلهم إلى الحق وأهله تحققت وحدة المسلمين المرجوة ، فبدلاً من أن نطالب أهل الحق بالسكوت عنه فلنطالب أهل الباطل بالرجوع عنه وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في رده على المبتدعة فقال : / إذا سكتوا سكتنا / وهكذا أهل الحق مع أهل الباطل في كل زمان ومكان إذا تكلموا تكلمنا وإذا سكتوا سكتنا ، وبالله تعالى نجول ونصول وبه نخاصم وبه نقاتل ، وهو ولي المتقين .

14– ثم قال المعترض : فليت الشيخ الجفري تجنب هذه المزالق ...الخ

أقول : وليت هذا المعترض تجنب الكتابة في مواضيع ليست من اختصاصه ، وليته بقي في طبه للأسنان المسوسة يشم بخرها ونتنها الذي يتنافى مع ذوقه الأدبي ، لكان خيراً له من التجرؤ على دين الله تعالى والقول بالرأي فيه والاقتداء بأهل الأهواء الضالين ، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ﴿ مَن دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَايَنْقُص ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَان عَلَيْهِ مِن الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ﴾{أخرجه مسلم برقم:**4381**}

فعلى المعترض مثل آثام من ضل بسبب كتابه هذا من غير أن ينقص بعضهم من إثم بعض شيئاً ، والذي نتمناه منه في الأجل القريب أن يكف لسانه وقلمه عن التطاول على العلماء والصالحين وأن يرجع إلى الحق وأهله ويتبرأ من الوهابية وعقائدها وأفكارها ويتبع أهل الحق من علماء أهل السنة والجماعة ومتصوفيهم فذلك المرجو له ولأمثاله من عند الله سبحانه .

وإنني أختم كتابي هذا بما ختم به كتابه بتصرف فأقول عنه مرشداً له وهاديا ومهدياً إليه : وفي الختام أود أن أشير إلى أن الهدف من هذه المتابعة العلمية ليس التجريح وإنما النصح والتصحيح لأمر يهم عموم الأمة ، وكم كنت أتمنى أن يكون هذا الرد العلمي والتنبيه على لسان غيري إذاً لكفاني مؤونة الرد ، ولكفاني ما تعرضت له من الوهابية من سباب وشتائم وتفسيق وتكفير واتهامات وإشاعات أعلنوا بها وتناقلوها وتلك هي بضاعتهم وسنتهم السيئة مع العلماء قديماً وحديثاً لأنهم لم يسلكوا طريق التزكية والتربية ونضم ذلك إلى قاموس شتائمهم

وأقول لهم ما قاله السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه وعنا به وقدس سره ،

ولست أبالي من زماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب

إذا كان سري عند ربي منزها فما ضرني واشٍ أتى بغريب

وأستعين بالله عليهم في أن يكفيني شرهم وأذاهم بما شاء وكيف شاء إنه على ما يشاء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل .

وكفى المرء رفعة أن يُعادى في ميادين عزّه ويُعادي

وإنني لأرجو أن يكون موقف المعترض وأمثاله بعد هذه الردود العلمية تراجعاً عن الأخطاء وتمسكاً بالكتاب والسنة بفهم الأئمة وتوقيراً للعلماء العاملين من أهل الحق وإهانة المبتدعة .

واعلم أيها المعترض أن تراجعك عن الأخطاء وانحيازك للحق وأهله يجعلك أسمى عند الله تعالى

ففي الحديث :﴿ مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ﴾{سنن الترمذي برقم:2338} ،

وأرجو أن تكون ردودي العلمية هذه إصلاحاً للمسار على المحجة البيضاء وتحرياً للدقة في النقول عن العلماء وأرجو أن يدخلني الله تعالى ومن نصرني بالحق وعلى الحق في بشرى النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووعده الذي أشار إليه فيما صح عنه وتواتر ﴿ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ﴾

{سنن الترمذي برقم:2581}

وأن يجعلنا وجميع المسلمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وكتبه عبد الهادي محمد الخرسه

المتخصص في علوم العقيدة الإسلامية والتصوف

دمشق 20-6-2007 مـ



بيان إلى علماء المسلمين في بلاد الإسلام :

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما يَقُولَان : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُل امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَص فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ ﴾

{رواه أبو داود برقم:**4240**}

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله في الدنيا والآخرة ﴾

{قال في مجمع الزوائد : رواه البزار بأسانيد وأحدها موقوف على عمران وأحد أسانيد المرفوع رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني}

ونظرا لانتهائي من الرد العلمي العلني على مدعي النسب الحسني والدفاع عن الحبيب الجفري ومنهجه الحق أطلب من طلاب العلم عرض هذه الردود على السادة علماء أهل السنة والجماعة والمفتين منهم في البلاد الإسلامية وبيان رأيهم في هذه الردود العلمية على جماعة الوهابية ، والتكرم بتقريظ خطي من قبلهم إذا ظهر لهم موافقة هذه الردود لما عليه أهل الحق وذلك ليطبع التقريظ في مقدمة الكتاب المذكور عند طبعه إن شاء الله تعالى مع بيان اسم العالم أو المفتي المقرظ وتوقيعه وخاتمه .

وجزاكم الله خيراً عني وعن المسلمين أجمعين آمين .

موقع العلامة المحقق الشيخ عبدالهادي الخرسة حفظه الله

/http://www.abdalhadialkharsa.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لقد ضمني وبعض أهل العلم بدمشق مجلس ، تناول فيه الحاضرون شيخ القراء ووصفوه بأنه وهابي ، وإنصافا للحقيقة وقولاً بالحق قلت لهم : شيخ القراء ليس وهابياً وإنما ينكر الزيادات والغلو الذي عليه الجهلة والعوام

– صحيح أن شيخ القراء يتكلم في كثير من خطبه وكلماته بكلام يناقض بعضه بعضا ، ويعده الأكثرون بسبب ذلك متلوناً وصحيح أيضاً أنه يتزلف إلى بعض الأغنياء بكلماتٍ توافق أهواءهم ويغض طرفه عن كثير من مخالفاتهم ولا ينكرها عليهم مع أنه في الوقت نفسه ينكر على غيرهم من الفقراء والمساكين ويشدد عليهم القول والنكير لما أقر عليه أولئك الأغنياء وسكت عنه .

– هذا وغيره مما ذكره هؤلاء المجتمعون في ذلك المجلس إلا أنني أقول من باب حسن الظن :

ربما يكون الدافع وراء كلام الشيخ الذي يراه الأكثرون متناقضاً ويرون الشيخ به متلوناً أن الشيخ أراد أن يتألف قلوب الجميع حوله : فتارة يتكلم بكلام يمدح فيه الصوفية ويثني على مشايخه منهم وعلى من كان في دمشق من علماءهم ومشاهيرهم ممن أدركهم وتارة يتكلم بكلام يمدح فيه وهابياً يؤلف كتاباً فيه كثير من الأخطاء العقائدية والحديثية ويقدم له ويثني عليه وهو مخطئ في ذلك بلا شك كما يظهر لكل باحث من خلال ردودي على ذلك الكتاب على موقعي على شبكة الإنترنت .

فأنتج مثل هذا التباين في مواقف الشيخ أن ابتعد عنه الصوفية وشيوخهم ومن يحبهم واتهموه بأنه وهابي ونفروا عنه ، وتقرب منه الوهابية والتفوا حوله وبالغوا في إكرامه وإعظامه .

– لقد قلت في كلمتي السابقة / إلى أين يا شيخ القراء / بأن الشيخ أقر تلميذه الجزائري على تكفير الشيخ الأكبر ابن عربي وجمهور المتصوفة ولم ينكر عليه ذلك لأنه يعتبره ناقلاً ومدوناً فقط وتبين ذلك من خلال مقدمته وثنائه على المؤلف وإطرائه في مدحه ، مع أن حكمي على الجزائري ومن معه مخالف لحكم الشيخ فيهم وذلك لأنه ومن معه ناقلون للتكفير على جهة الإقرار والرضا وليس على جهة الإنكار .

وقلت أيضاً في عدة مجالس : يُسأل الشيخ عن عقيدته في الشيخ الأكبر وجمهور المتصوفة فإن قال كلاماً صريحا بتكفيرهم أو تكفير معين منهم ولا يقبل كلامه التأويل بوجهٍ حكمنا عليه من خلاله وطالبنا حينئذٍ بإقالته أو استقالته، وما أظن أن الشيخ يقول بمثل ذلك الكلام الصريح .

ومع ذلك قلت بترك الصلاة وراءه لمحل الشبهة ، وقد هجر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه الإمام الحارث المحاسبي رحمه الله وترك الصلاة خلفه لأنه اشتغل برد أقوال المبتدعة وقال له : ألا تذكر بدعتهم ؟ فكيف بمن يمدحهم ويثني عليهم ويقدم لهم كتبهم ؟ ومع أني أترك الصلاة وراءه تورعاً واحتياطاً لا أحكم عليه بكفرٍ ولا فسق ولا بدعة .

أما بعض تلامذة الشيخ والذين حوله من الجزائري وأمثاله فأحكم عليهم بأنهم وهابية مبتدعة في العقائد وفسقة وهم تحت مظنة الكفر لتكفيرهم الصريح لجمهور الصوفية وعلماءهم ، والمعترض يقول بتكفير علماء دمشق من أهل السنة وله بذلك تصريحات بخطه محفوظة عند أحد الأساتذة من علماء دمشق .

وأحكم أنه لا تصح الصلاة خلفهم ولا تعتبر روايتهم ولا إجازتهم لا في القراءة ولا في الحديث لأنهم مبتدعة يدعون إلى بدعتهم ويعلنون بها ، ويجب بغضهم وهجرتهم في الله تعالى .

وتساءل الكثير حول سحب مقالتي الأولى / إلى متى يا شيخ القراء / من الموقع بعد أسبوع من نشرها، والذي حملني على ذلك فضيلة الشيخ العلامة محي الدين الكردي أبو الحسن شيخ الإقراء في حلقات مسجد سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، والذي طلب مني بواسطة أخ حافظ جامع من تلامذته التلطف في مخاطبة شيخ القراء عند ردودي على أغاليط وضلالات تلميذه الجزائري ، فامتثلت أمره ونزلت عند رغبته بارك الله في حياته وجزاه خيرا .

بقي عليّ بيان أربعة أمور :

1- فضيلة الدكتور مصطفى الخن لم يكتب المقدمة ، وإنما كتبها ابنه المدعو أنس وزخرف لأبيه القول عن المؤلف وكتابه حتى وقّع له .

لأن أنساً هذا على عقيدة المؤلف الوهابي وموافق له فيما قاله .

2- ادعى المؤلف أنه دكتور ولبّس على العامة بذلك حتى ظنه البعض دكتوراً في الشريعة أو أصول الدين أو الآداب ، وليس كذلك إنما هو طبيب أسنان ، متطفل على العلوم الشرعية والعربية ومدع لها ، ودليلي على ذلك الأخطاء العقائدية والحديثية والعربية الموجودة في اعتراضاته والتي قمت ببيانها وردها .

3- ادعى المؤلف أنه حسني النسب ، وقد كذبه في ذلك علماء الأنساب في دمشق وبينوا أنه من أسباط الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله وليس من أحفاده فهو كما قيل ابن بنت بنت الأمير عبد القادر ، وليس ابن ابنه ، وبالتالي لا يثبت له شرف النسب على قول الجمهور وأنا متوقف في قبول هذا أو رده حتى يبين لنا المؤلف نسبه إلى الأمير عبد القادر وهل هو من جهة أبيه أم من جهة أمه ؟

4- طعن البعض في نسب الحبيب الجفري ، وهذا الطعن مردود ، وقد حدثني رئيس المركز العالمي للأنساب فضيلة الشيخ أحمد الجوعاني بأن نسب الحبيب الجفري وآبائه ثابت بالتواتر وعندهم في المركز إثباتات ذلك .

ونسب الحبيب الجفري مثبت على موقعه على شبكة الإنترنت لمن أراد زيادة الاطلاع والتثبت .

وكتبه الشيخ عبد الهادي محمد الخرسه خريج جامعة الأزهر والمجاز بأكثر من أربعين إجازة من علماء الحديث في العالم الإسلامي

موقع المجهر

http://www.almijhar.org